موسوعة

شهداء الحركة الإسلامية

في العصر الحديث

إيمان - بطولات - كفاح - استشهاد

إعداد

أ.د. توفيق يوسف الواعى

الجزء الثانى

الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/١٥٦٨٦

الترقيم الدولى: I.S.B.N

977-265-662-0



مصر - القاهرة - السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦

٢٥١ ش بورسعيد ت: ٢٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٢٩٣١٤٧٥

مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٢٩١١٩٦١

www.eldaawa.com

email:info@eldaawa.com

الداعية الشهيد نزار أحمد الصباغ

١٩٨١/١١/١٢

مولده ونشأته:



ولد نزار أحمد الصباغ فى مدينة (حمص) بسورية يوم ١٥/ ٧/ ١٩٤١م ودرس فى مدارسها الابتدائية والإعدادية والثانوية، ثم تتلمذ على يدى الشيخ عبدالعزيز عيون السود والشيخ عبد الغفار الدروبى. وخلال المرحلة الثانوية انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين فى حمص. وقد ألقى القبض عليه فى أعقاب الانقلاب البعثى عام ١٩٦٣م، ثم خرج من السجن ليتابع نشاطه الإسلامى وسافر إلى مصر ١٩٦٤م ليكمل دراسته الجامعية هناك وانتسب إلى كلية الهندسة المدنية بجامعة القاهرة؛ ولم يمض على وجوده هناك عدة أشهر، إلا وجاء أمر من المخابرات المصرية بترحيله عن مصر فعاد إلى (حمص) سنة ١٩٦٥م. ثم اقترح عليه بعض إخوانه السفر إلى إسبانيا للاستفادة من نشاطه الإسلامى هناك فرحل إليها سنة ١٩٦٧م على أمل أن يلتحق بكلية الصيدلة فى جامعة غرناطة، ولكنه انشغل فى أمور المسلمين ولم يتابع الدراسة وانطلق يعمل فى حقل الدعوة الإسلامية بين الطلبة العرب والجاليات العربية والإسلامية ووسط الإسبان أنفسهم، فأسس أول كيان إسلامى فى إسبانيا منذ سقوط آخر معاقل الدولة الأندلسية سنة ١٤٩٢م، كما أقام فى العام نفسه أول اتحاد للطلبة المسلمين فى إسبانيا.

وقد كرس جهوده لفتح المراكز الإسلامية والمساجد وتربية النشء تربية إسلامية وأسس دارًا للترجمة والنشر قدم من خلالها ثلاثة عشر كتابًا باللغة الإسبانية آخرها (حياة محمد).

ولقد أجرى الله على يديه الخير الكثير، حيث تمكن بفضل الله ثم بمساعدة بعض الشباب العرب المسلمين من تجميع صفوف الشباب المسلم وبخاصة الطلاب وإنشاء

المراكز الإسلامية التى يمارسون من خلالها نشاطهم، وعقد المؤتمرات والندوات والمخيمات والدورات وإلقاء الخطب والمحاضرات، وكانت إقامته الأولى فى غرناطة لسنين طويلة انتقل بعدها للإقامة فى برشلونة.

ولقد تعددت المراكز الإسلامية وأقيمت المساجد فى أكثر من مكان.

كان نزار الصباغ خطيب الجمعة بالمركز الإسلامى فى (برشلونة) التى انتقل إليها سنة ١٩٧٨م والذى تؤمه جموع كثيرة من الطلاب والمقيمين والمسلمين الإسبان، وكانت خطبه الحماسية تستجيش مشاعر المصلين وتلهب عواطفهم وتستنهض هممهم.

صفاته ومواقفه:

وكان صلبًا قوى الحجة ثابت الجنان رابط الجأش لم تلن له قناة ولم تزده الأحداث الجسام إلا قوة ورسوخًا وصلابة وثباتًا، حيث يفزع إليه الشباب المغترب حين تدلهم الخطوب وتشتد الأمور فيواسيهم ويثبتهم ويبذل وقته وعافيته وماله وجهده لقضاء حوائجهم وتفريج كربهم وإزالة العقبات التى تعترض طريقهم، متوكلاً على الله ومستعينًا بإخوانه من أهل السابقة بالدعوة الذين خرجوا من أتون المحن أصلب عودًا وأشد مراسًا فكانوا نماذج صادقة للإسلام الحق بعلمهم وعملهم وخلقهم وسلوكهم، رهبانًا فى الليل فرسان فى النهار، يعيشون الإسلام بشموله وكماله وينتصبون لحمل الدعوة الإسلامية وإبلاغها للناس كافة.

جهوده العلمية والدعوية:

لقد كان نزار الصباغ صوت الحق فى إسبانيا ومركز الثقل لتحمل مسؤولية الدعوة الإسلامية فيها وكان من الشخصيات القيادية المتميزة.

وقد كانت له جهود مشكورة فى رفد العمل الإسلامى فى شمال إفريقيا وخصوصًا فى المغرب والجزائر وفى أوروبا عمومًا حيث كان من مراكز التنسيق فيما بينها.

ومن أجل هذا ضاق به الطغاة ودبروا المؤامرات للتصدى له والنيل من جهاده مرات عديدة.

استشهاده:

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل لجأوا إلى اغتياله بأيدى عملائهم أمام باب مكتبه فى برشلونه جهاراً نهاراً، فخر مضرجًا بدمه شهيداً فى سبيل الله، وسجل بذلك اسمه فى سجل الشهداء الذين سبقوه إلى الله، وكان ذلك ليلة السبت ٢٢/ ١١/ ١٩٨١م وقد أوردت وكالات الأنباء المحلية والعالمية نبأ استشهاده وأذيع فى الإذاعات ونشر فى الصحف وتوجهت أصابع الاتهام إلى عملاء السفارة المأجورين هناك.

وفى يوم ٢٥/ ١١/ ١٩٨١م نقل جثمانه إلى مدينة غرناطة ودفن فى السفح المطل على (قصر الحمراء) بالقرب من (جنة العريف) حيث توجد مقبرة إسلامية كان قد دفن فيها المفكر المسلم النمساوى الأستاذ محمد أسد. ومن الجدير بالذكر أن استشهاده كان وهو فى طريقه إلى المركز الإسلامى ببرشلونة ليكمل موضوع الأسبوع السابق، وكان بعنوان (الشهادة ومكانة الشهيد فى الإسلام) وهذه من المبشرات التى يفرح بها المؤمنون.

ولقد كانت بينه وبين أستاذنا الشهيد محمد كمال الدين السنانيرى بيعة وميثاق، فشاء الله أن يستشهد نزار الصباغ بعد استشهاد السنانيرى ببضعة أيام فى نوفمبر ١٩٨١م ليلحق به إن شاء الله فى جنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين.

رحم الله أخانا نزاراً وألحقه بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

***

الشهيد / نافذ يوسف سلمان أقطيفان

١٩٨٧/١٢/١٤

مولده ونشأته:

ولد الشهيد نافذ عام ١٩٧٢م فى مخيم دير البلح بعد أن شردت أسرته من بلدته وأرضه ليسكنها الغرباء. وتتميز أسرة الشهيد بالتدين والالتزام بأحكام الإسلام، وحسن تعاملها مع الآخرين حسب تعاليمه.

أما الشهيد نافذ فكان من أكثرهم حبًا لله ورسوله والتزام الإسلام شرائعه وسننه لذلك كان ـ رحمه الله ـ محبوبًا من أفراد أسرته جميعًا، أما إخوانه من شباب المسجد فقد عاشوا مع نافذ وعاش معهم، ألفهم وألفوه، أحبهم وأحبوه، وزاد من هذه الألفة والمحبة الخلق الرفيع الذى يميز نافذًا. وكذلك وداعته الظاهرة وبراءته الطفولية الرقيقة.

دوره فى الانتفاضة:

كان نافذ من أوائل الذين خرجوا لمواجهة المحتلين، فوداعته وبراءته تنفجر ثورة عارمة ضد المحتلين، تحول هذا الفتى الوديع، الخلوق الدمث إلى ثائر بكل معانى الكلمة. . لا يكل من قذف الحجارة. . وقبيل استشهاده هاجم نافذ مع الجموع مركز جنود الاحتلال فى وسط دير البلح وكاد يستشهد. . لقد أعلنت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) يوم ١٥/ ١٢/ ١٩٨٧م يومًا لتصعيد المواجهات مع الاحتلال، فعاد من دير البلح إلى المخيم ليشارك أهل المخيم وشباب (حماس) تصديهم وبطولتهم. . . وقد شوهد ملثمًا بلفحة له يتقدم الصفوف ويقذف الحجارة بكل قوة صارخًا: الله أكبر.

حدثنا شقيقه الأكبر فقال: لم أر نافذًا من قبل كما رأيته فى هذا اليوم ١٥/ ١٢/ ١٩٨٧م ـ أى يوم استشهاده ـ فلقد أبى رغم كثافة النيران وزخات الرصاص المتواصلة أن يتراجع. . . واقتحم جنود الاحتلال المخيم. . طلب منه شقيقه الأوسط أن يتراجع أكثر من مرة. . . فرد عليه قائلاً: إذا كنت خائفًا فاذهب. . . أنا لست

خائفًا، ويبقى وحده فى الشارع الرئيسى، وكان يرى أحد الجنود يصوب بندقيته باتجاهه إلا أنه استمر فى قذف الشياطين بالحجارة، ولما همَّ أن يلتقط حجراً آخر من الشارع، عاجله أحد الجنود برصاصة فى كليته استشهد على إثرها فى المكان . . . ليصبح نافذ أقطيفان ابن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) أول شهداء مخيم دير البلح .

يقول شقيق الشهيد الأكبر : لم نعثر فى جيب الشهيد إلا على بطاقته الشخصية والمنشور الأول لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) .

بعد يومين من استشهاده . . أحضر جنود الاحتلال جثة نافذ ليدفنها نفر محدود من أهله تحت حراسة عسكرية مشددة، وفى ساعات الليل كانت جموع الملائكة تستقبل بفرح ذلك الفتى الشهيد لترفرف روحه الطاهرة فى حواصل طير خضر تروح وتجىء فى روضات الجنان عند مليك مقتدر .

رحم الله الشهيد . . . فقد أوقد بدمه قنديلاً مضيئًا يبدد ظلمة الليل، ويرشد التائهين إلى الطريق القويم لتحرير البلاد والعباد .

***

الشهيد عصام أبو خليفة

١٩٨٨/٢/٢٥



الشهيد عصام أبو خليفة من مخيم جنين من مواليد ١/ ١/ ١٩٧٠.

نشأ على حب الدراسة وحب الصلاة وبدت عليه علامات الشجاعة وحب البذل فى سبيل الله والوطن، فكان ينشد وهو فى سن السابعة . .

والله لروح على لبنان ما أهاب المنيه

وأمانه يا خوان إن مت ابعثوا برقيه

وإن ما عرفتوا رقم الدارع رقم الهويه

عاش مأساة شعبه من خلال المعاناة والعذابات التى كان يشاهدها بعينه. واصل عصام مرحلته الثانوية العامة وكان يستعد لتقديم امتحان التوجيهية العامة. كان يشارك أقرانه فى حرب الحجارة ويعد نفسه لذلك اللقاء جسميًا ونفسيًا ويتحدث عن كرامات شهداء المجاهدين الأفغان.

استشهاده:

استشهد فى ٢٥/ ٢/ ١٩٨٨ حيث اغتسل قبل استشهاده وقد سألته والدته عن ذلك فقالت له؟ هل أنت على موعد مع الموت «بدك تموت يا عصام»؟ خرج وشارك فى مجابهة جنود الاحتلال بالقرب من مسجد المخيم. وعندما سمع نداء صلاة الظهر هرع إلى المسجد وصلى الظهر وخرج وشارك فى المجابهة، وأثناء صعوده لاستطلاع مكان جنود الاحتلال أطلق قناص النار فأصاب عصام برصاصه فى وجهه بالقرب من عينه اليسرى واخترقت الرأس ونقل عصام ليدفن فى مسيرة لم يشهد المخيم مثيلاً لها فهو أول شهيد «يفرح الناس فيه» حيث إن جنود الاحتلال تصادر جثث الشهداء وتفرض نظام منع التجول. أما عصام فقد تم اختطاف جثته وشيع فى جنازة وسط الزغاريد

وأصوات الله أكبر . إنها فرحة نيل الشهادة . قال شقيقه صالح عندما سمع نبأ استشهاده :

«لقد أدى عصام حق الله فى العبادة وحق الوطن فى الفداء والشهادة» قال لشقيقته – وقد زارها عصام قبل الشهاده – : «لقد رأيت نفسى مع الشهداء فى المنام وعلى مدى ثلاث ليال متتالية» .

وقالت والدته : لقد صبرنا ولله الحمد وخفف عنا أنه مع الشهداء .

ولا زال شقيقه حمود يذكر كلمات زميله : «أهنئك باستشهاد شقيقك» . . تقبل الله عصام وجعله ممن يشفع فى سبعين من أهله .

***

أحمد إبراهيم مصطفى البرغوثى

١٩٨٨/٢/٢٧

مولده ونشأته:



فى ربوع قريته «عابود» نشأ وترعرع، كانت ولادته فى ٢٥/ ١/ ١٩٦٨ لأسرة مستورة الحال، والده عامل بناء بسيط قضى عمره فى هذه المهنة، وهو اليوم لا يستطيع العمل، وإخوة ستة للشهيد يعينون الوالد، وأخت واحدة تساعد الوالدة. . . وأحمد أبيض البشرة، متوسط الطول، تنظر إلى عينيه العسليتين فترى فيهما، عزم الرجال، وبراءة الأطفال، وبساطة الفلاحين من أبناء ريف فلسطيننا الطاهرة.

نشأ الشهيد وترعرع محبًا لله ورسوله والمؤمنين، كان يأتى المسجد قبل السادسة من عمره، فنشأ فى طاعة الله، لذلك تجده كريمًا متواضعًا، مرحًا، محبًا لأهله وإخوته، مطيعًا لوالديه يطلب الرضا الدائم من والدته، ويقبل يديها كل صباح. . أما مع إخوانه من شباب المسجد فقد كان أليفًا مألوفًا، يحترم كبار السن، ويعطف على الصغار، وعلاقاته مع الناس ممتازة.

أنهى الشهيد الثانوية العامة، ولم تسعفه الظروف لإكمال دراسته، فعوض عن ذلك بحفظه لسور من كتاب الله الكريم، وأحاديث المصطفى ﷺ.

إرهاصات الشهادة:

قبل استشهاده بعدة أيام استيقظ من نومه، وقال لأمه وأهل بيته: إذا مت فلا تبكوا على ولا تعملوا ختمة كما هى العادة (طعام للناس)، فهذه بدعة، ثم قبل يدى أمه. . . لقد اغتسل أحمد قبل خروجه للمواجهات، فأرادت أمه أن تمنعه من الخروج فقال: إنى سأكون شهيداً. . وخرج.

حادثة الاستشهاد:

في ٢٧/ ٢/ ١٩٨٨م داهمت القرية قطعان المستوطنين تحت حماية عسكرية مكثفة، أنزلت في الجهة الشرقية من القرية، تتقدمها جرافة ضخمة تعبر الشارع الرئيسي في القرية الذي يربط مستوطنة حلميش كبرى مستوطنات المنطقة المحتلة عام ١٩٤٨م.

شرعت الجرافة العملاقة تقتلع الأشجار والأسوار المحيطة بالشارع، ما إن علم الشباب بذلك حتى دوت صيحات «الله أكبر» عبر مكبرات الصوت، وتعالت النداءات لوقف زحف المستوطنين، فلبى النداء الشباب الطيب الذين تخفق قلوبهم بالإيمان، وبدأت المواجهات، وانطلقت الحجارة تضرب رؤوس المجرمين المحتلين، وتضايق هؤلاء الذين جاؤوا خصيصًا للانتقام لما يتعرضون له من هجمات على أيدي الشباب أثناء مرورهم بشارع القرية... وبينما كان أحمد وابن عمه الشهيد رائد ينصبان كمينًا للقوات الغازية ليحولا دون تقدمها، فأقاما الحواجز الحجرية، وأمطروا المستوطنين بوابل كثيف من الحجارة، التف عليهما أحد المستوطنين تحت ستار الظلمة حتى أصبح على بعد ثلاثة أمتار، وأطلق النار بحقد دفين فأصاب أحمد ورائدًا، أما أحمد فقد أصيب برصاصة في خاصرته اليمنى فأحدثت نزيفًا داخليًا حادًا فتحامل على نفسه، ووصل إلى بيته وهو يضع يده على جرحه.

تقول والدة الشهيد: لقد دخل أحمد ويده على جرحه قائلاً: افتحي المسجل يا أمي، فالشباب يريدون أن يسمعوا القرآن.. ثم قال بكلمات متقطعة تفصلها عن بعضها زفرات الموت الممزوج بالدماء... لا تبكي يا أمي فإني سأكون شهيدًا.

ويقول والده: نام أحمد في فراشه قرير العين، ونفسه مطمئنة، يردد الشهادة بين فينة وأخرى حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، وخرجت الروح إلى بارئها. أخفينا الخبر لأن المواجهات ما زالت مستمرة، والرصاص يطلق بعشوائية حتى طلع الفجر فانتشر خبر الاستشهاد انتشار النار في الهشيم.

جنازة الشهيد:

أقبل الشباب مكبرين حيث موقع الشهادة، وحملوا الشهداء إلى المسجد رغم نداءات جنود الاحتلال المتكررة بحظر التجول، وقد شارك في تشييع الشهداء أهل

القرية جميعًا، أى ما يزيد على ألف شخص، وبعد رفع إجراء منع التجول أمها جمع كبير من أهالى القرى المجاورة ومعظم قرى رام الله والمدينة.

ردود أفعال حول الشهادة:

كانت والدة الشهيد على أعلى درجات الصبر والتحمل، فقد بكت قليلاً ثم ثبتها الله سبحانه وتعالى، وقد كان أشقاؤه وشقيقته فى صبر على قدر الله الذى اصطفى أخاهم شهيدًا فى سبيل الله.

لقد ترك استشهاد أحمد ورائد أثرًا بالغًا فى نفوس الشباب، فزاد عدد المصلين والتائبين العائدين إلى الله تبارك وتعالى.

وفى الذكرى الثانية لاستشهادهما وزعت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» صور الشهيدين، وقد جاء فى الملصق الذى وزع على الناس والأعمدة والجدران قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].. تنعى أبناء الإسلام فى الذكرى الثانية لاستشهادهم.. مع تهانى حركة المقاومة الإسلامية «حماس».

***

الشهيد /هانى محمود أبو حمام

١٩٨٨/٣/١٨



ولد فى ١٩٧٢ قبل استشهاد والده بتسعة شهور الذى تركه مع بنتين، كان الشهيد هانى يعيش حياة صعبة حيث عملت أمه(فرّاشة) فى وكالة الغوث، فى المستشفى السويدى، وكان حلمها الكبير : هانى. كانت تقرأ المستقبل فى عيونه. حصل على شهاده التوجيهية، وكان يحلم بالشهادة فى سبيل الله. ضد الغزاة الذين دنسوا أرض وطنه الحبيب.

وعن قصة هذا البطل روى لنا شاب من مخيم الشاطئ، أنه فى تاريخ ١٨/ ٣/ ١٩٨٨ ذكرى الاعتداء على المسجد الأقصى، اغتسل قبل صلاة الجمعة وذهب إلى الصلاة وحدثت مجابهة مع الصهاينة بعد الصلاة وأطلقوا النار بشكل كثيف، فأصيب هانى برصاصة فى بطنه واستدعيت سيارة الإسعاف إلا أن القوات الصهيونية منعتها من المرور، فقام الأهالى بنقله فى سيارة أجرة، ولكن الجيش الصهيونى أوقف السيارة مرة أخرى وتصعد روح الشهيد إلى باريها، وتعلم والدة الشهيد فتصاب بالذهول، وتصرخ صرخة تفجر سكون الكون، وسارع الشباب بنقل الجثمان فى مسيرة ضخمة، وهدأت والدة الشهيد من هول الصدمة وقالت الحمد لله : الذى منَّ عليه بالشهادة ومنَّ علينا بالصبر والثبات، وهو موقف عظيم، ولكنه خلف لها مرض السكر الذى صبرت عليه واحتسبت ذلك عند الله سبحانه.

تضحية غالية وصبر طيب واحتساب عند الله تعالى ابتغاء مرضاته.

***

الشهيد/ياسر أسعد إبراهيم الزعلان

١٩٨٨/٣/٢٧



ولد الشهيد ياسر الزعلان فى قرية سلفيت(١) فى شهر تشرين الأول عام ١٩٧٣، لقد كانت حرب رمضان فى أشدها عندما جاء شهيدنا إلى الحياة، هذه المعركة التى اقتحمت السدود والحدود بصيحة الله أكبر، ليولد بعد ذلك الجيل الذى يحمل فى قلبه هموم أمته لا تجد على ألسنتهم إلا هذه الكلمة العجيبة التى تعمل عملها فى نفوس المؤمنين قوة وثباتًا ورباطة جأش وعزة نفس، وفى المقابل تعمل فى نفوس الأعداء، وخاصة أننا نتعامل مع أخسّ خلق الله -يهود- الذين جبلوا على الجبن والخور، كيف لا ؟ والله تبارك وتعالى يقول عنهم: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٩٦]. . أى حياة سواء كانت عزيزة أم ذليلة دنيئة، ولكنهم اليوم يستأسدون فى زمن غياب الأسود أو تغييبهم عن الساحة فى غياهب السجون. درس الشهيد فى مدارس قريته «سلفيت» حتى وصل إلى الصف الثانى الإعدادى، ولما بدأت الانتفاضة المباركة قام اليهود أعداء الله وأعداء البشر بإغلاق دور العلم لأنهم أعداء لكل علم ولكل حضارة، فخرج شهيدنا إلى الحياة، وانتقل إلى مدرسة المسجد، إلى دار القرآن، ليحفظ أجزاءً من كتاب الله، لقد كان ياسر من الأشبال المؤمنين الذين التزموا فى صفوف الحركة الإسلامية فى سن مبكرة ليرضعوا الإسلام فى نفوسهم، ويتربوا على الإسلام عقيدة ومنهج حياة، لقد أحب ياسر الإسلام أكثر من روحه محافظًا على صلاة الجماعة عاملاً

(١) سلفيت: قرية تقع فى الجنوب الشرقى من نابلس وعلى مسافة ٢٦ كم منها، يُنسب إليها عبد الله محمد بن محمد عبد الله السلفيتى، من رجال القرن التاسع للهجرة، كان فقيهًا انتفع به جماعة من هذه النواحى، وشهاب الدين أحمد السلفيتى الإمام العالم الزاهد الورع توفى سنة ٨٨٠هـ. انظر: السخاوى / شمس الدين محمد بن عبد الرحمن- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع / منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت / (٩/ ١٢٩) الدباغ، بلادنا فلسطين (٢/ ٥٠٥ - ٥٠٧).

للإسلام محبًا لبيت الله، وعلم من خلال جماعته أن اليهود هم أعداء لله ولرسوله وللمؤمنين وللبشرية جمعاء، فرضع كرههم لأنهم احتلوا أرضه، ودنسوا مقدساته وشردوا أهله، كم من أم فقدت وليدها ! يسمع ياسر هذا الكلام فيمتلئ قلبه حقدًا على أعداء الله وعلى كل من يمد يده ليصافح أيادى ملطخة بدماء الأطفال والنساء والشيوخ والشباب من أبناء شعبه، لقد رضع ياسر الإسلام من منبعه الأصيل وتربى فى بيت الله ليكتسب روحًا مؤمنة، ونفسية مطمئنة، وقلبًا جسورًا جريئًا لا يهاب الموت. . وهكذا أتباع الإسلام دائمًا.

حادثة استشهاده:

فى يوم ٢٧/ ٣/ ١٩٨٨ الموافق ٩ شعبان ١٤٠٨هـ كانت (سلفيت) تئن تحت وطأة المحتلين يقتحمونها بعشرات الآليات العسكرية ومئات الجنود يطلقون النار فى كل اتجاه، ولا يجرؤ فى هذا الوقت على الخروج إلا المؤمنون الصابرون، ومَنْ غير ياسر وإخوانه يتصدون لهؤلاء الخنازير من حثالة البشر؟ خرج«ياسر» يحمل مقلاعه وحجارته فى يده، يضرب أعداء الله وهو يقول «بالنباطة والمقلاع حطم بنى قينقاع»، «يا مسلم كبر كبر رأس اليهود كسر كسر». . فى هذه الأثناء كانت والدة الشهيد خلفه تلحق به تريد أن تجاهد مع فلذة كبدها لا تريده أن يستشهد وحده وياسر يقول: يا أم ارجعى إلى البيت والأم تأبى الرجوع! لقد كان الجبناء من أتباع «حيى بن الأخطب» كالوحوش الكاسرة يكمنون فى كل زقة وفى كل شارع يطلقون النار بكثافة كبيرة مما يدل على خوفهم وجبنهم، ومن بين الرصاص الكثيف تصيب إحداها رأس الشهيد؛ دخلت من عينه التى طالما نظرت فى كتاب الله وبكت من خشية الله وباتت تحرس فى سبيل الله وخرجت من خلف الأذن لتكون آخر ما تسمع تلك الأذن صوتًا يتردد فى فم الشهيد «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله». . وها هم الشباب يتراكضون من كل صوب لا ترهبهم آليات العدو ولا مجنزراته ولا جنوده المدججون بالسلاح الأمريكى «بلد الحرية !» ومن بين الرصاص يُحمل الأخ ياسر على أكتاف إخوانه ليمتزج دمه بدموعهم، وفى داخل السيارة وقبل وصوله إلى المستشفى فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها لتعانق النجوم فى علاها، وتكون فى حواصل طير خضر تغدو وتروح فى جنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للشهداء المؤمنين المتقين.

جنازة الشهيد:

لقد كان أهله من الصادقين الصابرين، فتقبلوا أمر الله، بل إن الفرح غمر قلوبهم باستشهاد ابنهم، فأمه تزغرد فوق قبره أثناء مواراة جثمانه بالتراب، ما أروعك أيها الشعب.. لقد عرفت الطريق؛ طريق الشهادة، فأصبحنا نحرص على الموت فى سبيل الله كما يحرص غيرنا على الحياة، أصبحت الشهادة عرسًا تزغرد الأمهات فيه، إنه لشرف ما بعده شرف، وفخار ما بعده فخار أن يسجل التاريخ هذه الحوادث وهذه السير بحروف من نور لتكون نبراسًا للأجيال ومشاعل هداية للأمة من بعد. لقد شيعت (سلفيت) شهيدنا البطل إلى جنة الخلد إن شاء الله، وخرجت جموع أهلها لتزف عروسًا جديدًا إلى الحور العين، مزينة جدران القرية بصور الشهيد البطل، ثم تذهب الجموع إلى بيت والديه فيرفضان أن يعزيهما أحد، بل نادوا فى الناس أن: هنئونا فابننا شهيد ونتمنى من الله أن يرزقنا الشهادة كما رزق ولدنا.

فى ليلة استشهاد ياسر وحسين وهما من أبناء الحركة الإسلامية[1] عاشا معًا واستشهدا معًا، أقول: فى هذه الليلة ولد طفلان فسمّيا بأسماء الشهيدين ياسر الزعلان، وحسين عودة وسمى أهل القرية شارعين من شوارع البلدة بأسماء الشهيدين المؤمنين. لقد روى الشهيد بدمه الطهور أرض سلفيت لتنبت فيها شجرة خضراء أصلها ثابت وفرعها فى السماء، ولتُقلع كل الأشواك الأخرى الحمراء والصفراء وليعود للوطن هويته وللأمة عقيدتها، فرحمك الله رحمة واسعة وجعلك ممن يفوزون بالفردوس وألهَمَ ذويك الصبر والسلوان... آمين.

***

---

(١) كانا شابين ملتزمين بأسر وحلقات جماعة الإخوان المسلمين فى سلفيت.

الشهيد/حسين كامل حسن عودة

١٩٨٨/٣/٢٧

ولد الشهيد فى ٢٢/٦/١٩٦٧ فى بلدة (سلفيت) ليرى شعبًا يائسًا من كل شىء، وبعد النكبة علم الناس أن لا خلاص لهم إلا بالإسلام، فتوجهت جموع الشباب إلى الله تائبة ضارعة منتمية إلى جماعة المؤمنين من «الإخوان المسلمين» وكان شهيدنا من السباقين إلى الانضمام إلى ركب المؤمنين الأطهار.

وبعد بداية الانتفاضة كان الشهيد حسين من السباقين للانضمام إلى حركة المقاومة الإسلامية «حماس» إذ كان يتشوق إلى ذلك اليوم الذى يقارع فيه جنود الطاغوت، وينازل أعداء الله فى ساح الوغى، كيف لا؟ وهو الذى أُشرب حب الجهاد والاستشهاد فى قلبه.. فأصبح جزءاً من كيانه ينشد دائمًا:

قل لمن يحسب أنا أمة	أنكرت أمجاد سعد والوليد
نحن شعب لم يعد يخشى	الردى أو يبالى برصاص أوحديد
كلما أطفئ منا قبس	أشرق القرآن بالفجر الجديد
لقد رجعنا راية زاحفة	بعد أيام ضياع وشرود
ونهضنا نحو آفاق العلى	يُسلم الراية جد لحفيد
إنها الجنة تبغى ثمنًا	عز إلا من شرايين الشهيد(١)

نبذة عن حياة الشهيد:

ولد الشهيد فى أسرة كثيرة الأولاد ككل أسر شعبنا لأن معركتنا على هذه الأرض معركة وجود وليست معركة حدود، فكان شهيدنا الشخص الثامن بين إخوته لتكون هذه الأسرة ممن يباهى بهم رسول الله ﷺ: **«تناكحوا تناسلوا فإنى مكاثر بكم الأمم يوم**

(١) أبيات شعرية لشاعر الأقصى الأستاذ يوسف العظم من ديوانه «عرائس الضياء».

القيامة»[1]، لقد حشد اليهود كل قوتهم، ووضعوا من المغريات أمام اليهود الشيء الكثير وذلك ليهاجروا إلى فلسطين ويتناسلوا فيها، ولكن شعبنا بوعيه أدرك أنه أمام تحد كبير، فأصبحت الأسر على أرضنا كالشجرة الثابتة المغروسة فى أرض الوطن وفروعها فى السماء عالية تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها. لقد درس الشهيد فى مدارس البلدة كافة مراحل دراسته حتى التوجيهى، وكان ـ رحمه الله ـ أصغر أبناء عائلته، محبوبًا عند أبويه وإخوته، الكل يحبه ويدلله، ولكن هذا الدلال وهذا الحب لم يؤثر سلبًا على شخصية «حسين»، فلم تكن شخصيته مائعة رخوة كالأبناء المدللين، بل كان شابًا صلبًا جادًا خلوقًا تقيًا، تراه فتحسبه صغيرًا لكن فى ثيابه يكمن أسد هصور، ولذلك كان شجاعًا لا يهاب الموت، جريئًا لا يعرف الخور، وهذه النوعية دائمًا تصنع للأمة مجدًا سامقًا وتزرع فى الأمة المهزومة الأمل وتثبت فى كيانها الثقة وتفتح باب الرجاء.

لقد أحب حسين المسجد ومن أحب بيت الله أحبه الله «**إذا رأيتم الرجل يرتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان**» يواظب على صلاة الجماعة، يكتب مجلة المسجد، فيجد إخوانه مجلة متقنة الإخراج متنوعة المواضيع ينهلون من أفكارها وأخبارها، لقد اهتم «حسين» بأخبار المسلمين وأتحف إخوانه بكل ما يهمهم، ويغذى فكرهم، ويزرع فى نفوسهم حب الجهاد فى سبيل الله.

حادثة الاستشهاد:

فى يوم ٢٧/ ٣/ ١٩٨٨ كانت جموع الذئاب المفترسة من جنود الاحتلال تهاجم تلك القرية الوادعة بدباباتها وجنودها وخيلائها، يهاجمون شعبًا أعزل إلا من إيمانه وحجارته التى تحولت فى أيدى المؤمنين إلى قذائف خارقة تزلزل قلوب جند الباطل وتحطم مشاعره ونفسياته، لقد تصدى الشهيد ومجموعة من إخوانه لهؤلاء المجرمين، وقام الشهيد مع إخوانه بالالتفاف من الجهة الشرقية من بين أشجار الزيتون وانهالوا

---

(١) ذكره أبو داود فى روايته عن معقل بن يسار، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال «لا» ثم أتاه الثانية فنهاه. ثم أتاه الثالثة فقال: «**تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم**» انظر: أبو داود، السنن، (٢/ ٢٢٠)، النسائى: أحمد بن شعيب - ت ٢٧٥هـ/ السنن، دار الحديث/ القاهرة ١٩٨٧م (٦/ ٦٥، ٦٦).

عليهم بالحجارة، وقامت قوات كبيرة من الجنود - الذين جبلت طبائعهم على الخسة والغدر بالالتفاف وتطويق الشباب، فأطلقوا النار بشكل كثيف، فأصابوا الشهيد «حسين» برصاصة فى ساقه فجرح «حسين» جرحًا بسيطًا، ولكن مصاصى الدماء وسفاحى القرن العشرين وكل القرون لم يرق لهم أن يروه حيًا، ويروى طفل يبلغ الثانية عشرة من عمره كان الجنود قد ألقوا عليه القبض وشاهد الجريمة. . أن الجنود قاموا بالإجهاز على الشهيد بعد اعتقاله، وذلك بإطلاق النار على صدره، ثم ضربوه ضربًا شديدًا ولم تشفع له دماؤه المدرارة، ولا جُرحه النازف لأنهم فقدوا كل معانى الإنسانية، ولم يأخذوا من سمات البشر إلا أشكالهم، أما أفعالهم فإن الكواسر فى الغابات تخجل من نفسها إن سمعت بهذه الأفاعيل التى تقشعر لها الأبدان، لقد فاضت روح الشهيد إلى بارئها فيما ردد لسانه تلك الكلمات الخالدة التى تعلو فوق الرصاص وتسمو على الجراح: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».

لقد حمل الجنود جثمان الشهيد إلى طولكرم ولكن ماذا يفعلون بالجسد بعد أن عجزوا عن الروح؟ إن جسد الشهيد يضحك مستهزئًا بهذه الوحوش الآدمية، ويذهب أهله لإحضار جثمانه، وفى منتصف الليل كانت الجموع المؤمنة تشيع شهيدها البطل إلى جنات الخلد مقسمة من على قبره أن لا سلام مع القتلة. . . لا تراجع. . . لا استسلام، إنه جهاد نصر أو استشهاد.

رحمك الله يا شهيدنا وجعلك لأهلك وإخوانك ذخرًا وجعل دماءك الزكية لعنة على المحتلين. . إنه نعم المولى ونعم النصير.

***

الشهيد / عمر محمود حمد ربايعة

١٩٨٨/٣/٢٧

في قرية من قرى جنين القسام ولد شهيدنا البطل عمر في ٤/ ٤/ ١٩٦٦ وفي أحضان ميثلون[1] كبر وترعرع، ومن هناك شمخ بطلاً من أبطال الإسلام، شمخ كشموخ نخل بيسان، يحمل في صدره قلبًا هو أكثر عذوبة ورقة من جدول رقراق من جداول طبرية التي شهدت أحداثًا جسامًا على مر التاريخ. فعلى ضفاف طبريا وقف التاريخ يومًا ليحيى صلاح الدين، ووقف التاريخ يومًا ـ كذلك ـ ليقهقه مستهزئًا من كل الطغاة والمغتصبين الذين مروا على هذه البلاد ثم كان مصيرهم إلى مزبلة التاريخ فمُزقوا شر ممزق، وكذلك سيكون مصير التتار الجدد من أتباع صهيون لأنه لا يدوم على هذه الأرض ظلم، وكتب الله تبارك وتعالى لا تحمل هذه الأرض الخبث لأنها أرض مباركة طيبة تحمل في طياتها أجساد الأنبياء والأولياء والأتقياء. لقد كان شهيدنا محبًا للإسلام وعلومه مصممًا على دراسة شرع الله والتعمق في كتاب الله عز وجل، فأكمل دراسته بعد التوجيهي في كلية الشريعة ـ قلقيلية، فاكتسب من سماحة الإسلام سماحة نفس، ومن نور الإسلام نور وجه، ومن الصلاة والصيام قوة يقين وإيمان متين.

إن مسجد ميثلون بكل أركانه وأرجائه يشهد لعمر بالخير، فهذا الركن يحدثك أن عمر طالما فيه ركع وسجد، ويستوقفك ركن آخر ليهمس في أذنك: يا هذا هنا عمر وقف خطيبًا معلمًا، وأثناء خروجك من المسجد تنظر فتناديك سارية من سواري المسجد لتروي لك على استحياء أنه تحت ظلها سالت دموع عمر مدرارة خشية من الله وخوفًا منه، إن إخوان عمر من أشبال المسجد يشهدون له كيف كان يجلس في المسجد يتدارس معهم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

حادثة استشهاده:

في ليلة ليلاء كان عمر يجلس في المسجد يتدارس القرآن مع إخوانه- وهكذا كان يفعل دائمًا - ولكنه لم يكن طبيعيًا هذه الليلة؛ ليلة ٢٧/ ٣/ ١٩٨٨م، فقد استرعى

(١) ميثلون: قرية تقع في الجهة الجنوبية من جنين على مسافة ٢٦كم منها، وأهل القرية ينقسمون إلى حامولتين كبيرتين وهما: الربايعة والنعيرات. انظر: الدباغ، بلادنا فلسطين (٢/ ١٢٩، ١٣٠).

انتباهه، وهز كيانه قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤] فأصر عمر على كتابة هذه الآية على لوح المسجد، فقد دخلت إلى نفسه لتتفاعل مع قلبه.

إن عمر يتذكر تقاعس هؤلاء عن تحمل مسؤلياتهم تجاه مسرى رسول الله ﷺ وأرض الأنبياء، فيزداد همه، ويرفع يديه يلهج لسانه بالدعاء إلى الله العلى العظيم. عاد عمر إلى بيته، والغيظ يفتت كبده، وهو ينظر إلى أعداء الله يعيثون فى الأرض فساداً، فيأوى إلى فراشه، ولكن عينه لم تنم، وفى الساعة الثانية فجراً وتحت جنح الظلام الدامس كانت تتسلل إلى القرية الخفافيش البشرية التى لا تخرج إلا فى الليل لأن من طبيعتها الغدر واللؤم والخسة والجبن، فاقتحم هؤلاء القرية ليروعوا سكونها، ويهتكوا ستار حيائها، فلا يسمع عمر إلا صراخ الأطفال وعويل النساء وتمتمات الشيوخ الركّع، فماذا يفعل عمر؟! إنهم يقفون بالقرب من بيته، فكيف يخرج؟ وهل يطيق الأسد أن يبقى فى عرينه، وهو يسمع استغاثات الأمهات والأخوات؟! يحاول الخروج ولكن أباه يمنعه لأن الجنود يقفون على باب المنزل. بقى عمر فى فراشه يتلمظ تلمظ الحيات، لا يكتحل بنوم، ولا تعرف السكينة إلى قلبه سبيلاً، ومن بين أصوات الآليات، والضوضاء المنبعثة عن اقتحام البيوت، وصياح الجنود هنا وهناك كان صوت (الله أكبر) يجلجل فى سماء القرية مؤذنًا بدخول وقت صلاة الفجر، وليقول للظلمة: مهما تعاليتم، مهما تباهيتم بقوتكم وأسلحتكم فإن الله أكبر من الطواغيت، وأكبر من جندهم وأسلحتهم وجمعهم. صلى شهيدنا الفجر، وفجأة تغلى الدماء فى عروقه، وهو يسمع صراخ النساء واستغاثتهن فى الجزء الجنوبى من البلدة، فيخرج مسرعًا من بيته لا يلوى على شىء، حاول الشباب منعه من الاقتراب لكن عمر قال: «لم أخرج من بيتى لأعود إنما خرجت أطلب الشهادة فى سبيل الله» وصل عمر إلى الشارع، ومن بين الطلقات الكثيفة التى تنهمر كالمطر يحمل عمر حجارته ليلقى بها على وجوه الأعداء، ولسان حاله يقول «يا مسلم يا عمر هذا يهودى أمامى تعال فاشدخ رأسه»[1]، وفجأة كان قدر الله أسبق من يد عمر على التقاط الحجر، فيرفع رأسه، فتصيبه رصاصة

(١) يحدثنا النبى ﷺ حديثًا فيه: «لتقاتلن اليهود، فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم، هذا يهودى فتعال فاقتله» انظر صحيح مسلم بشرح النووى (١٨/ ٤٤، ٤٥). الترمذى، السنن (٣/ ٣٤٥)

غادرة تخترق كتفه الأيمن لتخرج من ظهره فيصرخ عمر قائلاً لصاحبه : لقد رزقت الشهادة يا أخى . . هنئنى بها . . وحافظ على العهد الذى بيننا بأن لا يمس اليهود جثمانى[1]، نظر صاحبه إليه والدماء تنزف من كتفه لتروى أشجار الزيتون فى ميثلون . . يحاول إنقاذه فلا يستطيع أن يحمله ، كان لسان عمر رطبًا بذكر الله والتهليل والتكبير لا يفتر لسانه عن طلب الشهادة والدعاء على أولئك الزعماء المجرمين .

يأتى الطبيب ليعالج عمر ، ولكنه يطلب منه أن يسعف إخوانه الآخرين ! ! إنه الإيثار حتى فى هذه الساعة الحرجة والدماء تنهمر منه . . الله أكبر . . إنها أخلاق الإسلام . . إنها أخلاق محمد ﷺ، تذكرنا بالسلف الصالح رضوان الله عليهم .

نُقل عمر إلى المستشفى ، وفى الطريق اعترضهم التتار الجدد من أبناء القردة والخنازير . . رشقوا السيارة التى تقله بوابل من الرصاص الحى مما أدى إلى توقف السيارة .. ثم نقل عمر إلى سيارة أخرى ، وفى الطريق يصحو عمر من إغماءته ، فيسأل إخوانه إلى أين تذهبون بى ، قالوا : إلى المستشفى ، قال : لا داعى لذلك فإنى أريد الشهادة . . وفجأة أمسك الجميع أنفاسهم وهم يرون عمر يفيض وجهه بالبشر ولسانه بالذكر . . ثم تفارق الروح الطاهرة الجسد الفانى لتحلّق مع أرواح شهداء بدر وأُحد والقادسية وحطين وعين جالوت ، ليكون فى صحبة الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

كرامة الشهيد:

لقد حدَّث الإخوة الذين حضروا مع الجثمان إلى المسجد ، أن رائحة زكية طيبة كانت تنطلق من السجاد وتعبق فى المسجد ، وعندها تذكر الجميع الكرامات التى أعدها الله للشهداء فى الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . رحم الله عمر وجزى الله أهله وإخوانه كل خير ، فقد كانوا مثالاً فى الصبر على قضاء الله وقدره ، ولتستبشر أمك يا عمر . . إنها ليست جنة بل جنات ، وإن الشهيد ليصيب منها الفردوس الأعلى . . إن شاء الله تعالى .

---

(١) هذا يذكرنا بقصة الصحابى الجليل عاصم بن ثابت فى غزوة الرجيع (٤هـ) حيث استشهد فأراد المشركون أن يأخذوا جثته ، وكان عاصم قد أعطى الله عهدًا ألا يمسه مشرك أبدًا ولا يمس مشركًا أبدًا ، فمنعه الله بعد وفاته كما منعه منهم فى حياته . انظر : الطبرى ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) التاريخ ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م ، (٢/ ٧٧ ، ٧٨) .

الشهيد /البطل محمد فارس الزين

١٩٨٨/٣/٣١

يا قبر لو تدرى الذى أثويته   لخشعت للبطل الكمى الأروع



كان فارسًا حقًا، فروسية لا تعرف الجبن والخور، عزيمة لا تلين، إيمان لا ريب فيه، ابتسامة لا تكاد تفارق شفتيه، مشرق الوجه، يلقى إخوانه هنا وهناك فيسلم على هذا ويسأل عن أخبار ذاك، مسجد الكنزة فى غزة هاشم لا يزال يذكره ويذكر سرعة تلبية النداء من شاب نشأ فى طاعة الله، ودعوة الإسلام شدته فلبى النداء فدخل فى صفوف الحركة الإسلامية وهو فى الصف الأول الثانوى، دخل صرحًا أعطى لله الانتماء، يسعد الأرض بأنوار السماء. يجعل الدين هوية ومسارًا للقضية، ذاك هو فارسنا المتعطش لبذل الدماء لتكون شلالاً دافقًا بالعطاء لهذا الشعب، ألم يقل لإخوانه : أنا أريد أن أنال الشهادة فى سبيل الله حتى أكون نورًا يضىء طريق شباب الإسلام فى اليامون! ولسان حاله لا ينفك عن ترديد :

نحن فى البيداء رقراق جميل   يحمل القرآن جيلاً بعد جيل

نحن أبناء العقيدة والحضارات المجيدة، كان -رحمه الله- معتزًا بإسلامه، صلبًا فى عقيدته، التقى بعض الشباب المسلم القادم من غزة الأحرار لإحياء حفلة زواج إسلامية وسأل عن غزة فأحب فيها حبها للإسلام، حبها لدعوة الإسلام الذى جاء من مصر، ولا زالت دماء إخوانه أمثال محمد فرغلى تلهب قلوب هذا الشعب بقصص البطولات والفداء ونسيان الذات والعطاء من غير حدود، فاتجه قلبه للدراسة فى جامعتها الإسلامية والتى بنتها زنود الإخوان مجبولة بالعرق والدم، كدم الشهيد الخطيب(١) حاملاً المعاناة والغربة لتحقيق ما يصبو إليه مرددًا :

فى عيون الشمس فى الفجر البعيد   بالجباه الشم بالعزم الجديد

---

(١) وهو الدكتور إسماعيل الخطيب عميد كلية اللغة العربية فى الجامعة الإسلامية والذى اغتالته أيدى بعض المشبوهين فى عام ١٩٨٥م.

نـــزرع الــــعـــلـــم ســـنـــابـــل نـفـــــجـــــر الحق جـــــداول

ذاك شـأن المجـد فى الجـيل الجـديد عن كـتـاب الله بالعـزم الجـديد

يحدثنا شقيق الشهيد عن حياته فيقول: محمد من مواليد ١٩٦٨م درس المرحلة الابتدائية والإعدادية فى اليامون[١]، والثانوية فى مدرسة جنين، التحق بالجامعة الإسلامية فى غزة، أنهى سنتين من دراسته فى الجامعة فى قسم الآداب ومن ثم حول إلى كلية التجارة، ابتداءً من المرحلة الاعدادية أصبح من شباب المسجد والتزم بأغلب صلوات الجماعة وأصبح عضواً فى فريق المسجد الرياضى، شارك فى الأعراس الإسلامية تمثيلاً ونشيداً وكان يميل لتمثيل أدوار النقد السياسى. وعن هوايته يقول شقيقه: كان يهوى اقتناء الأشرطة الدينية والمجلات الإسلامية وكان ينقلها من غزة إلى البلدة وكان يصوم يوم الخميس ويشارك فى الإفطار الجماعى.

ويشاركنا شاب الحديث ـ وهو من أصدقائه ـ فيقول: «كان شاباً داعية إلى الله، إنه من الشباب الداعين إلى الرجوع للإسلام العظيم، والدعوة إلى مواصلة الانتفاضة بروح إسلامية وإنشاء جيل مسلم مؤمن بالله وحب الوطن». ويستأنف شقيقه الحديث فيقول: «كان يحرص على الاعتكاف فى المسجد الأقصى مع إخوانه من البلدان الأخرى فى بداية الانتفاضة، وبعد المشاركة الفعالة لمحمد سألته يوماً عن الدوافع الحقيقية لمشاركته فى الانتفاضة – ومحمد كان بمثابة الأخ والأب بالنسبة لى فأجابنى فى البداية جواباً غير شاف حيث قال: «لتحرير الأرض» فأعدت عليه السؤال فأفصح عن نواياه الحقيقية: «الهدفُ هو إقامة الدولة الإسلامية وتطبيق شرع الله» . . وتابع الشهيد قوله: كيف سيكون موقفنا أمام الله عز وجل إذا لم يكن هدفنا إقامة دولة الإسلام، فنحن لسنا كجيلنا السابق، نحمد الله أن منحنا رجالاً دعاة إلى الله يعلموننا رسالتنا فى هذه الحياة»، ويقول عنه شقيق الشهيد بأنه كان «سرياً للغاية»، فبالرغم من العلاقة الوثيقة بينى وبينه إلا أنه لم يكن يطلع أحداً على الأعمال التى كان يقوم بها ولم نعلم

(١) اليامون: قرية عربية تقع على بعد تسعة كيلو مترات من مدينة جنين، وتحتوى اليامون على قرية على موقع قديم وأعمدة وتيجان أعمدة وقواعدها قرب المسجد ومدافن منقورة فى الصخر وقطع معمارية وصهاريج. انظر الدباغ / بلادنا فلسطين(٣/ ١٨٩ – ١٩١) حكومة فلسطين، جدول المواقع التاريخية والأبنية الأثرية / الملحق رقم ٢، للعدد الممتاز ١٣٧٥ من مجلة الوقائع الفلسطينية المؤرخ فى ٢٤/ ١١/ ١٩٤٤، ص ١٦٤٠.

بكل ما كان يقوم به إلا بعد استشهاده، السرية والكتمان مزروعان فى تفكيره وتخطيطه».

قصة استشهاده:

يقول أحد الشباب: «امتاز محمد بسرعة تلبية النداء. ما من نداء إلى العمل إلا وكان أول المجيبين له، وأحيانًا حين كان يسمع نداء عبر مكبرات الصوت للتصدى للجيش كان يقوم بملابس النوم وقت الفجر ولا ينتظر حتى يلبس ملابسه، كان عالى الهمه»، إلا يوم استشهاده وذلك فى ٣١/ ٣/ ١٩٨٨م فقد صلى الظهر جماعة ورجع إلى البيت فاغتسل ولبس أجمل ملابسه، كانت المرة الوحيدة التى يلبس فيها ملابس جميلة وكأنه ذاهب إلى فرح، وكان يلبس حذاءً جديداً فقال له أحد إخوانه مازحًا: «محمد نازل عالمظاهرة امشخص» وما هى إلا لحظات وإذا بالجيش يقتحم البلدة، ونزل مسرعًا لمقابلة الجيش وكان على موعد مع المجد، واستخدم الجيش الغاز بكثافة واستنشق محمد كميات كبيرة من الغاز، فدعاه الشباب إلى التراجع لأخذ قسط من الراحة، ولكن عزيمة المؤمن لا تعرف الراحة، وقام محمد بإلقاء زجاجة على الجيش فأطلقوا النار عليه فأصابته رصاصة غادرة فى جبينه فوق حاجبه الأيسر وأخرى فى صدره، فارتفع فى سماء المجد والبطولة شهيداً، مقبلاً غير مدبر، محبًا لله ورسوله، إلى جنان الخلد مع أبى القاسم وصحبه، وحاول الشباب حمله.. لكن كثافة الرصاص لم تسمح بذلك، ومرت سيارات الجيش من جانبه وهو ملقى على الأرض فلم يكترثوا لذلك، وبعد أن اقتحم الجيش البلدة تم نقله إلى مستشفى «تل هشومير».

وهنا تبدأ والدة الشهيد بالحديث فتقول: «عندما سمعت أن محمداً أصيب نزلت من البيت بسرعة وأخذت أصرخ: يا أم الشهيد زغردى، وذهبت إلى المستشفى وكذبوا علينا بقولهم إنه مصاب، ولما وصلنا إلى المستشفى قال لنا الدكتور وببساطة وعدم اكتراث: مات محمد» وبعد إجراءات عديدة تم إحضار الشهيد، وشهدت « اليامون» عرسًا لم تشهده من قبل، مسيرة تقدر بـ ١٥٠٠٠ مشيع، حيث حضر سكان القرى المجاورة وطافوا به شوارع البلدة مرددين الشعارات الإسلامية «بالروح بالدم نفديك يا شهيد، غير المصحف ما فى حل»، ورفعت الأعلام الإسلامية وشعارات الكتلة الإسلامية فى الجامعة الإسلامية.

ويضيف شقيقه قائلاً: «فى نهاية المسيرة ألقيت كلمات تأبينية تحدثت عن أخلاق الشهيد العالية، وكان عزاؤنا مشاركة الناس حتى إننا لم نشعر أن المصاب مصابنا وحدنا بل كان مصاب كل البلدة أو حتى كل المسلمين، واحتسبنا محمداً عند الله وصبرنا أنفسنا، عله يشفع لنا. . .» ويقول بأنه شاهد الشهيد وكأن الموت لم يسكن جثته، تشم من دمه رائحة العطر، وأثناء الحديث لم تنفك والدة الشهيد عن الرضا والدعوة لابنها وأن تكون معه فى جنان النعيم.

حديث عن الشهادة:

المسلم لا ينفك عن ذكر الموت ولا ينسى حلاوة الشهادة وقائده يقول: **«وددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل»**[1] ويقول أيضًا: **«من لم يغزُ ولم تحدثه نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»**[2] وهذا الذى تجلت فيه أخلاق الإسلام وحبه للرسول القدوة التى صاح بها مرات ومرات « الرسول قدوتنا» كان دائم الحديث عن الشهادة وخاصة فى مرحلة الانتفاضة، فكما يقول أهله: كان يكثر من الحديث عن الشهادة وكان يتشوق لها، وطالما قال لهم «الشهيد عندما تنزل أول قطرة من دمه يغفر الله له ذنوبه جميعًا» وقالت والدة الشهيد لوالده يومًا بعدما رأت بلاءه: محمد سوف يستشهد وتقولها أمام محمد فيقول لها: أنت أنجبت سبعة، أحرامٌ أن تضحى بواحد؟ فلو أن كل أم ضحت بواحد من أبنائها لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه من الذل والعار. وتقول والدته يوم استشهاده: رأيته فى المنام وهو فى الجامعة الإسلامية

---

(١) هذا الجزء من الحديث الذى يرويه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ حيث قال: «تضمن الله لمن خرج فى سبيله - لا يخرجه إلا جهاداً فى سبيلى، وإيمانًا وتصديقًا برسلى - فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه، نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة، والذى نفس محمد بيده، ما من كَلْم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم، وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده، لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم. ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى، والذى نفس محمد بيده. لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل» انظر: ابن الأثير الجزرى - مبارك بن محمد / ت ٦٠٦هـ. جامع الأصول فى أحاديث الرسول / ط ٢، دار الفكر / بيروت ١٩٨٣م، (٩/ ٤٧٦).

(٢) انظر: صحيح مسلم (١٣/ ٥٦).

يتظاهر ويمسك به الجنود ويقومون بضربه بعصا على رأسه، فهجمت على الجندى وصرخت فى وجهه: لماذا تضربه؟ وتراه أيضًا زوجة شقيقة ليلة استشهاده فى المنام وهو فى قصر مُلئ نوراً، وتتساءل: ماذا تفعل حتى تستحق هذا القصر؟ فيجيبها: أستشهد إن شاء الله لأنال هذا القصر.. وقد كان...

أما أحد أساتذة محمد فى الجامعة الإسلامية فيقول لم أره إلا مبتسمًا، لا أذهب إلى المسجد إلا وجدته قد سبقنى إليه. كان فى قاعة المحاضرات يدخل السرور إلى قلبى بابتسامته المعهودة والآن علمت مكنون العبارة: «ويموت المؤمن مبتسمًا».



هجرة الرعب

الشهيد / جميل راشد حسين الكردى

شهداء آل الكردى

١٩٨٨/٤/٢

فى أحد شوارع غزة اختلطت دماء شهداء آل الكردى مع الرمال لتحكى للأجيال قصة أبطال ثلاثة ينتمون إلى هذا الشعب المؤمن بربه الملتصق بأرض الإسراء يدافع عنها بكل الوسائل المتاحة لديه، لا ترهبه قوة العدو المدجج بالوسائل القتالية التى زودته بها دولة حقوق الإنسان (أمريكا)؟!

وقصتنا تبدأ فى يوم السبت ٢/ ٤/ ١٩٨٨م الموافق لـ ١٥ من شعبان ١٤٠٩هـ من حى الصبرة، ولعلك عندما تدخل فى شارع الثلاثين الذى يخترق حى الصبرة تجد قصة هؤلاء الأبطال محفورة فى قلوب الأطفال والرجال حتى الأجنة فى بطون أمهاتها تعلم هذه القصة لكثرة ما تردد ذكرها فى المجالس والمحافل، فأهل الحى يعرفون ذلك الرجل الفاضل (جميل راشد حسين الكردى) الذى كانوا ينادونه بالحاج، والحاج رجل كبير بلغ من عمره (٥٥) عامًا لكن روحه ما زالت تحمل حيوية الشباب وقوتهم، فكان خلوقًا محبوبًا بين الناس، محافظًا على صلاة الجماعة، حج بيت الله أكثر من مرة، وكان الحاج رجلاً بسيطًا أليفًا يكسب رزقه من عرق جبينه فيعمل طوال النهار فى مطعم ليستر نفسه وأهل بيته، ومع بساطته وضيق ذات يده إلا أنه ما كان يتوانى فى عمل الخير، فيصوم الاثنين والخميس ويحافظ على سنة الصيام فى ١٣، ١٤، ١٥ من كل شهر قمرى (الأيام البيض) [١] ومن حب الناس له وثقتهم منه كانوا يضعون أماناتهم عنده، لقد كان الحاج يتقطع ألمًا حينما يرى منكرًا من المنكرات فيسارع إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعندما قامت الانتفاضة كان سرور الحاج عظيمًا عندما نظفت كثيرًا من المنكرات التى كانت منتشرة فى المجتمع الفلسطينى.

---

(١) فى ذلك ورد حديث عن النبى ﷺ رواه أبو هريرة رضى الله عنه حيث قال: (أوصانى خليلى ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتى الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى (٤/ ٢٢٦).

حادثة الاستشهاد:

فى هذا اليوم ٢/ ٤/ ١٩٨٨م اندلعت مظاهرة عنيفة فى حى الصبرة وتجمعت عند مفرق شارع الثلاثين مع الشارع الفرعى المؤدى إلى بيت (آل الكردى) حيث يسكن (الحاج جميل راشد الكردى)، وابن أخيه أحمد خميس راشد الكردى، لقد التهب الحى كاملاً فى ذلك اليوم، وتحولت المظاهرات إلى مواجهة عنيفة مع القوات المتوحشة. فى هذه الأثناء كان الشهيد الحاج جميل راشد الكردى عائداً من الصلاة فى المسجد، وكان ـ رحمه الله ـ صائمًا بمناسبة منتصف شعبان[١]، وعندما أصبح فى منتصف الشارع المؤدى إلى بيته رأى ابن أخيه (أحمد) البالغ من العمر ٤٥ سنة، وهنا قال أحمد لعمه: ما رأيك يا عم لو تستشهد الآن؟! فقال له الحاج: ولم لا؟ ثم خرجا باتجاه المفرق إلى الطريق العام، وكانت سيارات الجبناء تفر من حجارة السواعد الرامية، فجلس الاثنان عند محل الجزارة التابع لابن الحاج واسمه محمد جميل الكردى. بعد قليل مرت سيارة فولكس تحمل أرقامًا محلية، وكان من بداخلها يلبسون اللباس المدنى ثم انطلقوا فى الشارع بشكل هستيرى وعادوا فى نفس الاتجاه، فعلم الناس أنها تحمل جنوداً من اليهود، فتفرق الجمع إلا شابًا يافعًا هو ابن (لأحمد خميس الكردى) واسمه (علاء)، وهنا نزل هؤلاء المتوحشون وبدأوا يضربون (علاء) ضربًا مبرحًا، وفى هذه الأثناء دبت الحمية الإسلامية فى دم عمه ووالده، فاندفعا باتجاه الجنود، وأمسكا بهم وصاح الحاج فى وجوههم: لماذا تضربونه؟ وهنا اعتدى الجنود على الحاج ودفعوه إلى الخلف وبدأوا يضربونه ولكن الحاج الذى تربى على العزة الإيمانية لم يتحمل أن يضربه ـ وهو المؤمن العزيز ـ علج من علوج اليهود الجبناء؟ وتحدثه نفسه متى أصبح هؤلاء الجبناء رجالاً يضربون الرجال؟ متى أصبحت عندهم الجرأة ليمدوا أيديهم الملطخة بالدماء على الشرفاء؟ تتسارع الأفكار فى نفسه الأبية، ودون أن يمضى وقتًا فى التفكير ينطلق كالسهم هو وابن أخيه (أحمد) إلى محل (الجزار) فيحمل فى يده بلطة والأخرى سكينًا، واشتبكوا مع الجنود، وأطلق المجرمون النار على الحاج جميل، وابن أخيه أحمد وولده علاء، وتكاثر الناس واشتبكوا مع المجرمين، وأطبق آل الكردى على

---

(١) الوارد فى ذلك حديث للنبى ﷺ روته السيدة عائشة أم المؤمنين حيث جاء فيه (لم يكن النبى ﷺ يصوم شهراً أكثر من شعبان، وكان يصوم شعبان كله...) انظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى (٤/ ٢١٣).

الجنود يضربونهم بكل ما تصل أيديهم إليه، بالسكاكين، بالحجارة، بالبلطات، بالعصى، وبعد ذلك هرعت قوات كبيرة من الجيش بسياراتها لحماية المجرمين، فبدأوا يطلقون النار بشكل كثيف على كل من كان بالشارع، لقد أسفرت تلك المعركة البطولية من آل الكردى عن قتل ثلاثة جنود يهود وجرح اثنين، وذلك باعتراف الحاكم العسكرى الذى قال للناس الذين قدموا لأخذ جثث الشهداء الثلاثة (يكفى ما حدث، لقد فقدنا ثلاثة وجرح اثنان، وكذلك أنتم، ونريد أن يتم الدفن دون مسيرات أو مظاهرات). أما فى الجانب الآخر فقد استشهد كل من الحاج جميل الكردى (٥٥ عامًا)، وابن أخيه أحمد خميس الكردى (٤٥ عامًا) وابنه علاء (١٨ عامًا)، وجرح اثنان من أبناء الحاج: جميل إسماعيل (١٨ سنة) وهو طالب ثانوى أصيب بعيار دمدم فى الصدر، ونقل لاحقًا إلى المستشفى الأهلى، ومكث هناك تحت العلاج ٢٥ يومًا، وكذلك جرح محمد (٣٨سنة) وهو متزوج، وأب لثمانية أطفال، حيث أصيب بسبع رصاصات فى القدم، واثنتين فى الفخذ الأيسر، وأصيب بعاهة دائمة وهو يسير الآن بمساعدة عكازين.

بعد أن استشهد الثلاثة على مفرق الشارع الرئيسى مع الشارع المؤدى إلى منازلهم، أخذ الجيش الهمجى يطلق الرصاص بكثافة بحيث لم يتمكن أحد من الاقتراب، ولكن السواعد الرامية بدأت تقذف بحجارتها على رؤوس الأعداء، وقام الجبناء بإغراق المنطقة بالرصاص والغاز حتى أخلوا قتلاهم وجرحاهم، وكذلك أخذوا معهم الشهداء الثلاثة، ونقلت الجثث إلى (أبو كبير) للتشريح، وفى هذه الأثناء حضرت سيارات الإسعاف والصليب الأحمر وإسعافات وكالة الغوث.. إلا أنها جميعًا تعرضت للرصاص المنهمر من القتلة أعداء الإنسان.

تشييع الشهداء:

أراد الاحتلال أن يتم وداع الشهداء على حسب طقوسه، فاستدعوا مختار الحى، وطلبوا منه إحضار ١٥ شخصًا فقط من عائلة الشهداء وتحت حراسة أكثر من ١٥٠٠ جندى توزعوا فى المقبرة وعلى أسوارها، وعند مداخلها تمت مراسم الدفن، وعند الانتهاء من مراسم الدفن أخذت زوجة الحاج جميل تزغرد ومعها مجموعة من النساء احتفاءً بالشهادة والشهداء، وحاول الجيش إسكات حتى الزغرودة التى تنطلق من أفواه

الزوجات والأمهات والأخوات وهن يودعن أعز شيء يملكنه فى هذه الحياة الدنيا، وطلب الحاكم العسكرى من (المختار) أن يسكت زوجة الحاج، فقال له المختار: نحن فى حالة الشهادة نزغرد ولا نبكى، وهى لا تريد السكوت.

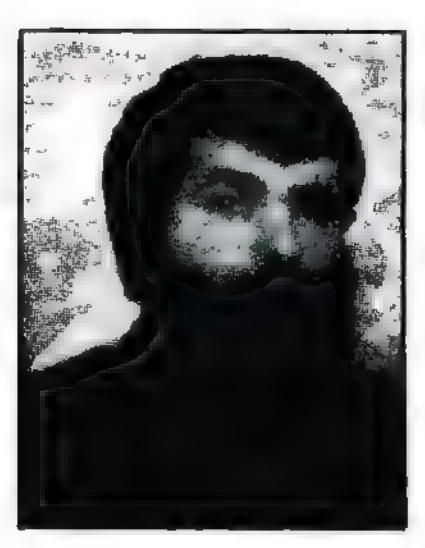
وفى بيت العزاء كانت غزة كلها تتمثل بعوائلها ووجهائها، جاءوا من كل حدب وصوب يعزون آل الكردى، ووجهت التعازى والتهنئة فى آن معًا من حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ولكن الجيش لم يكتف بقتل الشهداء بل منع الناس من التوجه إلى بيت العزاء بحجة أن هناك مسيرة، فألقوا على الشارع أكثر من ٤٢ قنبلة غاز مسيل للدموع، مما أدى إلى إصابات عديدة بالاختناق. ولم يكتف القتلة بذلك بل عاقبوا الحى الذى يسكنه الشهداء الأبطال بحواجز إسمنتية لمدة ثلاثة أشهر، كما أنهم صبوا جام غضبهم على محل الجزارة! كيف لا؟ وهو مصدر السكاكين التى أهلكت ثلاثة من جبنائهم، فأغلقوا المحل حتى إشعار آخر وبداخله ممتلكات تقدر بـ ٣ آلاف دينار.

لم ينس اليهود قتلاهم، وبعد شهرين من حادث الاستشهاد، حدثت مظاهرة عنيفة بالقرب من مدخل الشارع المؤدى إلى بيت آل الكردى، فقام الجيش بأخذ الإطارات المشتعلة ووضعها فى بيتهم فى غرفة الاستقبال، وذلك بعد أن رفضوا إطفاء الإطارات، مما أدى إلى حرق أثاث الغرف كاملاً. ومما يروى عن الشهيد الحاج جميل الكردى أنه قبل استشهاده بساعات كان يشعر بقرارة نفسه أنه سيلقى رب العالمين شهيداً فأعطى ابنه نقوداً، وطلب منه أن يسدد ديونه للناس، وبالفعل استشهد فى هذا اليوم، فرحمة الله عليكم دار قوم مؤمنين. لقد رفعتم ببطولتكم رؤوسنا وشفيتم صدورنا من رؤوس يهود، فجزاكم الله عنا كل خير وجمعنا وإياكم فى الصالحين إنه نعم المولى ونعم النصير.

***

الشهيد /نزار حمد مساد

١٩٨٨/٤/١٩



يبدأ والده بالحديث عن البطل فيقول: «ولد نزار بتاريخ ٣١/ ٥/ ١٩٦١، وأنهى دراسته الإعدادية فى قرية فقوعة ثم توجه للدراسة فى المدرسة الثانوية فى جنين، لينهى دراسة التوجيهى. وبعد عام من ذلك، يلتحق بمعهد قلقيلية الشرعى لدراسة الشريعة التى أحبها. ويذل دماءه للدفاع عن شرف الانتماء إلى الإسلام العظيم، وكان يعيش حياته بتجرد خالص لله سبحانه وتعالى، لا يريد دنيا فانية، بل سعيًا إلى خلود وثواب دائم. . » وينهى نزار دراسته ليعود إلى القرية، لا ليقعد مع القاعدين ولا مكان للتاؤب فى حياة نزار، بل حركة ونشاط، دروس فى المسجد وتربية للأجيال، فتراه تارة يقف فى المسجد واعظًا، تنساب الكلمات من بين شفتيه بلا تكلف يغلفها الإخلاص، تخرج نقية من القلب إلى القلب، والكلام الذى يخرج من اللسان لا يلامس القلب ولا يقترب من الجوارح، ويصبح مسؤلاً عن الإفطار الجماعى فى المسجد والنشاطات الأخرى. وعن سلوكه وتصرفاته يقول والده: كان هادئ الطبع متمسكًا بأهداب الدين، واتصف بالجرأة والإقدام على العمل. ويضيف أحد الإخوة قائلاً: «كان نزار ركنًا من أركان المسجد وكان نشيطًا فى العمل الدعوى، ويمتلئ حيوية فى الأعمال التطوعية بالإضافة إلى نشاطه فى إعطاء الدروس فى المسجد، وإمامة الناس فى حالة غياب الإمام، والقيام برفع الأذان. . . » كان صوته وهو ينادى للأذان يناجى مآذن بيسان المهدمة. . . ومن يلبى النداء يا ترى فى زمن النخوة المقبورة. . . والضمير الغائب. . والعاطفة الباردة؟. . . من سوى المسلم، من غير نزار وأمثال نزار. كان نزار مع رفقه على إخوانه وحبه لهم، ناراً على الكفار، ينطبق عليه قول الحق عز وجل ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] كان غضبًا على الاحتلال، ونارًا على الكافرين، لا يهادن ولا يعرف المصالحة... ولا المرافقة الوسط، عندما يذهب الناس إلى النوم، ينهض حاملاً العلم الفلسطيني بـ«لا إله إلا الله» ليزرعه على مئذنة المسجد، ولهذا دخل اسم نزار في قائمة المطلوبين لقوات الاحتلال.

حادث الاستشهاد:

بتاريخ ١٩/ ٤/ ١٩٨٨، ٢ رمضان، وفي مستشفى هداسا بالقدس، صعدت روح نزار إلى السماء بعد إصابته برصاصة في الرأس، وكان الشهيد أصيب برصاصة بعد مواجهات شهدتها القرية، وعن الاستشهاد يحدثنا من كان مع نزار، مع السواعد الرامية يلقي الحجارة على جنود الاحتلال. في الساعة العاشرة والنصف، حضرت قوات من الاحتلال تقدر بـ ١٠ (جيبات) عسكرية وجرافة ومجنزرة، وكان الهدف واضحًا وهو هدم منزلين في القرية، وبعد أن رأى الشباب المسلم هذه الحشود هبوا لوقف هذا الزحف الذي لا يعرف إنسانية ولا رحمة، وكان من بين المتصدين نزار، الذي لم يكتف فقط بتكليف نفسه بمقارعة الاحتلال، بل هب إلى بيوت الشباب، يناديهم أن هبوا إلى اللقاء الذي انتظرتموه بفارغ الصبر، وكان كلما نادى شابًا قال: هيا لنرى رجولتكم اليوم، واستمرت المواجهات حتى ساعات الظهر، وعندها قال لي: نزار أريد الذهاب لصلاة الظهر والأذان، فقلت له: ولكن ألا ترى حشود الجيش؟ فأصر على الذهاب إلى الصلاة، ورجع إلى ساحة الوغى، لم يكن نزار يعرف الراحة، وكلما كانت الطموحات كبيرة تعبت في مسعاها الأجسام.. وبعد أن رجع قلت له، هنيئًا لك يا نزار، إن أنت استشهدت فستكون قد أديت واجبك، أما أنا فلا!

وفي المواجهات قسم الشباب أنفسهم إلى عدة مجموعات، تطارد جنود الاحتلال من زقاق إلى زقاق وينتصر سلاح الحجر، ويعود جنود الاحتلال من حيث أتوا خائبين وقد تحطمت سياراتهم، وجماجم جنودهم، وعزائمهم، وهل يرضى نزار بهذه النتيجة؟ لا بد من مطاردتهم، ويعود الجميع إلى مواقعهم إلا نزار، فإنه يلاحق جنود الاحتلال من أجل إيقاع أكبر الأذى بهم، فهذا اليوم هو الذي كان ينتظره، وتمترس نزار خلف أحد أعمدة الكهرباء وبدأ برشق الدوريات بالحجارة، وتقف إحدى السيارات ويترجل منها أحد الجنود، وبينما كان نزار يرفع يده ليلقي بالحجر وإذا برصاصة تخترق

الرأس، ويسقط نزار على الأرض ليرتفع إلى السماء، ويحمل الشباب نزاراً ولكن كان قد سبق عليه الكتاب ونال الشرف العظيم، وكان صائماً فى ذلك اليوم، وقرأ خمسة أجزاء من القرآن واستشهد والمصحف فى جيبه. . إنه عهد الرجولة أن لا يفارق رفيقه المحبب إلى قلبه حتى آخر اللحظات.

مسيرة الشهيد:

ما إن سُمع خبر استشهاد نزار حتى هب الشباب المسلم من كل حدب وصوب، ووقف الجميع وقفة إجلال واحترام أمام وجهه الذى يكاد يضىء نوراً، ولف الجثمان بالعلم الأخضر والعلم الفلسطينى، وسارت مسيرة كبرى وهى تهتف (الله أكبر) و (لا إله إلا الله الشهيد حبيب الله) ويقول أحد إخوانه عنه: «كان جسمه ليناً كالحرير وتشعر أنك أمام رجل من أهل الجنة، رغم أن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى، إلا أن هذا الشعور ينتابك عندما تنظر للوهلة الأولى إلى جسده المسجَّى ولحيته الكثة التى تخللتها الدماء وعينيه السابلتين. . إنه ليس موتاً بل حياة بعثت من جديد». . وبالرغم من حب الأهل لابنهم إلا أن والد الشهيد تمتع بالصبر والشجاعة والجلد، ولم يبد أى مظهر للحزن إطلاقاً. وعن شعور والده، كوالد شهيد، يقول: «أشعر بالفخر والاعتزاز، فكل إنسان لابد ميت، ولكن هذا الشرف لا يستطيع أى إنسان أن يحصل عليه»، وبدأ والد الشهيد حديث ذكريات عن معارك جرت، وعن أصحاب له شاركوا فى هذه المعارك، إلا أنهم عاشوا، فالشهادة لا تعطى إلا لمن وطن قلبه عليها. . وعقد النية الجازمة على نيل شرفها.

وتقول شقيقة الشهيد بأنها شاهدت نزاراً فى المنام يلبس لباساً أخضر، ورآه إخوانه من أبناء المسجد وهو يطوف بين الجنائن يتنقل كيف يشاء ولسان حاله يقول:

هذه الجنان مراحى وعطرها من جراحى

وما تمنى الشهيد شيئاً إلا وكان يطلبه سعياً، فطوبى لها من سبيل، وعن شعور شباب المسجد بعد دخولهم لأول صلاة افتقدوا فيها نزاراً وعند هذا السؤال بدت دموع غزيرة فى عيون أحد إخوانه وأجاب بصوت منخفض: «دخل الشباب للصلاة ووجدوا سترة نزار على المنبر، فبكى كل الشباب بصوت عالٍ على أخيهم الشهيد».

وهل كان نزار يتحدث عن غير الشهادة والجهاد؟

أمام والديه لم يكن يحدث بذلك، أما أمام الشباب فكان مجالاً خصبًا لحديثه، فيقول أحد الشباب الذين كان يعيش معهم فى المعهد: كان نزار يقوم الليل ويدعو:

اللهم ارزقنى الشهادة فى سبيلك وكان يرددها ثلاث مرات، وكان عندما يقرأ ورد الرابطة عند الدعاء «وأمتنا على الشهادة فى سبيلك» كان نزار يرددها مرات ودفن نزار فى المقبرة الجديدة، وهو أول شاب وضع فيها، وبعد رحيل نزار افتقد المسجد، رجل المهمات الصعبة، والصوت الندى فى ترتيل القرآن، وترك خلفه فراغًا لا يستطيع أحد أن يسده.. وكان نزار يحرص على الاشتراك فى المهرجانات الإسلامية، فاشترك فى مهرجان بدر فى (كفر كنا)، وعندما سمع نشيده المحبب «هو الحق يحشد أجناده ويعتد للموقف الفاصل» كاد أن يطير عن الأرض بعد الحديث عن السيرة العطرة للشهيد.. بدأ والده حديثًا عن بيسان التى أصبحت تحرث وتزرع من الغرباء القادمين من بولندا أو روسيا.. خرجنا من بيت نزار، وكان الأطفال يلعبون.. تقدمنا من بعضهم سألته: هل تشترك فى المظاهرات؟ فأجاب نعم، قلت له: لماذا ترجم قوات الاحتلال؟ قال لأنهم أخذوا أرضنا.. والطفل الذى أجاب على هذا السؤال لا يتجاوز السنة ونصف.

***

الشهيد/ محمد أبو زيد

١٩٨٨/٤/٢٣



نزفت أول قطرة دم من جراح شهيدنا محمد، الذى لاقى وجه الله وهو صائم، وكان ذلك فى اليوم السابع من رمضان ١٤٠٨هـ- ٢٣/ ٤/ ١٩٨٨م. بدأنا الحديث مع والدته التى كان يبدو عليها التأثر فهو حبيبها الذى لا يمكن أن تنساه فتقول عنه «فى يوم الحادث كعادته خرج من البيت وهو صائم وذهبت أنا لأعد له الإفطار..» ولكنه كان ينتظر إفطاراً فى السماء ألذ وأطيب مما هو بين أيدينا، كان من عادة محمد أن يخرج فى المظاهرات»؟ كان يطلب من شقيقه أن يقوم بإطعام الأغنام وسقى الأرض ويتسلل هو للمشاركة بواجبه، كان «المقلاع» لا يفارقه، وكان فى الصفوف الأولى. تجيبنا والدة الشهيد، ويأخذنا الحديث وذكريات محمد المؤثرة تطغى على هذا الحديث.

فيقول شقيقه مؤيد: كان محمد شجاعًا غاية الشجاعة، وكان يحب الأعمال البيتية الزراعية والحيوانية، وأبدع فى هذا المجال غاية الإبداع، وكان يتطلع إلى التعليم المهنى، بسبب حبه للمجالات العملية فى الحياة، أما عن دراسته فيقول: كان طالبًا فى مدرسة قباطية الثانوية، من مواليد ١٩٧٢. وعن قصة استشهاده يحدثنا شاب من البلدة فيقول: كان لمحمد أخٌ فى الله قد سبقه إلى الشهادة وهو محيى الدين سوالمة، وكان هذا الحب نابعًا من العلاقة التى توطدت بينهما فى المسجد... كيف لا وهما ابنا المسجد وشبابه وقلما فارقا المسجد، التقيا فى حبهما لله، وافترقا على نفس الدرب، درب التضحية والفداء. ولعله يكون اللقاء الذى لا فراق بعده، ولقد تأثر محمد كثيراً لفراق أخيه محيى، حتى إنه فى يوم زفاف شقيقته، والذى كان قبل استشهاد محمد بيوم، رفض حضور مراسم الزواج البسيطة، واستنكر على أهله كل مظاهر الفرحة إن وجدت وصاح بهم يومها مستنكراً «كيف تريدون أن تفرحوا ودماء محيى لم تجف بعد»! ما كان يدرى شهيدنا أنه فى اليوم الذى يليه سيكون فى الركب الذى سار به محيى الدين،

يومها سارت مسيرة كبيرة طافت شوارع البلدة وهى تهتف بحياة الشهيد محيى الدين، وأصوات «الله أكبر» تعانق عنان السماء، ويومها حضر مندوب من صحيفة «شتيرن» الألمانية وطاف فى شوارع البلدة يصور لحظات الغضب الفلسطينى، يصور الحجارة التى تنطلق وأصوات «الله أكبر»، هذه الحجارة التى أخافت الاحتلال أكثر من المدافع المكدسة عند جيوش أنظمة الردة العربية، وتتجمع المسيرة بعد كل هذا على الشارع الرئيسى، وتحضر قوات كبيرة من الجيش ويبدأ الشباب بإعلان الفرحة والنساء تزغرد ويبدأ رأس الصحفيين الألمان بالدوران وكأنهم لا يصدقون ما يرون، شباب مؤمن مجرد من كل الأسلحة، إلا أسلحة الإيمان يقابل جيشًا جراراً يحمل الأسلحة الحديثة وقنابل الغاز المتطورة ويحيط الشباب بالجيش من كل جانب، ولا ترى سوى الأيادى التى تدور وتدور معها المقاليع وحجارة تتطاير حتى يخيل للجيش بأن العصافير الطائرة حجارة قادمة عليهم. وما هى إلا لحظات حتى يبدأ الجيش بالتقهقر إلى الوراء وينتشر الشباب فى الشارع الرئيسى ويعلنون تطهيره من الغزاة وسط زغاريد النسوة. وما هى إلا لحظات حتى تحضر طائرة استكشاف وتبعها بعد لحظات اقتحام قامت به قوات حرس الحدود، لقد اقتحموا البلدة من جميع نواحيها وسط زخات من الرصاص، ويبدو أن الطائرة قد صورت ثغرات فى الدفاع لدى الشباب فجاءوا منها وباغتوا الشباب الذين بدأوا انسحابًا غير منظم، وكان فى صفوف المغادرين للمكان مصور صحيفة «شتيرن »الألمانية وصحفى ألمانى آخر وكان يسير إلى جنبهما محمد وقفز الجنود وبشكل مباغت إلى منطقة قريبة وبدأوا يطلقون النار. . وأصيب محمد برصاصات فى الظهر، وعن هذا الحدث يتابع الحديث الشاب أبو عبد الرحمن فيقول: كنت أسير خلف محمد فأصيب بالرصاص ورأيت دخانًا يتصاعد من مكان الإصابة وبعدها بلحظات قليلة بدأ الدم ينزف من فمه وأنفه وسقط على الأرض بجسده وعلا إلى السماء بروحه وهذه اللحظات جميعها صورت من قبل المراسل الأجنبى، ووضعت على الصفحة الأولى من صحيفة «شتيرن»وتم نقل محمد بسرعة إلى أحد البيوت المجاورة، لم يكن بالإمكان نقله إلى المستشفى بسبب إطلاق النار الكثيف، وفى المكان الذى وضع فيه محمد نزفت بقية دمائه ليجود بها من أجل فلسطين، ويلتقى الشباب المسلم ويتعانق مع تراب الأجداد عله يروى الظمأ، ظمأ الكرامة والعزة. . ظمأ زيتون قباطية، ويتم نقل محمد بسيارة. . إلا أن قوات الاحتلال أوقفت السيارة. . ويبدأ هذا الحوار بين أحد الشباب وجندى يتحدث العربية بطلاقة:

الجندى : قف .

الشاب : معنا شاب جريح فى حالة خطرة .

الجندى : إن شاء الله يموت .

الشاب : أنت مسؤول عما تقول .

الجندى وقد بدأ بتعبئة سلاحه : أريد أن أُلحقك به .

. . . ويسير السائق وبسرعة ولكن محمداً لم يكن فى تلك اللحظات فى هذه الحياة الفانية ، بل كانت روحه تصعد إلى السماء لتأخذ مكانها فى حواصل الطيور الخضر ، وترفرف فى الجنان وكأنى به يسأل : اطلب تجب ، وكأنى به يجيب : أن أعود يا رب لأرجم حكام العرب بمقلاعى ! ! وما إن يصل موكب الفخار إلى البلدة ويودعون حبيبهم إلى المجد كما ودعوا قبل أيام حبيبهم محيى الدين ، ترفع الأعلام وأصوات الله أكبر ولا إله إلا الله تدوى من الحناجر الصائمة . ويقتحم الجيش ويحاول اختطاف جثة الشهيد ، ويدافع أهل البلدة وببسالة عن الشهيد وجسده الطاهر ويقوم الشباب بنقله إلى ديوان آل أبو الرب ، ويجلس أحد الشباب المسلم يقرأ القرآن ويصلى عليه ومن ثم ينقل إلى قبره ، وشاهد أهل البلدة والدة الشهيد وهى تصرخ بأعلى صوتها «هنوا محمد بالشهادة» لقد نال محمد الشهادة ، فاز أى والله فاز ، وسار فى مسيرة الشهيد يومها والده وأمه وإخوانه وأخواته ، وودعوا الشهيد وداعًا يليق به ، ويليق بشرف الدماء التى غطت جسده المبارك ، وأكثر ما شد أهل البلدة صبر والدة الشهيد وتحملها حيث إنها ما أظهرت انكساراً ولا لفظت ما يغضب الرب . . إنها مثال مواقف الأم الفلسطينية المسلمة . . ولتعلم نساء العرب فى بلدانهن كيف يكون الفداء . . وكيف تكون أعراس شباب فلسطين ، كان الجميع يودع محمداً وكان الليل يسدل أستاره ورجع الجميع إلى بيوتهم . . ويأتى وقت الإفطار ولكن من تتوق نفسه لتناوله ؟ كل البلدة صامت إلا محمد الذى أفطر فى السماء . . . وفى المساء يذيع راديو اليهود خبر استشهاد محمد ويقول فيما قاله : وحاول شاب من البلدة ضرب أحد أفراد حرس الحدود «ببلطة» كانت بيده وضحك الجميع استهزاءً من هذا الخبر ، ومن الذين استغربوا ذلك الصحفى الألمانى الذى شاهد بأم عينه عملية القتل . وبعد هذا التسلّل فى ذكريات الاستشهاد

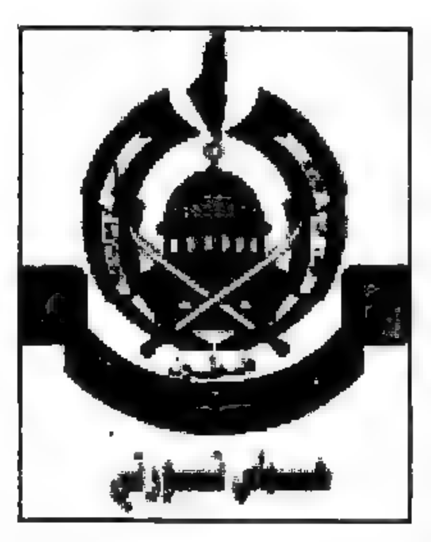
يقول شقيق الشهيد بأن محمداً كان يتمتع بحس أمنى غريب حيث إنه لم يكن يُبَلِّغُ حتى أقرب المقربين إليه عما كان يقوم به، ولم يعرف أهله بأعماله البطولية إلا بعد استشهاده. وتقول والدة الشهيد: حتى يوم استشهاده اقتربت منه ودعونه للعودة إلى البيت فقال لى: سأجعل الشباب يرجمونك بالحجارة إن أنت لم تغادرى هذا المكان.. أليس كل الشباب أولادك؟ فلماذا لا تحرصين إلا علىَّ لمغادرة المكان؟ وكما يبدو فإن والدة الشهيد تذكرت شيئًا فقالت: «ولد محمد فى شهر رمضان واستشهد فى شهر رمضان».

ومن كرامات الشهيد: ما يذكره أحد الشباب المسلم، فأثناء اجتماع أهل البلدة بعد استشهاد محمد حضر شاب ومعه بقايا دم الشهيد المتكدرة وطلب من الحضور أن يشموا رائحتها، كان العطر ينبعث منها.. وبعد استشهاده بثمانية أشهر استشهد شاب آخر فأرادوا أن يحفروا له قبراً بجانب قبر محمد فانهار جزء من قبر محمد، فبدا جسم الشهيد لم يتغير من جسمه شىء.. لقد كان كيوم استشهاده، ملابسه هى هى، وأكد لنا هذا أحد الشباب الذين شاهدوه وكذلك إحدى النساء وتسكن بقرب المقبرة.. وفى كل عيد يخرج الشباب المسلم بالخروج بمسيرة كبيرة يزورون خلالها الشهيد تأكيداً للعهد ومواصلة الدرب.. أما شقيق محمد الصغير (يوسف) فهو يحافظ على العهد ويتردد باستمرار على المسجد.. وكم هو عظيم وجه الشبه بين محمد ويوسف.

***

الشهيد/خالد رفقى عميرى

١٩٨٨/٥/٣



كانت مساجد المخيم البؤرة التى انطلقت منها الجماهير المؤمنة وهى تردد (الله أكبر) فكانت تهتز جبال جرزيم وعيبال طربًا لهذا الشعار الخالد. . سكان المخيم غير متجانسين سكانيًا، فقد شردوا عن ديارهم من مناطق مختلفة، فبعضهم جاء من حيفا والبعض الآخر جاء من يافا. . وآخرون قدموا من بيت دجن. . ولكن دماءهم اختلطت فى ساحات الوغى، وتوحدت قلوبهم على نفس الهدف، وتآخت أرواحهم فى الله. . أجدادهم هناك سقطوا على ذرى الكرمل وهم يحملون اللواء، وأبناؤهم اليوم يسقطون فى حضن جبال نابلس يرفعون رايتهم التى أحبوها وكتبوا عليها بالدماء قبل المداد (لا إله إلا الله محمد رسول الله). . . ولكنهم يسقطون على الأرض وعيونهم تتطلع فى نظرتها الأخيرة إلى خريطة الوطن والراية تخفق على ذرى القدس وتنصب على قمة الكرمل! ورغم الجراح وآهاتها، ترتسم ابتسامة الرضى على وجه الشهيد ويردد كلماته الأخيرة لإخوانه أن: تقدموا.

هذا هو المخيم. . سيارات جيش الاحتلال تحاصر المخيم، مئات الجنود فى عدة مراكز. . وقنابل الغاز المسيل للدموع تتدلى من أسلاك الكهرباء. . . شوارع المخيم لا يتجاوز عرضها نصف متر كأنك تسير فى سراديب تحت الأرض. . بيوت جد متواضعة. . والدة الشهيد ترحب بنا بطبائع فلسطينية أصيلة.

مولده ونشأته:

ولد الشهيد خالد عام ١٩٦٥م فى مخيم بلاطة لعائلة مكونة من ٤ أولاد و٣ بنات، مات والده، فأصبح الأب الحانى على إخوته.

عائلة الشهيد رحلت عام ١٩٤٨م من فلسطين المحتلة من قرية بيت دجن والتى يسميها الغرباء اليوم (بيت دجون). تقول والدة الشهيد: إنهم بعد تشريدهم رحلوا إلى

منطقة نابلس، وفى بلاطة وضعوا لنا الخيام وعشنا طوال أربعين عامًا وعيوننا تنظر إلى هناك، إلى ذكريات الآباء والأجداد، إلى أشجار البرتقال والزيتون. إن كل الدنيا لا تعدل عندى ذرة من تراب بيت دجن.. يا أخى: إننا عائدون عائدون.. عائدون إن شاء الله...

نظرت فى عيونها فعلمت أنه الإصرار المنبثق من عقيدة الإيمان.. فأيقنت أنهم عائدون.

قصة استشهاده:

بدأ الاحتلال يعيد حساباته من جديد. ففى يوم ٣/ ٥/ ١٩٨٨م كان موعد أُسُود (حماس) مع التصعيد الذى دعت له حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

كانت القلوب تعيش تلك اللحظات بين الخوف والفرح، الخوف من التجربة الجديدة للانطلاقة، والفرح لتحقيق الأهداف التى عاش الشباب المسلم وهو يحلم بتحقيقها: شهادة أو نصر، ولهذه اللحظات الجميلة، يستعد المؤمن لها بالوضوء وطهارة الجسم والروح والقلب، وهكذا فعل خالد، ففى ذلك اليوم اغتسل وصلَّى الظهر قبل أن يتوجه إلى الموعد المنتظر..

وعن تلك اللحظات تقول والدة الشهيد: (خالد منذ صغره كان يحافظ على الصلوات، وكان مؤمنًا بمبادئه إيمانًا راسخًا، كما كان يحرص حرصًا شديدًا على أداء الصلاة فى المسجد، وقبل استشهاده كان يجلس مع جدته فقال لها: أريد أن أستشهد إن شاء الله وأشفع لك لتكونى معى فى الجنة)!

أما ابن خالته فيقول: كنت أجلس مع خالد وكنت أتابع التلفزيون ولم يعجب خالدًا ذلك، فقام للوضوء وقال: ماذا تفيد هذه التفاهات؟ لا شيء يكسبه الإنسان سوى العمل الصالح، هذه الكلمات كانت آخر ما قاله الشهيد قبل إصابته.

وتقول والدته: إنه ختم قراءة المصحف مرتين خلال رمضان. وقبل استشهاده كان قد وصل فى قراءته إلى الصفحات الأخيرة من القرآن. أما عن لحظاته الأخيرة قبل صعود روحه، فيقول أحد الذين رافقوه: كان خالد يقف بجانبى وسمعته يقول: لقد أصبت فلم أصدق ذلك، ونظرت إلى صدره فوجدت الدماء تتدفق من صدره ونزف

بعضها على الأرض، ونظرت إلى يده وعندما سقطت (المسبحة) من يده علمت أنه استشهد!.

نعم حتى فى لحظاته الأخيرة كان فى تسبيح وذكر لله سبحانه. بهذه الروح يقبل فرسان (حماس) على الاستشهاد، روح مرتبطة بالله، وسواعد تقذف الاحتلال بالحمم والحجارة!

وتقول والدة الشهيد: إن خالداً كان مطارداً من قبل سلطات الاحتلال وإن الذى أطلق النار (قناص) أراد قتله، فقد أطلق عليه رصاصتين، أصابتاه فى القلب المفعم حبّاً لفلسطين، حبّاً نابعًا من عقيدة راسخة، وفى لحظاته الأخيرة، رغب شهيدنا فى أن يودع والدته فقال لإخوانه ثلاث مرات: أحضروا لى والدتى لأراها ولا تهتموا.. أنا أريد أن أستشهد..

وأثناء الحديث تغمض والدة الشهيد عيونها، وتغور فى أعماق عيونها دمعة وتقول: فى ذلك اليوم لبس أحسن ما لديه من ملابس، فأثار استغرابى وسألته: مالك يا خالد اليوم (لابس ومشخص)؟ فابتسم ابتسامة عريضة وهو يغادر البيت قبل استشهاده، وكانت ابتسامة وكأنها تقول: هذه آخر مرة لى فى هذا البيت!.

مسيرة الشهيد:

نقل خالد إلى مستشفى الاتحاد وأخبروهم بأنه قد استشهد قبل وصوله إلى المستشفى، فقام الشبان باختطاف جثته ونقلوه إلى المخيم، فوجدوا أن المخيم قد امتلأ بجنود الاحتلال، وفرضوا منع التجول، وبالرغم من ذلك أصر الشباب على أن يزفوا العريس إلى مقره الأخير، فى مكان ينام فيه مستوىَ القامة مرفوع الهامة والجبين.

ويقول سكان المخيم: إن مسيرة الشهيد كانت عرسًا حقيقيًا حيث الأناشيد الإسلامية والوطنية وزغاريد النسوة والتكبير، فالكل يعرف أن لخالد مكانة خاصة فى قلب كل فرد من أفراد المخيم. هذا الشاب المؤمن الذى أخلص لوطنه ودينه.

ويقول العديد من الإخوة فى المخيم عن تلك اللحظات: (لقد تناثرت روائح العطر والياسمين من جسد الشهيد وكأنك وضعت زجاجة عطر على جسد الشهيد...) وفرض جنود الاحتلال نظام منع التجول على المخيم لمدة شهر كامل، وقضى سكان

المخيم عيد الفطر تحت نظام منع التجول. وتقول والدة الشهيد: إن العديد من الناس يأتون للبيت ليحدثونا عن رؤى يرونها فى المنام.. معظم هذه الرؤى تؤكد رؤية الشهيد وهو يلبس لباسًا أخضر أو يرونه وهو راكب على فرس وكأنه فى زفاف العرس!!.

وعن أعظم اللحظات تأثيرًا على القلب، فهى اللحظات التى وقفت فيها والدة الشهيد على جثمانه، وألقت كلمة أكدت فيها ضرورة مواصلة الطريق وزغردت لابنها الشهيد، حتى إن الضابط المسؤول صرخ عدة مرات مطالبًا بإخراج والدة الشهيد من المقبرة، وفى اليوم التالى وعندما توجهت إلى المقبرة واجهها أحد الجنود وقال لها بلغة عربية (مش كفاية زفيتو العريس؟) وإذا كان جنود الاحتلال لم يطيقوا أن يروا خالدًا حيًا، فإنهم لم يطيقوا أن يروا صور الشهيد معلقة فى بيته تحيط بها الزهور، وقاموا بزيارة خاطفة للبيت لتمزيق صور الشهيد. وأصبح تمزيق صور الشهيد هوايتهم المفضلة!!

وعندما سألت والدة الشهيد عن السبب الذى دعاها للتحلى بالصبر وعدم البكاء والعويل قالت: (لأننى لا أريد أن يغضب منى الشهيد، فالشهيد حى يرزق.. وهذه أمنيته التى طالما تمناها...) وتضيف: (ولكن الذى يؤلمنى هو أن خالدًا كان بمثابة رب العائلة حيث كان يقوم بالإنفاق على العائلة المكونة من ٤ أولاد و٣ بنات).

وتقول والدة الشهيد: إن جنود الاحتلال اعتدوا عليها بالضرب ثلاث مرات ونقلت إلى المستشفى!.

***

الشهيد /جمال محمد موسى عودة «أبو إسلام»

١٩٨٨/٨/١٤



جمال يمثل ذلك الجيل الذى تجاوز عقدة الخوف، وشب عن طوق الجزع من الاحتلال، يمثل الشباب المؤمن فى عصر الانتفاضة الذى حول الليل نهاراً، يقومون الليل بمقارعة جنود الاحتلال، قلوبهم مع الله، فى ظل غياب خليفتهم، يجلسون فى ظلمات الليل، لعل الحديث النبوى ينطبق عليهم **«عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله»** وعيون جمال تنزف الدموع الغوالى فى الليل الحالك والناس نيام مع ثلة من الشباب الطاهر النقى يحيون الليل فى ذكر الله، وتركوا إحياء الليالى الساهرة والحمراء لأولئك الذين غرتهم القشور. أما جمال وإخوانه فينطبق عليهم قول الشاعر:

مد ليل الظلام جنحه فى البلاد واستطاب المقام واستراح العباد

غيور، شهم، عنيد، لا تنام هذه العين التى لا تنام وهى تحرس المخيم خوفًا من اقتحامه، بينما الآخرون يتمتعون فى النوم على الفراش الوثير وجمال يتذكر أيام طفولته فى مخيم طولكرم، طفولته معذبة لأنه يرى أبناء شعبه يعانون ويقاسون، وهل هناك معاناة أصعب من بعدك عن الوطن؟، وطننا لا يقاس بالأرض والأمتار. وطننا رمز، وطننا يمثل كبرياء الأمة، ولن يعود هذا الكبرياء المجروح إلا بعودة هذا الوطن.

شوارع المخيم الضيقة تذكرنا بالمأساة، كما ذكَّرَتْ جمالاً بالمأساة التى يعيشها بنو شعبه، حيث الشتات والضياع والتمزق، حيث البؤس والشقاء والحرمان، وهل أصعب من أن ترى مواطنًا بولنديًا يحق له زراعة أرضك وبيارات برتقالك وأنت لا يسمح لك حتى بشم عبق زهورها!

أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس!

أليس صعبًا أن ترى أبناء الوطن يطردون فى المنافى، وهى جريمة أخطر من القتل بينما الأوغاد قادمون للاستيطان على أرض الآباء والأجداد؟ بيارات أبو حسين فى يافا أصبحت لمناحيم وشجرة الجميز التى زرعتها أم محمد فى الجورة أصبحت لمردخاى، وزيتون الجليل استولى عليه عصابات القتلة والمخدرات القادمة من أزقة نيويورك!! وأنت ابن الوطن لا يجوز لك أن تقترب حتى من الأطلال «إن بقيت هناك أطلال»، وإن أنشدت شعراً عن الأطلال فى حبها، فهى جريمة لا تغتفر، فهذا تحريض، قد يكون الحكم بإبعادك عن السحر الذى أوحى إليك بهذه الخاطرة!!

هذه التخيلات عندما كان يتذكرها شهيدنا، كما يتذكرها كل إنسان. كانت كفيلة بأن تملأ قلبه حقدًا على الاحتلال والمحتلين، سرنا فى أزقة المخيم كما سار جمال. وقد نكون خطونا خطوات مشابهة، وكان أمامنا منزل جد متواضع، وعندما دخلنا قال أحد الشباب: فى هذه الغرفة الصغيرة كنا نجلس الجلسات الإيمانية مع أبو إسلام، والغرفة مبنية من الطوب ومغطاة بألواح الزنك وداخل الغرفة صورة معلقة للشهيد، وهناك التقينا شقيق الشهيد الذى حدثنا عن حياة بطل من أبطال السواعد الرامية «حماس»: ولد جمال عام ١٩٦٥ وأنهى دراسة الأول الثانوى، وبعدها اشتغل فى القصارة والتحق بركب الدعوة الإسلامية، دعوة الإخوان المسلمين، وكان من الشباب العامل، المحب لدينه والمضحى فى سبيل الدعوة إليه، وكان قلبه معلقًا بالمساجد، لا يكاد يخرج منها حتى يعود إليها، وهناك جَمَعَتْهُ والشبابَ المسلم جلسات إيمانية وروحانية عظيمة، عرف خلالها الشباب مدى الإحساس المرهف والخلق الدمث الذى يتمتع بهما شهيدنا. وكان جمال يطلب الشهادة بصدق، فكان يقول: «يا نيال من طلب الشهادة بصدق» ويطلب من الله أن لا يتعذب من الجراحات وكان دائمًا يقول: إن شاء الله تأتى الرصاصة هنا - ويشير إلى صدره - وأستشهد دون أن أتعذب، وبالفعل فقد أصيب برصاصة وسط الصدر واستشهد على الفور.

ففى يوم ١٤/ ٨/ ٨٨ كان هناك تصعيد دعت له حركة المقاومة الإسلامية «حماس» وكعادته صلّى المغرب والعشاء فى المسجد وسلم على الشباب بحرارة، وكأنه يودعهم وفى ذلك اليوم زار أحد الإخوة الجرحى فى المستشفيات بنابلس، وقام فى مستشفى الاتحاد بتوزيع الحلوى والبسكويت على الشباب، وداعب إخوانه الجرحى، وأدخل

السرور إلى قلوبهم- ويقول أحد شباب المخيم: «كان رحمه الله شديدًا فى مواجهة جنود الاحتلال» وليلة استشهاده استخدم الطبل وعلق عصبة خضراء على جبينه مكتوبًا عليها «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وكعادته اختار موقعًا حساسًا وخطرًا، وبدأ يواجه جنود الاحتلال بمقلاعه، وكان يلبس قميصًا رسمت عليه سفينة كتب عليها «لهذه السفينة ندعو الأنام» ومكتوب عليها «مهرجان الفن الإسلامى» وقبل استشهاده صلَّى ركعتى الشهادة وطلب من الله الشهادة بقلب مخلص خاشع لله، واستخدم الجيش فى عملية اقتحام المخيم القنابل المضيئة، وبينما كان جمال كالأسد الهصور يربض على موقع استراتيجى، أطلق قناص النار عليه فاخترقت صدره وسالت بقعة دم صغيرة، غطت شراع السفينة المرسوم على القميص الذى كان يلبسه. . نعم إن سفينة الدعوة التى يدعو جمال الناس إلى الركوب بها وقودها الدماء والتضحيات والدموع، وشهيدنا ومنذ أن عاهد هذه الدعوة فقد عاهد أيضًا أن تكون دماؤه وقودًا لسفينة الإيمان.

أما وقت الاستشهاد فقد كان قبيل الفجر بقليل، بينما كان معظم الناس يغطون فى سبات عميق، كانت عيون الشهيد تنظر إلى الفجر القادم، فجر الشهادة الذى سيصنع فجر الانتصار. . وهكذا فقد صدق جمال الله فصدقه الله، ويقول أحد إخوانه: كانت تفوح من الشهيد رائحة عطر.

من كرامات الشهيد:

لقد مرّت جنازة الشهيد(بفضل الله)على عدة حواجز عسكرية بين نابلس وطولكرم دون أن يمسها مشرك، ووضع فى المسجد ودفن فى شويكه، وفى اليوم التالى جرت مسيرة ضخمة طافت شوارع المخيم وهى تردد التكبيرات والشعارات الإسلامية، وجرى تصعيد مع قوات الاحتلال، كذلك جرت مسيرة فى قرية كفر ثلث وتم إلقاء كلمات باسم الشباب المسلم، أما عن ردود فعل العائلة فيقول شقيق الشهيد: «نحن عائلة تؤمن بالله واليوم الآخر» ويقول شقيقه للشباب الذين حوله:

«الرجاء أننى لا أريد أن يبكى أحد، فأخى شهيد. . لا تبكوه» أما شقيقه خالد فيقول: «يا نيالك يا أخى إن شاء الله نبقى على العهد ونموت شهداء»، أما أخته فتقول

لأخويها «لا تبكوا عليه فإنه إلى الجنة إن شاء الله» ويقول شقيقه سعيد « إن شاء الله يا أخي يجمعنا الله بك في الجنة . . »، أما والد الشهيد ووالدته فقد تغمدهما الله برحمته قبل استشهاد جمال بسنة، وعن هيئته يوم استشهاده يقول لنا شاب مسلم «كأنه نائم وعيونه كانت متفتحة وفمه مبتسم حتى إن شقيقه ابتسم معه، وكانت رائحة المسجد الذي وضع فيه رائحة مسك» ومن الأعمال التي كان يقوم بها توزيع التموين وإيصاله إلى الفقراء ويساعد في مجالات الإسعافات الأولية . لقد كان جمال مميزاً في أخلاقه وأعماله . . فإلى جنات الخلد بإذن الله .



يأسرون النساء ولا حياء..

الشهيد/ جمال إبراهيم مطر شقيرات

١٩٨٨/٩/٢٦



الشهيد «جمال شقيرات» ولد بتاريخ ١٣/ ١٢/ ١٩٦٦، وفي عام ١٩٨٨ لبى نداء ربه، فأطلق صرخة الحق مدوية مجلجلة «الله أكبر ولله الحمد» تنساب أمواجها من فم شهيدنا المقدام لتلتقي مع تكبير سيدنا عمر وأبي عبيدة وشرحبيل وخالد، ولتكون سنبلة حق تغرس في جبال القدس ورباها لتنبت الأمل الباسم في فجر ليل بهيم.

حياة الشهيد:

درس الشهيد المرحلة الابتدائية كباقي الطلبة في قريته، ولكن قدر الله عز وجل أن يصاب الشهيد وهو في الصف الثالث الابتدائي بمرض في الجهاز العصبي، ولكن صموده وإيمانه الراسخ جعله يتحمل المرض ويصبر على الابتلاء، وينجح في هذا الامتحان الصعب حتى شفاه الله عز وجل، ثم التحق بعد ذلك بالمرحلة الإعدادية، وكان الشهيد ـ رحمه الله ـ من الشباب الأذكياء حتى أكمل هذه المرحلة بنجاح وتفوق، بعد ذلك التحق الشهيد بالمرحلة الثانوية وفي هذه المرحلة تأثر الشهيد بالفكر الشيوعي، ولكن فطرته السليمة وعقله الراجح، وإيمانه الصادق جعله يمقت هذا الفكر المستورد الذي لا يغني ولا يسمن من جوع، لأن الشهيد عرف أن هذا الفكر فقط من أجل إشاعة الفساد والفتن والفواحش بين شباب الإسلام، وهذا الفكر لا يمثل هوية الأمة ولا قيمها وحضارتها. وفي مرحلة التوجيهي ابتلى شهيدنا بشلل في ركبتيه، فذهب للعلاج هنا وهناك، ولكن أصبحت حياته صعبة حيث أصبح قعيداً على العجلة «العربانة» يقوده إخوته، ولكن شهيدنا كان صاحب إرادة قوية وعزيمة ثابتة لا تعرف الخور، فأصر على أن يؤدي الامتحانات في المدرسة الرشيدية الثانوية في بيت المقدس، وقبل يوم واحد من الامتحانات للتوجيهي كانت رحمة الله تبارك وتعالى سابقة، فشفى الله شلله، ومشى على رجليه بدون عجلة، وبدون أن يقوده أحد، ونجح جمال

بتفوق، وبعدها التحق بإحدى الجامعات المتوسطة فى الأردن ليدرس الهندسة المعمارية فكان من المتفوقين فى الدراسة فعاد إلى وطنه الحبيب. . عاد إلى قريته لينضم إلى المرابطين فى بيت المقدس.

الشهيد فى ركب الأطهار:

التحق «جمال» بركب الدعوة الإسلامية، وأصبح من الشباب المسلم ومن الدعاة النشيطين الذين لا يهدأ لهم بال ولا يعرفون الكلل ولا الملل، فأصبحت حياته فى المسجد، يحافظ على الصلوات الخمس، يصوم الاثنين والخميس، ثم تولى نشاطات المساجد من تدريس للقرآن والعلوم الشرعية، فكان هادئًا طيبًا يحبه جميع الناس لأنه كان محبوبًا لدى الناس، كان فى قلب الشهيد حقد على أعداء الله. . يقود دائمًا المواجهات ضد اليهود. . وكان رحمه الله يبدى شجاعة فائقة فى مواجهة الاحتلال، فهو دائمًا متحفزٌ للجهاد مستعدٌ للمقاومة كلما نادى منادى الجهاد: حى على الجهاد. . حى على المواجهة، يخرج الأسد من عرينه ليكون من أوائل المتقدمين فى صفوف المؤمنين.

حادثة استشهاده:

فى يوم المواجهة مع الاحتلال الغاصب. . يوم ذكرى معركة خيبر، يوم ٢٦/ ٩/ ١٩٨٨. . دعت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» إلى مواجهة مع الاحتلال، وإلى تحويل الذكرى إلى ملحمة حقيقية ضد اليهود. . خرجت الجموع المؤمنة وهى تردد «بسم الله الله أكبر. . بسم الله قد حانت خيبر» ومن بين الجموع ترى شابًا لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره ينطلق كالسهم لا يأبه أيقع هو على الموت أم يقع الموت عليه؟! وهو يضرب تارة، ويكبر تارة أخرى، وقبة الصخرة المشرفة ومآذن الأقصى المبارك، وأرواح الشهداء فى سماء القدس ترمق هذا الشاب بزهو وافتخار، إنه يعيد لنا صورة البطولة والفداء، صورة الجهاد والمجاهدين، صورة الشهادة والشهداء وهى التى افتقدتها القدس. . مسرى رسول الله ﷺ منذ أمد بعيد.

لقد كان الشهيد «جمال» مقدامًا شجاعًا لا يهاب الموت مقبلاً غير مدبر، وهو يعلم أن الحجر أعظم وأثقل من المدافع الخرساء، والدبابات الكسيحة والطائرات المقعدة التى

لا نراها في عالمنا العربي والإسلامي إلا في المناسبات الملكية والرئاسية، فيلتقط الحجر تلو الحجر وقلبه ينشد:

في القدس قد نطق الحجر لا مؤتمر لا مؤتمر
أنا لا أريد سوى عمر أنا لا أريد سوى عمر

وها هو شهيدنا يصدح بالتكبير، وها هو يفتح فاه ليقول «الله أكبر ولله الحمد» فإذا برصاصة غادرة يطلقها قناص مجرم من مسافة قريبة تخترق فاه ورأسه ليسقط شهيداً فترتفع روحه إلى السماء لتحلق في عليين، وتأوي إلى قناديل معلقة بعرش الرحمن.. لقد اهتز مسرى رسول الله ﷺ وبيت المقدس كلها عندما سمعت بنبأ استشهاد «جمال» المرابط في أرض الأقصى، والذي طالما كتب بيديه الطاهرتين المتوضئتين شعارات الإسلام.. شعارات حماس.. ونداءات حماس.

لقد كان الشهيد كالجبل الأشم لا تلين له قناة، فاعتقل عدة مرات من قبل قوات العدو، فكان صامداً مغروساً في القدس كجبالها وأشجارها وأحجارها وقبتها ومسجدها. نقل الشهيد إلى مستشفى المقاصد الإسلامية، فأراد اليهود أن يأسروا جثمانه بعد أن عجزوا عن روحه، ولكن أهله وإخوانه أخذوا جثمانه الطاهر إلى قريته «جبل المكبر» وزف الشهيد إلى دار الآخرة، وأحاطت جموع المؤمنين بنعشه مودعة هاتفة ملء حناجرها للشهيد وللشهداء.. لقد خرجت القرية بأطفالها ونسائها وشيوخها ورجالها وهم يرددون الهتافات الإسلامية، ثم أخذت جموع الوافدين تسلم على والد الشهيد وهم لا يدرون أهم يعزون أم يهنئون؟! إنهم جاءوا للتهنئة لأن الشهيد حي لا يموت ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

ويحدثنا أحد الإخوة ممن عاشوا مع الشهيد عن قصة استشهاده فقال: لقد كان جمال في هذا اليوم ينتقل من شارع إلى شارع، ومن جبل إلى جبل يواجه الأعداء، لا يستكين ولا يضعف، ولا يعرف الهدوء.. حتى استجاب الله له وتحققت أمنيته وهي «الشهادة في سبيل الله» فاتخذه الله شهيداً عنده، وكان ـ رحمه الله ـ يحب قراءة سورتي الأنفال وبراءة يرددهما كثيراً[١].

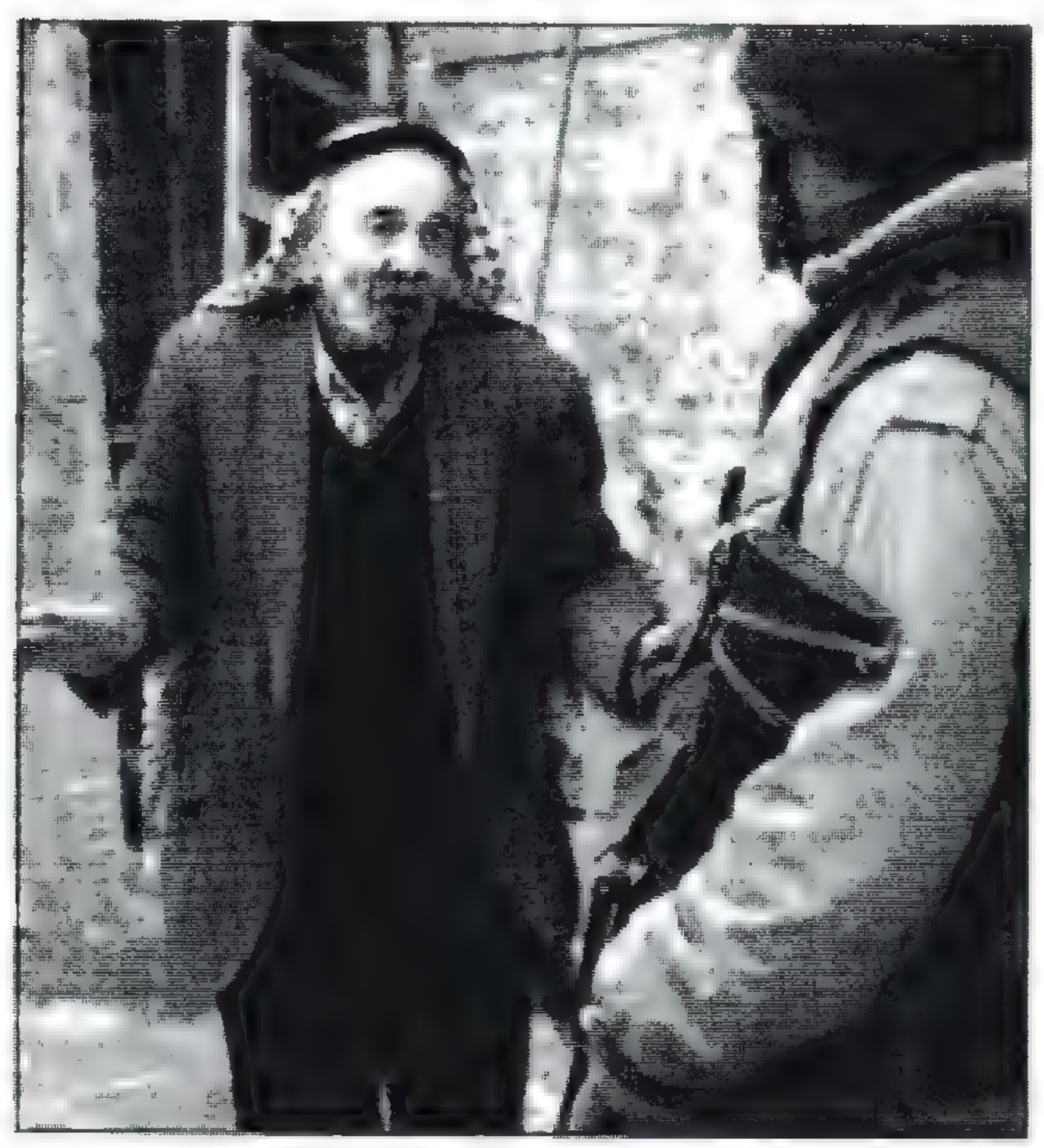
---

(١) يستحب للمؤمن أن يقرأ هاتين السورتين عند اللقاء، وذلك لما فيهما من حض وتحريض على الجهاد في سبيل الله وعدم النكوص أمام أعداء الله تبارك وتعالى.

ومن كرامات الشهيد :

أن دماءه الزكية التى سالت من جسده الطاهر ظلت كما هى لم تجف وكانت رائحتها عطرة زكية تعبق فى أرجاء المكان الذى استشهد فيه .

وفى الختام ماذا نقول فى وداعك أيها الشهيد، وهل نوفيك حقك بهذه الكلمات؟! لا وألف لا . . إنما هى كلمات قلب مكلوم ونفثات نفس حزينة، ودمعات عين كليلة نذرفها على جسدك ونحن نقول : إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا على فراقك يا أخانا جمال لمحزونون .



يضربون ولا حرمة لكبير ولا لصغير.

الشهيد/ محمد زين الكركى

١٩٨٨/٩/٣٠



قصة شهيدنا محمد من الخليل إن دلت على شىء فإنما تدل على مدى تعطش شباب فلسطين للشهادة فى سبيل الله سبحانه، فالشباب اليوم يعلنونها صريحة عالية.. مدوية «لا شرقية ولا غربية.. انتفاضتنا إسلامية».

الشهيد من مواليد ١٩٦٨، نشأ وترعرع كبقية الشباب الطائش لا يعرفون الإسلام، ولا يعبدون الله تبارك وتعالى، ولما هبت رياح الانتفاضة المباركة كان من بركاتها على هذا الشعب أن كثيراً من الضالين قد عادوا إلى الله، والتزموا بالإسلام دينًا وخُلقًا وعبادة وانتماء، فالتزم شهيدنا بالمسجد، واختلط بالشباب المسلمين الذين يعرف معنى التضحية والفداء، وفى يوم ٣٠/ ٩/ ١٩٨٨ كانت الخليل تشهد حدثًا فريدًا من نوعه حيث يقوم اليهودى الحاخام «موشيه ليفنغر» أحد زعماء «غوش إيمونيم»[1] بالهجوم على سوق الخليل هو وأزلامه من المستوطنين، يطلقون النار فى كل اتجاه يرعبون النساء والأطفال والرجال، وفى هذه الأثناء كان أحد التجار المسلمين «كايد صلاح» يقف أمام متجره، فاقترب منه الحاخام المجرم، وأطلق الرصاص من مسدسه على رأسه فوقع على الأرض ليختلط دمه بتراب الخليل الصابرة، وعندما سمع الشباب المؤمنون بالحادثة الأثيمة غلت الدماء فى عروقهم فصلوا الجمعة ثم خرجوا إلى الشوارع فأغلقوها بالحواجز، وبدأوا مواجهة عنيفة مع قوات اليهود، وكان لشهيدنا «محمد» شرف المشاركة فى المواجهة، وله دور كبير بارز فى ذلك، وبعد لحظات أصيب الشهيد

---

(١) غوش إيمونيم: حركة دينية يهودية أنشئت فى ١/ ٣/ ١٩٧٤ وهى جزء من الحزب الدينى الوطنى «المفدال» ثم انشقت عنه، وهى تنظر إلى الصراع على أنه صراع دينى وأن أرض الميعاد «فلسطين» هى منحة إلهية لليهود، ولا يجوز التفريط بشبر واحد من أرض إسرائيل الكبرى، ويقود هذه الحركة عدد من الحاخاميين وعلى رأسهم موشيه ليفنغر وكهانا. انظر: مسعود إغباريه/ حركة غوش إيمونيم بين النظرية والتطبيق، نشر جمعية الدراسات العربية/ ١٩٨٤، ص ٢١-٢٧.

برصاصة غادرة فى ساقه فتمكن الجيش من مطاردته، وجرح الشهيد ينزف، وهو يأبى أن يمسك به هؤلاء المجرمون، وبعد فترة من المطاردة لم يستطع شهيدنا السير نظراً للألم الشديد الذى يعانى منه نتيجة الإصابة، فباغته هؤلاء، ولكنه فاجأهم بوابل من الحجار تنطلق من يديه المتوضئتين المؤمنتين، فأصاب جنديًا بحجر فآلمه ذلك فما كان منه إلا أن أفرغ رشاشه فى صدر الشهيد ليلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يرفع رأسه إلى السماء يستنزل النصر ويستحثه على هؤلاء الحاقدين، لم يكتف هؤلاء النازيون بقتله بل قاموا بوضع الشهيد على مقدمة الدورية، وجابوا به شوارع المدينة ودماؤه الطاهرة تنزف دون أن يقدموا له أى مساعدة، لقد فقد هؤلاء كل معانى الإنسانية وقيمها، ولكن ماذا يفعلون بجسده ؟ فلسان حاله يقول: «إن قتلى شهادة وإن سجنى عبادة وإن نفيى سياحة» إنها حضارة القرن العشرين، وديمقراطية القرن العشرين حيث يتغنون بحقوق الإنسان، وقد ارتكبت قواتهم المجرمة ما لم تسمع به البشرية من قبل ولا من بعد.

لقد حجز هؤلاء النازيون جثة الشهيد مدة يومين، كما يفعلون بالشهداء الذين يتسنى لهم اختطاف جثامينهم، وبعدها سمحوا لمن تجاوز الأربعين من عمره من ذويه بأخذ جثته على أن يتم دفنها فى منتصف الليل، وعند الوقت المحدد كان أكثر من مئة جندى يحاصرون المقبرة لمنع أى غضب شعبى، وبعد فحص الجثة وجد أهله أن تسع رصاصات كانت قد اخترقت جسده الغض، وقد تألم أهله عليه.. ولكننا نعتقد أن محمداً لم يتألم حتى ولو مزقوا جسده برصاصهم الغادر، فالشهيد لا يجد من ألم القتل إلا كما يجد أحدنا من ألم القرصة[1].. إنها كرامة الشهداء الذين اصطفاهم الله من بين خلقه ليرفعهم إلى عليين مع عباده المؤمنين الصالحين.

---

(١) الحديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ: قال: «ما يجد الشهيد من القتل إلا كما يجد أحدكم من القرصة» انظر: ابن ماجه: السنن، (٢/ ٩٣٧) وأخرجه الترمذى بلفظ «ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من القرصة» وقال حديث حسن غريب صحيح، وعند النسائى: «الشهيد لا يجد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة يقرصها» انظر الترمذى، السنن(٣/ ١٠٩)، النسائى، السنن (٦/ ٣٦).

كرامة الشهيد:

لقد حَدَّثَ العدول الثقات ممن حضروا عملية الدفن أنه عندما بدأت لحظة الوداع للشهيد اقتربت والدته من النعش لتلقى نظرة أخيرة على فلذة كبدها، فكانت المفاجأة أن الشهيد يفتح عينيه لينظر إلى أمه وكان وجهه مضيئًا بنور الشهادة، وعندما انتهى الوداع أغلق عينيه، فليس غريبًا أن يحدث ذلك. . فلقد تناقل الناس ورأوا شهيد بيت أمر/ الخليل يمد يده ليصافح والده ساعة وداعه، فلا عجب، إنها كرامات الشهداء وما ادخره الله للشهداء من نعيم وحياة هنيئة في الآخرة أعظم وأبقى.

رحمك الله - يا شهيدنا - ورحم الله شهداءنا جميعًا. . وإنا إن شاء الله على دربهم سائرون، وعلى الذى استشهدوا عليه ماضون.

فــإمــا إلى النـصــر فــوق الأنام وإمــــا إلى الله فى الخـــــالدين

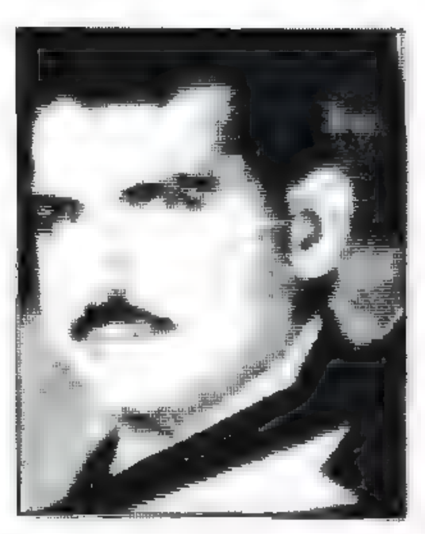


يصلون فى العراء بعد أن حرمهم اليهود دخول الأقصى

الشهيد /كايد حسن عبد العزيز

١٩٨٨/٩/٣٠

مولده ونشأته:



عاش شهيدنا فى الخليل، التى امتزج هواؤها بدمه، فأصبحت قطعة من قلبه. . تعلم للصف السادس الابتدائى لينتقل بعدها إلى العمل فى مصنع للأحذية، وشاهد بعينيه إخوانه وهم يُجْبَرُون على ترك وطنهم الذى أحبوه. . وشاهد فوق كل ذلك مجتزرات الاحتلال وهى تدوس بقية من الكرامة وعيونه رغم ذلك لا يفارقها الأمل، فالإنسان المؤمن لا ييأس ولا يقنط من رحمة الله. . فكايد تربى فى المساجد وتعلم أبجديات هذا الإيمان فى جامع الأنصار أو الإبراهيمى الذى كان يؤمه للصلاة وقراءة القرآن أو حضور جلسة علم. ولم يكن يخفى نظرات الاحتقار للذين كانوا يحاولون إرهاب شعبه. . فشعبه قرر أن يحذف عبارات الخوف من قاموسه السياسى!! وتزوج شهيدنا وأنجب ثلاثة أولاد وسبع بنات.

كل هؤلاء لا يستطيعون أن ينسوا لحظة من اللحظات المؤلمة التى عاشوها بتاريخ ٣٠/ ٩/ ١٩٨٨م وصوت النَعىّ لا يزال يتردد فى آذان أطفاله، وكلمات الرحيل يرجع صداها وكأن الحادث قد حدث لتوه. .

رحل المحب. . . رحل الطير الذى كان يظلهم بأجنحة المحبة، ورحل القلب الكبير الذى كان يمنحهم العطف والمودة، وغاب الفم المبتسم الذى ترقرق على شفتيه كلمات الحنان التى لا تخرج إلا من القلب. وقع الخبر على أبنائه وقع الصاعقة ولم يصدقوا أنهم سيودعون أبا مروان بهذه السرعة، ولم تستطع حتى الدموع أن تتناثر فحبست فى المآقى وظلت وفاء (سنتان) شاخصة لا تدرى ما ستقول ولم تصرخ بسوى كلمة (بابا بابا بابا) فهذا آخر شىء قالته على مسامع الناس. . بعدها عاشت فى لحظات لا تشعر فيها

بما يدور حولها ! كان أبناء الشهيد يرفرفون بأجنحتهم، كما ترفرف الفراخ الصغيرة حول الأم . . لحظات يقول لنا ابن الشهيد (لا أستطيع أن أصفها بأى كلام !!) حتى إنه لم يكن يعد نفسه لسؤال مثل هذا السؤال، فهذه اللحظات غير قابلة للتسجيل لأنها كتبت بأحرف من دموع ودماء.

حادثة الاستشهاد:

فى ٣٠/ ٩/ ١٩٨٨ يقول ابن الشهيد الذى كان شاهد عيان على ما حدث: (تعرض «ليفنغر» للرشق بالحجارة قرب سوق الأندلس فهرب هذا المستوطن المأفون واختبأ عند جنود الاحتلال الذين كانوا يقفون فى نقطة عسكرية، وتقع النقطة فى منطقة قريبة من معرض الأحذية الذى يديره كايد (الشهيد)، وبدأ هذا المستوطن بإطلاق النار بصورة عشوائية من مسدس كان فى يديه، وحاول كايد أن يستطلع الأمر فأصيب برصاصة ، وشاهدته وهو يخر على الأرض والدماء تنزف من جهة قلبه، لم يقل كايد شيئًا، غير أن أحد الشبان وكان فى منطقة الحادث يقول لنا: إنه سمع الشهيد وهو ينطق بالشهادة ثلاث مرات.

وقال كلمة وهو يرسم معها ابتسامته الجميلة (الإصابة لاتؤلمنى. ما تقلقوش على) وينقل كايد إلى المقاصد الإسلامية فى القدس، وأثناء وجوده فى غرفة الأشعة يسلم الروح لترتفع إلى السماء. . . كما رافقه فى رحلة الروح هذه الشهيد زين الكركى!! أخبر الناس عائلة الشهيد بأنه أصيب بجراح ونقل إلى المستشفى، فأسرع أهله إلى هناك ليسمعوا خبر استشهاده، وتتم عملية اختطاف الجثة خوفًا من قيام جنود الاحتلال بنقلها إلى التشريح.

جنازة الشهيد:

وجرت مسيرة عظيمة كانت أكبر مسيرة جرت فى الخليل خلال الانتفاضة، وعندما خرجت الجنازة من مسجد الأنصار حيث صُلِّىَ على الشهيد، كانت أصوات (الله أكبر) والشعارات الإسلامية تهز جبال الخليل، وكانت الأعلام الفلسطينية المزينة بـ: لا إله إلا الله ترفرف حول جثمان الشهيد، وهنا تم تطويق المسجد والجنازة، واستخدم الجنود الرصاص والقنابل المسيلة للدموع وجرح عدد كثير من الشباب، وسيطر الجبناء على

جثة الشهيد ونقلوه إلى (أبو كبير) للتشريح، ومكث عند سلطات الاحتلال أربعة أيام، سلموا جثته بعد ذلك إلى أهله ولم يسمحوا إلا لعدد قليل بوداعه الوداع الأخير.

ردود أفعال حول استشهاد الشهيد:

توجهت بعد ذلك بالسؤال إلى أبناء الشهيد وإخوانه عن رد فعلهم بعد سماعهم خبر الحكم بسجن ليفنغر ولمدة خمسة شهور فقط !!. وضحك الجميع ضحكة سخرية واستهزاء، وقال أحدهم: حكموا عليه بالسجن لمدة خمسة شهور وأنا متأكد أنه لن يمكث خمس دقائق فى السجن لأن الحكومة هى التى تريد لليفنغر أن يفعل هذه الأفاعيل، فيوم الحادث وبعد أن قتل كايداً بمسدسه، قاموا بمصادرة مسدسه وأعطوه بدلاً منه بندقية رشاشة من طراز عوزى!! وقال آخر (هذا لا يعنينا، لأننا لم نرفع شكوانا لأحد غير الله، ونحن ليس لنا أى ثقة بالحكم على الإسرائيلى حيث يتم تطبيق القوانين حسب أهواء رجال الاحتلال، فيوم الحادث منعوا التجول على الخليل وفى هذه الأثناء قام ليفنغر وزعرانه بعمل حفلة غنائية تحت حماية الجيش)!.

من كرامات الشهيد:

أما عن هيئة الشهيد يوم استشهاده فيقول ابن أخيه: (كان كأنه نائم والنور يشع من جبينه ورائحة العطر تنتشر فى البيت من دمائه الزكية). رحل كايد بجسده وبقيت روحه ترفرف فى الآفاق والذاكرة.. العائلة تراه دائماً فى المنام فى صورة جميلة يوزع الحلوى على أحبائه..

فنم يا شهيدنا قرير العين.. وأما قاتلوك فسيظلون فى جبنهم وخورهم حتى يقضى الله أمراً كان مفعو لاً!!



الشهيد / لؤى فخرى البرغوثى

١٩٨٨/٩/٢١



شهيدنا هذا من رام الله، ففى قرية دير غسانة، ولد الشهيد لؤى فى عام ١٩٦٨ أى أنه كما يقولون من جيل النكبة أو إن لم تستح فقل جيل الهزيمة، ولكن الهزيمة هزيمة للأنظمة التى تحولت إلى نصر فى قلوب الشباب، فقد استطاعوا بحجارتهم أن يكسروا حاجز الخوف وأصبحت أصوات الحجارة تعلو أزيز الرصاص، الحجارة أصبحت أقوى من الصواريخ التى علاها الصدأ فى عواصم العرب!

تلقى الشهيد علومه فى مدرسة بنى زيد الثانوية فى دير غسانة، وبعد أن ترك المدرسة تفرغ لتربية الحيوانات ثم انتقل للعمل فى مصنع للأدوية فى مدينة رام الله، دخل الإيمان قلب الشهيد، وهكذا نحسبه ولا نزكى على الله أحداً، مبكراً وهو فى عمر الورد، وتعلق قلبه بالمسجد فكان دائم التردد عليه وكان من نشطاء المسجد، وكان رحمه الله ـ محبًا لإخوانه ويشاركهم جميعًا أعمالهم من صيام وقيام، وأعمال تطوعية لخدمة المجتمع الذى يعيش فيه، كان هادئ الطبع، لم يتشاجر مع أحد، يأخذ الأمور ببساطة، دائم الابتسامة، ويحدثنا الشباب من بلدة دير غسانة الذين كان لهم شرف مصاحبته عنه وعن حديثه عن الشهادة فيقولون: «كانت أسمى أمانيه، وكان دائم الطلب من ربه فى الصلوات وفى معظم أوقاته أن يرزقه إياها وكان يطلب من الله أن يكون أول شهيد فى قريته ومن بين إخوانه وكان له ذلك وكان يحب كثيراً قراءة قصص الشهداء، والاستماع إلى الحديث عن الجنة وما فيها من نعيم مقيم».

قصة استشهاده:

وعن قصة استشهاده يقول زملاؤه: كان لؤى يتمنى الشهادة والشهادة لا تأتى بالتمنى فقط فلابد من العمل لذلك، كان يشاركنا دائمًا بالتصدى لمحاولات اقتحام

القرية من قبل جنود الاحتلال، وفى ليلة الحادى والثلاثين من شهر آب (أغسطس) اجتمع مع نخبة من إخوانه، بعد أن صلوا العشاء، وتعاهد مع إخوانه هؤلاء أن من يستشهد منهم عليه أن يشفع يوم القيامة للآخرين، ومد إخوانه أيديهم وتعاهدوا مع الشهيد. وفى صباح يوم الأربعاء ٢١/ ٩/ ٨٨ تقدمت مجموعة من الجيش لاقتحام القرية، يقول أحد سكان القرية والذى شاهد عملية الاقتحام: « إن أول من وصل إلى وسط البلدة ـ الساحة ـ لؤى رحمه الله وكان عند صلاة الفجر فى المسجد، وبعد أن تأكد من دخول الجيش إلى مشارف القرية ذهب ليوقظ إخوانه، وبعد ذلك بدأ الاشتباك الذى أسفر عن جرح اثنين من إخوانه، فقام الشهيد لؤى بنقل أحدهما إلى مكان بعيد عن الاشتباك، ثم ذهب مسرعًا إلى بيته وغير ملابسه الملطخة بالدماء، وعندما رأته أمه حاولت منعه من الخروج ثانية لكنه أصرَّ على الخروج، وبعد أن ارتدى بنطلونه وقميصه وخلع دشداشته الملطخة بالدماء قالت له والدته: الدور عليك. فقال لها: إذا صار لى أى شىء إوعى تبكى أو تنقهرى. وعاد مرة ثانية إلى ساحة الاشتباك وهو يقذف الحجارة مقبلاً غير مدبر ويصيح بأعلى صوته، الله أكبر. . الله أكبر ولله الحمد، واشتدت المواجهة بين الشباب والجيش، الشباب يقذفون الحجارة وصيحات الله أكبر تملأ السماء، والأرض تهتز من تحت أرجل المحتلين الذين بدأوا بإطلاق الرصاص وبغزارة، ولم يقطع صيحات الله أكبر المتواصلة إلا صيحة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. . فنظر الجميع إلى مصدر الصوت فإذا بلؤى قد أصيب برصاصة غادرة اخترقت صدره الأيمن . وأثناء ذلك حضرت والدة الشهيد فطمأن أمه قائلاً: «لا تخافى يا أمى أنا بخير والحمد لله » وبعدها بدقائق فاضت روحه الطاهرة إلى السماء لتعانق أرواح الشهداء الذين سبقوه، وتم نقل الشهيد فى سيارة نحو المسجد الذى أحبه لؤى وأمضى أغلب وقته فيه مصليًا.

مسيرة الشهيد:

ما إن سمعت البلدة بخبر استشهاد لؤى حتى خرجت كلها برجالها ونسائها وأطفالها فى مسيرة لم يسبق لها مثيل فى دير غسانة، وجابوا شوارع القرية، وأحس الناس أنهم فى عرس لا فى جنازة، واحتشد الآلاف على المقبرة ليهتفوا بصوت واحد «الله غايتنا والرسول قدوتنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا». . وهو الهتاف الذى

طالما هتف به الشهيد لؤى مع إخوانه معلنين ولاءهم لله وللرسول وللمؤمنين . . وبدأ عرس الشهيد بالتكبير حيث طافت المسيرة شوارع القرية، وأثناء ذلك حلقت ثلاثة طيور من الحمام الأبيض فوق آلاف المشيعين ولم تكن هذه الإشارة الغريبة الوحيدة، فأحداث ذلك اليوم كلها غريبة كالمعجزة. فبعد صلاة العصر سار الشبان لتلاوة الفاتحة على روح الشهيد ثم حملوا الفرشة التى كان جثمانه مسجى عليها منذ إصابته حتى دفنه . . وفوجئ الجميع بأن دمه كان سائلاً غير متجمد رغم مرور حوالى ثلاث ساعات ونصف الساعة والفرشة تحت الشمس على المقبرة بعد دفنه، إنها علامة أخرى من علامات الشهادة، ويروى زملاء الشهيد لؤى فى مصنع الأدوية بعد سماعهم نبأ استشهاده أنه قام بوداعهم قبل ثلاثة أيام وقال لهم : إن الشهادة اقتربت .

ورحل لؤى عن العيون ليسكن القلوب، رحل عن الدنيا ليعيش فى جنات الخلود إن شاء الله، تاركًا ثوب الحياة البالى، ليرتدى أفخر الثياب هناك :

أمـــاه لا تبكى علىَّ	مـــا أهون الدنيـــا لدىَّ
إنى نذرت لخــــالقى	روحى ومـــا ملكت يدىَّ
فـاختـارنى ربُّ العبـاد	بفــضله لأظل حــيّــا
أمـــاه تلك وصـيـتى	فلتــذكـرى دومًـا لؤيّا

ويتحدث أحد إخوانه عنه وعن الشهادة فيقول : فى كل ليلة كنت أروى له قصة أحد الشهداء الذين أجمع قصص استشهادهم، وكان يستمع إلىَّ وهو يشعر بالارتياح وأحيانًا بالفرح . . وكان يردد بعد كل قصة «نيالهم إن شاء الله الشهادة تكون من نصيبنا» .

وعن نشاط لؤى فى الانتفاضة يقول أحد أقربائه : «فى إحدى المرات كان جيش الاحتلال يحاول اقتحام بيت ريما، بحثت عن لؤى فلم أجده، فقال لى أحد الشبان بأنه توجه إلى بيت ريما عبر الوادى، وبعد انتهاء الاشتباك الذى استمر ساعتين دون أن يتمكن الجنود من دخول القرية وصلت بيت ريما لأجد لؤى أمامى مع شباب بيت ريما ودير غسانة وهم يحتفلون بدحر الجنود . . فقد سار لؤى مسافة ثلاثة كيلو مترات عبر الجبال لينال شرف المشاركة فى مواجهة جنود الاحتلال» .

وقبل استشهاده بفترة قال لأحد إخوانه : «نحن نصلى لله ونقاتل فى سبيله» .

الشهيد/ سمير محمود أمين بهلول

١٩٨٨/١٠/٧



ولد سمير محمود أمين عبد الحليم البهلول فى حى القصبة-نابلس فى ١٩٦١م.

تخرج من معهد «البوليتكنك» فى الخليل.

ثم التحق بالمدرسة المحمدية لكى ينجو من ضنك الحياة الفانية وذلك عام ١٩٨٧م، التحق بالدعوة التى شاء الله لها أن يجددها الإمام الشهيد حسن البنا بروحه ودمه.

اعتقل للحد من نشاطه فى «البوليتكنك».

متزوج وله طفل صغير عمره خمسة أشهر اسمه «أمين».

الصديق الوفى والدائم للقرآن الكريم.

العمل: موظف فى بلدة نابلس.

تاريخ الاستشهاد: ٧/ ١٠/ ١٩٨٨م.

وعن قصة استشهاده:

يحكى لنا أحد إخوته فيقول: فى ذلك اليوم، وعندما كان المؤذن يؤذن للفجر، أيقظنا من النوم، ودعانا للوضوء.. وخرج إلى المسجد وصلى الفجر، ومكث حتى الساعة السادسة يقرأ القرآن، وسلم على جميع المصلين من إخوانه، وكأنه يودعهم، وذهب بعدها إلى ملعب الرياضة التابع للمدرسة الإسلامية، وأثناء اللعب جاء خبر استشهاد شاب وذلك يوم الجمعة. وعندما سمع بنبأ استشهاد أحد إخوانه، جمع الشباب وحدث تصعيد.. وأثناء ذلك قام الجيش بمحاصرة مجموعة من الشباب الصغار وكان سمير معهم، فخاف على الصغار وأخذ بإخلائهم من المكان. وعندما اشتدت المواجهة، اقتحم الجنود عدة بيوت لتفتيشها ولكن من الذى يقف أمامهم؟ من

الذى سيمنعهم؟ فالجواب سهل جداً . . إنه صاحب الإيمان وصاحب القرآن، ومردد الله أكبر، فحاول البعض منعه لأنه يعرض نفسه لخطر كبير، ولكن أبت نفسه إلا الثبات أمامهم متقمًا لدعوة الله ولبيت الله الذى اقتُحم فى الليلة الماضية، وكأنه يريد أن يكفر عن نفسه، لأنها تأخرت فى الدفاع عن حرمات الله حتى اليوم الثانى، فحملته رجلاه إلى مكان مرتفع . . ولكن مشيئة الله غلبته واخترقت إحدى الرصاصات صدره، وكأنه يريد أن يصعد إلى الرصاصة، فيجابهها بصدره، فوقع ساجداً على الأرض، كيف لا وكانت أيامه كلها يغمرها السجود لله تعالى، فكان آخر العهد له أن سجد لله الواحد القهار وكأنه يفتح ذراعيه ويبسط كفيه لمصافحة أحد . . ومن يدرى . . لعله ساعتئذ كان يصافح روح إخوانه من قبله، أجل إنه دعى إلى رحلة الأبد، فلبى النداء فى شوق عظيم . وإلى إخوانه الذين سبقوه بالحسنى، ذهبت روحه تسعى كالطيور والبشير يدعوها من الرفيق الأعلى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

وعن انطباعات أخيه عندما شاهده وهو شهيد يقول « كان جسده كالحرير ويبتسم حتى لتبدو نواجذه من الابتسامة الكبيرة، كيف لا وقد نال الشهادة . . أتمنى لكل الشباب الصالحين أن ينالوا الشهادة» وكيف كان موقف أهل نابلس؟ يجيب وقد بدت ملامح الارتياح على وجهه: أثبت أهل نابلس وكأنهم عائلة واحدة، الكل وقف وقفة رجولة وشهامة حتى أنسونا المصاب، لأننا شعرنا بأن سمير هو ابن للكل . . لكثرة حب الناس له . وعن أكثر ما آلمه ـ أى سمير ـ فى حياته . . يجيبنا ابن عمه: القرآن الذى مزقه الجنود فى مسجد صلاح الدين عندما اقتحموه . . هذا الفعلة أثارته كثيراً . . وأما ما أثار أهله هو فيقول: « الجنود الذين قاموا بضرب سمير وهو مستشهد، وكذلك رفض الجيش أن يقوم بدفنه إلا ١٥ شخصاً فقط، وأثناء دفنه كانت نابلس كلها تكبر . . ».

وعن حياته يقول أهله:

كان يدعو الشباب للالتزام بهذا الدين، كان المسجد حياته . . من البيت إلى المسجد . . كان باختصار داعية إلى الله . وهل حدثت حادثة غريبة فى استشهاده؟ «نعم . . أول قبر حفر لسمير، تم دفن زميله وأخيه «النجار» فيه والذى غضب لخبر استشهاد سمير، حيث كان جثمانه محجوزاً من قبل السلطات، ثم حفر له قبر آخر

فدفن فيه «المشداوى» وهو من أكثر الإخوان قربًا لسمير، وكذلك فإن سمير قام فى الساعة السابعة والنصف بإيصال عائلة الشهيد «عدنان الجنفة» بسيارته وقام بمواساة أهله.. وبعدها بقليل استشهد» هذا ما قاله أهل عدنان الجنفة وأصدقاء سمير...».

بعد أن خرجنا من البيت كان قد كتب أمام بيته «رحمك الله يا سمير.. نلت الشهادة».

فسلام عليك يا شهيد الحق والقوة والحرية، يا من تعاهدت مع أحد إخوانك قبل أيام من استشهادك أن الذى يستشهد أولاً يشفع للآخر، سر إلى ربك فإنا ـ بإذن الله ـ خلفك سائرون؛ إلى جنة عرضها السموات والأرض.. إلى رحلة مجيدة.. خالدون. فسلام حتى الملتقى.. حتى الملتقى.



الشهيد /زياد على حسن ثابت

١٩٨٨/١٠/٢٧

نشأته:



ولد زياد على حسن فى قضاء بئر السبع، حيث رحلت عائلته فى سنة ٤٨ إلى هذا المكان، وحصل على الأول الثانوى بمجموع ٢١٧ من ٢٤٠، كانت رغبته فى الالتحاق بالجامعة الإسلامية بغزة.

أخلاقه:

برغم صغر سن الشهيد (١٦) فقد اقتنى العديد من الكتب الإسلامية والثقافية والأشرطة الإسلامية، ويقول لنا أحد الشباب : كان أكثر الشباب التزامًا فى الصلوات وكان شديد الحرص على أداء الصلوات جماعة فى المسجد، وكان يؤدى صلاة الفجر فى المسجد، ولم يكن نشاطه الإسلامى يقف عائقًا أمام دراسته، فكان من أنشط طلاب المدرسة، كما كان يلتزم بجلسات العلم فى المسجد وتحمل مسؤولية نشاط الطلاب الصغار فى المسجد، وكان رحمه الله بمثابة الداعية المخلص الواعى لمستلزمات المرحلة، فكان يذهب إلى دكان زوج أخته ليساعده فى البيع، فيستغل تجمع الشباب ليدعوهم إلى الله والالتزام بأهداب الدين وبالصلاة جماعة، وكان يكرم إخوانه بالرغم من عدم وجود المصدر المالى الكافى لديه. وعرف عنه أنه كان قارئًا نهمًا، فكان الكتاب لا يستغرق عنده أكثر من يومين، وأبدى رغبة كبيرة فى اقتناء مكتبة إسلامية فى بيته، ويعتبر المسجد الشمالى مركز النشاط لزياد، وأحبه سكان المخيم لأخلاقه الرفيعة، وبالرغم من المهام المتعددة التى كان يقوم بها فقد تحمل عبء تنظيم المواجهات التى تجرى فى المخيم مع العدو، فما من مظاهرة جرت فى المخيم إلا وكان على رأسها. وكان يقود مجموعات السواعد الرامية التى حملت مهمة ضرب سيارات جنود الاحتلال. ومن الناحية السياسية كان زياد متفتحًا إلى درجة كبيرة، فكان يتعامل مع كافة التوجهات السياسية المختلفة، ويدعو الجميع إلى الوقوف صفًا واحدًا فى مواجهة الاحتلال، وكان دائم البسمة للجميع.. ولهذا ترك استشهاده آثارًا كبيرة فى قلوب الجميع.

حديثه عن الشهادة:

يقول شقيقه: إن زيادًا جاءه يوم الخميس وقال له (أريد أن أستشهد) وهذه الكلمة رددها باستمرار قبل استشهاده بأسبوعين أو ثلاثة أسابيع ويوم استشهاده قال: (أريد أن أغتسل وأستشهد) وكان هذا قبيل صلاة العصر من ذلك اليوم، وبالفعل فقد اغتسل وذهب لزيارة إخوته، ويحدثنا أحد الشباب المسلم عن قصة حدثت بينهما فيقول: (جاء زياد إلىَّ وأمسك بى من ظهرى وقال لى: ما هى كرامات الشهيد؟ فقلت له: أن يشفع لسبعين من قومه ويُزوج من الحور العين فقال: أنا أطلب من الله أن يبعدنى عن النار ويدخلنى الجنة، فتعاهدت معه على أن الذى يستشهد قبل الآخر يشفع له، فرد قائلاً: أنا أشفع لك إن شاء الله). . . ويقول آخر: التقيته ووجدته حزينًا، فسألته عن سبب ذلك فقال: الجيش لم يأت إلى المخيم منذ أسبوعين، وتحدثنا والدته بأن ابنها طلب منها أن تغسل له بدلة الرياضة وعندما سألته عن السبب فى الحاجة إلى غسل بدلة الرياضة قال: (أريد أن أستشهد بها)، ويوم استشهاده اغتسل مع أنه كان قد اغتسل قبلها بيوم، وعندما سئل عن سبب ذلك قال: (هذه للشهادة لألقى بها وجه الله). وكان عليه دين لأحد الشباب فقام بتسديده قبل يوم من استشهاده.

حادثة الاستشهاد:

كان ذلك يوم الخميس ٢٧/ ١٠/ ٨٨، حيث كان مخيم النصيرات يخضع لنظام منع التجول، فذهب لأداء صلاة العصر فى المسجد مخترقًا نظام منع التجول، وخرج من المسجد وتجمع مع عدد من الشباب، وفجأة حضرت دورية لجنود الاحتلال، فتفرق معظم الشباب، إلا زيادًا، وطلب منه أحد إخوانه أن يخلى المكان إلا أنه رفض، وبدأ يلقى الحجارة على جنود الاحتلال، حضر الجيش فصرخ بأعلى صوته تعالوا لنستشهد يا شباب وبدت الفرحة عليه. . بعدها قام أحد الجنود بإطلاق النار على زياد فأصيب برصاصتين، إحداهم فى القلب والأخرى فى الرئة، وكانت إصابته من مسافة قريبة، وتم نقله إلى المستشفى فى غزة، وخلال تلك الفترة كان ينزف قلبه الذى أحب فلسطين دمًا. . ورفرفت روحه فى عنان السماء. بعد ذلك قام الجيش بوضع حواجز على الطرق فتم دفن الشهيد فى حى الشيخ رضوان بغزة، وخرجت مسيرة كبيرة ودّعت الشهيد رددت خلالها الشعارات الإسلامية، وهتفت الحناجر بالله أكبر معاهدة دماء الشهيد على الثأر من رؤوس المجرمين.

رحم الله الشهيد رحمة واسعة وألحقنا به شهداء مؤمنين. . آمين.

الشهيدة / عصمت جميل محمود

١٩٨٨/١١/٧



فى قرية سالم . . وقع حادث لم تعهده البشرية على بشاعته ، تجاوز فيه الجلاوزة ، والجلادون كل القيم والمواثيق ، وبدت الجاهلية الأولى وكأن بها براءة من ذنوب الماضى واستحقت أن يلتمس لها العذر ، صحيح أنهم كانوا يئدون البنات ، ولكن لم يكن ذلك مبعثه الحقد الأعمى أو الانتقام ، كانوا يخافون الفقر ، ويتجنبون العار خوفًا من سبيهن أثناء الحروب ، أما ما حدث فى «سالم » أثناء دفن أربعة من الشبان وهم أحياء ، فمبعثه حقد دفين ، وغدر لئيم وكراهية بلا حدود . . فى غفلة من العيون ، كان قائد فى الجيش الصهيونى يعتقل أربعة أشخاص ويخرج بهم إلى خارج البلدة ، ويأمر سائق الجرافة بدفنهم فى التراب . . حادث سيسجل فى الأوراق السوداء من التاريخ ، تشفع فيه جاهلية العصر لجاهلية العصور الماضية ! !

فى أسرة عرفت بالتقوى والصلاح ، ولدت الشهيدة عصمت ، فوالدها مؤذن القرية ، تصحو وتنام القرية على صوته وهو يدعوها للفلاح ، وتكاد جبال القرية تخر خاشعة لهذا النداء ، وأهل القرية لا يزالون على فطرتهم التى فطر الله الناس عليها ، فتجد أكثرهم يلتزمون بالإسلام ، خاصة بعد أن هبت نسمات الصحوة الإسلامية المباركة التى اجتاحت أكناف بيت المقدس ، وهبّ الشباب للالتحاق فى ركب الدعوة ولم تقتصر هذه الصحوة على الشباب ، بل إن شقائق الرجال كان لهن شرف المشاركة فى هذه المسيرة المعطرة بدماء الشهداء الأبرار ، وكانت عصمت ابنة الـ ٢٣ ربيعًا من السبَّاقات إلى الانضمام إلى هذا الركب ، ولم تكن الظروف مواتية للشهيدة لإكمال دراستها ، إلا أن ذلك لم يكن ليحط من عزيمتها ، أو أن يقف حاجزاً أمام التثقيف الذاتى ، متعلقة بالقرآن الذى تلته داعيًا إياها وفتيات الإسلام لارتداء الجلباب ﴿ يَا أَيُّهَا

النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٩]، وكانَ مَثَلُها فى ذلك عائشة وأسماء وخولة والخنساء. . فكان عنوان اعتزازها بهذا الدين :

إنى ابنة الإسلام أكرم والدٍ ... حسبى من الدنيا به نسبًا ليا

إنى أنا أسماء حين تتبعت ... أثر الرسول بغار ثور نائى

حَمَلَتْ إليه الزاد فى جوف الدُجى ... لم تخش ذئبًا فى الفيافى ضارى

قد آمَنَتْ بالحق ليس يخيفها ... يومًا أبوجهل عدوًا عاتى

بطاقة شهيدة:

تاريخ الولادة: ٢٥/ ٩/ ١٩٦٥م.

تاريخ الاستشهاد: ٧/ ١١/ ١٩٨٨م.

من أوائل الفتيات اللواتى التزمن الحجاب فى سالم.

شديدة التمسك بمبادئ الدين الإسلامى الحنيف من صيام وقيام وتلاوة قرآن.

الأمنية: الشهادة فى سبيل الله بدرجة (امتياز).

أفضل الأوقات لديها: تلاوة القرآن وقت الفجر.

أشد شىء تكرهه: الجبن والتخاذل!

وكانت دروس الوعظ فى مسجد القرية تشم منها نسائم العطر فتسابق الالتزام لهذه الدروس، وقطعت على نفسها عهدًا ألا تصافح الرجال، قاطعة بذلك كل اتصال بالجاهلية، ولم تقف عند هذا الحد فقط، فقد كانت مربية ومرشدة فى البيت وللجارات كما يقول والدها، فقد كانت تمقت الغيبة وتحذر النساء من هذا المرض، وكانت تغتنم وقت الفجر لقراءة وتلاوة القرآن. وذات مرة تشد عصمت الرحال، لزيارة قبلة المسلمين الأولى، وتقف بجانب الصخرة وترفع يديها إلى السماء، مستمدة من الله العون طالبة الشهادة.

وتبدأ الانتفاضة وتجد أختنا ما كانت ترنو إليه، وما دعت الله يومًا من أجله، وحديث الشهادة لا يفارق لسانها، الذى يلهج بالدعاء إلى الله أن يرزقها إياها، وكلما

كان ينضم شهيد إلى قافلة الشهداء المعطرة، كانت تتمنى لو كانت مكانه، فكانت تعرض روحها على الله تعالى، بعد ما قرأت قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] فتعرض على الله نفسها للبيع كلما داهم جنود الاحتلال القرية، وتقذف الحجارة فى وجوههم وترجع إلى البيت مستهزئة ومستهترة بجبنهم، وتلتفت إلى إحدى الأخوات قائلة «شفتى كيف طردناهم.. والله إنهم جبناء!!!».

وكلما كانت تقرأ عن الشهداء أو ترى صورهم تقول: أريد أن أكون مع هؤلاء فى هذه القافلة المعطرة، وكانت من وصاياها ألا يحملها الشباب إن هى جرجت أو انضمت إلى الشهداء، وكانت تحكم ربط جلبابها، حتى لا ينكشف جزء من جسدها أثناء إلقاء الحجارة.

قصة استشهادها:

فى يوم ٧/ ١١/ ١٩٨٨ صَلَّتْ عصمت الفجر وأخذت تتلو القرآن وتقرأ ما شاء الله لها أن تقرأ، وتمضى مع أهلها إلى أرض لهم بجانب القرية وتمرُّ على خالتها التى لم ترها منذ مدة فتودع خالتها وتقول لها أن لا مجال للكلام وأنها ستذهب إلى الأرض لتعود بسرعة قبل أن يقتحم الجيش الصهيونى البلدة، وما هى إلا لحظات حتى داهم الجيش قرية دير الحطب المجاورة وتحوم طائرة عمودية فى السماء فتجلس عصمت تراقب تحركاتهم وتجلس تحت شجرة وتقول لإحدى أخواتها، إنها تتمنى لو أنهما استشهدتا فى آن واحد، حتى تلحقا بركب الشهداء، وتودع أمها الوداع الأخير، وتسمع أثناء ذلك إطلاق رصاص فى القرية ويبدو أن حشود الجيش كانت تتوجه إلى القرية فى تلك اللحظات، جنود يحملون أعتى ترسانة أسلحة، غير أن هناك أسلحة مثلها بل أقوى إذا كانت بيد متوضئة وقلب يؤمن بالله وحب الشهادة فى سبيل الله والدفاع عن الحمى... الحجارة كانت فى انتظارهم، إنه كالغيث المنهمر، ينزل على رؤوسهم من كل حدب وصوب، والسواعد الرامية لا تكل ولا تلين.. وتترك شهيدتنا الأرض وتأتى إلى القرية وتبدأ بإلقاء الحجارة وإغلاق الطريق من مكان جانبى، ولم يرق لها هذا بل توجهت إلى موقع متقدم مع مجموعة من الفتيات وأخذن يكبرن..

الله أكبر . . الله أكبر ، وأزيز الرصاص يدوى فى الأرجاء ، وهى تدعو الأخوات إلى الثبات وإغاظة الجنود وتحديهم ، وكانت تصرخ طالبة الشهادة ، وتستهزئ بالدنيا وبالفارين من الساح ويعلو الهتاف ويجلجل الصوت فى أعالى السماء . . الله أكبر . . كانت تريد أن تكون خولة بنت الأزور فى هذا الزمان ، فى هذه الأثناء كانت السواعد لا تكل والحناجر تلهج بذكر الله وتجرح إحدى الأخوات . . ويعلو الهتاف « لا إله إلا الله الشهيد حبيب الله» وتهجم عصمت بالحجارة من الأرض التى أحبتها وترجم بها الجنود غير عابئة بكثافة الرصاص وتقف أمامهم بكل تحد وبكل عزة وكأنها تقول لهم : «اقتلونى مزقونى أغرقونى فى دمائى ، لن تعيشوا فوق أرضى لن تطيروا فى سمائى» ، وترى أحد أقاربها وهو يلقى بالحجارة من مكان بعيد لا يصل إلى الأعداء ، فقالت هذه منطقة بعيدة . . يجب أن تلقى الحجارة من منطقة قريبة ، ويستدعى الجيش قوات إضافية وتستمر عصمت فى إلقاء الحجارة وتمسك بيدها حجراً وتضربه وتتناول الآخر ، إلا أن الرصاص لم يمهلها لتشفى غليلها ، وكان لقاء الأحبة مع الشهداء أسرع ويصيب الرصاص قلب عصمت التى أحبت الإسلام وأرض الإسلام ، أصابت القلب النابض بذكر الله العامر بالإيمان ، والثقة بالنصر الآتى ، وكأنها تردد كلمات إخوانها فى عصر النبوة والتابعين «فزت ورب الكعبة» وتحملها مجموعة من الفتيات «كما كانت توصى» وتودع الدنيا بحجر فى يديها وبلفظ «أشهد أن لا إله إلا الله» على لسانها ، وتخرج روحها كما العنبر والريحان وتنزف دماؤها حمراء اللون ، المسك رائحتها لتخالط الثرى الغالى ، وتسمو فى ركب الشهداء ، ويأتى والدها فيلقى عليها نظرة الوداع مردداً «لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ لله ما أعطى ولله ما أخذ» راضياً بقضاء الله رضاء المؤمن .

ويقول لنا والد الشهيدة « كنت أهم بالذهاب للأذان فى المسجد وإذا برجل يأتى ويقول لى بأن عدة فتيات جرحن وأن ابنتك بين الجرحى» ويذهب الوالد وإذا بابنته قد انضمت إلى مسيرة الشهداء ومع حبه لابنته إلا أنه وقف وقفة الشرف التى يقفها كل مؤمن بالله فيقول «هذه استشهدت . . الله يرحمها لنذهب لنرى الجريحات» ويُعلَن منع التجول فى البلدة ، ولا يسمح جنود الاحتلال إلا لعشرة من الأقارب بدفنها ، كأنى بملائكة الرحمة تسير فى ذلك الموكب لاستقبال الشهيدة كما يليق ؛ مرفرفة بأجنحتها ابتهاجًا بالشهادة ، وفى اليوم التالى تخرج البلدة فى مسيرة لم تعهدها أبدًا ، أما عن

والدة الشهيدة، فقد امتنع والد عصمت عن إخبارها بالخبر، وعندما علمت متأخرة بكتها . . ولكن كلمات الرضا كانت تترقرق من فمها، وأخذنا هذه المعلومات وهى تذكر الله وترضى على عصمت، أما والد الشهيدة والذى استقبل الناس مهنئين لا معزين قائلاً لهم " أنا أستقبل من يأتى للتهنئة فقط، أما من أراد أن يعزى فهذا ليس مكان عزاء، لأن عصمت كانت تتمنى هذه الأمنية وقد نالت ما كانت تتمناه، فهو يوم فرح لا يوم حزن! ".

أما أخوها الصغير وعمره ٦ سنوات فيقول: " عصمت راحت ع الجنة " وهكذا تمضى أختنا فى موكب الشهداء، تلحق بركب خولة وأم عمار مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا. رحمة الله عليك يا عصمت، لقد كنت نبراسًا لكل أخت، لا ترضين إلا بالحق وتكرهين ما يخالف شرع الله. وكنت باذلة كل جهد من أجل إرضاء الله . . فهنيئًا لك الشهادة وقد نلت إن شاء الله مراتب الصالحين والصالحات وعهداً لدماء شهداء الانتفاضة وشهداء هذه الأرض المباركة . . أننا لن نتخلى عن الطريق . . وسنبقى أوفياء لله ولهذا الوطن.



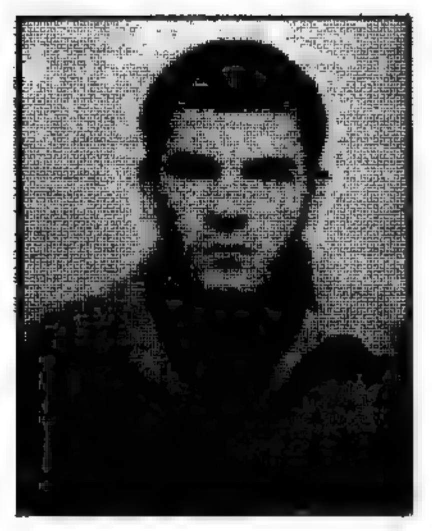
هذه هى حقوق الأطفال فى عرف اليهود

الشهيد /أحمد حسين عبد الله بشارات

١٩٨٨/١١/٧

وعن حياة هذا الشهيد كان لابد من سؤال والده فذهبنا إليه فوجدناه يجلس فى بيت تم بناؤه بدل البيت المتهدم، رجل قد تقرأ على جبينه قول الشاعر :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبًا لك يسأم



ولكن السأم لم يدخل إلى القلب المؤمن، فحديثه حديث شباب وثقته بالله لا يدانيها أدنى شك، وعندما سألناه عن أحمد.. تبسم وقال كلمات بالعامية إلا أنها تعكس الواقع الحقيقى لقلب هذا الرجل «الله يرضى عليه»... عملنا رجل فى الجنة «كناية عن أنه أصبح له مكانٌ فى الجنة بإذن الله طامعًا فى شفاعة الشهيد بأهله»، ويحدثنا وكأنه لم يفقد قبل أيام ابنًا، تدمع العين لفراقه، وحدثنا عن حياته، الفرحة لاستشهاد ابنه لا تظهر على ملامحه فقط بل يصرح بها، وحتى حينما كان يحاول أخوه أن يلمح إلى ما حصل من هدم بيت العائلة كان يحدث زاجراً: هذا أمر الله، وعن حياة أحمد بدأ يهز رأسه... أحمد.. أحمد الله يرضى عليه ما كانت تفوته صلاة فى المسجد وحتى صلاة الضحى وصيام الاثنين والخميس وترتيل القرآن..

كلها جزء من حياته. نشأ الطفل يافعًا وأديبًا وكانت أخلاقه أخلاق رجل فهم القرآن الكريم، لم يكن يمر على القرآن هكذا، وكان بحق- بالنسبة لى ولأمه- خير مسلٍ حيث يرتل القرآن، ويدخل البهجة إلى قلوبنا بمرحه معنا...

درس الابتدائى والإعدادى فى القرية ومن ثم انتقل إلى المدرسة الصناعية فى نابلس إذ أتم التوجيهى وانتقل إلى معهد البوليتكنك للدراسة. ويضيف شقيقه.. كان شابًا كأنه لم يخلق إلا للآخرة.. أول ما التزم الصلاة وبدأ يقرأ... كان يحب أن يفهم المعنى من النص، قرأ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] فأخذ يقرأ عن الشهيد فاستلهمت روحه حب الشهادة وطغت على تفكيره وحياته وكان الشهيد يحمل ثلاثة أحزمة فى الكاراتيه.

حادثة استشهاده:

يقول والد الشهيد الحاج حسين بأنه فى تلك الليلة نوى أحمد الصيام، صلَّى الضحى وقال لى: أريد أن أستشهد، فجاء شقيقه، فقلت له اسمع ماذا يقول أخوك أحمد يريد الشهادة، فقال له شقيقه: «اسمع ، إن تصدق الله يصدقك، وعلى حسب نيتك ربنا يرزقك»، وبعد خمس دقائق سافر بالسيارة إلى «الجفتلك» حيث تعيش هناك شقيقة الشهيد وودعها وَدَعَتْه للإفطار ولكنه كما يبدو أبى إلا أن يفطر فى السماء.

ويقول الحاج حسين بأن أصدقاء أحمد الذين يعملون فى المستوطنة قالوا لنا بأن أحمد وقف أمام الحارس وبدأ يضربه بسكين ويصيح «الله أكبر ولله الحمد لا إله إلا الله» وهنا انتبه مستوطن آخر فأطلق عليه النار فاستشهد، وفى ذلك اليوم (٧/ ١١/ ١٩٨٨) - الحديث لوالد الشهيد-جاء الجيش وفجر البيت المكون من طابقين، حتى هذا الحين لم نكن نعلم بخبر استشهاده، ما قاله لنا الضابط : «أحمد ارتكب جريمة ونريد هدم البيت» وبعد صلاة المغرب أحضروا أحمد من «أبو كبير» ولم يسمحوا إلا لأشخاص معدودين بدفنه، وسألناه هل رأيته يا حاج حسين؟ لم أره. . . والدته رأته والحمد لله لم تقل له سوى: الله يرضى عليك. . سامحناك» ولم تذرف دمعة واحدة !! إلا أن شقيقه يقول بأنه شاهد أحمد وبكلمات عفوية يقول «شفته، كأنه والله حى، يبتسم، وكأنه قد أخذ ما يريد من هذه الدنيا، كنت أريد أن أكلمه ولكنى لا أستطيع أن أقول شيئًا. . . ».

ويقول لنا رجل قام بدفن أحمد: «أنا دفنت كثيراً من الموتى، كنت أشق ملابسهم شقًا، لتصلب أيديهم بعد الموت. . أما أحمد فكانت يداه كَيَدَىْ إنسان حى. . بالرغم من أنه مكث يومين فى «أبو كبير» ويؤكد بأن أحمد كان يضحك!! وسألت الحاج حسين: هل تحدثت مع أحمد عن الزواج. . فيقاطع باستغراب: هذا لا يريد زوجات. . لا يريد دنيا. . لا يتحدث عن مثل هذه الأمور، حتى إننى مرة قلت له نريد أن نبنى لك بيتًا فقال: «أنا بيتى جاهز» يعنى بيت الآخرة !!».

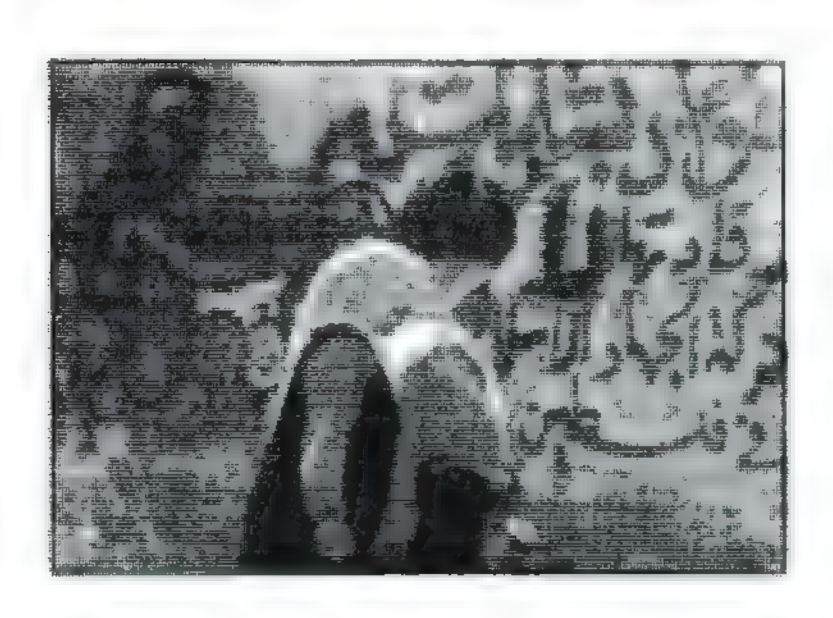
أصدقاء أحمد.. ماذا يقولون ؟!

وتحدثنا إلى بعض أصدقاء أحمد، عن حياته ورفقته لهم، فوصفوه لنا: كان رجلاً لا يحدث إلا عن الآخرة فى كل تصرفاته وحتى أحاسيسه. . كان دائمًا يقول: هل

سنبقى نائمين، إلى متى ؟ وقالوا لنا بأنه كان على وشك أن ينهى دورات الترتيل جميعها، وكان الأول فى الترتيل، وله صوت عذب فى القراءة وحفظ ثمانية أجزاء من القرآن. . وقبل أن نودع والد الشهيد ونواسيه وجدناه يبتسم ويقول: « أحمد طالبنى للجنة». . وبدل أن نعزيه خرجنا ونحن نهنئه على درجة الشهادة التى نالها!

تركة الشهيد:

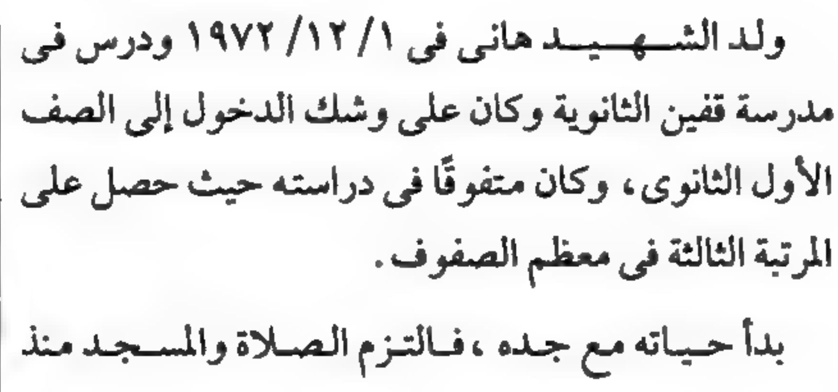
شهيدنا لم يترك كنوزاً ولا مالاً، ما كان ليأخذ من تفكيره شيئًا، ولم يترك لأهله سيارة ولا مصنعًا. . كل ما تركه حقيبة صغيرة فتحناها بأيدينا ولأول مرة بعد استشهاده. . لم نجد إلا المأثورات ومواعظ منذ دراسته فى البولتكنيك، واستحوذ على انتباهنا ورقة مكتوب فيها « من أنت أيها الشاب المسلم »؟ أتدرى حقًا من أنت أيها الشاب الحبيب ؟ لو علمت من أنت حقًا وصدقًا لطاولت السماء والأرض عزاً وشرفًا، أنت نفخة الروح الربانية حياة وإيجاداً. . فأين منك الدنيا بأسرها؟ أنت المكلف وحدك فى هذا الوجود فكيف قيامك بهذا التكليف؟ أنت الذى حملت الأمانة وحدك دون السموات والأرض والجبال، فما مدى وفائك لهذه الأمانة؟ أنت المرَغَّبُ بالجنة المُهدَّدُ بالنار، فأى المنزلين تريد لنفسك؟ اليد العليا صنعتك، فكن عالى الهمة، ثابت العزيمة، قوى الإرادة، جرىء القلب، مقدام الفؤاد، صادق القول، سامى الأخلاق». وهكذا كان شهيدنا.



الشهيد /هانى سامى خليل

١٩٨٨/١٢/١





ولد الشهيد هانى فى ١/ ١٢/ ١٩٧٢ ودرس فى مدرسة قفين الثانوية وكان على وشك الدخول إلى الصف الأول الثانوى، وكان متفوقًا فى دراسته حيث حصل على المرتبة الثالثة فى معظم الصفوف.

بدأ حياته مع جده ،فالتزم الصلاة والمسجد منذ صغره، وكان يقوم مع جده إلى صلاة الفجر فى المسجد، وكان فى كثير من وقته يقوم الليل أو يذهب للاعتكاف فى المسجد مع إخوانه من أشبال المسجد، وكان لا يفوته درس من دروس المسجد حيث كان يعود من المسجد ويقول لى: أتمنى أن أصبح مثل الشيخ . . ألقى على الناس الموعظة . . وفى سنة الانتفاضة ازداد تدينه بشكل كبير جداً . . وبدأ الوالد يقارن نفسه مع ابنه، الوالد يتثاقل عن أداء الصلوات جماعة وعن قيام الليل والابن يزداد عزيمة وإقبالاً على صلوات الجماعة وقيام الليل وأخذ يحفظ سوراً من القرآن.

وعن حادثة استشهاده يقول والد الشهيد: استشهد هانى فى ذكرى ميلاده ١/ ١٢ الساعة السادسة مساءً، فقد رجع من العمل فى أرضنا، وطلب من والدته أن تضع له ماءً على النار لكى يغتسل، وخرج لصلاة المغرب وقال لوالدته بأنه سيعود بعد الصلاة، وليلتها كان هناك موعد لقيام الليل فى المسجد، أثناء وجوده فى المسجد سمع بأن الجيش الصهيونى قام باقتحام البلدة فهب مع الشباب . . أصيب برصاصة فى رقبته وسقط على الأرض قام الشباب بحمله، إلا أنه وبسبب كثافة الرصاص وضعه الشباب على الأرض ،ووقف الجيش فوق رأسه، وعلمت بأن هانى أصيب فذهبت إلى المكان ووجدته ملقى على الأرض والدم ينزف منه . . وقام الجيش بعرقلة تقديم المساعدة له . . وأخذ يتباطأ عن طريق التدقيق فى الهويات . . وأخيراً سمحوا لنا بنقله حيث نقلناه إلى عيادة طبيب، وخرج الطبيب بعد أن فحص جثته فعرفت أنه استشهد، حاول

الطبيب أن يخفف عن المصاب ففوجئ تمامًا عندما قلت له: الحمد لله الذى أنال هانى الشهادة.. هذه أمنيته.

وقال أحد المعزين لوالده: أريد أن أسألك سؤالاً: لماذا تقومون بتوزيع الحلوى؟ لم أر فى حياتى مثل هذا المشهد!! وتعلو وجه الأستاذ سامى والد الشهيد ابتسامة ويقول: الشهادة أمر ربانى، يقرره الله سبحانه وتعالى «وليتخذ منكم شهداء» والله سبحانه إذا أراد أن يختار العبد الصالح، فيختاره فى وقت يكون فيه على صلاح.. والله اختار هانى وهو فى حالة الطاعة والعبادة والتقوى، وطالما أن هذه أمنيته فهى إذن مناسبة فرح وليست مناسبة حزن. ويؤكد هذا القول شاب كان يجلس بجانبنا حيث يقول: لم تشهد البلدة فى تاريخها عرسًا مثل هذا العرس. وبدأ بوصف الشهيد:

كانت البلدة تنتظر وصول الشهيد بل العريس، ولم يحضر الجيش ـ الذى أخذ جثة الشهيد ـ إلا بعد أذان العشاء، خرجت البلدة كلها صغيرها وكبيرها رجالها ونساؤها وبرغم خطر اقتحام الجيش لهذه التجمعات إلا أن أحدًا لم يتخلف من سكان القرية، أكثر من خمسة آلاف ساروا فى شوارع البلدة ولم يتمالك الناس أنفسهم حين وقف والد الشهيد قائلاً: ندائى إلى كل نساء البلدة أن تزغرد، فهذه المناسبة مناسبة فرح عندى، إنه عرس ولدى هانى.. وبدأت النساء بالزغاريد وأصوات الرجال تنادى بالتكبير.. وسط الهتافات الإسلامية والتنديد بقتلة هانى.. حتى إن والد الشهيد أقنع والدة الشهيد وقريباته اللواتى تأثرن بحكم فطرة المرأة لاستشهاد هانى، أن يزغردن، ومع هذا الصوت الهادر فى وداع هانى.. كانت الحلوى تلقى على الناس وعلى نعش الشهيد.. إنه عرس يزف فيه بطل بذل روحه لهذا الوطن، وبدا وكأنهم يعيشون فى أجمل عرس.. ولكن بدل أن يقولوا: روحت يا عريس على دار السلام.. كانوا يقولون: روحت يا شهيد على جنات الخلود، وحمل الشباب لافتات فيها صور الشهيد ملفوفة بعلم كتب عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله وازدانت بالورد وشعارات الله أكبر ولله الحمد. وعن انطباعات من شاهد جثة هانى، يقولون بأن الكل استغرب، فجسد الشهيد كان كأنه ريحانة، بالرغم من مكوثه ثلاثة أيام فى ثلاجة المستشفى.

وسألت والد الشهيد عن حقيقة ما أذاعه راديو إسرائيل من أنه قام بإلقاء زجاجة حارقة.. فرد قائلاً وباستهزاء: أصبحنا ومن خلال طريقة إذاعة الخبر نعرف بأن هناك

حادث قتل.. تفتيش.. واقتحام للبلد.. فجاوبه بمقاومة شديدة.. فتعرضت حياة الجيش للخطر فقام بإطلاق النار فأدى إلى مقتل شاب!

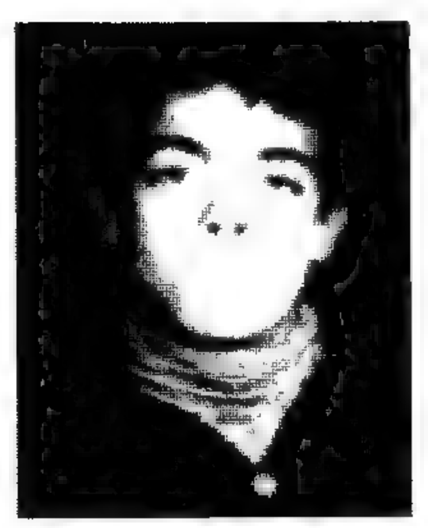
وأساتذة هانى يقولون عنه: كان هادئًا.. خجولاً.. وعلى ملامحه حياء المؤمن.. إنه من جنود هذه الدعوة الذين يرددون دائمًا:

كـتـبنا النصر من دمنا	على أشـلاء مـوتانا
جـعلنا من جـماجـمنا	لشـرع الله بنيـانا
عـراة من مـلابسنا	ونار الحـقـد تغـشانا
سـبـاع الطيـر ترقـبنا	لتنهش لحم مـوتانا



الشهيد /حسنى على أبو سيدو

١٩٨٨/١٢/١٠



لقد حاول الاحتلال اليهودى أن يحطم هذا الجيل تحطيمًا أخلاقيًا ونفسيًا بحيث لا يقوى على المقاومة أول ما يفكر فى ذلك أصلاً. ولكن بعد عشرين عامًا من الاحتلال يفاجأ هذا العدو بأن هذا الجيل الذى سهر على إخضاعه وتدجينه قد شب عن الطوق وثار ثورته العارمة. وكان وقود هذه الثورة ذلك الجيل الذى عاش وتربى فى أحضان الاحتلال.

فكان منه الشهيد، والطريد، والأسير ومع ذلك فهو ما زال يحمل أمل أمته وجراحاتها، ترقبه الأمة بزهو وافتخار، منه الشهداء الأبرار، والمعتقلون الأحرار، والشهيد حسنى أبو سيدو، طالب صغير السن يدرس فى الصف الثالث الإعدادى(ب) فى مدرسة اليرموك الإعدادية فى غزة، عاش مع هؤلاء الفتيان الذين يحملون فى صدورهم قلوب الرجال، وأحلام العقلاء لأنه كتب عليهم أن يقاوموا أخس خلق الله وأجبنهم، وأكثر البشر مكرًا وأشدهم لؤمًا، لذلك تفجرت رجولتهم وما زالوا أطفالاً.

كان هذا البرعم من براعم الإسلام الغضة قد نما وترعرع فى مسجد الكتيبة، مصليًا خاشعًا، شهمًا رجلاً، كان محافظًا على الصلاة فى وقتها، يحمل فى يديه مصحفًا يقرأ فيه آيات رب العزة، إنه مثال للشاب المؤمن المتخلق بأخلاق الإسلام ورسول الإسلام، وللقرآن فى نفسه مكانة عظيمة، فقد سمع حديث رسول الله ﷺ. **«إن الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»** فحفظ جزء عمّ وبعض السور الأخرى حتى لا يكون جوفه خربًا فارغًا، كان -رحمه الله- شديد الكره لأعداء الله -يهود- فلسان حاله يقول:

إذا نسيتم أذى العدو هلكتم	فتواصوا بالحق جيلاً فجيلا
وازرعوا الحقد فى الجوارح حتى	يجد الحقد للسيوف سبيلا

يقول: هم سلبوا أرضى، وامتهنوا عزتى وكرامتى، وداسوا مقدساتى، ألم تسمع بصرخات الأمهات الصابرات ؟ ألم تسمع بآهات الجرحى وأنات الأسرى والدمعات الدافئات على وجنات الأمهات والزوجات والأخوات؟ وكيف لا ينغرس هذا الكره فى عقولنا، وقلوبنا، ووجداننا؟

لقد كان لحسنى أبو سيدو دور بارز فى مقاومة العدو ومقارعة المحتلين ، فحجارة غزة وزجاجاتها الفارغة تشهد للبطل الهمام، والفارس الشهم، فقد أمطر العدو بوابل من حجارته وفى إحدى المرات قبض عليه والحجارة فى يديه، وأخذ إلى (السرايا)، وهناك أحاطت الكلاب المتوحشة بذلك الطفل الصغير، وضربوه ضربًا مبرحًا، وبعد فترة أطلق سراحه لصغر سنه، وعاد ليأخذ مكانه فى مقارعة المحتلين.

يحدثنا إخوان الشهيد أنه كان شديد الحب للإسلام والمسلمين، كل أمنيته أن يموت على رُبى فلسطين شهيداً، حتى إنه لما كان يسمع باستشهاد أخ له فى الله كان يضمر فى نفسه أن يكون الرقم التالى فى قائمة الشهداء، وفى أحد الأيام سمع باستشهاد أحد الشباب فوقف فى مسجد الكتيبة وطلب من الأشبال أن يصلوا صلاة الغائب، فصلوا عليه وعلى رأسهم حسنى. . ودعا فى صلاته أن يلحقه الله به صالحًا شهيداً مؤمنًا. . وقد كان.

حادثة استشهاده:

فى الذكرى الأولى للانتفاضة فى ١٠/ ١٢/ ١٩٨٨م كانت غزة والضفة بمدنهما وقراهما ومخيماتهما تلتهب ناراً على المحتل، شارك فى المقاومة الأشبال والأطفال، النساء والرجال، الفتيان والفتيات، حتى يخيل إليك أن الجبال والأودية والأشجار تصب لعناتها على المحتلين وتمطرهم بوابل حجارتها، وفى مدرسة (اليرموك) كان شهيدنا على رأس ثلة من إخوانه يرجمون قوات العدو بالحجارة، فاقتحمت هذه القوات المدرسة، وبدأت تطلق النار على التلاميذ، فكان أن أصابت رصاصة غادرة الشهيد البطل (حسنى) فى الرأس، وأخرى فى الصدر ليرتفع شهيدنا فى سماء فلسطين، ولتكون دماؤه الطهور لعنة على القتلة المجرمين.

لقد ادعى الناطق العسكرى اليهودى ـ كعادته ـ أن زجاجة حارقة ألقيت على قوات الاحتلال قرب المدرسة، مما أدى إلى إطلاق النار واستشهاد الفتى حسنى على أبو سيدو.

رحمك الله أيها الفتى الشهيد، وأسكنك مع من سبقوك من إخوانك شهداء الإسلام فى فلسطين فسيح جناته، إنه نعم المولى ونعم النصير.



نساء فلسطين يشاركن فى الانتفاضة

***

الشهيد / حمدان حسين النجار

١٩٨٨/١٢/١٢



بالقرب من نابلس تعيش القرية الوادعة بورين التى فجر سكونها خبر مهاجمة أحد الرعاة لمستوطن ودورية . . وبورين محاطة بالمستوطنات إحاطة السوار بالمعصم! فى صباح كل يوم كان حمدان يوقظ القرية على صوته وهو يؤذن داعيًا أهل بلدته إلى الفلاح ولم يكن شأنه شأن الرعاة الآخرين فقد هجر المزمار وحمل فى قلبه هموم شعبه.

وصلنا إلى بورين وتوجهنا بمرافقة أحد الشبان إلى البيت المهدوم، بيت فجرته الأحقاد فلم يبق فيه ركنًا واقفًا ولكنْ بقى أهله صامدين، حتى البيوت المجاورة تأثرت من شدة الانفجار . . وكأنها دلالة من المحتل على درجة الغيظ والحقد الدفين فى قلبه، وبالقرب من البيت كان يقف والد الشهيد ووالدته وإخوانه :

مع والد الشهيد كان الحوار التالى:

لماذا قاموا بهدم البيت؟

لا علم لى بالحادث فأنا مثلهم لم أعلم به، فكيف يقومون بتدمير البيت المكون من تسع غرف وبركسات أغنام ومخازن علف ؟!

كيف قاموا بتدمير البيت؟

لم أكن فى البيت، جاءوا وطلبوا من زوجتى إخراج الأثاث - أمهلوها نصف ساعة ومنعوا الجيران من مساعدتها فى نقل الأثاث، ولم تستطع إخراج شىء حتى إنها نسيت إخراج مجوهرات زوجة ابنى، وسرقوا منا هذه المجوهرات حيث وجدنا علبة المجوهرات بجانب البيت المتهدم. وبعد ذلك أخذ يشير إلى العلف والأثاث تحت الأنقاض، وبعد أن أنهى الطاقم التليفزيونى الحديث وقفنا مع شقيق الشهيد الذى بادرناه بالأسئلة :

هل لك أن تعطينا نبذة عن حياة الشهيد؟

ولد حمدان فى عام ١٩٦٢ فى قرية بورين، ودرس فى مدرستها الثانوية. وفى عام ١٩٨٠ حصل على شهادة الثانوية العامة الفرع الأدبى، ودرس فى معهد فى نابلس للمساحة لمدة عام، وبعد تخرجه لم يجد عملاً فى تخصصه.. فأخذ يرعى الغنم ويفلح الأرض.

كيف كان سلوكه العام؟

كان يلتزم بصلوات الجماعة وخاصة العشاء فى المسجد باستمرار، وكان يعامل الناس معاملة لا مثيل لها، فحاز على ثقة الناس وأصبح أمين صندوق المسجد، وكان أهل البلدة يرغبون أن يكون إمامًا للمسجد وتقدم بطلب للأوقاف للعمل مؤذنًا لمسجد بورين وتقدم للامتحان ونجح فيه.. إلا أنه لم يأت قرار بتوظيفه.

وكيف كانت علاقتك به؟

بالرغم من أننى أكبره سنًا إلا أننى أنظر إليه باحترام شديد، العبء الذى كان يتحمله من أجل العائلة كان بالنسبة لى المثل الذى أنظر إليه، تصور كان «يسرح» مع الغنم فى رمضان لمدة ١٤ ساعة وكان يلتزم بالصيام ولا يفطر، حتى فى الحر الشديد كانت معنوياته عالية جداً.

هل كان يتحدث عن الشهادة أو يتوقعها؟

بالنسبة لى لا أدرى على وجه التحديد، ولكنه كان يتمنى الشهادة شأنه شأن كل مسلم، وهنا تدخل أحد الشباب وقال: سألناه مرة ما هى أمنيتك؟ فقال أن أؤدى الحج وأن أنال الشهادة فى سبيل الله.

هل كان متميزاً فى حياته قبل الشهادة؟

فأجاب أحد الشبان بسرعة فقال: أراح البلد من شر المستوطن الذى كان يؤذى أهالى البلدة «ما حدا سلم من شره" ولم يبق إلا أن يطردنا من بيوتنا.. كان يستفز الناس.

كيف علمت بنبأ استشهاد شقيقك؟

بعد أن عادت الغنم التى كان يرعاها ولم يأت حمدان وسمعنا صوت رصاص، ركبت سيارة وتوجهت إلى مستوطنة براخا، ووجدنا قوات من الجيش وطُلب منا

التوقف وإخفاض الرأس وبعد لحظة قدمت شقيقاتى، وعندما شاهدن جسد الشهيد أخذن يصرخن: أخوى أخوى. . مستشهد. قمت مع الشبان الذين يركبون معى وحملناه ووضعناه فى السيارة وهنا هجم الجيش الصهيونى وأخذ يضربنا ويضرب شقيقاتى وطلب من البنات أن يبكين فرفضن ذلك وقلن له: أخى شهيد مش جبان وهذا أغاظ الجيش كثيراً. . يريدون من الناس أن تبكى لكى يتسلوا بمناظر الحزن والفجيعة!

هل شاهدت الشهيد؟

نعم كان بجانب كومة من الحجارة ومصابًا برصاص فى بطنه.

هل علمت كيف وقع الحادث؟

كما علمنا فيما بعد وكما أذاعت السلطات، فقد جاء المستوطن الصهيونى الذى كان يؤذى أهل البلدة جميعًا إلى شقيقى وطلب منه عدم استعمال تلك المنطقة مرعىً للأغنام وكان هذا المستوطن كثير المضايقة لأخى ولأهل البلدة، فقام أخى بضربه بعصاة على رأسه فسقط على الأرض فضربه بحجر على رأسه وأخذ سلاحه ولم يكن له تجربة فى حياته فى حمل السلاح وربض بالقرب من سلسلة حجارة وبعد أن قدمت دورية عسكرية أطلق النار باتجاه الدورية فقتل أحد الجنود وجرح آخرين وبعدها استشهد.

وبعد هذا الحديث تحدثنا مع والدة الشهيد التى تحدثت عن كيفية قدوم الجيش وطلبهم منها إخلاء البيت لهدمه وأعطوها نصف ساعة لهذه المهمة. وعن الحالة التى يعيشونها تقول والدة الشهيد: الآن أصبحنا مشردين، الأصدقاء احتضنونا لكن لا شىء مثل أن يكون الإنسان فى بيته. وعندما سألتها عن الشهيد وعلاقته بها لم تتمالك نفسها وأخذت تبكى ولكن ليس ككل بكاء، بكاء نابع من القلب، دموع من دماء.

أما عن دفن حمدان فقد تم فى الليل حسب طقوس الاحتلال العسكرية ومنعوا والدته من مشاهدته، وأثناء الحديث مررنا بسيارة حمدان التى كان يركبها ولكنها كالفرس التى فقدت الخَيَّال. ركبنا السيارة وكان صوت الله أكبر يتردد من فوق مآذن المسجد الذى افتقد حمدان وصوته فى نداء الأذان.

الشهيد/ ياسين عادل الشخشير

١٩٨٨/١٢/١٦



نسبه الطاهر من بيت التقوى والهدى والورع والدعوة، فمن لا يعرف والده الشيخ عادل الشخشير رحمة الله عليه؟ ومن منا لم يشم الروائح الزكية تنبعث من بين أنامله؟ من منا لا يعرف الشيخ الداعية الذى وقف فى الشوارع والأزقة يدعو للاحتشام، يدعو للإسلام والتزام شرائعه! من الذى حارب المنكر والفساد؟ . . إنه الشيخ عادل والد الشهيد رحمهما الله تعالى.

وتأتى الانتفاضة وكان ياسين قبلها يؤمن بضرورة العمل ضد الاحتلال وقلما كانت هناك مواجهة ولم يشارك بها أو يكون أسدها الأول، وبعد بدء الانتفاضة وبزوغ فجر حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بدأ ياسين يحاول الاقتراب منها سواء بالسؤال عنها أو بالمحافظة على الصلاة فى المسجد ليتقرب من شباب المقاومة، وشاءت إرادة الله تعالى أن يعتقل ياسين بتاريخ ٢٠/ ٣/ ٨٨ ليتنقل ما بين سجن عتليت وسجن النقب وهناك يرى الحقيقة بأم عينيه ويحدث نفسه ليلاً ثم يحدث إخوته فى سجن أنصار/ ٣ : من أفضل؟ الإسلام؟ أم العلمانية؟ أم الماركسية؟ من أفضل؟ هؤلاء الشباب المسلم. . . يقرأون القرآن ويصلون الفجر، ويقومون الليل ويصومون النهار، معاملتهم رقيقة، أياديهم متوضئة طاهرة عفيفة، أم هذا الذى ينام ملء جفنيه ويأكل ملء مضغيه، ويضحك ملء شدقيه، ويقضى نهاره فى اللعب واللهو والكسل؟! أم هذا الذى لأتفه الأسباب يسب الرب والدين. . من الأفضل؟؟ ويحدد هو الجواب فقد كان قادراً على التحديد والتزم مع إخوته المؤمنين داخل السجن وليخرج بعد أشهر قليلة من خيرة شباب الحركة الإسلامية ومن أجرأ أبطال حماس فى منطقة رأس العين.

أما عن شجاعته فحدث ولا حرج، يقول أخ كان يشاركه فى الكمائن فى منطقة قلعة المرابطين ومسجد صلاح الدين: إن الشهيد ياسين كان يختار أفضل المواقع وأقربها إلى

دوريات الجيش وكان يسدد ضرباته بقوة الله أكبر، ويروى إخوة ياسين فى مسجد صلاح الدين قصصًا بطولية عظيمة . . جرأة لا مثيل لها . ففى ليلة الاعتداء على مسجد صلاح الدين ومحاولة اقتحامه من قبل الجيش الصهيونى - وكان الشباب داخله والجيش يطلق النار بكثافة على باب المسجد محاولاً الدخول، فما كان من ياسين إلا أن أسرع إلى نزع دفة شباك حديدية وصعد إلى سطح المسجد وألقاها على الجنود الذين دب الرعب فى قلوبهم وفروا جزعين ليحتموا من هذا الأسد الذى فوقهم ولا يبالى بالرصاص.

أما عن عبادته:

فهذه صلاة الفجر قد افتقدته، وهؤلاء إخوانه . . من سيوقظهم لصلاة الفجر يا ياسين؟! ويروى إخوانه أنه منذ خروجه من السجن غاب مرة واحدة فقط عن صلاة الفجر جماعة فى المسجد حتى يوم استشهاده، أما والدة ياسين الصابرة فتذكر أنه لم يكن ينام قبل أن يقرأ القرآن ويسجله على شريط، ثم يعيد سماعه مرة أخرى، ثم يعاود تسجيل موعظة قصيرة على شريط آخر ويجرب سماعها، وكأنه يعد نفسه ليكون وريث العالم الجليل الشيخ عادل والده عليهما رحمة الله، فهذه صلاة الفجر قد افتقدته وهذا بيت الله قد افتقده وهؤلاء إخوانه المؤمنون الدعاة قد افتقدوه . . لكن إلى أين؟ إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

يوم استشهاده:

أما عن يوم استشهاده فذلك أمر آخر عجيب، يعجب له من يعرف ياسين ومن لا يعرفه فقد علم شباب حماس فجر الجمعة ١٦/ ١٢/ ٨٨ بخبر استشهاد أحد شباب المنطقة ليلاً متأثرًا بجراحه التى أصيب بها قبل ذلك بأيام، وقام الإخوة بعد صلاة الفجر بالإعداد لموكب جنازة الشهيد بعد أن كتبوا اسم الشارع القريب من بيته باسمه ـ شارع الشهيد أشرف الحاج داود ـ تقول والدة الشهيد إنه كان يغتسل بعد الرجوع من لعب الرياضة مع شباب المسجد فقد كان متمثلاً بقول الرسول ﷺ: **«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله عز وجل من المؤمن الضعيف وفى كلٍ خير»**(١) إلا أنه فى ذلك اليوم اغتسل قبل صلاة الفجر ثم لبس بدلته الرياضية الجديدة ووقف أمام المرآة وتنظر إليه

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم.

والدته وهو يمشط شعره فيقول لها: انظرى يا أماه هل أنا جميل يا أماه؟ وتغرق عيناها بالدموع الغزيرة، ومن أجمل من ياسين؟ وكأنما يهيئ نفسه للحور العين فى جنان الله تعالى. . لك الله يا ياسين لقد فزت بها وسبقتنا.

ينزل مبكراً من البيت ليعلق راية خضراء مكتوب عليها «لا إله إلا الله محمد رسول الله» تلك الراية التى أحبها ياسين كثيراً، ووجدنا فى منزله راية خضراء كبيرة مكتوبًا عليها بخط يده: لا إله إلا الله محمد رسول الله، علقت على باب بيته يوم استشهاده سبقه القدر فقد كان يريد رفعها عالية خفاقة فوق قمم أعلى الأشجار فى المنطقة، وكما يقول إخوانه لقد كان يحب الراية الخضراء فسموه «شهيد الراية الخضراء». ووصل المسجد فصلى الفجر جماعة مع إخوانه ثم يأتى أحد الإخوة ليخبره أن هناك شهيدًا سنشيعه صباحًا وهنا يرد: وهل تصح الشهادة لكل الناس؟ وهل يستحقها أى إنسان؟ اللهم إنك أعلم بالنوايا وكأنما لا يريد أن يسمع أخوه دعاءه، ثم يذهب إلى البيت ليحضر قناعًا ويسير مع الموكب وسط التكبير والهتافات الإسلامية والوطنية وقبل الوصول إلى المقبرة، يعترض الجيش الصهيونى الموكب ويطلق النار بغزارة، ومن يقف فى وجههم أفضل من ياسين؟ يقف بإيمانه وحجارته، ليحمى إخوانه، ويحمى جثة الشهيد، ها هو ياسين أول شهداء المجزرة البشعة، فقد أصابته رصاصة فى صدره ولكنه يعود ليقاوم مقبلاً على الشهادة، فتصيبه رصاصتان غادرتان فى عنقه الكريم ليسقط على ثرى الوطن الطاهر وليسطر بدمه «لا تصافحوا قتلتى»!! ويحمله أحد شباب حماس ليفر بالجثة - رغم الرصاص الغادر - إلى البلدة القديمة حيث لا يشيعه أحد إلا قلة من النسوة وبعض الشباب الذين لا يهابون الرصاص الذى ينبعث فى كل اتجاه، ويغادر ياسين إلى ربه دون أن يودعه أحد فلا أم ولا أخت ولا أخ، لك الله يا ياسين فقد أخلصت النية، فتقبلك الله واختارك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، أما إخوانك فكلهم اليوم ياسين وكلهم سيكتبون على الجدران كما كنت تكتب بيدك. لقد دخلنا بيت الشهيد فوجدنا داخله صورة محاطة بعلمين كتب على أحدهما «لا إله إلا الله» وعلى الآخر «محمد رسول الله»، وذيلت بتوقيع حركة المقاومة الإسلامية «حماس» وتحت الصورة كتب:

قد قالها قبلى الشهيد بغزة   بلدى العروس ومهرها استشهادى

الشهيد /إبراهيم محمد المباشر

١٩٨٨/١٢/١٨



فوق ثرى فلسطين الطهور ولد شهيدنا البطل، وبين سهولها وجبالها ووهادها كبر وترعرع، وفى أرض الإسراء المباركة رابط إبراهيم منغرسًا كأشجار الزيتون مرويًا بنجيعه الطهور ثرى الإسلام وأرض الرباط، وفى سماء الوطن الأشم تحلق روح من أرواح شهداء الفتح وأرواح الشهداء من جيش المظفر صلاح الدين.

عاش شهيدنا بين إخوانه، فكانت حياته بين المسجد والبيت، والمسجد الذى أحبه شهيدنا كان قرة عينه إذا خرج منه فما يلبث أن يعود إليه، منه استمد رجولته، وفى محضنه رُبى على العزة والكرامة لا يطأطئ الرأس ولا يعرف الخوف أو الخور. إبراهيم تعرفه بلدته دير الغصون بحبه لهذا الدين، فكنت تراه جنديًا مخلصًا من جنود دعوة الإسلام المباركة، يدافع عن الإسلام والمسلمين، كان إبراهيم شابًا مثقفًا يهتم بتنمية ثقافته فاهتم بالكتب الإسلامية واقتنى فى بيته مكتبة حفظ فيها - بالإضافة إلى الكتب المتنوعة- أشرطة تسجيل للأناشيد الإسلامية، والمحاضرات العلمية لكثير من العلماء المشهورين، ولم يكن إبراهيم يكتفى بأن يسمعها بل كان يحب لإخوانه ما يحب لنفسه فيعطيها لإخوانه ليعم الخير على الجميع. أما دراسته فقد كان رحمه الله يحمل شهادة الهندسة الكهربائية من الكلية العربية فى عمان.

التحق إبراهيم بركب الدعوة الإسلامية «الإخوان المسلمين» منذ سبع سنين، وعندما أنشأت حركة المقاومة الاسلامية «حماس» ذراعًا ضاريًا للحركة الإسلامية كان شهيدنا أحد فرسانها لا يمل ولا يكل معاهدًا رب العالمين على نصرة الإسلام ومقاومة المحتل جهادًا فى سبيل الله لدحر المحتل، ورفع راية الإسلام فوق أرض فلسطين من البحر إلى النهر.

لقد كان -رحمه الله- محافظًا على السنة المطهرة، لهذا كان ملتحيًا مواظبًا على قراءة المأثورات، وصلاة الضحى، وتلاوته للقرآن تشهد له، وفوق ذلك كله كان

يتمزق ألمًا وحزنًا على حال الأمة التى وصلت إلى الحضيض بسبب بعدها عن الإسلام، كما كان إبراهيم يستهجن ويستغرب أوضاع المسلمين وبعدهم عن الله، فيصرخ من شدة الألم، فالحزن يعتصر قلبه، والأسى يسيطر على كيانه ثم يتساءل كيف يطيق هؤلاء عذاب الله يوم القيامة؟! كيف يقدمون على معصية الله؟!

كان حبه للرسول ﷺ عظيمًا، فتراه مواظبًا على حفظ أحاديثه والاقتداء بسنته، والعيش فى ظلال سيرته المطهرة، فها هو يسير فى ركب طلاب العلم «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» فيلتحق بدار الحديث الشريف فى طولكرم. لم يصادف مجلس علم أو ذكر و مجلسًا تتلى فيه آيات القرآن إلا وجدته سباقًا إليه مشتاقًا إلى التزود من هذا المعين الذى لا ينضب.

لقد حدث إخوانه عن رؤيا رآها قبل ليلة استشهاده حيث قال: لقد وجدتنى وأنا آكل طعامًا مع شخص آخر، لا أعرف هذا الطعام ولا أعرف من أين هو فسألت ذلك الشخص من أين هذا الأكل فقال: إنه طعام الشهداء! وبعد استكمال حديثه يسأل الله عز وجل أن يهبه الشهادة وأن يأكل مثل هذا الطعام الذى لم يذقه من قبل، ولم يذق ألذ منه طيلة حياته.

حادثة استشهاده:

فى يوم الأحد ١٨/ ١٢/ ١٩٨٨، قام شهيدنا وتوضأ وصلى الفجر، وعندما سألته والدته هل فاتتك صلاة الفجر يا إبراهيم؟! قال لها: لا يا أمى إنى صليت الفجر والآن أصلى صلاة الضحى، وبعد الصلاة بدأ إبراهيم يرتل الآيات على مسمع والدته طالبًا منها أن تردد خلفه آيات رب العزة، وكأنه أحس بقرب أجله فقال لأمه وقد اغرورقت عيناه بدموع الوداع: أماه لا تبكى ولا تحزنى إذا ما استشهدت، مرددًا فى أعماقه قول شاعرنا:

أماه قد أزف الرحيل فهيئى كفن الردى   فالموت ليس يخيفنى ومناى أن أستشهدا

خرج إبراهيم بعد ذلك إلى ساح الوغى مستعدًا لمقابلة ملائك الرحمن التى تصطف انتظارًا للاحتفال بالحدث العظيم، لقد كان رصاص القتلة من أبناء الأفاعى والقرود يدوى فى أرجاء البلدة، ومن بين الرصاص المنهمر، وصيحات الله أكبر التى كانت تجلجل فى الميدان ترددها حناجر جند الله كان لسان الشهيد يردد:

ولست أبالى حين أقتل مسلمًا　　على أى جنب كان فى الله مصرعى

وها هو إبراهيم يشارك إخوانه رجم الجنود بالحجارة، ومع كل ضربة حجر تنطلق من يده كان يزأر كالأسد مردداً «الله أكبر»، وتشاهده بعض النسوة، ويرين الخطر يقترب منه فتطلبن منه أن يختبئ هو وأحد إخوانه بعد أن اقترب منهم الجنود، ولكن إبراهيم يستمر فى قذف الحجارة اللاهبة على الأصنام الشيطانية من جنود الاحتلال ويأبى جبن اليهود - وهذا ديدنهم - أن يواجهوا جند الله وهم مدججون بالأسلحة القتالية فيختبئون خلف الجدران وفى الأزقة، وخلف الحجارة الكبيرة، وفاجأوه برصاصة أصابته فى ركبته فصرخ «الله أكبر الله أكبر» ويواصل الجبناء هجمتهم فأطلقوا عليه رصاصتين واحدة أصابته فى الكبد وأخرى فى القلب، وما هى إلا لحظات حتى صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها شاكية إلى الله ظلم الظالمين. لم يكتف الظالمون بذلك وقد ترجل الفارس عن فرسه، وكانوا قبل قليل يختبئون من حجارته المقدسة خلف أكوام الحجارة، وفى الأزقة. أما الأن فقد خرجت روحه الطاهرة، ولم يبق إلا هذا الجسد الفانى مسجى أمامهم، فيصبون جام غضبهم على الجسد بعد أن عجزوا عن الروح، فضربوه بمقدمة البندقية مما أدى إلى حفر ثقب فى رأسه وهذا ما أثبته التقرير الطبى فى مستشفى طولكرم، وأضاف شاهد عيان أن أحد الجنود وقف بجانب الشهيد وأخذ يضربه فى بطنه وقد فاضت روحه إلى بارئها.

كرامة الشهيد:

لقد أكرم الله شهيدنا بالشهادة أولاً، ثم أكرمه بكرامة أخرى واضحة بينة، فقد روى أشخاص ثقاة من شباب مسجد دير الغصون أنهم رأوا أصبع السبابة للشهيد مرفوعًا، ويده مضمومة وكأنه يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ويروى شهود عدول أنه وبعد أن تم نقل جثمان الشهيد إلى مستشفى طولكرم ضحك الشهيد ضحكة سمعها ولاحظها الأطباء والممرضون حتى ظنوا أنه حى فسارعوا لإسعافه محاولين إنقاذ حياته.

مسيرة الشهيد:

بعد وصول جثمان الشهيد من المستشفى كانت جموع الشباب المؤمن تعد له موكبًا يليق بمكانته، فخرجت الجموع من أبناء قريته والقرى المجاورة، خرجوا حتى ملؤوا

الطرق والأزقة، فكان فى وداعه ما يربو على سبعة آلاف شخص خرجوا جميعًا يهتفون « بالروح بالدم نفديك يا إبراهيم» لقد حملوا الشهيد على الأعناق فيما تعالت هتافات التكبير وترددت فى سماء الوطن زغاريد النصر والكرامة، وشقت الهتافات للإسلام العظيم أجواز الفضاء وترددت هتافات «خيبر خيبر يا يهود جند محمد سوف يعود» لتعانق عنان السماء.

قبل استشهاده بليلتين قام إبراهيم بشراء الحلوى وأطعم إخوانه فكأنه يوزع الحلوى استبشاراً بفوزه.

قالت والدة الشهيد بعد أن حاول الشباب طمأنتها وإخبارها أنه جرح: يا ليته استشهد من أن يقع فى قبضة المحتلين.

يقول شقيق الشهيد: فى ليلة استشهاده كان يتحدث مع أخيه عن قيمة عمر الإنسان فى ميزان الله مستشهداً بقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فخلصوا إلى أن عمر الإنسان دقيقة وإحدى عشرة ثانية.. بالنسبة لليوم فى مقدار الله فقال الشهيد: إننى لا أريد هذه الدقيقة والإحدى عشرة ثانية.. بل أريد الحياة الخالدة الأبدية.

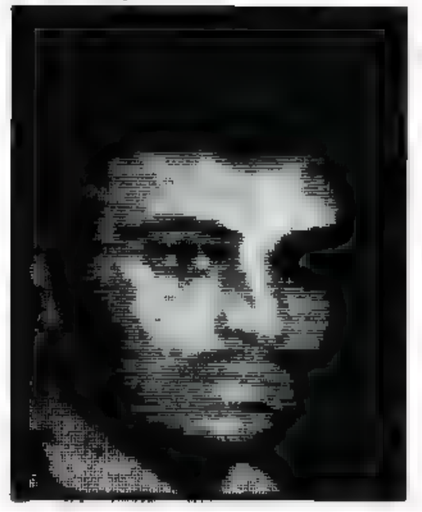
رحمك الله يا ـ أخانا ـ يا إبراهيم وأسكنك فسيح جناته ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

***

الشهيدان الشقيقان البطلان

«عبد الحليم» (١٩٨٨/١٢/٣٠)

«وفواز» محمد رياح بخيت (١٩٨٩/١/١٧)



ربما يستشف القارئ من العنوان صيغة للحزن، أو يتبادر إلى ذهنه صور ومعانى المأساة التى يعيشها شعبنا، ربما يتذكر الدموع . . ولكن لا يمكن للقارئ أن يتخيل أن أمهما عندما ودعت الشهيد الثانى أطلقت زغردوة، وهذا فى نظر المحتلين والمستسلمين نوع من الجنون، والجنون الفلسطينى الذى قلب الموازين فأصبحت الأحزان عنوانًا للفرح الآتى عبر تدفق الدماء، وأصبح الشهيد عريسًا يزف بلباس العرس الفلسطينى التقليدى «العلم» الذى نقشت فى داخله «لا إله إلا الله محمد رسول الله» بحروف من دم، وبهذا نكون قد تميزنا نحن الشعب المسلم عن الشعوب الأخرى.

كان شهيدنا عبد الحليم محمد ٢٢ سنة والذى يعمل ميكانيكيًا للسيارات، قد أنهى دراسته الإعدادية، وهو من عائلة هُجِّرَتْ من قرية الجورة [١] قرب عسقلان وهى بلد الشيخ أحمد ياسين، ويحدثنا والد الشهيد والذى امتزجت دموعه بالذكريات المرة للرحيل: دخل الجيش المصرى وبعض المجاهدين من الإخوان المسلمين فى شهر ١١ وطلب من الناس أن يبتعدوا عن القرية، وبدأ الناس بنقل أمتعة خفيفة على أمل العودة بعد أيام قليلة حيث وعد الجيش المصرى بتحرير البلاد فى غضون أيام قليلة، ولكن الواقع يقول بأن هناك خطة للخيانة حيث تم اعتقال كتائب المجاهدين من الإخوان المسلمين [٢]– وكان الوقت بداية شتاء ومكث الجيش مدة طويلة فى القرية، وذهب بعض الناس لإحضار حاجاتهم لأن فترة التحرير التى وعدوا بها قد طالت وعندما

---

(١) الجورة شيدت معظم أبنيتها من خرب عسقلان وعرفت الجورة بموقعها الجميل ومناظرها الخلابة، وقد دمرها اليهود ١٩٤٨، وأصبح أهلها من اللاجئين. انظر الدباغ، بلادنا فلسطين (١/ ٣٠٦، ٣٠٧).

(٢) انظر تفاصيل الأحداث فى كتاب كامل الشريف الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين.

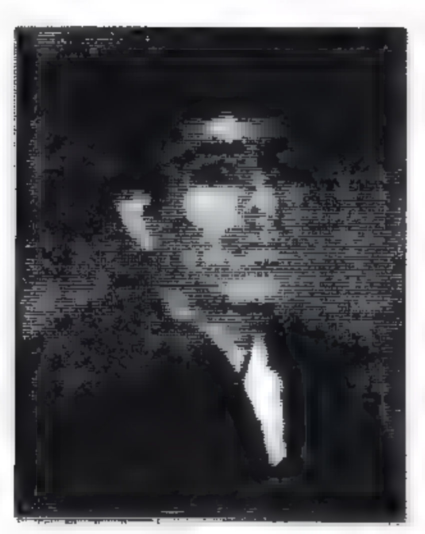
دخلوا القرية هالهم ما رأوا، لقد رحل الجيش وأخلى القرية فأصبحت تحت نيران اليهود، فرحلنا عن القرية بواسطة البحر وكنا نشاهد عربات الجيش المصرى التى كانت تصطف على الرمال ومكثنا فى غزة مدة من الزمن وبعدها توجهنا إلى خان يونس وعلمنا بنبأ الخيانات فكان لابد لنا من شراء خيمة وبعد ذلك قامت الوكالة ببناء المخيمات.

وعن قصة استشهاد عبد الحليم يقول والده: «صلى عبد الحليم صلاة الجمعة ٣٠/ ١٢/ ٨٨ وعندما خرج من الصلاة سمع صوت بعض الجيران وهم يصرخون فهب للمكان، فوجد أن الأطفال قد اختنقوا جراء استنشاقهم للغاز. . ويا لهول ما رأى أطفالاً صغاراً لا يستطيعون التنفس، واحمراراً فى عيونهم، فقام بنقل الأولاد إلى المستشفى للعلاج وبعد أن أمَّن الأطفال فى السيارات سمع صوت صراخ آخر، فوجد أطفالاً آخرين وقد أغمى عليهم من استنشاق الغاز فقام بطلب سيارة الإسعاف وخرج إلى الشارع يطلب سيارة لنقلهم، وبعد أن سمع الأهالى بنبأ هذا الفعل الإجرامى، خرجوا من المساجد وهم يكبرون وأخذوا بإلقاء الحجارة على أفراد وقوات الاحتلال وبدأ الجيش بإطلاق الرصاص. . فأصيب عبد الحليم برصاصتين فى رأسه من أحد الجنود الذى أطلق النار من زاوية كان يختبئ بها وهنا سقط الشهيد ودماؤه تنزف بينما كان يحتضن الطفلة المغمى عليها . . ».

وكيف عرفت بنبأ استشهاده ؟

يقول والد الشهيد : أُخبرت بأن ابنى قد أصيب بجراح، وبعد أن ذهبت إلى المستشفى أخبرت بأنه قد استشهد ولقد رأيته وهو شهيد. . لقد كان باسم الوجه وله رائحة زكية، وقام الشباب بنقله إلى مسجد اليرموك حيث خرجت من المسجد مسيرة بعد دفنه، رددت خلالها الشعارات الإسلامية التى كان يحبها الشهيد، وعن أخلاقه يقول أحد أصدقائه: كان عبد الحليم يلتزم صلوات الجماعة باستمرار وكان محبوبًا من قبل الناس فى الحى لما تمتع به من أخلاق طيبة رفيعة، أما والدته فتقول بأن عبد الحليم كان يقول لها «أريد أن أستشهد فى سبيل الله» فتقول له: لا تحدثنى بهذا الحديث، وعند استشهاد ابنها كانت مثالاً للأم المؤمنة الصابرة المرابطة. والجدير ذكره أن شهيدنا اعتقل لمدة ١٨ يومًا فى أنصار ٣ قبيل استشهاده .

فواز « أحد شهداء مذبحة مسجد الرضوان »



استشهد فواز فى مذبحة مسجد الرضوان. أو المسجد الكبير ويتسع لآلاف المصلين - قبته خضراء كبيرة بالإضافة إلى مئذنته الشامخة ويعتبر المسجد بؤرة من بؤر مقاومة الاحتلال، ويلعب دوراً مهمًا؛ فهو مكان استراتيجى لرجم جنود الاحتلال حيث يقع بالقرب من السوق الرئيسى فى الحى، ولهذا فإن الجريمة التى حدثت قد خطط الاحتلال لها بكل أبعادها، وقد بدأت الجريمة ليلة الجمعة عندما اقتحم جنود الاحتلال المسجد فى الليل وقاموا بتفتيش الكتب وصادروا بعضًا منها، وبعد ذلك صعدوا إلى سطح المسجد وأزالوا الحجارة الموجودة على سطحه.

وقت الجريمة: بينما كان المصلون يؤدون الفريضة كان عدد كبير من الجنود يحيطون بالمسجد بشكل يثير الشبه، وتبين أن هناك مخططًا ما، وصلى المصلون الركعة الأولى، وبينما كانوا يهمون بأداء الركعة الثانية قام الجنود بمحاصرة المسجد من جهة المحراب والجهات الأخرى، ووقف أمام كل شباك من شبابيك المسجد جندى.. وبدأوا بإطلاق النار بدون سبب، ولم يكن هناك مبررٌ لإطلاق النار، وكان الجنود كلما رأوا أحدًا من المصلين أطلقوا عليه النار، فاستشهد أحد الشبان وهو واقف لأداء الركعة الثانية وهو من عائلة الغورانى، وحاول شاب آخر استطلاع الأمر من الشباك فأطلقوا عليه النار فاستشهد، وهنا بدأ بعض الشباب بالصعود إلى ظهر المسجد للدفاع عن أنفسهم، ولم يجدوا حجارة فبدأوا بكسر الطوب وإلقائه باتجاه الجنود، فواز صعد إلى سطح المسجد وبدأ يشارك إخوانه فى الدفاع عن المسجد الذى أحبه، المسجد الذى تربى فيه على حب الإسلام وحب الوطن، المسجد الذى تشهد كل زاوية من زواياه لفواز: طالب علم أو قارئ قرآن أو معتكفًا.

صعد عدد من الجنود على إحدى العمارات المقابلة وأطلقوا النار بشكل عشوائى، فأصيب فواز برصاصتين فى الرأس وأخرى فى الصدر.. فاستشهد على الفور، بعد ذلك

سمع الناس بنبأ الجريمة البشعة فخرجوا من كافة المناطق وهبوا للدفاع عن المسجد، وحدثت مواجهات عنيفة أصيب خلالها حوالى ٤٠ مواطنًا بجراح، وامتلأت الساحات المحيطة بالمسجد بالدماء وامتزجت بدموع الحزن على قلة النصرة والانتصار لدين الله، ومن ينتصر لنا ؟ لم يعد هناك معتصم ولا صلاح الدين وما تبقى ليس سوى قيادات من ورق تهب قلوبها مع الرياح كقلوب الطير فلا نامت أعين الجبناء، لم يبق إلا أولئك الذين يساومون على دماء الشهداء وفى غياب زمن الانتصار فإن فى الحجارة ما يغنى عن أسلحة العرب التى صدئت فى مخازنها فما زأرت وما انتصرت، وبالحجارة قاوم أهالى الرضوان وطردوا الجنود وخرجوا يودعون الشهداء برغم الجراح والقراح، ولم يتركوا مجالاً للاحتلال لكى يتشفى ويشبع غروره وغريزة القتل لديه، فسارت الجنائز والله أكبر تملأ السماء وبالروح بالدم نفديك يا شهيد، يا أم الشهيد زغردى فتطلق والدة الشهيد زغرودة بالرغم من أن فوازًا هو الشهيد الثانى الذى قدمته فى سبيل الله والوطن، ولكن القلوب كانت تدمى من الحزن، كانت القلوب تتذكر قول الشاعر :

القهر والإرهاب	والتشريد والمحن
برغم محاكم التفتيش	قد نبشت من العدم
برغم نذالة الجبناء	والدخلاء فى وطنى
وأرتال من العملاء	تحنى الهام للوثن
سأحيا رافع الرأس	ولو سُربلت بالكفن

وفرض الاحتلال منع التجول على قطاع غزة بأكمله بعد الجريمة البشعة واستمر المنع لمدة ١٨ يومًا، ثم رفع عن كافة المناطق باستثناء حى الرضوان الذى استمر فيه نظام المنع لمدة أطول، وعن ردة الفعل لدى العائلة بعد الاستشهاد يقول والد الشهيد «عائلتنا لله الحمد تؤمن بالقضاء والقدر ونحن نؤمن أن عمره قد انتهى ولو كان فى أى مكان آخر، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٨] وكل منا يؤمن بالقضاء والقدر ولهذا صبرنا والحمد لله. . .

وعن شعوره والداً للشهيدين يقول: لقد أكرمنى الله بالشهيدين، وهذا امتحان لى أأصبر أم لا؟! أأشكر أم لا؟! وهذا امتحان للمؤمن، والحمد لله الذى أكرمنا بتقديم أبنائنا شهداء فى سبيل الله، وأحب أن أقول بأن كل إنسان أو نظام يظلم فإن زواله قريب، فكم من دولة عظمى ظلمت وزالت، ها هى بريطانيا العظمى قد أصبحت صغيرة حقيرة بعد أن ظلمت واستبدت. وأثناء الحديث قال أحد الشباب وهو قريب من فواز بأنه شاهد فى المنام -أثناء قضائه فترة فى السجن فى أنصار٣ - شقيقه عبدالحليم، وهو فى ثياب خضراء وأبدى له فرحًا وسروراً وقال له أريدك أن تأتى عندى، فحدث بها أحد إخوانه فى السجن فقال له لعلها الشهادة! وعائلة الشهيدين تتكون من ٤ شبان و٤ فتيات أحد الشبان قضى بسبب مرض ألم به واستشهد اثنان ورباح الذى يقضى فى سجون أنصار ٢، ٣ وهو خريج الجامعة الإسلامية، وكان فواز- رحمه الله- يعمل خياطًا فى مصنع، وسألت مرافقى عن أكثر شىء آلمهم فى حادثة استشهاد الأربعة؟ فقال النبأ الذى ذكرته صحيفة الاتحاد بأن الشهداء أعضاء فى الحزب الشيوعى! لقد كان الأربعة شهداء من الشباب المؤمن الطيب، ولكن الأوغاد يريدون المتاجرة بدماء الشهداء، فهؤلاء هم الراقصون على جراحنا.

خرجنا من بيت الشهيدين وقد كتب فى صدر المنزل: اللهم لا عيش إلى عيش الآخرة.

***

الشهيد / محمد الدواوسة

١٩٨٩/١/١٩



ولد الشهيد فى عام ١٩٧٢، وكان مؤدبًا ومحبوبًا بين أصدقائه وجيرانه، كما كان ينال قسطًا كبيرًا من التقديرات من قبل أساتذته فى المدرسة، حيث كان يعد العدة لتقديم التوجيهية العامة.

مشاركته فى الانتفاضة:

كان شهيدنا يقبل على المواجهات بشجاعة، وكان ينتظر اللحظات التى يعلن فيها عن تصعيد مع الاحتلال، وكان يعجب بأفكار حركة المقاومة الإسلامية «حماس» لهذا كان يحرص حرصًا شديدًا على الاستجابة لنداءاتها فى المواجهة، وأثبت محمد شجاعة نادرة فى المواجهات، حيث تقدم الصفوف الأولى وكان متحركًا كأنه شعلة متقدة.

قصة استشهاده:

فى صبيحة الخميس ١٩/ ١/ ١٩٨٩ خرج الشهيد محمد إلى مدرسته التى تقع بالقرب من مخيم الشاطئ، (مدرسة ابن سينا) وبينما هو فى المدرسة سمع بأن المواجهات اشتعلت فى مخيم الشاطئ وخرج محمد من المدرسة وبيده حقيبته المدرسية، ولم يتوجه إلى بيته بل انطلق إلى ساحة المواجهة، حيث وجد قوات كبيرة من حرس الحدود، فأخذ يرشق الحجارة على جنود الاحتلال وهو يكبر بأعلى صوته (الله أكبر . . . الله أكبر . . . الله أكبر) وكان يقوم بتحميس إخوانه فى المواجهة، وفى هذه الأثناء يقوم أحد الجنود بإطلاق النار باتجاه محمد ليصاب بعيار نارى فى الرأس، وتبدأ دماؤه تسيل بغزارة تجود فى سبيل الله دفاعًا عن الوطن، ويسقط الشهيد على الأرض تعانق دماؤه رمال غزة، لينال شرف الشهادة، ويقوم الجنود بحماية على جثة الشهيد ومن ثم نقله إلى (أبو كبير) لتشريح جثته.

وما إن انتشر الخبر فى حى الشيخ رضوان باستشهاد ابن الحى، حتى خرج الأهالى رجالاً ونساءً وشبابًا وشيوخًا إلى الشوارع بمسيرات ضخمة، حيث توقفت الجماهير

وهى تهتف (الله أكبر ولله الحمد، بالروح بالدم نفديك يا شهيد). واشتعلت المنطقة بالمواجهات مع جنود الاحتلال، مما أدى إلى إصابة العديد من أبناء الحى أثناء المواجهات بنيران الأسلحة، وقامت قوات الاحتلال بفرض منع التجول على مخيم الشاطئ ظنًا منهم بأن الشهيد من المخيم، وعندما أدركوا حقيقة أن المواجهات تنطلق من حى الشيخ رضوان قاموا بمنع التجول على الحى، فقد خرج الشبان من السواعد الرامية إلى الشوارع وكتبوا الشعارات على الجدران لنعى الشهيد، وقاموا بتقديم أكاليل الزهر لأهالى الشهيد.

عزاء الشهيد:

قام سكان الحى بإعداد بيت عزاء للشهيد بالرغم من نظام منع التجول، وأخذ الناس يترددون على بيت العزاء ومواساة لأهل الشهيد وغطت أكاليل الزهر جدران البيت. وخلال أيام العزاء تم إحضار الشهيد من المشرحة، وأجبروا أهله على دفنه ليلاً لكى لا تهب الجماهير بالمشاركة فى أعمال المواجهة.

أم الشهيد تلقى النظرات الأخيرة عليه:

لقد صبرت أم الشهيد والعائلة على مصابهم حيث إن الأسرة مؤمنة بالقضاء والقدر خيره وشره، لهذا فقد أقبلت أم الشهيد على توديع حبيبها، بروح بطولية عالية... وتقول عن هذه اللحظات: «لقد سرقوا جميع أجهزة جسمه أثناء تشريحه»، أما والد الشهيد، فقد أكثر من قول «الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».



«الشهيدان الشقيقان»

سمير أحمد خالد الحمّورى

نضال أحمد خالد الحمّورى

١٩٨٩/١١/٢٩



لقد ارتفع اللواء . . وسقط من حوله شهداء أبرار . . . اللواء الذى لا ينحنى أبد الآبدين . . اللواء الخالد السرمدى . . لواء الحق المبين . . . .

كتب عليه بأحرف من نور ونار . . . هذا لواء سيد المرسلين . . ارتفع اللواء ولا ينحنى، والتحمت الصفوف، وتنادى جند الحق أن هلموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.



المولد والنشأة:



ولد الشهيد سمير الحمورى فى ٩/ ١٢/ ١٩٦٩م، فى مدينة القدس من عائلة كريمة هاجرت من مدينة الخليل، واستقرت فى المدينة المقدسة التى رزحت تحت سنابك خيل الأعداء، فسمير لم يرد المدينة المقدسة، وراية الإسلام ترفرف فوقها، بل رأى علم اليهود يرتفع عاليًا ليذكر بمهانة المسلمين فى كل الأرض، أما نضال الشقيق الأصغر لسمير فقد ولد بعده بعام تقريبًا فى ٨/ ١٠/ ١٩٧٠م . وعاش الشقيقان معًا إخوة أصدقاء، وانتقلا إلى رحمة الله معًا شهداء.

لقد أحب الشهيدان الإسلام حبًا كبيرًا، وأحبوا الخير للناس . . كيف لا، وقد نشأ الشهيدان فى أسرة مسلمة محافظة على الأخلاق والآداب الإسلامية الطيبة؟! حافظ الشهيدان على عبادات الإسلام وآدابه، فكانا محافظين على الصلاة والصوم منذ نعومة أظفارهما حتى لقيا الله شهيدين .

دورهما فى الانتفاضة:

منذ بدء الانتفاضة انخرط الصغار والكبار يقاومون المحتل ويتصدون بصدورهم العارية وإيمانهم القوى لجنود الاحتلال النازيين، وكان سمير ونضال من ضمن هؤلاء الفتية الذين ثاروا على الظلم، وانطلقوا يرسمون بحجارتهم خريطة الوطن، ويسمعون صوتهم إلى العالم كله . . تميز الشهيدان بـ «كتابة الشعارات على الجدران» ليحث الناس على المقاومة، ويبعث الناس فكريًا، ويعمقوا وعى الناس وإيمانهم بقضيتهم وعدالة مطلبهم . . كم مرة خرجا فى ظلمة الليل، يتحسسان طريقهما ليخطوا على الشارع كلمات عظيمة «الإسلام هو الحل، خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود» . . . الخ .

قصة الاستشهاد:

كان الشهيدان يتشوقان للشهادة دائمًا، وعندما كانت أمهم تقول لهما إنكما إذا دخلتما السجن فإنى لا أعرف السجن، كانا يقولان لها : «إنهما لا يريدان أن يغلباها لأنهما سوف يستشهدان». لقد حاولت أمهما مرارًا أن تمنعهما من الخروج (فقلب الأم دليلها كما يقولون) فليس لها إلا هذان الولدان . . لكنهما كانا يخرجان سرًا، ويؤديان مهمتهما الجهادية ثم يعودان دون أن يشعر بهما أحد .

وفى ذلك اليوم المشهود ٢٩/ ١١/ ١٩٨٩ فى ذكرى تقسيم فلسطين[١] من قبل ما يسمى الأمم المتحدة. كان الشقيقان البطلان على موعد مع الشهادة، فخرجا ليلاً كعادتهما يتسللان وسط الظلام لينصبا كمينًا لأعداء الله من جنود الاحتلال، ولكن قدر الله نافذ، فقد كمن الجبناء فى أحد الأزقة . . وما إن شاهدوا هذين الأسدين الرابضين حتى سارعوا إلى إطلاق النار عليهما من بنادقهم الرشاشة، فأصيب البطلان برصاص كثيف فسقطا على الأرض . . ليخطا بدمهما شعارًا جديدًا إذ لم يستطيعا أن يخطاه على الجدران . . إنه شعار خالد أبدى يذكر بالصحابة الأبراء والشهداء

---

(١) لقد صدر قرار التقسيم من قبل الأمم المتحدة فى ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧ وهو يحمل الرقم (١٨١). وهو يقر تقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما يهودية والأخرى عربية، وقد اعتادت حركة المقاومة الإسلامية « حماس » أن تعلن أن هذا اليوم يوم إضراب شامل رفضًا من شعبنا لكل القرارات التى تنتقص حقه أو تعترف للغاصب بما اغتصب .

الأطهار. إنه الدم وقود المعركة . . نموت جميعًا وتحيا فلسطين إسلامية . . لقد أصيب أولاً سمير برصاصات العدو في صدره ورقبته وظهره بأكثر من عشر رصاصات، وقبل أن يسقط طلب المساعدة من أخيه نضال . . فتقدم نضال بين أزيز الرصاص لينقذ أخاه فعاجله الأوغاد برشات أخرى، فسقطا فوق بعض . . واختنقت العبرات مع زفرات الموت بينما تسللت من بين الشفاة شهادة التوحيد لتكون آخر عهدهما بالدنيا.

استولى النازيون الجدد على الجثمانين بعد تصويرهما وهما مضرجان بدمائهما على ثرى فلسطين الطهور. أما والد الشهيدين فيقول: لقد كنت وأمهما بانتظارهما عندما رأيت برقًا شديداً شق السماء نصفين، وما هي إلا لحظات حتى كانت السماء تنهمر بسيل من المطر . . ولما علمنا بنبأ الاستشهاد كان ذلك في وقت البرق الشديد ضبطًا.

جنازة الشهيدين:

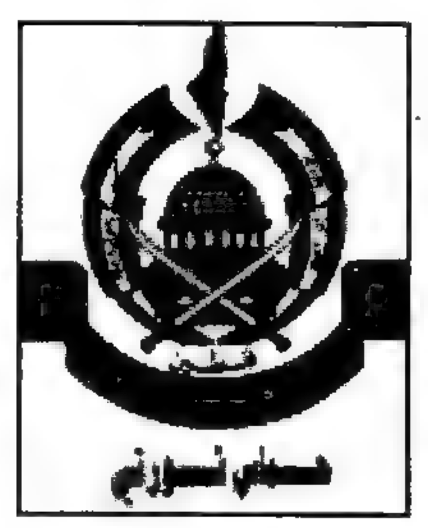
طلبت سلطات الاحتلال كعادتها أن يتم تشييع الشهيدين ليلاً، ودون حضور أكثر من عشرة من أهلهما، وعند صلاة الفجر أخذنا الشهيدين من سيارة الجيش لأنهم لم يسلمونا إياهما إلا على المقبرة في باب الأسباط، عند صلاة الفجر في الساعة الخامسة والنصف صباحًا، كان عدد المشاركين في التشييع حوالى ٣٠ شخصًا، فصاح أحدهم بصوت عال «الله أكبر» فاشتبكت النساء مع جنود جيش الاحتلال على المقبرة . . في حين كانت قوات العدو تغلق الشوارع المؤدية إلى المقبرة بسيارات الجيش والشرطة على امتداد الطريق.

وبعد أن تم الدفن وفتح بيت العزاء تقاطرت الوفود من كل المدن والقرى والمخيمات لتقول لوالد الشهيدين: إن المصاب مصابنا جميعًا وإن سمير ونضال ليسا ابنيِ أحمد الحموري فقط بل هما ابنيْ فلسطين. . كل فلسطين.

***

الشهيــد/ محمد مراد جميل مطر

١٩٨٩/٢/٥



في ٥/ ٢/ ١٩٨٩ قام محمد صباحًا بفتح المحل وحده ولم يكن والده معه، وعلى غير عادته أغلق محله الساعة ٣٠ , ١١، في حين كان يغلق المحل الساعة ١٢ عادة، وهذه المرة أعطى المهمة لشقيقه الأصغر منه، وتوجه محمد إلى السوق، والتقى بعضًا من أصحابه، فحذروه من التوجه إلى السوق بسبب خطورة الأوضاع، إلا أنه أصر على الذهاب إصرارًا عجيبًا، وكان أحد جنود الاحتلال يقف على مبنى مهجور، وكانت دورية أخرى تتجه نحو شرق المخيم، وعندما رأته إحدى نساء المخيم دعته إلى الاختباء في بيتها، إلا أنه رفض وقال لها: "والله ما برجع، والله لأكسر رأس الجندي بالحجر"، وبدأ محمد بإلقاء الحجارة دون خوف أو وجل، فقام الجندي المتمترس بالعمارة بإطلاق الرصاص باتجاه محمد من الخلف عن بعد ١٥٠م، فأصابه برصاصة في القلب، ولم يتحرك، وكانت الحادثة في موقع مكشوف، ورفع الجندي قبعته ولوح بها، وكانت تبدو عليه أمارات الفرح، واتصل بالدورية للعودة. حمل الشبان محمدًا إلى المستشفى بعد أن ثبتت شهادته، وحُمل إلى منطقة النصر، وسرعان ما انتظم الناس في مسيرة كبيرة طافت أنحاء الحي وهي تردد صيحات الله أكبر، مشيدة بالشهيد وأخلاقه، وأثناء ذلك لم تتوقف دموع والد الشهيد من التناثر دررًا على ابنه الشهيد، كيف لا؟ وهو فلذة كبده، وعقب ذلك حدثت مجابهات عنيفة في المخيم استمرت ساعتين تقريبًا وحضر ما يسمى بالحاكم العسكري ونائبه، فخرج والد الشهيد من بيت العزاء وقال لليهودي: «ماذا تريد منا؟، . . . ماذا تريد» . . . وجرت محاورة بينهما نوردها لنعلم نفسية هذا الشعب المجاهد:

* ما اسم ابنك؟

* محمد

* فى أى مدرسة يدرس؟

* يبيع فى الحانوت.

* من الذى بعثه إلى منطقة الشواء «المكان الذى استشهد فيه» لإلقاء الحجارة على الجيش؟

* أمى هناك، وبعثته لإرسال طعام لها.

* أنا بشوف وبحقق فى الأمر.

* أنا لا أريد منك أن تحقق، لأن تحقيقك لن يعيد إلىَّ ابنى «يلعن أبو اللى ما يدينا سلاح حتى أبيدكم كلكم».

ورغم منع التجول، كان الشبان يتوافدون إلى بيت الشهيد، وكان يحضرون زهوراً وصوراً للشهيد، وشاهدنا بعضًا من الملصقات وكانت مزدانة بصورة الشهيد، ومرسومة باسم «حماس»، وجاءت قوات الاحتلال، فحاولوا اعتقال شقيق الشهيد لرفضه نزع صور الشهيد، فمنعهم من ذلك والد الشهيد.

وكان والد الشهيد يتكلم بعاطفة جياشة قوية، وقال بأنه مستعد لتقديم أبنائه الأربعة شهداء، وأخذنا إلى داخل البيت حيث شاهدنا آثار الرصاص والحجارة التى اخترقت الإسمنت، حيث كانت قاذفة الحجارة تقوم بعملها. ويقول لنا شاب من شبان المخيم، بأن محمداً كان يتمتع بأخلاق عالية، وتمسك قلَّ مثيله بتعاليم ديننا الحنيف، ويوم استشهاده بدا وكأنه ذاهب إلى عرس ولبس أحسنَ ملابسه!

نعم إنه كان فى انتظار ما هو أجمل من العرس.. إنه عرس ملائكى..

***

الشهيد/محمد خالد الشريم

١٩٨٩/٣/١٢

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٢٣].



وكان شرفًا للشهيد محمد خالد الشريم أن يكون فى دفاتر هؤلاء الشهداء، ذلك الفتى المؤمن، صاحب السيرة العطرة والخطى المؤمنة الثابتة، ابن المسجد ابن الإسلام الذى ودع الحياة بكلمة خالدة «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، الله أكبر الله أك . . ب . . ر . . .» زفرات خالدة وروح تجأر إلى الله تشكو ظلم الظالمين وسكوت أنظمة الردة فى عالم العرب والمسلمين . .

انخرط شهيدنا فى صفوف المؤمنين العاملين، وجاء عهد الانتفاضة ليعاهد الله سبحانه وتعالى أن يحمل الأمانة بكل إخلاص، فسار فى شوارع المخيم يحمل فى يده عدته وعتاده التى لا تكلف شيئًا، مقلاعًا وحجرًا، ويقصد المحتل ليريهم كيف يكون الحجر فى يد المؤمن، فكان حجره وتكبيره يفزعهم ويرعبهم، فكان بإذن الله فى حلوقهم شوكة، إنه ابن المسجد الذى ضرب للمثل مثالاً فى الصبر والشجاعة والإقدام ولسان حاله يقول :

أنا مسلم هل تعرفون المسلما؟   أنا نور هذا الكون إن هو أظلما

أنا مصحف يمشى وإسلام يُرَى   أنا نفحة علوية فوق الثرى

أنا من جنود الله حزب محمد   وبغير هدى محمد لا أهتدى

أنا فتى القرآن وابن المسجد

أنا عائد أقسمت إنى عائد   والحق يشهد لى ونعم الشاهد

ومعى القذيفة والكتاب الخالد   ويقودنى الإيمان نعم القائد

أنا لا أهاب الموت إن هو أقبلا — بل أستحث له الخطى مهرولا

فهو السبيل لنصر شعب مبتلى — فوراءه الفردوس طابت منزلا

حادثة الاستشهاد:

كان موعده مع إشراقة صباح يوم السبت ١٢/ ٣/ ١٩٨٩، عندما كانت الشمس تتسلل من ثنايا بيوت المخيم، وكانت رياحين المخيم تنتظر العريس المقبل على زفافه، ونهض شهيدنا من فراشه نشيطًا كعادته واغتسل وخرج من بيته وأخذ يزور أصدقاءه من أبناء المسجد، ووجهه الطلق تعلوه ابتسامات خجولة كان يعلو وجهه إشراقة رائعة، يسلم على هذا ويودع هذا وتحية الإسلام لا تفارق فمه بينما كان صوت «الله أكبر» يجلجل فى أنحاء المخيم، كان محمد يتسابق لأداء هذا الواجب فصلى الظهر جماعة - وهو ما كان يحرص عليه دائمًا - وبعدها توجه إلى ساحة النزال يقارع المحتل مستجيبًا لنداء التصعيد العام الذى دعت له حركة المقاومة الإسلامية «حماس» وحدثت مصادمات ومجابهات عنيفة، واقتحم الجيش المخيم مستخدمًا الجنود والعربات وبشكل مكثف، وفى أحد مداخل المخيم كان يربض أسد من أسود الله خلف جدار إسمنتى فى المدخل السفلى للمخيم، وتحولت المجابهات إلى شبه حرب شوارع، من شارع لشارع ومن حارة إلى أخرى، ومن زقاق إلى زقاق، وكانت سحابة الدخان تغطى المخيم، وكان المسيل للدموع الخانق بسحابة الدخان الأبيض والأصفر المعهودة تملأ شوارع المخيم، وسكت المخيم فلا تسمع سوى أزيز الرصاص وفرقعات القنابل المسيلة للدموع، ولكن صيحات الله أكبر كانت تهز المخيم وتغطى صوت الرصاص التى أصبحت إلى جانب صيحات الله أكبر صوتًا مخنوقًا، كان بالإمكان سماع صوت ارتطام الحجارة، والزجاجات الفارغة بسهولة، فى مقابل الأسد الهصور كان يكمن ذئب ينتظر فريسته، أما الأسد فما هى إلا لحظات ويعلو محلقًا فى سماء الشهادة، أما الذئب فقد رضع الخديعة مع اللبن فأصبحت هوايته، وإذا كان الرصاص يشبع عند جنود الاحتلال حب القتل فإنه يشبع فى أشبال المخيم حب الشهادة. . وهذا الذى كان ينتظره محمد . . رصاصة اخترقت الجبين الذى ما سجد إلا لله، وودع الحياة بالكلمات الخالدة التى أحبها، وارتفعت روحه إلى عنان السماء ترفرف فى حواصل طيور خضر، وكأنى به ومنذ أن فاضت روحه وسالت أول قطرة من دمه المعطر برائحة

المسك . . كأنى به يرى ما أعد الله للشهداء المخلصين فى رياض الجنة مع أبى القاسم وأصحابه الغر الميامين . . وهكذا خرجت روحه لترتفع فى سماء الشهادة تعانق أرواح الشهداء فى عليين تروح وتغدو فى جنات النعيم . . ومن مآثر شهيدنا فى ذلك اليوم، أنه كان أول من أشعل فتيل المواجهة، ففى الصباح الباكر تعرض لجيب عسكرى ورماه بالحجارة والزجاجات الفارغة وأخذ العتاة الغاصبون يمطرون المخيم بوابل من الرصاص وبغاز مركز وبشكل كثيف فلم يرعوا طفلاً ولا شيخًا ولا امرأة ولو كانت حاملاً . . .



من كرامات الشهيد:

الحديث عن كرامات الشهداء يطول ولكن الإيمان به فى أعماقنا، وشهيدنا ظهرت بعض الكرامات فى حادثة استشهاده :

١-كان الشهيد كثير الحديث عن الشهادة وخاصة بين أقرانه وقد التقطت له صورة من قبل صديق بعد أن طلب منه تصويره وهو على هيئة الشهادة وأشار بأصبعه إلى مكان الإصابة وكانت فعلاً الإصابة القاتلة يوم استشهاده فى مكان قريب جداً من إشارته فى الجانب الأيسر أسفل البطن وكأنه ـ سبحان الله ـ كان على موعد مع الشهادة،

وهذا يذكرنا بذلك الصحابى فى إحدى غزوات الرسول ﷺ حين قال له أليس بينى وبين الجنة إلا أن أقاتل فأصاب بسهم ها هنا ؟ «وأشار إلى رقبته» فقال الرسول ﷺ نعم، «وعندما تفقد الصحابة الشهداء وجدوا سهمًا وقد اخترق رقبته حيث المكان الذى أشار إليه».

٢- بعد إصابته وتدفق الدم الغزير من صدره، تدفق الدم على صدره مشكلاً صورة على شكل لفظ الجلالة «الله» وكانت واضحة وكأنها كتبت بيد خطاط محترف، وقد أكد هذه الرواية كل الشباب الذين كانوا معه والذين قاموا بنقله إلى مستشفى المقاصد الإسلامية.

٣- أما عن الكرامة الثالثة: يقول أحد الإخوة الصالحين إنه رآه فيما يرى النائم أنه قد أقبل عليه مبتسمًا وقال له: إنى أستحلفك بالله أن تذهب لأهلى وتقول لهم «لا تبكوا علىّ فإنى أدخل الجنة من أوسع أبوابها والملائكة تتلقفنى».

بسيف الله تضرب كل باغ ... وتجتث الرقاب مع النواصى

تقدمْ باسلاً ممن تنادوا ... لصنع الفجر فى يوم الخلاص

***

الشهيـد / نعمان طه جرادات

١٩٨٩/٣/١٩م



ولد شهيدنا بتاريخ ٢/ ٤/ ١٩٧٢ ، درس فى مدارس السيلة الحارثية،[1] وأنهى الصف الثالث الاعدادى، ولم يكن اجتـهـاده المدرسى كـمـا يجب . . فـاتجـه إلى العمل، وأصبح عاملاً يكد بيده ويتعب من أجل أن يعيش حياة كـريمـة، وتربى فى أسرة جـمعت ستًا من البنات وثلاثة إخوة، وفى ظل هذه الأسرة عاش حياته وتعلق منذ الصـغـر بأداء عـباداته والتـزم المسـجـد وأصـبح من رواده، وكأنى به يسابق لينال درجة عالية فى ظلال عرش الرحمن مع الذين يظلهم الله بظله **«شاب نشأ فى طاعة الله»**[2] فمسجد السيلة يشهد له التزامه صلوات الجماعة الخمس. حتى صلاة الفجر لم تكن تفوته، ولم يكن ليقف عند هذا الحد، وهو يسـعى إلى تحـقـيق مـا يتـمناه كل مـسلم، ألا وهو رضى الله سـبـحـانه وتعالى، فكان داعية فى بيته وبين أهله، فأخذ يدعو إخوانه وأخواته إلى الالتزام بمبادئ العلماء والدعاة، فاتجه إلى الكتب الإسلامية ينهل منها ثقافته، فامتلأ البيت بالكتب الإسلامية التى كان يطالعها، ولا زال صدى صوته يتردد فى ثنايا البيت وهو يحدث إخوانه عن أمور الدين .

يوم الاستشهاد:

بتاريخ ١٩/ ٣/ ١٩٨٩ ودع حياته بما أحبه فى هذه الحياة، حيث صلى ركعتين سنة الضحى، وذكر بعض إخوانه أنه صام اليوم، والقصة بدأت عندما ذهب نعمان لصلاة الفجر، ومكث فى المسجد مع إخوانه يتذاكرون حتى طلوع الشمس، بعدها طلب قيم المسجد من الشبان أن يخرجوا من المسجد، فطلب نعمان منه أن يصلى ركعتين وبعد أن فرغ من الصلاة الأخيرة له فى المسجد الذى أحبه وتربى فيه خرج إلى بيته عائدًا، ويقول

(١) السيلة الحارثية: تقع هذه القرية فى الشمال الغربى من جنين، وعلى مسافة عشرة كيلو مترات منها.

(٢) قال رسول الله ﷺ «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى طاعة الله....».

لنا والد الشهيد عن ذلك اليوم بأنه كان يستعد وجميع أفراد العائلة للذهاب إلى الأرض للنزهة وكنوع من العمل في الأرض، وطلب من ابنه نعمان أن يتوجه معهم إلى الأرض، ولكنه أصر على الذهاب لصلاة الظهر مع أن الوقت لم يكن قد حان فيه أى موعد للصلوات، وسار نعمان فى طريقه وبعد أن وصل إلى ماتورات الكهرباء فى البلدة، كان عدد من الجنود يقفون فى المكان فأخذ يصرخ «الله أكبر، الله أكبر»، وهو ينظر إلى الجيش، فقام أحد الجنود بإطلاق رصاصة باتجاهه فأصابته فى الرأس من الجهة اليسرى وشقت رأسه وسقط جزء من عظام رأسه ودماغه على الأرض، وتم نقل نعمان إلى مستشفى بحيفا، وتوجه والد الشهيد لإحضار جثة ابنه إلا أنهم ماطلوه هناك حتى استطاعت سيارة تابعة للجيش من اختطاف الجثة وتم نقلها إلى معهد التشريح. وعن هذه القصة يقول والده:

حضرت سيارة جيش فارتبت من تصرفاتهم، فسألت الجندى إن كان يريد نقل جثة ابنى إلا أنه نفى ذلك، وقال بأنه جاء بمهمة خاصة، وبعد ذلك قام بالدوران من جهة أخرى وسرق جثة نعمان، وبعد ذلك بقليل حضر موظف من المستشفى وقال لى بأن جثة ابنك فى التشريح الآن، ورفض والد الشهيد ذلك، وقالوا له بأنه سيتم استصدار أمر لتشريح الجثة رضى أم أبى ولن يستفيد إلا التأخير فى إحضار جثة الشهيد، وكان من الوعود التى قطعها الحاكم العسكرى على نفسه إحضار الجثة وتمكين أهله من تشييعه كما يليق بالشهداء، لا بل وإخراج الجنود من البلدة، إلا أنه بعد ذلك تنكر لكل هذه الوعود وقال لوالد الشهيد «أنا كل اللى حدثتكم به كان غير صحيح»! وحصل والد الشهيد على تصريح لإحضار الشهيد، واشترط الحاكم العسكرى على والد الشهيد أن يتصل بالحاكم العسكرى بعد وصوله إلى مجدو فى رحلة العودة، وبعد أن وصلت الجثة كما كان متفقًا عليه رافقت الشهيد سيارات عسكرية لم تسمح بإدخال الشهيد إلى بلدته، بل تم نقله إلى مبنى الحاكم العسكرى فى جنين، ولم يسمح إلا لسبعة رجال وأربعة نساء بوداع الشهيد. حتى إنه أصر «أى الحاكم العسكرى» على أن تؤدى الصلاة على الشهيد فى مبنى الحاكم العسكرى، وحدث كل هذا فى دراما مضحكة مخجلة من نكث للوعود والتلاعب بمشاعر ذوى الشهيد واستغلال العاطفة بصورة مؤلمة، فكان أن مُنع إخوان الشهيد وأخواته من وداعه وكان فى ليلة وداعه أعداد كبيرة جداً من جنود الاحتلال، وتم تطويق جميع البلدة والمقبرة.. وتم دفن الشهيد.

هذا وقـد أنكر الحـاكم العـسكرى أن يكون ابنى قـد استـشـهـد عن طريق إطلاق الرصاص عليه من قبل جنود الاحتلال، وادعى بأن هناك إمكانية لأن يكون شخص ما قام بضرب ابنى ببلطة على رأسه لأنه لم يكن فى بلدة السيلة جنود عند وقوع الحادث.

على كل فإن الشهادة ليست بحاجة إلى اعتراف سلطات الاحتلال، ما دامت أنها قد كتبت فى السماء!! صحيح أن رأس نعمان قد انشق ولكن لم يكن بسبب بلطة وإنما بسبب رصاصة «دم دم» أطلقها المجرمون على رأسه ليرتفع إلى جنات الخلد كوكبًا مضيئًا فى سماء الشهادة تستنير الأجيال به، وتسير على دربه، معاهدةً رب الأرباب على الانتقام من المجرمين حتى ولو بعد حين.



اليهود لا يستطيعون المواجهه لأنهم جبناء

الشهيـد / نامق أحمد حسين ملحم

١٩٨٩/٣/٢٧



وُلد نامق فى ٩/ ٣/ ١٩٦٢ بكفـر دان - لواء جنين، أنهى دراسة الثالث إعدادى فى بلدته ثم التحق بمدرسة الصناعة فى جنين وتعلم الحدادة. عمل فى سوق الخضار فى جنين، متزوج وله ٤ بنات.

فى أسرة تربت على الفداء وحبّه، فى أسرة اعتادت على إرواء الأرض بالعـرق والدم، ولد نامق، فـوالده أحمد أصيب فى عام ١٩٤٨ وهو يدافع عن كرامة الأمة واستشهد عمه فى تلك المعارك، ويذهب جيل ويأتى جيل ليحفظ تواصل الشهادة ولتبقى الدماء نوراً يستبين من ثناياها فجر غد مشرق.. ينبلج منه الضياء وسط العتمة القاتمة...

فلا زالت البلدة تذكر ذلك اليوم حين بكى أكثر من ٧ آلاف شخص ساروا فى مسيرة الشهيد نامق عندما وقفت زوجته فى مقدمة المسيرة وحملت علم فلسطين وأخذت تزغرد لزوجها الشهيد.. بجانب زوجة الشهيد كانت تجلس والدته التى كانت الدموع المحتبسة تحاول التناثر كالدر... الكلمات تكاد تختنق وزفرات الألم تتردد فى أعماق هذه الأم.

كان نامق متديناً للغاية. صلى العشاء ليلة استشهاده مرتين، فقد حسب النداء المنطلق من مكبرات الصوت التى كانت تحذر من العدو أذانا فصلى، إلا أنه عندما خرج من البيت سمع النداء فلبى وصلى العشاء إماماً. ؟. وهذه آخر صلاة له، وكانت أخلاق نامق تفوق كل تصور وبنى لنفسه بيتاً لم يسكنه. تقول زوجته: عشت معه ٦ سنوات مع أهله لم أر ما ينغص علىّ طيلة هذه الفترة.. كان مثالاً للزوج المؤمن ويطبق حديث الرسول ﷺ: **«المؤمن لا يظلم زوجه، إذا أحبها احترمها وإذا كرهها لم يظلمها»**.. أو كما قال

وتقول بأن أهل البلدة يعتصرون ألمًا لفقدان نامق..

تقول زوجة الشهيد: كان فى البلدة مسيرات ومظاهرات، وسمع بأن الجيش يقتحم البلدة فخرج مع جموع الناس . . . وقف كالأسد بإيمانه، أبى أن يرى أقدام المحتلين تدوس كرامة التراب الذى استشهد عليه عمه وسقاه والده من جراحه المثخنة، فهب مع الجموع وككل مؤمن أبى، أبى إلا أن يكون فى المقدمة . . فى الصف الأول حيث يُعرف الرجال . . فاقتحمت جبينه المؤمن رصاصة جبانة لم تعلم أنها تخترق جبينًا طالما سجد لله، وقبل لحظات كان ذلك الوجه الباسم يخر ساجداً لله، وهو الآن يخر ساجداً سجوده الأخير متوضئًا بدمائه . . ويُحمل الشهيد إلى المستشفى . . ولكن كانت روحه تعرج فى السماء مندفعة بقوة وسط استقبال الملائكة فهم يستقبلون روحًا لها رائحة كالمسك . . ويعلم والد الشهيد ويأتيه بالأخبار من لم يزود . . ولكنه أسد اعتاد المحن، فكما وضع أخاه فى القبر شهيداً تلقى نبأ استشهاد ابنه بنفس الروح، وترى زوجة الشهيد أمراً غير عادى فتسأل : ما الخبر؟!، ويحاول والد الشهيد أن يخفف من الأمر فيقول لها أصيب نامق إصابة خفيفة . . وتجيبه بروح المرأة المسلمة المؤمنة: الحمد لله على أى حال . . وتخرج زوجته فتقابل نسوة يخبرنها بالخبر الصحيح فتقول: هنيئًا له الشهادة . . [1].

قد لا يصدق المرء قصص التراث عن جَلَد النساء وصبرهن، ولكن النساء الفلسطينيات المسلمات يعدن كتابة التاريخ من جديد بدموع . . ودماء . . ونسج خارطة وعلم الوطن فى الليالى الحالكة المظلمة . . . ويتابع أحد الشباب القصة بعد ذلك فيقول: نقل الشباب جسد الشهيد إلى برقين وفى الصباح سارت مسيرة عبر الجبال إلى كفر دان .

وبالرغم من الأمطار التى هطلت فقد امتلأت البلدة بالأصوات المنطلقة من الحناجر «الله أكبر» «لا إله إلا الله، الشهيد حبيب الله» لا تهتموا لا تهتموا أبو كرم ضحى

---

(١) هذه صور فريدة من الصبر على الابتلاء والمرأة تصبر على فقد الأحبة، ولكنها عادة تكون أقل صبراً عند فقد الزوج، فيذكر ابن إسحق «ت١٥١هـ» فى السيرة : «أنه لما انصرف رسول الله ﷺ راجعًا إلى المدينة بعد أحد، فلقيته حمنة بنت جحش فلما لقيت الناس نُعى إليها أخوها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب، فاسترجعت واستغفرت له ثم نُعى لها زوجها مصعب بن عمير، فصاحت وولولت، فقال ﷺ: «إن زوج المرأة منها لبمكان» لما رأى تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها عبد السلام هارون، تهذيب السيرة ،ص١٦٩، ١٧٠ .

بدمه»، ويقول شاب آخر : شاهدت نامقًا يومها كأنه إنسان نائم يبتسم ودم ينزف من رأسه ولا تشعر بأنه ميت، ووقف يومها والد الشهيد على قبره وقال : الحمد لله الذى شرفنى باستشهاده . وأثناء الحديث تصدر بعض كلمات الحزن من والدة الشهيد فيها شىء من الندم لأنها سمحت لنامق بالخروج ذلك اليوم وترد زوجة الشهيد: أنا مقتنعة تمام القناعة أنه لم يبق لنامق من عمره شىء، هذا قضاء الله سبحانه وتعالى، وتقول لنا: على العكس مما هو واجب فأنا دائمًا أحاول التخفيف من آلام أمه . . فترد والدة الشهيد بقولها: أنا حزينة جدًا عندما أرى بناته وهن يرددن سؤالاً بريئًا يقطع قلبى من الداخل : أين أبونا . . أليس لنا أب يا جدتى؟! . وسألت زوجة الشهيد؟ ألا تعلم بناته بأن والدهن قد استشهد ؟ فتقول: بلى لقد أفهمتهن أن الجيش قتل نامقًا لئلا يكبرن ويتعقدن إن قلت إن أباهن مسافر فتقول لا أريد الكذب على بناتى ولكن البنات لازلن يذكرن الكثير عن والدهن: عندما ترى إكرام الدم الذى على فرش السيارة التى نقلته تقول: هذا الدم دم أبى وتقول بأن والدى فى الجنة ويكررن القول بأن والدهن ذهب ولم يعد. فداء الصغيرة شاهدت صورة والدها فى إحدى المجلات، فبدأت تنادى على والدها ،أما تماضر فعندما تذهب معى لزيارة شقيق نامق فى السجن فتسأل عن والدها ، وتحسبه فى السجن. وتجلس الصغار فى المساء إلى الجد فتقول له إحداهن: يا جدى أنت والدنا ليس لنا أب، قتله الجنود أليس كذلك يا أبى؟ وكلمات أخيرة تقولها زوجة الشهيد ودعتنا بها ونحن نشعر أننا أمام امرأة مؤمنة إيمانًا حقيقيًا : رغم أنه زوجى إلا أن هذا حق، ولو لم يستشهد تلك الليلة لمات على فراشه، نحن بحاجة إلى التضحيات، ومعنويات قوية جدًا ، وأنا على استعداد للتضحية كما فعل زوجى والشهادة شرف لا يستحقه أى فرد.

أولاد الشهيد: إكرام (٥سنوات) تقول لجدها: أنت والدنا ليس لنا أب، قتله الجيش. عريب (٤سنوات) الدماء التى على السيارة دماء أبى . تماضر(٣ سنوات) تسأل عن والدها فى السجن . فداء (ستتان) فى عينها ألف سؤال: أين والدى؟!!

***

الشهيـد/محمد منصور عبد ربه

١٩٨٩/٣/٣٠



حياة الفقر التى عاشها شهيدنا فجرت فى نفسه مشاعر متنوعة وأحاسيس مدفونة عمقتها طبيعة الحياة التى عاشها بين الأرض والمسجد والمدرسة.

فهو يسير يوميًا مسافات شاسعة عبر الأراضى المزروعة عبر رائحة النسيم العليل، يسير إلى المدرسة مارًا بالمسجد. ففى المدرسة تعلم أن يحب أرضه، والمسجد علمه واجبه نحو ربه وأرضه والعقيدة، هذه الأركان الثلاثة: الأرض، المسجد، المدرسة، هى التى كونت شخصية شهيدنا محمد منصور عبد ربه الذى ولد فى بلدة الجيب شمال القدس، والبلدة القريبة من القرى الفلسطينية الثلاث التى هاجر أهلها وهدمت ووريت بالأرض تمامًا، عمواس، يالوا، بين نوبا، فكان -رحمه الله- قريبًا من هذا المصاب، فحديث الناس عن عائلات فقدت كل شىء، فيعقد الشهيد محمد العزم فى قلبه أن يقدم شيئًا لأبناء أمته ودينه وبلده حتى لا يصيبهم ما أصاب القرى الثلاث ولا سيما وهم على الحدود.

هذه النفسية الشفافة المولعة بلقاء الله عبرت عنها كتابات الشهيد نفسه المتنوعة سواء عن طريق خواطر كتبها بشكل رسائل أو عبارات على الخزانة والوسادة كقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] عبارات كلها تصميم وإباء، فشهيدنا الذى أنهى المرحلة الثانوية فى مدرسة الجيب لم يكمل دراسته فى الجامعة، بل ذهب إلى الأرض ليرويها بعرقه ثم بدمه، جعل حديث الرسول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم حتى يأتى أمر الله». قيل أين هم يا رسول الله؟ قال: «فى بيت المقدس وأكناف بيت المقدس» جعله نبراسًا له يضىء له حالك الظلام، فكان لسان حاله يقول لبيك يا رسول الله نحن إن شاء الله من هذه الطائفة.

وإن كنا قلة لكنا على الحق والله تعالى تكفل بنصرة من كان على الحق من عباده ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]، فلابد من الدفاع عن الأرض والعرض والمقدسات، وكان – رحمه الله– ومجموعة من إخوانه الصائمين قد صلوا العصر فى مسجد البلدة وشعروا بأن مواجهة مع الجيش ستكون، فصلوا ركعتين لله وطلبوا الشهادة فى سبيل الله. وحدث اللقاء بين الليوث المجردة من السلاح إلا سلاح الإيمان والحجر وبين الطغاة المدججين بالسلاح والعتاد، استمرت مواجهة عنيفة بين تكبير الشباب المؤمن وحجارته وطلقات الجنود، فأصابت رصاصة غادرة قلب الشهيد الذى لفظ أنفاسه الأخيرة ناطقًا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صابراً صائمًا محتسبًا مقبلاً غير مدبر بتاريخ ٣٠/ ٣/ ١٩٨٩، ولدى زيارتنا عائلة الشهيد وجدنا الأب والأم من الذين ألهمهم الله الصبر على فقدان الشهيد، الأم تقول إنها لا تستغرب أن يكون ولدها شهيداً فقد كانت ترى فى عينيه حب الشهادة، فحديثه عن الجهاد والاستشهاد والجنة ونعيمها، أما عروسه فكانت فلسطين ودفع مهرها استشهاده.

وقد كتب الشهيد بيمينه رسالة وخاطرة قبل موته نحررها كما هى لنرى النفسية المؤمنة التى ملأت عقل وفكر شهيدنا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] . اللهم اجعلنا ممن ذُكروا فى كتاب الله واجعلنا السباقين للدفاع عن الإسلام والمسلمين وأول من يحارب فى سبيل الله وفى سبيل إعلاء كلمة الله ورفع الظلم عن أهل فلسطين وإرجاع الحق المسلوب وتحرير الأقصى وقبة الصخرة من براثن الأعداء والغاصبين . آمين يارب العالمين، انصرنا على القوم الكافرين.

ما أعظم كلمة الجهاد وما أحبها على قلبى وما أعذبها على سمعى، كلمة قال الرسول الأعظم عنها واعتبرها الرسول سنام الإسلام وقمته وقال إنه لا نصر إلا بالجهاد، ولا عزة ولا كرامة إلا بالجهاد.

فبما أن الجهاد والاستشهاد أمنيتى الوحيدة فى هذه الحياة فإنى أطلب منكم ومن الإخوة والأصدقاء دائمًا أن تذكرونى بالبسمة ولا تذكرونى بغيرها وأن تحذوا حذوى فى عملكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشهيد / داود قراقع

١٩٨٩/٤/٦



ولد «داود» بتاريخ ١/ ٦/ ١٩٧٢م فى مدينة بيت لحم وترعرع فى أحضان أسرة ملتزمة بالإسلام قولاً وعملاً من فضل الله كبيراً وصغيراً، وهكذا نشأ الشهيد منذ نعومة أظفاره على الصلاة والصيام وحب المساجد وعمل الخير كما رباه والداه وجميع إخوته على هذا المنهج المستقيم، إضافة إلى اجتهاده المدرسى جنبًا إلى جنب مع صدق إيمانه، وحين وصل المرحلة الابتدائية العليا انتظم مع فتيان وأشبال مسجد عمر بن الخطاب رياضيًا وثقافيًا حيث كان من لاعبى ومحبى كرة القدم المتفوقين ومطالعًا للكتب الإسلامية، وانتقل إلى المرحلة الإعدادية ليبدأ عقله يتسع وسلوكه يتزن ونقاشه مع والده يزداد وتظهر عليه روح الشباب الغيور المتحمس للعمل على إعلاء كلمة الحق «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

ويزداد اتصاله وارتباطه الإسلامى مع إخوته الشباب المسلم فى المساجد ليدخل المرحلة الثانوية بعقل ناضج وشباب قوى عنيد غيور على الإسلام وقول الحق وقراءة القرآن والتعرف على حقيقة أرض الإسراء والمعراج والجهاد فى سبيل الله، وكان ذلك مع بداية الانتفاضة، وكان بذلك متميزاً عن إخوته الكبار فى مجال الالتزام بالأخلاق، وكان الفضل لله بهداية وعودة كثير من الشباب المسلم أبناء جيله إلى التمسك بكتاب الله وسنة نبيه والتوبة النصوح على يديه، وكان اجتماعيًا صريحًا بطبعه محبًا للنقاش الدينى الهادف، وأحبه الشباب المسلم وعرفوه ، وكان حب الله له أكثر منهم إذ أكرمه وأكرم والديه بالشهادة التى طالما تمناها فى سبيله.

اعتقل الشهيد «داود» بتاريخ ١٦/ ٢/ ١٩٨٩ لمدة ثمانية عشر يومًا فى سجن الظاهرية فى الخليل حيث أفرج عنه بتاريخ ٥/ ٣/ ١٩٨٩ وبدأت مراقبته ومتابعة تحركاته من قبل سلطات وجنود الاحتلال حتى تمكنوا منه.

حادثة الاستشهاد:

كان موعد « داود» مع إشراقة صباح يوم الخميس ٦/ ٤/ ١٩٨٩ حيث نهض من فراشه ممتلئًا حيوية ونشاطًا ثم توضأ ووضع المصحف فى جيبه كعادته دائمًا وخرج من البيت ضاحكًا فأوصته الوالدة بالحرص والحذر واستودعته الله فأجابها: توكلى على الله يا أمى، ثم توجه إلى وسط المدينة حيث التقى الشباب المسلم وتوجهوا إلى ساحة النزال يقارعون المحتل بسلاح الإيمان بالله وسلاح الحجر، فكانت النداءات موجهة من قبل حركة المقاومة الإسلامية «حماس» لتصعيد الانتفاضة المباركة بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك ـ شهر الجهاد والتضحيات والانتصارات الإسلامية . وبدأ «داود» وإخوانه الشباب المسلم بالتكبير « الله أكبر . . الله أكبر والعزة للإسلام ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله» . وبعدها بدأت الاشتباكات مع قوات جنود الاحتلال فى حارة الفواغرة لتمتد إلى حى المدبسة ولم تكن تسمع سوى نداءات الله أكبر وصوت أزيز الرصاص الكثيف حيث أصيب «داود» برصاصتين فى رأسه من قناص محترف بعد ملاحقته وتشخيصه فى حى المدبسة، ليخر ساجداً على وجهه الذى لم يسجد لغير خالقه أبدًا، ثم اقترب منه القاتل وركله برجله على منطقة الإصابة، إلا أن مجموعة من الرجال والنساء استطاعوا إبعاد القاتل عن داود وتمكنوا من نقله إلى مستشفى الحسين ثم تحويله إلى مستشفى المقاصد بالقدس بواسطة سيارة الإسعاف، لكن الإصابة كانت خطيرة للغاية كما شخصها الأطباء، وأجريت له عملية جراحية على الفور استمرت ساعتين لم يتمكن خلالها الأطباء من إخراج الرصاصتين لاستقرارهما فى الدماغ مباشرة، ثم وضع فى غرفة العناية المكثفة حيث أمضى أسبوعًا كاملاً والأجهزة لا تكاد تظهر منه شيئًا لكثرتها عليه . . حتى فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها يوم الخميس ٧ رمضان ١٤٠٩هـ الموافق ١٣/ ٤/ ١٩٨٩م فى تمام الساعة الواحدة والنصف صباحًا، فودع الحياة الدنيا بابتسامة تدل على فرحته بلقاء ربه، كيف لا وهو يرى مقعده من الجنة تهب عليه منه نسماتها العليلة لتعطر روح الشهيد البطل ؟

أسرته: تتكون أسرة الشهيد من والده المولود فى قرية علار[1] السليبة منذ عام ١٩٤٨ والذى يعمل مدرسًا حكوميًا منذ خمسة وعشرين عامًا، وربة البيت الفاضلة أم

(١) علار: آخر أعمال بيت لحم من الغرب، دمرها اليهود بعد اغتصابهم لها وشنقوا من بقى على قيد الحياة من سكانها، وأقاموا على أنقاضها مستعمرتهم مطلع: عام ١٩٥٠م. انظر: الدباغ، بلادنا فلسطين.

الشهيد التى عملت وتعمل على تنشئة أولادها على النهج الإسلامى السليم. للشهيد من الإخوة الذكور خمسة: اثنان أكبر منه، وثلاث أخوات، الكبرى فيهن طالبة تدرس فى جامعة بيت لحم.

من كرامات الشهيد:

كان دائم الحديث عن الشهادة فى سبيل الله متمنيًا إياها بقوله «اللهم أطعمنى الشهادة» وكان يتحدث إلى أصحابه بأن إصابته ستكون فى رأسه إذا تمكن منه الأعداء حتى قبل إصابته بيوم واحد.

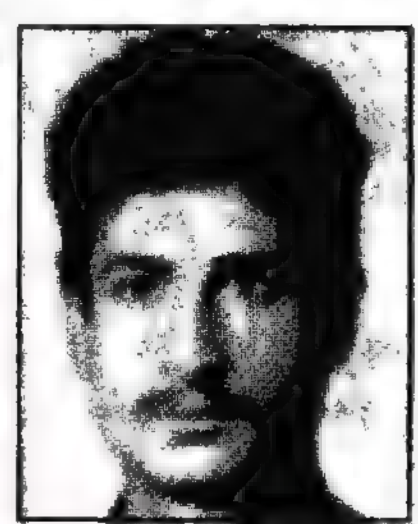


قتلى وجرحى ودماء فى سبيل الله

***

شهداء نحالين

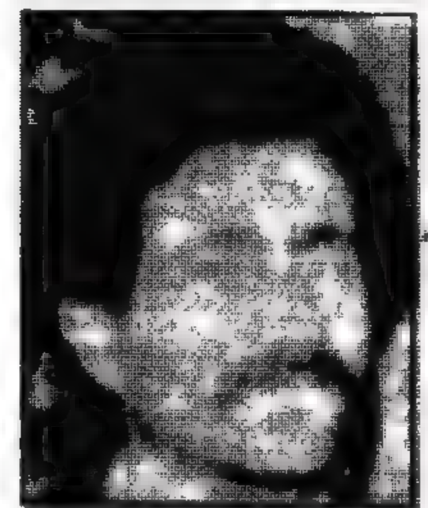
١٩٨٩/٤/١٣











فى ليلة من ليالى رمضان المبارك.. شهر الجهاد والمجاهدين ، كانت نحالين (٢٥٠٠ نسمة) على موعد مع الشهادة.. كانت على موعد مع الجهاد فى سبيل الله، حيث اقتحمتها ٣٥ سيارة، وذلك فى الساعة ٣,٢٠ من صباح يوم ١٣/ ٤/ ١٩٨٩ ، وكان أهالى القرية يتناولون طعام السحور، ودخل الجنود القرية من جهاتها الأربع لاعتقال عدد من الشبان.. وفى الساعة الخامسة صباحًا بدأ المجرمون بإطلاق النار على المصلين أمام مسجد القرية بعد أن أدوا صلاة الفجر، وكان الجنود ومعظمهم مما يسمى بحرس الحدود من الدروز يطلقون النار على المصلين بشكل عشوائى لا يميزون بين إنسان وحيوان و.. بين كبير وصغير.. إنهم يطلقون النار على كل شىء يتحرك أمامهم ، إنه أمر أبرم بليل... إنها خطة جديدة ترمى إلى إرهاب الناس والقضاء على معنوياتهم العالية.. ولكن هيهات هيهات، لقد خاب ظنهم.. إنهم يتعاملون مع شعب مؤمن ارتبط بهذه الأرض وارتبطت به الأرض ينشد دائمًا وأبدًا:

إنا باقون . . .

لا يأس أخى لا بؤس أخى . . .

إنا باقون . . .

ما بقى الزعتر والزيتون . . .

إنا باقون . . .

ما بقيت آيات الإسراء وما بقى اللوح المكنون . .

لقد علت هتافات الشبان فى القرية بعد سماعهم بإطلاق النار، ومعرفتهم بالحادث «الله أكبر ولله الحمد، حى على الجهاد» وفى تصرفات حاقدة دخل الجنود المسجد وحطموا نوافذه، ومزقوا مجلة الحائط التى يصدرها الشبان، وهم يرددون الشتائم بحق الذات الإلهية وبحق الرسول محمد ﷺ. . . . وهذا ليس جديدًا على يهود فلقد كرهوا رسول الله وحاربوه فَمكنه الله من رؤوسهم حتى طهر الجزيرة من رجسهم، وقلع أشواكهم التى نبتت كنبتة غريبة فى ديار العروبة والإسلام .

لقد سقط فى هذه المذبحة خمسة شهداء، وأعلنت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» فى منشورها أن اثنين من الشهداء هم من جنودها وهم الشهيد صبحى محمد عطية شكارنة والشهيد رياض محمد على غياضة، أما الثلاثة الآخرون فكانوا من المؤمنين المصلين، وتعتبرهم حماس من أنصارها وأنصار الإسلام ودعوة الإسلام . . . لقد سالت الدماء واختلطت بسجاد المسجد . . . واختنقت الأصوات على مآذن القرية، وناحت على شهداء نحالين :

ناح الأذان على المآذن حسرة وتصدعت من حزنهن قبال

١ - الشهيد البطل صبحى محمد عطية شكارنة

(إنى أريد أن ألقى الله صائمًا)، بهذه الكلمات ودع الشهيد صبحى إخوانه وهو يردد «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله» وذلك بعد إصابته برصاصتين فى رأسه وصدره، نال بهما الشهادة فى سبيل الله، وارتفع فى سماء نحالين شهيدًا كما كان يتمنى .

ولد الشهيد صبحي في بلدة نحالين عام ١٩٦٨، انتمى للدعوة الإسلامية عام ١٩٨٢، والتحق بكلية العلوم والتكنولوجيا في «أبو ديس». يبدو أن الشهيد صبحي كان على موعد مع «الشهادة»، هذه الكلمة وكل تصرفاتها «شهيد.. شهداء.. شهادة» كان لسانه دائمًا رطبًا بها إذ كانت أمنيته الوحيدة في هذه الحياة.

من مواقف الشهيد:

قام الشهيد صبحي قبل استشهاده بيوم واحد بزيارة صديق له، وخلال الحديث قالت له أم صديقه: بقي عليك أن تتزوج، فرد مبتسمًا: أنا لا أريد الزواج، بل أريد شهادة، ظنت الأم أنها شهادة جامعة فقالت: تأخذ الشهادة وتتزوج، فقال شهادتي هي الموت في سبيل الله وزواجي من الحور العين.

في أحد الأيام وبعد صلاة العشاء قال له إخوانه في المسجد: نراك تتزين كأنك تريد الزواج، فقال: بل أريد الشهادة برصاصة ها هنا، وأشار إلى جبينه وصدره، ومن حكمة الله تعالى أن جاءت إصابته كما أشار: إلى جبينه وصدره.

كان يومًا في بيته يدهن بعض الطاولات والكراسي فقالت له أمه: هيا تعجل في العمل حتى نفرح بخروج أخيك من السجن ونزوجكما معًا، فقال: أنا يا أمي سأتزوج من الحور العين.

كان الشهيد صبحي صوامًا، يصوم الاثنين والخميس، قوامًا يقوم الليل يناجي ربه، غيورًا شديد الغيرة على الإسلام.

كان صاحب خط جميل، تشهد براويز المسجد وروضة الأطفال وشوارع القرية بجمال خطه.

كان مشهورًا بضرب الحجارة بالمقلاع، حتى إن إخوانه كانوا يضعون له أهدافًا يصوب نحوها فيصيبها.

كان متفوقًا في دراسته الثانوية، وكانت درجته دائمًا الثاني في صفه.

كان حائزًا على ثقة جميع أهل القرية محبوبًا عندهم...

٢- الشهيد البطل رياض محمد على غياضة

أصابته رصاصة فى الكتف وأخرى فى الذراع بعد مواجهة عنيفة ومقاومة مستمرة بعد صلاة الفجر، لتسجل رياض فى قوائم الشهداء وتسجل أطفاله الأربعة، هيفاء (٤سنوات) محمد (٥ سنوات)، هبة (سنتان)، أسماء (شهران) فى قوائم أبناء الشهداء.

ولد الشهيد رياض عام ١٩٦١ أنهى دراسته الثانوية ثم توجه إلى العمل بسبب صعوبة الحياة المعيشية، كان معروفًا بحبه لتلاوة القرآن الكريم، إذ كان يختم القرآن مرتين فى الشهر، إلا أنه فى شهر رمضان كان على موعد مع أجر عظيم.. ألا وهو الشهادة، زهد الشهيد رياض فى الدنيا واعتبرها زائلة، وعطف جداً على أخواته وخاصة الصغيرات، ومن شدة حبهن له كنَّ يقلن له يا أبتاه. كان غيوراً على الإسلام يكره الملحدين، حتى أنه يكاد يسطو على الذى يسمعه يشتم الذات الإلهية.

نوى الشهيد رياض المبيت فى المسجد الأقصى يوم الخميس حتى يتمكن من صلاة الجمعة، إذ كانت قوات الشرطة والجيش وحرس الحدود تحاصر المسجد الأقصى لتمنع المصلين من أداء الصلاة فيه يوم الجمعة، إلا أن تلك الرصاصات سجلته فى شهداء أكناف بين المقدس، صباح يوم الخميس، ابنته هيفاء وعمرها ٤ سنوات طالبت «دان شمرون»[1] الذى حضر إلى بيتهم مع الجيش -أن يعيد أباها الذى أخذوه، فلم يرد عليها اللعين.

٣- الشهيد البطل فؤاد يوسف عوض نجاجرة

بعد تناول طعام السحور، وفى طريقه إلى المسجد لأداء صلاة الفجر، وبعد مواجهة ومقاومة مع الجيش، كانت الشهادة. ولد الشهيد فؤاد عام ١٩٧٤، وهو سابع إخوته التسعة، درس حتى الصف الثالث الإعدادى فى مدرسة القرية، وكان من الطلبة المتفوقين وقد عمل فى زراعة الأرض، كما كان خلوقًا شهمًا محبوبًا فى أهل قريته.

عُرف الشهيد فؤاد بمقلاعه الذى يصيب الهدف، وقد استخدمه فى صباح يوم المجزرة. وروى شهود عيان أنه بعد وفاته ظل المقلاع فى يده، وفى المستشفى حاول الطبيب أن ينزعه، إلا أنه لم يستطع ولم يكن أمامه سوى استخدام المقص لقطعه.

(١) دان شمرون هو رئيس أركان جيش اليهود النازى وهو المسئول المباشر عن قمع الانتفاضة المباركة.

أصيب برصاصة قناص غادر فى رأسه كانت من نوع دمدم المتفجر، فتحطمت مقدمة الجمجمة وقد كان دمه كثيفًا، زاهى اللون طيب الرائحة.

٤- الشهيد البطل محمد حسن الشيخ شكارنة

كانت طفلته (عمرها خمسون يومًا) تنتظر أباها الذى خرج لمقاومة قطعان الجيش، ولكنه لم يعد إلا وقد ارتفع شهيداً فى سماء نحالين، إنها الابنة الوحيدة للشهيد. ولد الشهيد محمد عام ١٩٦٦، وقد أنهى دراسته الثانوية، ثم درس فى كلية المجتمع العصرية برام الله فى السنة الأولى، وكان ناجحًا فى دراسته، حرص الشهيد محمد على الشهادة وكان يواظب على تلاوة القرآن، ويحب مطالعة الكتب الإسلامية، كما كان مطيعًا لوالديه.

٥- الشهيد البطل وليد محمد عبد الله نجاجرة

بعد ثمانية أيام من إصابته فى رأسه يوم المجزرة، التحق الشهيد وليد بشهداء نحالين الأربعة، إذ كان فى قدره أنه فى عداد الشهداء، لذلك فإن العناية المكثفة فى المستشفى لن تستطيع تغيير القدر. ولد الشهيد وليد عام ١٩٦٦، وبعد أن أنهى المرحلة الثانوية بنجاح تفرغ للعمل فى الأراضى التابعة لوالده، واشترى سيارة لنقل الخضار والفواكه إلى السوق. كان محبوبًا عند أهله كثيراً خاصة وأنه المعيل للعائلة، يجتهد لراحة أمه وأخيه الصغير.

استخدم الشهيد وليد سيارته يوم المجزرة لنقل الجرحى والمصابين إلى المستشفيات، وبعد الانتهاء من دفن الشهداء الأربعة فى قرية حوسان اشترك الشهيد وليد فى مطاردة الجيش بالحجارة فى قرية حوسان، وقد كانت دورية حرس الحدود تجثم على مدخل القرية، فقام أحد الجنود بإطلاق الرصاص فأصابته رصاصة فى رأسه، ثم نقل إلى مستشفى المقاصد ليلقى الله عز وجل بعد ثمانية أيام.

مشاهد للشهداء:

الشهيد صبحى ينادى فى مكبرات الصوت التابعة للمسجد: الله أكبر، حى على الجهاد، الله أكبر ولله الحمد، ينبه الناس بقدوم الجيش، وأثناء المواجهات أصيب برصاصة فى أذنه، وطلب منه الناس أن يدخل أحد البيوت ويكتفى بهذا القدر إلا أنه يقول: إنما جئنا هنا لنستشهد وليس لنختبئ.

الشهيد رياض يقطع سحوره وينبه الجيران بقدوم الجيش، ثم يتوضأ ويذهب إلى المسجد يصلى ركعتين ثم يقول إننى جاهز للشهادة. وبعد احتدام المواجهة يأخذ هويته ويلقى بها بعيداً ويقول: لا أطيق أن أراها بعد هذا اليوم. سقط الشهيد رياض وهو يبتسم ويردد بكلمات متقطعة: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الشهيد فؤاد يتمركز بجانب سور القرية، ومقلاعه المشهور فى يده يوجه به ضرباته المعروفة، وفى المستشفى يستخدم الطبيب المقص لقطع المقلاع لأنه كان قابضاً عليه مصراً على مواصلة المقاومة، حتى لقى ربه وهو صائم.

الشهداء الأربعة دفنوا فى قرية حوسان المجاورة، أما الشهيد وليد فدفن فى بلدته نحالين.



المسجد الأقصى يئن حزينا

***

الشهيد/رائد محمد مؤنس

١٩٨٩/٥/٦



فى يوم عيد الفطر المبارك ٦/ ٥/ ١٩٨٩، كان من المفترض أن تمر هذه المناسبة وقد انشرحت الصدور بالفرحة والبهجة وارتسمت الفرحة على وجوه الأطفال وهم يضحكون ويلعبون ويمرحون، ولكن هيهات هيهات، فقد كتب على أبناء شعبنا أن يقترنوا بالأحزان، وأن تغيب البسمة فى عالم المجهول، عالم الظلم والطغيان، واستبدل أطفالنا ببسمتهم الرقيقة الدموع والآهات. فى هذا اليوم كان أهلنا فى القطاع يحتفلون بالعيد بطريقة أخرى، فقد خرجت الجموع المؤمنة إلى الشوارع فى مسيرات حاشدة، وهى تردد ذلك الشعار الخالد: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد» فتخشع له قلوب المؤمنين بينما تهتز قلوب الكافرين خوفًا وفزعًا. . واقتربت الجموع من جنود الاحتلال واختلط التكبير مع أصوات الرصاص وهجمات الجنود، وسالت الدماء الحمراء لتختلط بذرات الأرض المقدسة وفى هذا اليوم كان رائد على موعد مع شهادة الشرف والفخار.

فى ذلك اليوم كان يقف أمام المسجد الكبير بعد أداء صلاة العيد[١] ويسمع أن جنود الاحتلال قاموا باعتقال شاب وضربوه ونكلوا به، فأسرع للمواجهة، وهو الذى اعتاد على الإسراع فى الخيرات والعمل المبارك، وأثناء المواجهات أصيب برصاصة مطاطية وتم علاجه محليًا، وأثناء عودته إلى ساحة الوغى، لاقته والدته وطلبت منه أن يعود إلى البيت، إلا أنه أبى ذلك، فتوجه إلى منطقة أخرى من مناطق المواجهات، وبدأ يرجم جنود الاحتلال بالحجارة، وطلب الجنود الجبناء الذين ترتعد فرائصهم وتهتز معنوياتهم أمام سلاح الحجارة البدائى- نجدة من جنود آخرين، فحضرت أعداد أخرى من جنود

---

(١) أصبحت الأعياد والمناسبات فى فلسطين أوقاتًا مفضلة للجهاد حيث يجتمع المؤمنون، معلنين رفضهم للمحتل، وتمسكهم بدينهم وأرضهم، ولذلك فإن أكثر الأيام فزعًا عند اليهود هى أيام الجمع والأعياد.

الاحتلال وهم مدججون بالسلاح النارى والقنابل المسيلة للدموع والهراوات. وبدأوا يقتحمون المنطقة وهم يطلقون وابلاً من النيران، فتراجع معظم الشبان إلى مواقع أخرى إلا رائد الذى بقى فى مكانه يقاوم، فأصيب برصاصة فى صدره من الجهة اليمنى، وبرغم الدماء النازفة وآلام جراحه استطاع الابتعاد عن المكان والدخول إلى أحد البيوت، حيث تم نقله إلى المستشفى، إلا أنه فى الطريق صعدت روحه فى يوم العيد تشكو إلى الله ظلم الظالمين وسكوت المسلمين! وبعد أن علم أحد الشبان بالنبأ توجه إلى منزل الشهيد وقال لهم «رائد راح ع الجنة» وتم إحضار جثمان الشهيد وودعوه وداعًا يليق به وتم دفنه فى مقبرة المخيم.

ويقول والده عنه: كان رائد من شباب المسجد، كان صوامًا قوامًا، وكان محبوبًا من كافة الجيران، وتمتع بأخلاق عالية جداً، وأنهى دراسته الثانوية العامة وعمره ١٨ عامًا. أما عن موطنهم الأصلى فيقول: «نحن من قرية بربر قرب المجدل وتم ترحيلنا عن القرية فى العام ١٩٤٨، وأصبحنا على أرضنا لاجئين»، وعن هواياته يقول شقيقه الأصغر منه «كان يرغب بإتمام دراسته الجامعية وكان يحب الألعاب الرياضية». أما عن التزامه فى المسجد فيقول لنا إمام المسجد الكبير: «عاش حياته الإسلامية ملتزمًا بالمسجد الكبير، وكان يلتزم المسجد معظم أوقات النهار وخاصة فى رمضان المبارك، وكان من الشباب المسجلين لدورة تجويد القرآن، وكان معه دفتر يكتب فيه الملاحظات». وفى العشر الأواخر من رمضان اعتكف رائد فى المسجد وقضى معظم وقته فى قيام الليل وتلاوة القرآن.

وكان يوزع التمر على الشباب عند الإفطار، حيث كان يقترب من إخوانه ويحبهم حبًا كبيراً، وكان يصعد إلى مئذنة المسجد ويؤذن، بسبب قيام جنود الاحتلال بمصادرة مكبرات الصوت، أما عند السحور، فكان يخرج لإيقاظ الناس، وكان قلبه معلقًا بالمساجد بشكل يلفت الانتباه، والد الشهيد يقول: من داخل قلبى أنا مسرور أن أصبح أحد أبنائى شهيداً ليشفع لى يوم القيامة، ولكن العين تدمع والقلب يحزن، وأتمنى أن أقضى شهيداً فى سبيل الله، وقال بكلمات أخيرة ونحن نغادر بيته المتواضع: «لم يُضِع أرضنا سوى حكام العرب والزعامات وليتنا كلنا نموت شهداء».

الشهيد /محمد زقوت

١٩٨٩/٥/٦



كنا نهم بدخول أحد بيوت مخيم النصيرات، شاهدنا طفلاً صغيراً أسمر الوجه جميل القسمات، كان يحمل بيده الحجارة ويلقى بها على دوريات الاحتلال. سألت مرافقى من هذا الطفل؟ . . إنه ابن الشهيد محمد عبد الله زقوت الذى استشهد أول أيام عيد الفطر، وتقول والدته: منذ استشهاد والده وهو على هذه الحال، فى كل يوم يخرج ويحمل الحجارة ويقول: سنطرد الجنود حتى يصلوا البريج! والشهيد زقوت من مواليد ١٩٤٩ أنهى الثانوية العامة ثم درس فى معهد صناعى وأنهى درجة الدبلوم فى لحام الأكسجين، ثم فتح مشغلاً بعد ذلك، وهو متزوج وله ٣ أولاد، و٦ بنات، ومخيم النصيرات كبقية مخيمات البؤس مكتظ بالبيوت المبنية من الطوب والزنك، وبيت الشهيد لم يكن أحسن حالاً من هذه الصورة المؤلمة لشتات شعبنا. وبالرغم من هذا فإن سكان المخيم يتمتعون بالرجولة والشهامة والكرم، وخلال رحلتنا رافقتنا ثلة من هؤلاء الرجال وكنا نشاهد الشعارات والرسوم التى طبعت على الجدران، فما من بيت إلا ورسمت عليه شعارات حركة حماس، ففى فناء إحدى المدارس رسمت الأعلام الموشاة بـ: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

يقول لنا شاب: «جنود الاحتلال يقولون عن مخيمنا بأن ٩٠٪ من سكانه حماس وعندما يغضبون فى أيام الغضب يقولون المخيم ١٠٠٪ حماس». بعد سماع نبأ الاستشهاد خرج سكان المخيم صغيرهم وكبيرهم وحدثت مواجهات عارمة لم يستطع جنود الاحتلال خلالها ولمدة أربع ساعات من فرض نظام منع التجول، أما عن أطفاله الذى فوجئوا بالحدث خاصة أنه كان يوم عيد: فأسماء (سنتان وخمسة شهور) تسأل عن والدها باستمرار وتقول: لماذا لم يأت والدى بعد؟ وكلما قرع الجرس تقول:

افتحوا الباب هذا أبى جاء وأحضر لى لعبة حلوة، ولكنها بعد فترة عرفت سبب هذا الغياب، فعندما يسألها أحد أين بابا ؟ تقول فى الجنة، أما بسام (وعمره ثلاثة سنوات ونصف) فهو لا يزال على العهد يحمل حجارة ويخرج لقتال قتلة أبيه. وتقول زوجة الشهيد إن أبناءها من المتفوقين فى دراستهم، فميرفت من أوائل الطالبات فى مدرستها وكذلك بقية الأولاد.

حادثة الاستشهاد:

استشهد محمد يوم عيد الفطر ٦/ ٥/ ١٩٨٩، وكان قد توجه يومها لصلاة العيد فى مسجد المصنع، وحدثت أثناء ذلك مواجهات مع جنود الاحتلال الذين كانوا يوجدون بأعداد كبيرة منذ صبيحة ذلك اليوم، وبينما كان الشهيد يهم بمغادرة المسجد أصيب برصاصة فى صدره حيث نزفت دماؤه بغزارة لتروى تراب النصيرات، وفرض نظام منع التجول، وأى عيد هذا الذى يعيشه أبناء الشعب الفلسطينى وأقدام الغازى المحتل تدنس الأرض يريد أن يسلب كرامة الإنسان ويهددها ولا يريد أن يترك للفلسطينيين شيئًا سوى الاستعباد والذل والمهانة. . وأنى للفلسطينى أن يقبل بهذا ؟ إن تاريخه ودينه يجعلانه يأبى الخضوع لمعتدٍ.

أخلاق الشهيد:

يجمع كل من عرف الشهيد بأنه كان يتمتع بخلق إسلامى رفيع وتميز بالهدوء والرزانة، وكان يقوم بواجباته الدينية خير قيام، وكان مواظبًا على أداء الصلوات حتى صلاتى الفجر والعشاء جماعة فى المسجد رغم الظروف الأمنية السيئة فى الانتفاضة إلا أنه حافظ على هذه السنة، وكان يقرأ القرآن باستمرار حتى أثناء وجوده فى المحل، وكان يحرص باستمرار على عدم معرفة الآخرين بعبادته خوفًا من الرياء، فكان أحيانًا يقوم بإخفاء القرآن عندما يأتى بعض معارفه إلى المحل وهو يقرأ القرآن. وفى شهر رمضان حرص شهيدنا على الصيام والقيام وقراءة القرآن وكان يدعو أبناءه إلى التجمع على قراءة القرآن حتى إنه ختم القرآن ثلاث مرات خلال الشهر الفضيل، وذلك اتباعًا للسنة النبوية حيث إن الأجر يضاعف خلال الشهر المبارك. كذلك امتاز الشهيد بحسن المعاملة والمخالطة مع الجميع وبخاصة أبنائه.

رؤيا:

تحدثنا زوجة الشهيد عن حادثة حدثت مع زوجها قبل استشهاده بثلاثة أيام، فبينما كان الشهيد نائمًا، أيقظته زوجته فقال لها لو تركتينى أصلى خلف الشيخ حسن، وهو شيخ جليل متوفى، إشارة إلى رؤيا رآها فى المنام، حيث توضأ واستعد للصلاة خلف الشيخ حسن فقالت الزوجة: الشيخ حسن عنده كثير من الشباب والذين يقومون بالواجب أما أنت فعندك تسعة أنفار. وتذكر لنا أيضًا قصة استشهاد والدها حينما كان عمرها سنتين وذلك فى العام ١٩٥٦ حيث كان والدها مع المجاهدين وعمل قائدًا لكتيبة فى إحدى المناطق بقطاع غزة وبالرغم من الحمل الثقيل الذى تركه الشهيد وراءه كانت أم حسام تحمد الله سبحانه وتعالى بالرغم من المصاب الأليم..

أبناء الشهيد:

أسماء: سنتان ونصف.

بسام: ثلاث سنوات ونصف.

عصام: خمس سنوات.

حسام: ١٧ سنة.

نجوى: ٨ سنوات.

نيفين: ١٠ سنوات.

ألفت: ١٢ سنة.

هالة: ١٥ سنة.

ميرفت: ١٦ سنة.

***

الشهيد/ على عبد الله محمد حسين

١٩٨٩/٥/١٠

قال تعالى: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب:٢٣]، قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»(١).



وشهيدنا سأل الله الشهادة بصدق، بل كان يدعو قائلاً: «اللهم أحينى سعيدًا وأمتنى شهيدًا» ليس هذا فحسب، بل كان يستحلف والدته أن تدعو له بأن يستشهد فى سبيل الله. لقد كان علىٌّ يرنو ببصره إلى الأفق البعيد يتمنى أن يكون فى ذلك الفردوس الذى أعده الله للشهداء فلسان حاله يقول:

سأغوص فى جرحى وفى آلامى ... وأحطم الفردوس من أحلامى

وأعيش للأمل المجنح علّنى ... أحيا مع البسمات من أوهامى

إن كنت تسأل عن شهيد صامت ... ففتىً يهيم بدعوة الإسلام(٢)

نبذة عن حياة الشهيد:

ولد شهيدنا فى قرية الخضر(٣) ببيت لحم فى ٢٨/ ١٢/ ١٩٧١م، فى أسرة مسلمة، تَربَّى على الصلاة والصيام وحب الخير والشجاعة والجرأة، وأسرة علىٍّ كانت مكونة من سبعة أفراد، لكن قبل خمس سنوات قام أحد المستوطنين اليهود بدهس أخته بسيارته والبالغة ست سنوات من عمرها.

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووى (١٣/ ٥٥)، أبو داود، السنن، (٢/ ٨٥، ٨٦) الترمذى، السنن: (٣/ ١٠٣). النسائى، السنن، (٦/ ٣٦، ٣٧).

(٢) أبيات شعرية لشاعر الأقصى، يوسف العظم، ديوانه «عرائس الضياء»، دار الفرقان، عمان، ص٥.

(٣) الخضر: تقع على بعد ١٢ كم من القدس دعيت باسمها هذا نسبة إلى دير أقيم بها وفيها وقعت معركة كبيرة بين الثوار والإنجليز عام ١٩٢٤/ انظر: الدباغ، بلادنا فلسطين، (٨/ ٤٨٢، ٤٨٣).

نشأ شهيدنا وترعرع ودرس حتى الصف الأول الثانوى ثم ترك المدرسة للعمل. ولكن العمل لم يصرفه عما أحب، إذ تعلقت روحه بالمساجد فلا تخرج منه حتى تشتاق للعودة إليه. وتقول والدة الشهيد: «كان مؤمنًا صالحًا طائعًا لوالديه، يحافظ على العبادات وعلى صلاة الجماعة، وكان إذا لم يستطع الذهاب إلى المسجد يجمع أهله ويصلى بهم جماعة» أما عن جدته فتقول: كلما طلبت منه أن يفطر عندى فى رمضان كان يرفض ويقول: «أريد أن أفطر مع إخوانى فى المسجد وأصلى التراويح إن شاء الله».

أجل أيها الأحبة فإن الله عز وجل لا يختار للشهادة إلا الأخيار، لقد كان -رحمه الله- طيب الخلق وحسن المعاملة يمقت التدخين، لم ينظر إلى التلفاز إلا مضطراً، وكان يوصى إخوانه دائمًا بالصبر، إذا سمع بعمل خير بادر إليه، لقد سمعه الشباب وهو يعمل بهمة عظيمة فى بناء المسجد[1] فى رمضان فرحًا وهو يقول: «بسم الله الله أكبر».

قصة استشهاده:

فى يوم الأربعاء ١٠/ ٥/ ١٩٨٩ ضربت السواعد الرامية حافلة يهودية قريبًا من القرية، فقام أحد ركابها بإخراج مسدسه وبدأ بإطلاق النار، فأصابت رصاصة طائشة سيارة خال الشهيد، ولكن الله تبارك وتعالى سَلَّم، ولم يصب السائق بأذى. فسمع شهيدنا بالخبر ونزل مسرعًا ليطمئن على خاله ثم ذهب إلى المسجد عصراً وهو يخطط ويدبر، وما إن انتهت الصلاة حتى نظم الشهيد مظاهرة عنيفة، وهاجمت الجنود المؤمنة الجنود الجبناء، وأخذ الشهيد يهاجم هؤلاء كالأسد، ولما حمى الوطيس وبدأ الشباب يتراجعون، صرخ فيهم أن اثبتوا، وهو يهاجم ويضرب، فاتحًا صدره للرصاص، وتناديه أمه أن احذر القناص يا على، ولكنه يستمر فى هجومه وهو يهتف «الله أكبر الله أكبر» وإذا برصاصة غادرة تقطع سبابته وتدخل من جهة عينه اليسرى لتستقر فى دماغه، ولما رأت أمه ذلك هرعت إليه لتأخذه. فأمطروها بوابل من الرصاص

---

(١) يذكرنا هذا بالصحابى الجليل «عمار بن ياسر» الذى كان يعمل فى بناء مسجد الرسول ﷺ فى المدينة بهمة عالية، فكان أحدهم يحمل حجراً بينما كان عمار يحمل فى يديه حجرين/ عبد السلام هارون/ تهذيب سيرة ابن هشام، ص ١٢٠، ١٢١.

المطاطى، فأصيبت هى وجد الشهيد وجدَّتُه، وبعد ذلك خرج الناس مكبرين مهللين، وحمله خاله إلى المستشفى وشهيدنا يصرخ «لا إله إلا الله الله أكبر» تخرج متقطعة من فمه مع زفرات حزينة إذ لم يستطع أن يشفى غليله من هؤلاء الجبناء.

لما وصل إلى المستشفى وضع فى الإنعاش المكثف، ورآه الشباب من إخوانه ودموعه تسيل على خده من خشية الله عز وجل. مكث الشهيد هكذا حتى يوم الجمعة ١٩/ ٥/ ١٩٨٩، حيث رآه الشباب مبتسمًا فى تلك الليلة، فقرأوا بجانبه سورًا من القرآن وبخاصة سورة «يس» وعند أذان فجر يوم السبت ٢٠/ ٥/ ٨٩، وعندما قال المؤذن الله أكبر الله أكبر تحركت شفتاه قائلاً الله أكبر الله أكبر. ثم فاضت روحه إلى عليين، وهنا احتضنه إخوانه من الشباب، وذهبوا إلى قريته، ليدفن فى صبيحة ذلك اليوم حتى لا يخطف المجرمون جثته، وأثناء الدفن حضرت القوات المجرمة وفرضت نظام منع التجول بينما كان الشهيد قد أصبح فى الفردوس مع الحور العين فى حواصل طير خضر تغدو وتروح فى الجنان.

كرامات الشهيد:

(١) بعدما فاضت روحه بأكثر من عشرين دقيقة أراد الشباب أن يصوروه للتذكار، فأزاحوا العصبة عن جرحه قرب عينه اليسرى وإذا به ينزف دمًا تصاحبه رائحة طيبة.

(٢) بعد إصابته بثمانية أيام أخرج شقيقه قناعه الذى كان يلبسه -عندما أصيب- لمجموعة من الناس، وإذا بدمه لازال عليه رطبًا ورائحته طيبة.

(٣) عندما دفن لم يتمكن الشباب من إغلاق القبر تمامًا. ولما توجه مختار القرية ليغلقه تمامًا فى اليوم التالى قال: «لقد شممت رائحة عطر طيبة كأطيب ما يكون العطر، وكانت نفس رائحة شهيد الدوحة عبد العزيز ناجى الذى دفنته بيدى».

(٤) كان شهيدنا ـ رحمه الله ـ دائمًا يضع فى جيبه ملصقة كتب عليها «لا إله إلا الله» ولما أصيب لم تكن فى جيبه فوضع الشباب راية لا إله إلا الله على صدره فى المستشفى، ولما توفى قام ممرض ممن كانوا يشرفون عليه، ويدعى علىّ، وبدون علم مسبق بالبحث عن ملصقة مكتوب عليها لا إله إلا الله كتلك التى كان يحبها الشهيد ووضعها معه فى ملابسه التى دفن بها.

(٥) عندما ولدت أمه أخاه الصغير «نضال» كان المؤذن يرفع الأذان فقال لأمه: أتمنى يا أمي أن أستشهد عند الأذان فكان له ما أراد، وفي يوم السبت ٢٠/ ٥/ ١٩٨٩ عند أذان الفجر خرجت روحه إلى بارئها.

وهكذا مضى شهيدنا إلى الله تبارك وتعالى وهو يشدو:

يا قدس قولي لخيل الله على ضفاف النيل مسروجة: آن الأوان

قد آن للظلمة أن تنجلي ويسقط الباغي ويعلو الأذان

رحمك الله يا شهيد« الخضر» وألحقنا بك مؤمنين غير فاتنين ولا مفتونين...

اللهم آمين.

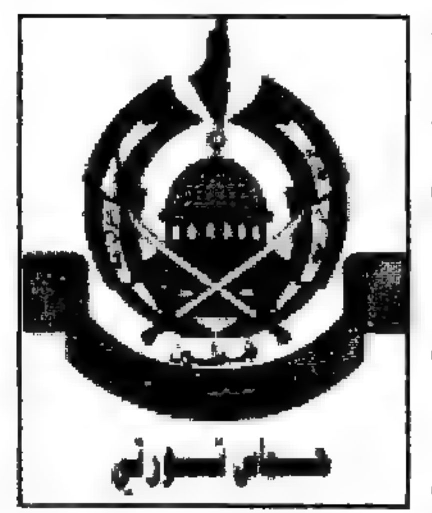


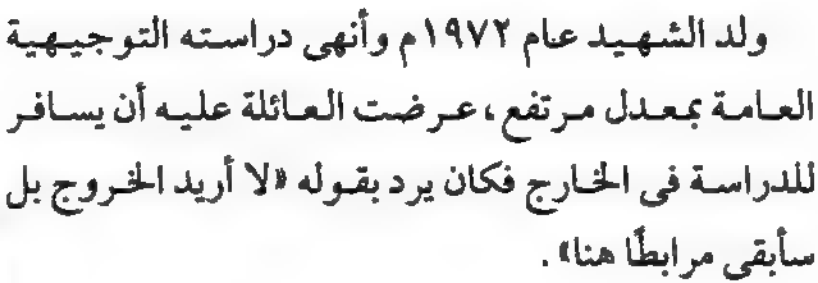
***

الشهيد خالد جاد الله جاد الله

١٩٨٩/٥/١١

ملامح من شخصية خالد:





ولد الشهيد عام ١٩٧٢م وأنهى دراسته التوجيهية العامة بمعدل مرتفع، عرضت العائلة عليه أن يسافر للدراسة فى الخارج فكان يرد بقوله «لا أريد الخروج بل سأبقى مرابطًا هنا».

أخبر العائلة أنه شاهد فى المنام أنه أصيب ٣ مرات فى رجليه، وكان يقول لوالدته: لم تكن الإصابة تؤلمنى.

كان ذا خلق إسلامى رفيع. أحبه إخوانه حبًا كبيراً وفجعهم فراقه كثيراً.

رزقت العائلة بمولود جديد بعد استشهاده، وأسموه خالدًا:

الاستشهاد:

فرضت سلطات الاحتلال نظام منع التجول على قطاع غزة بأكمله، وذلك فى أول يوم من أيام عيد الفطر، وفى ٦ شوال ١١/ ٥/ ١٩٨٩ حدثت مواجهات عنيفة فى الحى بالرغم من أوامر منع التجول، وكان خالد صائمًا فى ذلك اليوم اتباعًا للسنة النبوية بإتباع رمضان ستًا من شوال[١]. وكان خالد فى الصفوف الأولى للمواجهة وأثناء عمليات المطاردة والفر والكر بين الجنود والشبان، قام الجيش باعتقال شاب وبدأوا بضربه ضربًا مبرحًا، مستخدمين العصى وأعقاب البنادق، وصعد خالد على سطح أحد المنازل وبدأ بإلقاء الحجارة على الجيش.. فى الوقت نفسه كان بعض الجنود يربضون فى كمين، فقام أحد القناصة بإطلاق الرصاص باتجاه خالد، فأصيب برجله فى

(١) الحديث فى ذلك عن رسول الله ﷺ: «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال كان كصيام الدهر» انظر: مسلم بشرح النووى (٨/ ٥٦) رواه - أبو أيوب الأنصارى، السنن، (٢/ ١٢٩، ١٣٠) وعند أبى داود مثله، ولكن قال: «فكأنما صام الدهر» انظر أبو داود، السنن (٢، ٣٣٤).

أعلى الفخد، وقفز إلى فناء أحد المنازل والدماء تنزف من رجله، فحاولت امرأة أن تسقيه ماءً، فرفض لأنه أحب أن يتم الصيام.

بعد ذلك اقتحم الجيش المنزل الذى كان فيه خالد، ولم يشفع لهم منظر الدماء النازفة من رجله، فبدأوا بضربه، وقام أحد الجنود بإدخال فوهة سلاحه داخل الجرح وبدأ بالضغط بشكل دائرى، مما أدى إلى نزيف حاد، ويقول شقيق الشهيد بأن سيارة الإسعاف وسيارة للصليب الأحمر حضرتا إلى مكان الحادث، إلا أن جنود الاحتلال قاموا بضرب السائقين. واستمرت هذه الإجراءات حتى سمت روحه فى سماء الشهادة.



يجمعون جرحاهم مذعورين لأنهم جبناء

أثناء ذلك حاولت السواعد الرامية إبعاد الجيش عن المكان، وذلك بإلقاء الحجارة باتجاههم، وبعد أن تأكد الجنود من استشهاد خالد غادروا المكان، فقام الشبان بحمل جثمان الشهيد وشيعوه إلى مثواه الأخير بالرغم من نظام منع التجول، وشاركت والدة الشهيد فى وداع البطل وسط الهتافات الإسلامية، والشعارات الأخرى مثل « يا أم الشهيد زغردى كل الشباب أولادك» ووسط التكبير والتهليل والزغاريد، امتزجت

الدموع بمشاعر الإعجاب بمواقف عائلة الشهيد والتى احتسبت عند الله ابنها الشهيد البطل، وبعد عملية الدفن قام جنود الاحتلال بمحاصرة بيت الشهيد وألقوا الحجارة باتجاهه، واقتحموا بيت العزاء، ورفعوا السلاح باتجاه المعزين، وكان جنود الاحتلال يحملون جنازير لوحوا بها أمام الحضور، وأجبروا المواطنين على إنزال الأعلام الفلسطينية وباقات الزهور والتى كتب عليها «حركة حماس» تحتسب عند الله شهيدها البطل خالد جاد الله. ومن المواقف البطولية التى أظهرها والد الشهيد: اقترب منه أحد الشبان وقال له «احتسب خالداً عند الله» فرد والد الشهيد «إنا لله وإنا إليه راجعون»، وكان بموقفه هذا يعبر عن أصالة أبناء الأمة الإسلامية. كيف لا وهو الذى ينهل من الإسلام وتعاليمه وتربى فى بيئة إسلامية، بل إنه يعتبر من الدعاة إلى الله فى حى الرضوان! وقام شبان المسجد بتنظيم (٤) مسيرات إسلامية لأخيهم الشهيد تم خلالها إطلاق الهتافات والشعارات الإسلامية.

سبقنا مجدى الغورانى:

مجدى الغورانى أحد شهداء الانتفاضة الذين سبقوا خالداً. ولمجدى وخالد قصة:

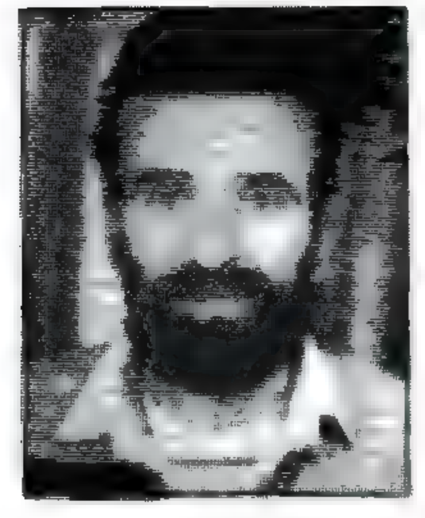
فقد كان مجدى شأنه شأن بعض الشبان الذين غرتهم مظاهر الحياة الدنيا، ولكن من خلال العلاقات بشباب مسجد الرضوان أصبح من رواده، وعندما علم خالد باستشهاد مجدى قال: «سبقنا مجدى إلى الشهادة وهو الذى هداه الله بعدنا». وفى اليوم التالى رأى خالد فى منامه رؤيا حيث جاءه مجدى وقال له أريدك وأريد ١٠ شبان من شبان المسجد وأنت أولهم. وبالفعل فقد استشهد مجدى وعدد كبير من شباب المسجد فيما عرف باسم «مذبحة مسجد الرضوان».

ويقول لنا شقيق الشهيد محمد وعمره (٥) سنوات عندما سألناه عن خالد، إنه فى الجنة، لقد قتله الجنود، وبدأ يحدثنا ببراءة الأطفال فقال: أذهب للقبر لزيارة خالد باستمرار. وفى البداية لم يكن يصدق هذا الطفل أنه لن يرى خالداً مرة أخرى، وطلبنا منه أن يردد بعض الشعارات التى علمه إياها خالد فيقول: «حق قوة حرية المقاومة إسلامية»، «يا خالد يا مجروح دمك هدر ما بيروح»، «يا خالد تهنى تهنى ربى أوعدك الجنة».

الشهيد /ناجى الفقيه

١٩٨٩/٥/١٨

نسب الشهيد:



يعود نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

وقريته (الحسينية) خَرَّجَتْ المجاهدين والثوار أيام المجاهد الكبير عبد القادر الحسينى الذى كان يفضل المبيت فى هذه القرية القريبة من باب الواد حيث المعركة المشهورة معركة باب الواد التى انتصر فيها المجاهدون على أعداء الله ورسوله، ولقد قدمت هذه القرية الصابرة ما يزيد على خمسين شهيداً من خيرة شبابها ورجالها. أما عن عمل الشهيد فقد كان يعمل فى ملحمة فى معالى أدوميم منطقة الخان الأحمر، وكان يطلب منه المعلم أن يتأخر لتحميل سيارة فيضطر إلى المبيت أحيانًا. وفى يوم الأربعاء ١٧/ ٥/ ١٩٨٩ قبل استشهاده بيوم عاد الشهيد إلى البيت وأخذ يعمل فى حفر البئر «بالمهدة» ويكامل قوته حيث كان الشهيد يتمتع بقوة بدنية. وفى هذا اليوم أخذ يقبل أولاده ويوصى زوجته بعدم إرهاقهم ويوصى ابنه الكبير محمد: «لا تترك صلاة الجمعة ولو دفعوا لك مائة دينار».. بهذه الوصايا يوصى زوجته وأولاده وكأنه على علم بأن هذه اللحظة لحظة فراق وإقبال على دار القرار. أما عن أولاده فقد رزق بثلاثة عشر ولداً أربعة ذكور وتسع إناث ويبلغ شهيدنا من العمر ٣٨ عامًا وقد سبق أن تعرض لسلسلة من التهديدات التى تنذره باقتراب الأجل حيث كان رده على المهددين رد رجل العقيدة: إن استطعتم أن تقربوه فاقربوه إن الأجل بيد الله.

وصرح الشهيد قبل استشهاده بأن الحاكم العسكرى الكابتن زهير قد بعث له تهديداً مع أحد أعوانه المناكيد «قل للشيخ ناجى خلى لحيتك تكبر حتى أعرف كيف أنتشها».

استشهاده:

أما عن استشهاده، فكان ذلك يوم الخميس ما بين الساعة الثالثة حتى الخامسة مساء حيث كان صائمًا وليس كما جاء بأنه استشهد فى ساعة متأخرة من الليل، بدليل أنه لم

يأكل من طعامه. وروى أن أربعة كلاب كانت تحرس المكان الذى يشتغل فيه الشهيد. وقد سمعت قبل يوم أو يومين من استشهاده أن المكان الذى يشتغل فيه الشهيد فى الطابق الثانى وقبل أن يصل إلى الغرفة التى ينام فيها هناك أربعة أبواب مقفلة وقد فتحت جميعها بعد استشهاده وفى هذه الليلة شوهدت قوات كبيرة من الجيش فى منطقة الحادث.

أما عن أخى الشهيد فقد انتابه إحساس غريب بأن أخاه قد حدث له حادث ما وخصوصًا بعد أن اتصل بالمكان فلم يجب أحد، ويتصل للمرة الثانية فيطلب للحضور وذلك يوم الجمعة الموافق ١٩/ ٥/ ١٩٨٩ فوجد جثة الشهيد على السرير والدم ينزف من أنفه وفمه. ويمكن أن يعتمد على ما أذاعته إذاعة اليهود فى صباح يوم الجمعة وقبل أن يعرف أحد من البلدة استشهاده وأنه قد قتل خنقًا، أبلغ أخو الشهيد الشرطة بالحادث وتم نقل الجثة إلى أبى كبير ولتتم مراسم عرس الشهيد بعد أربعة أيام من استشهاده وذلك يوم الأحد ٢١/ ٥/ ١٩٨٩ حيث خرجت القرية تشاركها القرى المجاورة فى مسيرة تاريخية لم يشهد لها مثيل والشهيد محمول على الأكتاف تجلل مسيرته المهابة وتزينها شعارات الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا إله إلا الله والشهيد حبيب الله، بالروح بالدم نفديك يا شهيد. أما عن موقف زوجته، فقد أخذت تطلب من النساء أن يطلقن الزغاريد وأخذت تنشد مع نساء القرية لا إله إلا الله والشهيد حبيب الله. يقول أحد الإخوة: كان إيمانه قويًا كالجبال لا يتزعزع خصوصًا فى أيامه الأخيرة كان يكثر من تلاوة القرآن وقيام الليل ويطيل فى صلاته، وكان دائمًا يتمنى الشهادة محبًا للخير ويمقت الظلم وأهله ويتصدى للمنافقين والعملاء غير آبه لا يخشى فى الله لومة لائم.

عاش -رحمه الله- محافظًا على السنة المطهرة ظاهرًا وباطنًا لهذا كان الأخ ناجى ملتحيًا منكبًا على قراءة القرآن صوامًا قوامًا. . وعن أحد الأخوة أنه كان يحب متابعة أخبار الحركة الإسلامية خصوصًا المجاهدين الأفغان، وكان يؤمن إيمانًا جازمًا بأن الإسلام هو الحل ولابد من جيل كجيل صحابة رسول الله ﷺ، وكان ملمًا بالأحكام الشرعية حيث يحتوى بيته على مكتبة إسلامية ضخمة.

رحمك الله يا أخانا الشهيد، وأسكنك فسيح جناته وجعل دمك لعنة على المتخاذلين والمستسلمين. . . آمين.

الشهيد/ أحمد عبد الفتاح محمد غانم

١٩٨٩/٦/١٥



فى الحديث عن شهيدنا أحمد، نحن أمام أغرب نموذج لشهداء الانتفاضة، ممن كتبنا عنهم، ونحن إذ لا نفرق بين الشهداء، فهم كما قلنا لا ندانيهم فى سمو الأخلاق والروح، فقد قدموا أغلى ما يملك الإنسان واستطاعوا أن يخترقوا «حاجز الخطوة» الذى يفصل بين الكلمة والتطبيق، فمن السهل جداً أن نتحدث عن الشهادة ولكن بين الحديث عن ذلك وحمل الحسام لحظات من التثاقل وجذب الأرض للإنسان، أما الغرابة فى قصة شهيدنا فهى لسببين أساسين:

الأول: أنه ودع أهله أثناء لحظات الاستشهاد بمعنى أن الشهيد الذى كان يرقد فى المستشفى فى لحظات استشهاده الأخيرة أعطى وصاياه لأهله وقال لهم «مع السلامة» «وكأن الشهيد رأى استبطاء الشهادة فأخذ يستعجلها».

الثانى: المرحلة الفكرية المتقدمة التى وصل إليها بحيث يُجْمِعُ شبابُ البلدة أنهم لم يروا نموذجًا لأحمد فى أسئلته، وفهمه، وتطبيقه، بالرغم من سنى عمره القصيرة نسبيًا، ولهذا فعندما طلبنا من والد الشهيد أن يحدثنا عن أحمد واستشهاده، تبسم وقال: لا يمكن لأى إنسان أن يعبر عن اللحظات التى عشناها معه وهو يستشهد فى المستشفى، إنها لحظات عاطفية ذات وتيرة عالية، فلو رأيته وهو يودعنا ونودعه، يوصينا ونوصيه. ونقول له ويقول لنا «مع السلامة» وبالرغم من العمر الذى بلغه والد الشهيد فهو يجاهد ليتكلم اللغة العربية الفصحى. ويقول شقيق الشهيد فتحى، الذى يعمل مدرسًا فى الكويت وقد حضر لزيارة الأهل: ولدَ أخى بتاريخ ٧/ ٥/ ١٩٧٢ ونشأ نشأة إسلامية منذ الصغر. وبدت عليه علامات الفهم والإدراك بسرعة وأقول لك بأن عمره كان السابعة عشرة ولكن عمر عقله فى الثلاثين، فالأسئلة التى كان يسألنى إياها لم تكن تجول بخاطرى وخاطر أبناء جيلنا حتى دخلنا الجامعات.

وكان برغم صغر سنه ذا معرفة ثقافية واسعة فى كافة الاتجاهات الفكرية التى تعمل على الساحة الفلسطينية، وكان ذا إطلاع على الجماعات الإسلامية وبخاصة الإخوان المسلمين حتى أنه كان مغرمًا باقتناء المجلات الإسلامية، وكان يكثر من السؤال عن الصحف واتجاهاتها.

ويمضى شقيق الشهيد قائلاً: كانت تعلو شفاهه بسمة رقيقة، وكان إيمانه بالله تعالى راسخًا شامخًا شموخ الجبال الشم، وكان ذا همة عالية، وامتاز بشخصية إسلامية راضية، بل أكاد أقول: إنها نادرة، وكان يتمتع بعقلية متفتحة، ونفسية رائعة، وكان دائم التفكير والسؤال وتفهم أهمية العمل السياسى الإسلامى.

المواجهة:

اقتحمت قوات الاحتلال القرية يوم الخميس ١٥/ ٦/ ١٩٨٩، فى الساعة الثانية بعد الظهر وكان الشهيد يجلس مع أحد أشقائه، عندما جاءت امرأة وقالت: إن الجيش اقتحم القرية، وما إن سمع أحمد بهذا الخبر حتى انطلق، وهمّ مسرعًا فالمسلم ذو همة عالية. لا ينتظر الخطر حتى يقرع بيته، بل يقرع باب الخطر ويدكه إن لم يكن بسلاحه فبإيمانه ودمائه، كان أحمد فى الصف الأول للمواجهة. وأصيب برصاصة اخترقت الكلى والطحال، ورصاصة أخرى فى اليد وتم نقله إلى مستشفى الاتحاد فى نابلس حيث أجريت له ٣ عمليات جراحية وعمليات أخرى فرعية، وحدث له التهاب فى الحجاب الحاجز والرئة، وتراجعت صحته فى المستشفى وتم نقله إلى مستشفى رام الله ومن هناك سمت روحه الطاهرة إلى ربها.

وصايا الشهيد:

فى اللحظات الأخيرة قبل صعود روح الشهيد، لم ينس أن يوصى، ولم يوص إلا بما يتعلق بأمور دينه وشرفه وحب الوطن. وينقل لنا والد الشهيد جزءاً من هذه الوصايا، بعد أن أكد لنا أن دخول أحمد المستشفى جريحًا وخروجه شهيداً سيان، ولن يفرح كثيراً لو أن أحمد خرج من المستشفى معافىً، لأن أحمد نال ما كان يصبو إليه..

ومن وصاياه، بأن يلف براية لا إله إلا الله محمد رسول الله. وأوصى بأن تردد فى جنازته الأناشيد الإسلامية، وأن يكون الجو المحيط بالجنازة إسلاميًا أيضًا..

لا تبكوا عليّ، ابكوا دمعة الشفقة فقط.

أوصى الشباب بالمحافظة على الصلاة.

أن يذبح أهله شاة ويوزعونها على الفقراء.

أن يوزع ما تركه من مال على الفقراء.

ألا تغسل جراحه حتى يلقى بها الله تعالى.

أوصى بزفاف شقيقته بعد ثلاثة أيام من استشهاده، ويقول والد الشهيد: في اللحظات الأخيرة قبل وداعه قال: أنا لم أقاتل من أجل فلسطين فقط، وإنما قاتلت من أجل إقامة الدولة الإسلامية، وقال: اللهم أقم الدولة الإسلامية، وراح يتذكر البلاد الإسلامية كلها بألم وحسرة، فتذكر جراح أفغانستان وباكستان وتركيا والأندلس والبلاد العربية وقال: يجب علينا أن نحررها جميعًا. ويحدثنا عن الحوار الأخير الذى دار بينه وبين أحمد.

الأب: كنت أنوى أن أزوجك؟

أحمد: أنا الآن سأكون مع الحور العين، فلا تبكوا عليّ وإن شاء الله أرى محمداً ﷺ، وأنت يا أبى صلّ علىّ، ثمّ نظر إلى أمه وقال: كلوا واشربوا وتمتعوا بحياتكم ولا تجزعوا.. كانت هذه الكلمات تترقرق عذوبة وهى تخرج من فم الشهيد، فقد خرج من الدنيا نظيفًا طاهراً من كل دنس، حتى دنس المادة أراد أن يطهر نفسه منها عندما دعا والده لتوزيع ما عمل به طيلة حياته وهى عبارة عن مائتى دينار أردنى على الفقراء والمساكين، ولم ينس أهل الشهيد أن يطبقوا وصاياه وصية وصية، وخالفوا عادات شعبنا عندما زوجوا ابنتهم بعد استشهاده بثلاثة أيام، وهى التى انتظرت ٤٠ يومًا لشفائه، فأبى أن يكون عائقًا أمام حياة شقيقته. وفى مسيرة استشهاده كانت كما أراد، فلم تسمع سوى أصوات الله أكبر والشعارات الإسلامية. وكانت الرايات الخضراء ترفرف خفاقة فى جبال بيت لبد وأطرافها وسهولها، والأعلام الفلسطينية المزينة بـ: لا إله إلا الله تخفق، ولم يخالف أحد وصايا الشهيد. ولم يعصوا الله، فلم تصرخ امرأة، وكانت الدموع تتساقط كالدرر. وداعًا للشهيد، وربما اختلطت الدمعة بالابتسامة، لتشارك الشهيد ابتسامه بالفوز العظيم.. وشددت الكلمات الإسلامية التى ألقيت على ضرورة المسير، وصلّى والد الشهيد والجموع على شهيدنا. وناله هذا

الشرف بأن طبعت دماء الشهيد على ملابسه، وحمد الله بعد أن تأكد من الاستشهاد فقال: لله ما أعطى ولله ما أخذ، والحمد لله على كل أمر. وهو يسلم ويرضى بقضاء الله سبحانه وتعالى كلما هدأت عاصفة العاطفة، وتحدثنا بأمور أخرى، كان والد الشهيد يتذكر أشياء أخرى يحسب أنه نسيها فيقول متداركًا: «لو رأيتم فى الساعة الأخيرة ونحن نودعه ويودعنا ويوصينا ونوصيه. أوصيه بأن يسلم على الرسول وصحبه وعلى أهلنا وآبائنا والشهداء الذين سبقوا إلى المجد وقرأت عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] ثم يحدثنا الحاج والد الشهيد عن جهاد الشباب المسلم فى رام الله، فبعد أن استشهد وعبروا الجبال بين رام الله ونابلس، حيث تم إحضار الشهيد وطلبوا من أهله السفر عبر المواصلات، فتجشم الشباب المسلم مشاق الجبال الشوامخ حفاظًا على جسد الشهيد أن تلمسه يد القتلة المجرمين.

والمسلم يكون داعية فى حياته ومماته وفى اللحظات الأخيرة له، فشهيدنا كان له شرف الدعوة إلى الله وهو حى يرزق، وحتى فى اللحظات الأخيرة وهو فى أشد الأوقات لم ينس أن يكون داعية. فقد وجه نصيحة إلى الممرضات فى المستشفى وطالبهن بالالتزام بالإسلام خصوصًا فى عهد الانتفاضة. فقلن له. وما دخل هذا بالانتفاضة فأجابهن جواب الواثق بربه الراضى بقضائه: إن الانتفاضة يجب أن تكون إسلامية وإذا أردنا أن نحرر بلدنا يجب أن نكون ملتزمين بالإسلام قولاً وعملاً. وكان داعية فى استشهاده فقد رأى أهل البلدة الكرامات التى ظهرت على الشهيد من رائحة طيبة ووجه مبتسم. أما والدة الشهيد فقد نسيت آلام فراق فلذة كبدها، وأسقت الشراب للشباب المسلم الذى جاهد لإحضار الشهيد عبر الجبال، وقصة الشراب غريبة نسوقها للإشارة إلى تضحيات هذا الشعب المجاهد المصابر..

كان الشهيد أحمد يحب نوعًا من الشراب، وطلب من والدته أن تحضره له، ولكن الطبيب منع أحمد من تناوله لأنه يؤثر عليه سلبًا، فقامت والدة الشهيد بإرجاع الشراب إلى البيت حتى الشفاء التام، ولكن شاء الله أن يستشهد أحمد فقامت والدته بسقى من أحبوا أحمد حيًا وشهيدًا..

أما شقيقته أم همام فتقول: «كنت أستعد لزيارته فى المستشفى فجاء ابنى وقال استشهد خالى: إنا لله وإنا إليه راجعون، وأوصيت أولادى بأن يبقوا هادئين، وبعد أن حضر الشهيد نزلت دمعة الشفقة من عينى، وألبست الشهيد الثياب بيدى وقلت له: سنلتقى فى الجنة إن شاء الله، الله أكبر، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وسرت فى المسيرة وكبرت وقلت: لا إله إلا الله الشهيد حبيب الله، وبعدها ذهبت إلى البيت وحمدت الله وصليت وشكرت الله وارتضيت بما قسم الله، وأنا راضية من كل قلبى، وحمدت الله أن ارتفع من بيننا شهيد ليشفع لنا يوم القيامة، وأتمنى أن يرزقنى الله الشهادة.. وأطلب من الله أن يرزق أبنائى الشهادة فى سبيل الله، مثل أخى الذى استشهد فى سبيل رفع الراية الإسلامية خفاقة..».

ويذكر لنا والد الشهيد أن أحمد ما انفك يتحدث عن الشهادة حتى قبل الانتفاضة وكان يصرعلى أن يكون العمل تحت قيادة إسلامية طاهرة، لا قيادة علمانية فاسدة مُفَرِّطة فى الحقوق ولم أحاول أن أمنعه، فروح الجهاد سارت فى دمه واستلهمت روحه حب الاستشهاد وكنت أدعوه إلى التريث حتى يفتح الله لنا ثغرة من ثغرات الجهاد، وجاءت الانتفاضة الأولى فكان فى الصفوف الأولى.



حتى الأطفال لم يسلموا من غدر اليهود

الشهيد/وائل أحمد إسماعيل الهود

١٩٨٩/٧/٥



ولد شهيدنا فى مخيم النصيرات عام ١٩٧٣ وكان فى الصف الأول الثانوى، وتفوق فى دراسته حيث احتل المرتبة الأولى فى صفه وكان يقول بأنه يرغب بدراسة الأدب الإنجليزى فى الجامعة الإسلامية.

وأسرة وائل مكونة من ١١ فرداً؛ ٦ أولاد و ٥ بنات، وتمتاز العائلات فى غزة بكبر حجمها، وللشهيد شقيق حاصل على درجة الماجستير وشقيق آخر يعمل سكرتيراً للمجلس القروى فى النصيرات ويعتبر وائل أصغر أبناء العائل.

حادثة الاستشهاد:

أثناء المواجهات التى شهدها المخيم فى ٥/ ٧/ ١٩٨٩، كان وائل من بين الشبان الذين شاركوا بفاعلية فى مقاومة الاحتلال وحدثت مواجهات عنيفة، كان الشباب خلالها يكبرون ويرددون الشعارات الإسلامية، وكان جنود الاحتلال يطلقون النار بصورة كثيفة وكان وائل يقذف الحجارة، ويصرخ: الله أكبر مع كل حجر يقذفه، وفى هذه الأثناء أطلق أحد الجنود النار عليه فأصابته فى ذراعه التى كانت ناراً على الاحتلال، ومن ثم اخترقت جسمه لتستقر فى القلب، وتم نقله إلى المستشفى إلا أنه فى الطريق ارتقى إلى العلا فى سماء الشهادة، نجماً يضىء الليل المظلم لهذه الأمة! وتم اختطاف الجثة من المستشفى ودفن فى مراسم إسلامية بمقبرة النصيرات الجديدة.. والجدير ذكره أن شقيق الشهيد حضر من السعودية قبل يومين من استشهاده. وعن كيفية علمه باستشهاد ابنه يقول والده «جاءنى أخى وقال لى بأن وائل أصيب بجراح إلا أننى تأكدت بعد ذلك من استشهاده».

وسألته كيف تلقيت الخبر؟ قال «أنا رجل مؤمن بالقضاء والقدر، قبّلت وجه الشهيد». ومن ثم يستدرك أحد الشبان الجالسين ويقول: «لقد خرج سكان المخيم

رجالهم ونساؤهم فى مسيرة حاشدة، رددت خلالها الشعارات الإسلامية والشعارات التى تمجد الشهيد، لقد كانت دموع الحزن والفرح تمتزج فى مآقى الناس وهى ترفع نعش الشهيد وتعاهده على الثأر من المجرمين. . وعن أخلاق الشهيد يحدثنا أحد الإخوة فيقول: كان من الشباب المسلم الطاهر وكان متمسكًا بتعاليم ديننا الحنيف، وكان من رواد المسجد الكبير فى المخيم، وعرف بخلقه الرفيع وهدوئه واتزانه». ويقول آخر «كان وائل يكتب بخط جميل، وكتب عدة آيات قرآنية بخط يده ومن هذه الآيات ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح: ١]».

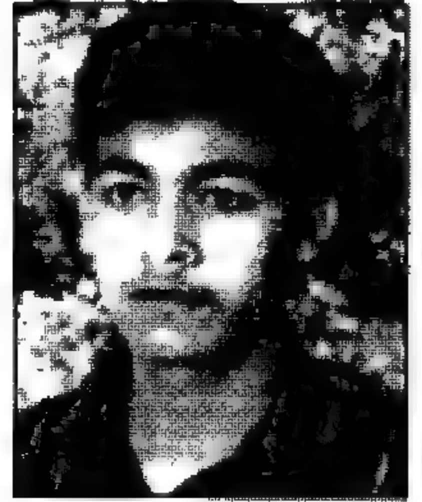


شباب فلسطين يكتب التاريخ بالدم والجهاد

الشهيد/حسام حماد

١٩٨٩/٧/٦

ولد حسام أحمد محمد حماد بتاريخ ٢٢/ ١/ ١٩٧٢م، وقد مضى إلى ربه شهيداً يوم ٦/ ٧/ ١٩٨٩م، بعد أن سطر لأقرانه وإخوانه أشبال (حماس) أروع المثل فى الإقدام وحب الشهادة حيث كان -رحمه الله- قد أصيب برصاص الاحتلال مرتين قبل استشهاده. . المرة الأولى اخترقت رصاصة غادرة إحدى ساقيه، والثانية أصيب فيها فى كتفه، والمرة الثالثة أصابته رصاصات اليهود فى رأسه فحقق الله بها أمنيته فاستشهد.



ترعرع شهيدنا فى بيت متواضع الحال فى أحد المخيمات فى خان يونس وسط الفقر والمعاناة بين أزقة المخيم الموحلة وجدران بيوته المتهالكة، وسمع شهيدنا الغالى منذ طفولته الباكرة حكايات الاحتلال والتشريد والهجرة، وسمع من والده حكاية جده الذى استشهد عام ١٩٤٨م وعمره يزيد على الستين عامًا. . استشهد مرفوع الرأس وفى يده بندقيته دفاعًا عن قريته (بشيت) التى اغتصبتها عصابات اليهود فى عام ١٩٤٨م، وكان آخر ما نطق به لأبنائه: (وصيتى لكم أن تموتوا شهداء، ولا تفرطوا بهذه الأرض الطاهرة).

لقد التزم حسام بالصلاة فى المسجد قبل الانتفاضة بأكثر من عام، ولكنه بدأ يصلى منذ سن السابعة، ومنذ التزامه بالمسجد نشأت بينه وبين إخوانه علاقة حميمة وأحبه الجميع فلقد كان نموذجًا من النماذج الفريدة فى صفوف أشبال المقاومة الإسلامية بخلقه الرفيع وتعامله الحسن وشجاعته المتميزة.

اغتسل حسام وتعطر وتوجه إلى المسجد لأداء صلاة العصر، وعقب الصلاة تبادل التحية مع إخوانه ثم توجه ومعه إحدى مجموعات السواعد الرامية إلى المكان المعهود بالنسبة لهم والذى اعتادوا الذهاب إليه يوميًا انتظاراً لمرور عربات جيش الاحتلال،

وبعد لحظات لم تَطُلْ. . قدمت العربات. وانهالت حجارة الغضب بكل قوة مصحوبة بصيحات (الله أكبر) ثم اختفى الشباب فى أزقة المخيم تمهيداً لكَرَّة ثانية، وكان حسام فى مقدمة المجموعة عند الهجوم ومرت لحظات ظن الشبابَ خَلالها أن الجنود قد رحلوا، فخرج حسام إلى الشارع وحجارته فى يده، وكان أحد الجنود الصهاينة يختبئ خلف جدار. . وفجأة خرج من مكمنه وفاجأ حسامًا عن قرب حيث صوب بندقيته وأطلق النار فاخترقت رصاصتان رأس الشهيد البطل، فسقط على الأرض، ورفرفت روحه فى السماء.

لقد كانت الرائحة العطرة التى فاحت من جثة حسام ومن ثيابه أمراً شهد به كل من كان بجانبه عند مواراته التراب، وحدث أن أحد إخوانه لم يتمكن من الذهاب لدفنه فأوصى والدته أن أخبريه أن أخاك يسلم عليك، وعندما كانت الأم بجوار جثة ولدها الشهيد أخبرته بذلك -وكان فمه مغلقًا- فانفجرت شفتاه عن ابتسامة عريضة. . رحمك الله يا حسام. . وطبت مقاماً مع الشهداء والصالحين. . وإنا على دربك لسائرون.



الشهيد /رائق حسن سلمان

١٩٩٠/٢/١٢



نحن الآن مع شهيد آخر قدمته بلد الشهداء رامين الباسلة، وهو حمامة المسجد البطل رائق حسن سلمان الذى انضم إلى كوكبة الشهداء فى معتقل مجدو فى ١٢/ ٢/ ١٩٩٠ فى ذكرى استشهاد الإمام حسن البنا مجدد الدعوة الإسلامية فى القرن العشرين، لتلتقى روحه بروحه وبكل الشهداء والصديقين وكان فى الخامسة والعشرين من عمره.

كان شهيدنا رائق- رحمه الله- عنوانًا للشجاعة والعزة والكبرياء وكان صاحب خلق رفيع وهمة عالية ونفس عفيفة وصاحب نخوة لا يماثله فى ذلك إلا القليل. وحكايات البطولة التى سطرها خلال الانتفاضة وقبلها خير دليل على ذلك.

كان شهيدنا البطل أول من يتصدى لجنود الاحتلال عندما يقتحمون القرية، لذلك كان أول شاب يسيل دمه الطاهر على تراب قريته خلال الانتفاضة الباسلة وعولج سراً وبقيت الرصاصة فى رجله. ثم أخذ يستأنف التصدى لجنود الاحتلال من جديد. وذات يوم يأتى إلى المسجد ويتوضأ ويصلى الضحى ويقرأ سوراً من القرآن الكريم ثم يتوجه إلى المنطقة التى يصعد منها الشباب والتى تسمى «أبا الصافح» ويقول لمن يلاقيه فى الطريق: من أراد الشهادة فليتبعنى، وظنوه يمزح فوصل إليها وحده وأخذ يمطر سيارات الجيش الإسرائيلى المحتل بوابل من حجارته حتى أصيب برصاصات فى رجليه، ارتمى إثرها على الأرض فالتف الجنود حوله لإلقاء القبض عليه فما كان منه إلا أن ضرب حجراً فى وجه ضابط هم بإلقاء القبض عليه ففقأ عينه، فأطلق أحدهم رصاصات على بطنه استقرت منها ست رصاصات «دمدم» المحرم دوليًا فى بطنه، فنقلوه وهو أقرب إلى الموت منه إلى الحياة إلى كلية الحسين الزراعية «كلية الخضورى سابقًا» ثم تدخل الصليب الأحمر فنقلوه إلى مستشفى طولكرم ليجرى له طبيب ماهر

أصعب عملية جراحية كما قال هو: «لقد أمضيت خمسًا وثلاثين سنة في الطب والجراحة وما رأيت أصعب من هذه العملية حيث إن الرصاصات الغادرة كانت تنفجر في بطنه رحمه الله».

فكان بكلامه هذا يذكرنا بقول رسول الله ﷺ لذلك الأعرابي الذي قال له عندما أعطاه شيئًا من الغنيمة: ما على هذا اتبعتك، إنما اتبعتك على أن أرمى هنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأخر شهيدًا فقال ﷺ: «إن تصدق الله يصدقك» وفعلاً كان كل واحد منهما صادقًا في الشهادة.

عاد حمامة المسجد إلى البيت يتوكأ على العكاز وما إن تحسنت صحته حتى كان يداوم على الصلاة في المسجد، وكان - رحمه الله - يرى إخوانه يشتغلون في بناء مسجد جديد يحمل اسم مسجد الشهيد: «ابن مفلح الراميني» فيصر على المشاركة في العمل ويقسم على ذلك ويقول لهم: أمنيتي أن أصلي في هذا المسجد الجديد قبل أن أنال الشهادة، ونالها رضي الله عنه ولم يصل به، وذلك لأن العمل قد توقف مراراً بسبب الضائقة الاقتصادية التي يمر بها أهل قرية رامين خاصة وأهلنا في الضفة الغربية عامة.

فانتقل حمامة المسجد إلى رحمة الله وهو يحمل طهارة الشاب المسلم محافظًا على صلاته وصيامه وقراءة القرآن محبًا للخير وعمل الخير. وبعد فترة وجيزة يذهب شهيدنا إلى مركز طولكرم ليحضر بطاقة الهوية الإسرائيلية المحتجزة لدى السلطات وعلى مدخل قرية «عنبتا» يوقف سيارته التي يستقلها بجانب حاجز عسكري ويطلب منه جندي إبراز هويته فقال له الشهيد: «إنها في مقر الحاكم العسكري في طولكرم وأنا ذاهب لإحضارها» عندها أخذ يوجه له الجندي العبارات النابية والألفاظ البذيئة.

فقال له الشهيد: «إن كنت رجلاً فألق سلاحك» فما كان من الجندي إلا أن سلم سلاحه لزميله وكان بيده عصا كبيرة. فانقض عليه شهيدنا كالأسد متلقيًا الضربة الأولى ولقنه درسًا لا ينسى أبدًا فهجم عليه أكثر من عشرة جنود وانهالوا عليه بالضرب، فتدخل الشباب والنساء في عنبتا يرجمون الجنود بالحجارة من أجل أن ينجو ويخلصوه من أيديهم ولكن أنى لهم ذلك وقد ألقوا القبض عليه ونقلوه إلى معتقل طولكرم مهشمًا.

وفى المعتقل يظل متمسكًا بدينه وبهدفه الأسمى وهو الشهادة فى سبيل الله. ثم ينقل إلى معتقل الفارعة وما أدراك ما معتقل الفارعة حيث يعرف المرء هناك أن الموت «صنوف» فينهال هناك ضربًا على أحد الضباط مستردًا كرامته فينقل عقابًا له إلى موقع الثبات على العقيدة والحق، إلى النقب إلى معتقل أنصار٣. مكث هناك مدة لا بأس بها وهو على عهده مع الله وأمنيته الشهادة فى سبيله. انتقل بعد ذلك إلى رحلة العذاب الأخيرة إلى معتقل مجدو «اللجون» ليواجه هناك مؤامرة التصفية الجسدية، وهذا واضح فى الرسالة التى أرسلها لأهله قبل استشهاده حيث يخبرهم فيها أن السجانين لا يتركونه بحاله، وإنما يضربونه كثيراً، وكتب الشهيد فى يوم السبت ٧/ ٦/ ١٩٨٩ وصية تدل على إيمانه وثباته على دينه. حيث يطلب من أهله:

١ ـ التصدق على الفقراء والمساكين بمبلغ ٢٥٠ دينارا أردنيًا.

٢- التبرع لبناء المسجد.

٣- عدم بناء القبر للمفاخرة والمباهاة.

٤- عدم النواح عليه مطلقًا والصبر على استشهاده.

٥- الإكثار عليه من الرضا.

٦- شراء كتب دينية ووضعها فى المسجد وعدم كتابة اسمه عليها.

وفى ١٢/ ٢/ ١٩٩٠ يأتى ضابط الإدارة فى طولكرم عند غروب الشمس يطلب من والد الشهيد ومختار القرية أن يذهبا إلى مستشفى العفولة لإحضار جثته من المستشفى، وفى صبيحة اليوم التالى يقام له عرس الشهادة ويهب البعض من أهل قرية رامين إلى مستشفى العفولة لإحضار الشهيد وعندما كشفوا عليه، وجدوا الضربات الكثيرة على وجهه ورأسه وجسده الطاهر.

وما إن وصل جثمان الشهيد الطاهر إلى القرية حتى خرج الناس عن بكرة أبيهم مع بعض الإخوة من القرى المجاورة يشيعون الشهيد ويعاهدونه على السير قدمًا فى طريق الانتفاضة حيث الهتافات الإسلامية والوطنية واللافتات المعبرة وأكاليل الزهور فيُوارَى جسد الشهيد الطاهر وسط الهتاف والزغاريد والأناشيد الإسلامية من الشباب والنساء لينضم إلى قافلة شهداء الإسلام لتلتقى روحه إن شاء الله بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

الشهيد/أيمن رمزى بدران

١٩٨٩/٧/٩

مولده:



ولد الشهيد أيمن رمزى بدران فى شهر تموز(يوليو) ١٩٦٧م فى مخيم عسكر القديم للاجئين الواقع على المشارف الشرقية لمدينة نابلس جبل النار. ووالده من عائلة هاجرت من مدينة اللد الخالدة التى سقطت فى النكبة الأولى عام ١٩٤٨. والشهيد أيمن ثانى أولاد الأسرة وعددهم خمسة (ثلاثة أولاد وبنتان).

تفتحت عينا أيمن على حياة المخيم البائسة ـ كما هو حال كل مخيمات اللاجئين ـ بيوت متراصة.. أزقة ضيقة.. اكتظاظ سكانى.. إلخ ولكن طفولته البريئة لم تكن لتدرك سبب هذه الحياة.. ولم تدرك أن هذه حياة مؤقتة وليست دائمة، شارك فى صنعها الخونة من أبناء جلدتنا الذين تاجروا بالقضية ورقصوا على الجراح.

كان أيمن مثل بقية أبناء جيله يقضى معظم أوقاته بعد الدراسة فى اللهو واللعب.. ومن هواياته التى مارسها فى البداية ملاحقة الفراش والجنادب وحبسها فى قوارير صغيرة.. وبعدها انتقل لاصطياد العصافير التى كان يلاحقها فى كل مكان.

بقى الحال كذلك حتى تفجرت الانتفاضة الإسلامية المباركة.. فابتعدت العصافير هاربة من أصوات الرصاص.. فلحقت بها براءة الأطفال باكرًا فغدا الأطفال رجالاً يحملون هموم الأجيال.. فأصبحت هواية أيمن اصطياد الغربان والذئاب.. بدل العصافير الصغيرة. فكان الشهيد يترصد سيارات ودوريات الجيش بصبر عجيب، حيث كان يقضى الأوقات الطويلة مترصدًا صيده، حتى إذا لاحت له الفرصة خرجت قذائف الحجارة من يده الطرية لتهوى على الرؤوس العفنة المليئة بالكفر والأوهام.

وقد تعرض الشهيد أيمن للضرب عدة مرات على أيدى الجنود. وفى أول رمضان فى الانتفاضة كان الشهيد أيمن - وكان عمره وقتها أحد عشر عامًا - يجلس أمام منزله وهو صائم ينتظر أذان المغرب، وإذا بسيارة إحدى دوريات الجيش تقف أمام المنزل فيقفز منها أحد الجنود ويحمل أيمن بين يديه ويضعه فى سيارة الدورية العسكرية التى انطلقت به إلى مشارف المخيم، وهناك أخذ الجنود يضغطون على أيمن ليذكر بعض أسماء ملقى الحجارة. . وأيمن يقول لهم: لا أعرف أحدًا. . عندها أخرج الجندى كمية من النقود محاولاً إغراء الصبى بها، إلا أن أيمن أصرّ على كلامه بأنه لا يعرف أحدًا. . وبعد أن يئس الجند منه أطلقوا سراحه، وعندما وصل أيمن إلى البيت قال لأمه: يريدوننى أن أصبح جاسوسًا، أمى لقد كنت أعرف الذين ألقوا الحجارة، ولكننى لم أذكر أى واحد منهم. . وتحدث أمه أن أيمن قال لها يومًا: هل تعرفين متى يرجع الأقصى يا أمى؟ فقالت: متى؟ فقال: عندما يسيل الدم إلى الركب. ولم تستطع أمه أن ترد عليه شيئًا.

وفى شهر رمضان من العام الثانى للانتفاضة كان الشهيد أيمن يتناول طعام الإفطار مع أسرته وأسرة جده، وعند الانتهاء من الطعام تسلل خارجًا من البيت دون أن يشعر به أحد، تبين بعدها أنه خرج ليكتب مع أحد أصحابه الشعارات على الجدران منها: خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود، وقد اتفق هو وصاحبه على أن يوقعا تحت اسم أشبال الأقصى وبعد ذلك بأيام كتبت على الجدران شعارات باسم حركة المقاومة الإسلامية تحيى أشبال الأقصى، وكان الشهيد يقول دائمًا: أنا حماس، أنا حماس. . فعاد أيمن إلى بيته بعد قراءة الشعارات فقال لأمه ببراءة: «ياما، ياما الناس يحبونى». فاستغربت أمه من كلامه، فقال: على الجدران تحية لأشبال الإسلام، وأنا منهم، ولم يكن يعلم أن اسمه سوف يزين جدران المخيم وأوراق الصحف والمجلات بعد فترة ليست بالطويلة .

قبل استشهاد أيمن بشهرين تقريبًا ودع المخيم الشهيد (علاء جبريل - ١٥ عامًا) فذهب أيمن ليعزى أهله كما يفعل الكبار. . وكان يسأل عن قبر علاء ليزوره وهو لا يدرى أنه أول شهيد سيلحق به.

يوم الاستشهاد:

فى يوم الخميس ٩/ ٧/ ١٩٨٩م كان لأيمن موعد مع الجنان . . ففى هذا اليوم قام أحد أبطال الإسلام بعملية قلب (الباص) الإسرائيلى على طريق تل أبيب - القدس ليكون ركابه على موعد مع جهنم . فى هذا اليوم حلق أيمن شعر رأسه ولبس ثيابًا نظيفة وأدى الصلوات . . وكان آخرها صلاة العصر حيث عاد بعد الصلاة إلى بيت جده وهو فى نفس الحارة ، ، فمكث فيه قليلاً ثم غادر المنزل حيث أخذ يلعب مع أصحابه فى الحارة . . وبعد فترة توقفت سيارة لإحدى الدوريات ، فنزل منها جندى اختبأ خلف أحد مداخل المخيم المغلقة بالبراميل الإسمنتية وسدد البندقية من مسافة ١٠-١٢ مترًا فقط إلى رأس أيمن (ويبدو أنه شاهد أيمن يلقى الحجارة قبل ذلك وكان مميزًا بشعره الأشقر) فأصيب برصاصة فى الجانب الأيسر من رأسه فسقط على الأرض وأسلم الروح إلى بارئها . عند ذلك انطلقت الصرخات : أيمن . . . أيمن . . . أصيب أيمن ، فحمله بعض الشباب إلى المستشفى ظنًا منهم أنه ما يزال على قيد الحياة . وعند وصولهم المستشفى تأكدوا من استشهاده فعادوا به مسرعين قبل مجىء جنود جيش الاحتلال حيث دفن فى مقبرة المخيم ولم يره من أهله سوى أحد أعمامه الذى كان يحمله بين يديه . إن هذه الدماء الزكية ستنبت الورد والياسمين فوق ثرى هذه الديار المباركة . إن كثرة الدماء ستنبت رجالاً يحملون هذا الإسلام ، ويحررون البلاد والعباد من رجس الكافرين إن شاء الله .

لقطات:

(١) (وعملتها يا أيمن): حدث أحد أصدقاء العائلة أنه علم باستشهاد أيمن عند صلاة الفجر يوم الجمعة ، فرجع إلى البيت وأيقظ ابنه وهو فى الصف الخامس الابتدائى وأحد أصدقاء أيمن فقال له : استيقظ ، لقد استشهد أيمن . فقال الابن : عملتها يا أيمن ، عملتها يا أيمن؟ فقال الأب : ماذا تقول؟ ما الذى عمله؟ فقال الابن : عملتها يا أيمن واستشهدت قبلى . ويقول الأب : فلم أتمالك نفسى فتركته وأخذت أبكى .

(٢) أشبال الأقصى : بعد أيام من استشهاد أيمن ظهر على الجدران وبخاصة جدار المسجد عبارة (سنثأر لك يا أيمن) بتوقيع أشبال الأقصى كتبها الشبل الذى شاركه الكتابة فى شهر رمضان .

(٣) فى إطار جميل جملت صورة الشهيد وكتبت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) البيت التالى:

قـد قـالهـا الشـهـيـد قـبلى بعـزة　　　بلادى العروس ومهرها استشهادى

(٤) قولى لأمى لا تحزن: إحدى قريبات أيمن شاهدته فى المنام فقالت له: إن أمك تبكى عليك وهى حزينة: فأخذ نبتة خضراء وقال لها: أعطيها لأمى وقولى لها لا تحزنى.

(٥) قبل استشهاده كان قد خاط علمًا بيده، حُمل هذا العلم فى المسيرة التى انطلقت بعد استشهاده.



هدم البيوت وترويع الآمنين... هذه هى طبائع اليهود

* * *

الشهيد/ ناصر موسى

١٩٨٩/٧/١٤



من الناس من إذا نظرت إليه قفز إلى ذهنك من خلال رؤيتك لقسمات وجهه أنه لين الجانب رفيق المعشر، يألف ويؤلف، ولربما استقر فى خاطرك من خلال وجه إنسان آخر أن صاحب هذا الوجه فظ فى تعامله، قاس فى طباعه، لا يعرف ثغره كيف يبتسم، ولم تسعد عيناه ببريق الفرح أو السرور، لكنك لو نظرت إلى وجه (ناصر) دون أن يسبق لك رؤيته فستدرك أن عينيك قد وقعتا على وجه تعلوه ابتسامة دائمة كما لو كانت قد ارتسمت على ثغره للتو.. نعم لقد كانت ابتسامة ناصر مرتسمة على ثغره على الدوام لا تكاد تفارق وجهه الأسمر حتى باتت صفة يعرف بها ناصر موسى.

ولد الشهيد ناصر صبحى عبد الحميد موسى فى مخيم خان يونس للاجئين. تم تهجير أبيه من قرية بيت داراس عام ١٩٤٨م لينضم إلى جموع اللاجئين فى مخيمات قطاع غزة، ليعيش مع زوجته الصابرة التى أنجبت له خمسة أولاد وخمس بنات، وكان ناصر أصغر الأولاد الذكور سنًا حيث عاش ما يقرب من ثمانية عشر عامًا حيث ولد يوم ٢٥/ ١٢/ ١٩٧١م واستشهد يوم ١٤/ ٧/ ١٩٨٩م.

تقدم الشهيد ناصر موسى لامتحان التوجيهى - القسم العلمى - قبل استشهاده ولم يعلم بنتيجة الامتحان لأنه قد مضى إلى الله شهيداً قبل ظهور النتيجة. وعندما ظهرت النتائج كان مسجلاً بجانب اسم ناصر صبحى موسى كلمة ناجح والمعدل ٧٠٪. نشأ ناصر فى بيت إسلامى. الأخوة والأخوات والوالدان، وانتمى منذ طفولته المبكرة إلى أشبال مسجد الإمام الشافعى فى مخيم خانيونس، ولجمال صوته وشجاعته الأدبية انخرط فى فرقة (العائدون) للنشيد الإسلامى والتى أحيت كثيراً من الحفلات فى أنحاء متفرقة من القطاع، وكان لناصر أنشودته التى يقدمها فى كل حفل، ويصر على تكرارها لإبداعه فى أدائها وهى أنشودة يقول مطلعها:

صـــبـــراً يايمـــا صـــبـــرا إحنـا رجـــالك يا صـــبـــرا

لو أصــبح شــهـدى صـبـرا مـــا ننســـاك يا صـــبـــرا

ولدى انطلاقة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) منذ اندلاع الانتفاضة انخرط ناصر فى إحدى مجموعات السواعد الرامية التابعة للحركة والتى كانت متخصصة بتنفيذ فعاليات متنوعة من محيط مسجد (الرحمن) القريب من بيت الشهيد.

ويحل عيد الأضحى يوم الخميس . . . ويحتفل به الفلسطينيون رغم الألم والآهات التى تتردد فى كل بيت، وكان ناصر فى ذلك اليوم مقطب الجبين على غير عادته يجلس فى ركن من البيت بعد صلاة العيد ويطلق لروحه العنان لتحلق بعيداً حيث يقضى إمام المسجد وعشرات الشباب المسلم العيد خلف قضبان السجون بعد أن لاحظت أجهزة أمن العدو أن بؤر المواجهات العنيفة هى المساجد وروادها . . ويأتى يوم الجمعة . . ثانى أيام العيد الموافق ١٤/ ٧/ ١٩٨٩م ويتناول ناصر طعام الإفطار مع أهل بيته، وكان يبدو سعيداً منشرحًا وهو يروح ويجىء فى البيت مردداً (يا أمى إن شفتى دمى لا تنهمى) وكان يكررها دون أن يلقى أحد لها بالاً . . ويغتسل ناصر غسل الجمعة ويذهب مع أشقائه إلى المسجد لصلاة الجمعة وبعد عودته من الصلاة تناول طعام الغداء ثم حمل ابن أخته البالغ من العمر سبع سنوات بين ذراعيه وقال له: سأعطيك دروسًا عملية فى الانتفاضة . . سأجعلك تباشر العملى دون المرور بالنظرى، وأخذه معه إلى المسجد لصلاة العصر . . . وبعد الصلاة مباشرة التقى بإخوانه من أبناء حركة المقاومة الإسلامية (حماس) . . . والطفل الصغير ما زال بصحبته وتوجه ناصر مع مجموعة من السواعد الرامية إلى مكان نصبوا فيه كمينًا لإحدى دوريات جنود الاحتلال المسماة (حرس الحدود) وتنهال عليها الحجارة من كل صوب، فيفقد من فيها صوابهم ويطلبون التعزيزات باللاسلكى . . وتهبط فى الأزقة الضيقة للمخيم أعداد كبيرة من القوات الراجلة. تقوم بمطاردة الشباب فى الشوارع الضيقة، وكان أحد الجنود الصهاينة يكمن خلف جدار ويصوب بندقيته باتجاه الشبان . . فخرج ناصر من أحد الشوارع الضيقة ويداه تقبضان على الحجارة . . . فعاجله الجندى الجبان بطلقات اخترقت الجهة اليسرى من صدره. فيضع ناصر كفه على صدره الدامى ويستمر فى الجرى وهو يصرخ: الله أكبر، الله أكبر . . والدماء تنزف وتنزف حتى خارت قواه، وما إن وقع

الشهيد على الأرض حتى هبت الجماهير تلاحق فلول الجنود الذين ركبوا عرباتهم العسكرية ولاذوا بالفرار . . وينقل ناصر إلى المستشفى القريب . . لكن الروح تصعد إلى بارئها لتحلق فى الفردوس الأعلى مع الشهداء والصالحين، وتتوالى الجموع للعزاء على بيت الشهيد . . ولكن والدته تصر على تقديم الشراب والعصير لمن يحضر إلى البيت قائلة : إن ابنى شهيد . . وفى عينيها فيض من الدموع .

حدثنا من حضر إيواء الشهيد فى المقبرة . . وكان الوقت ليلاً . . أنه بعد لحظات من مغادرة الناس لمكان القبر . . شوهد نور ساطع ينزل من السماء إلى المقبرة ويستمر لحظات ثم يصعد ثانية إلى السماء . .

لقد أطلعنا شقيق الشهيد على تركته التى خلفها وراءه، ولكم دهشنا عندما وجدنا أن هذه التركة لم تكن سوى مقلاع ونبيطة صنعهما ناصر بيده وكان يستخدمهما باستمرار ولا يسمح لأحد باستعارتهما .



الشهيد/ سمير الأخرس

١٩٨٩/٧/١٨



حينما نصنع التاريخ، ونقف على بوابات الزمن، ونحن لا نملك إلا إيمانًا فى القلب، ومصحفًا فى يد، وفى الأخرى حجرًا، وعندما ينطق الدم كل يوم فى شوارعنا، ويرصف جنرالات الحجارة طريق المستقبل، بحجارة فلسطين، فإن الكلمات تصبح مجرد حروف صماء، ولا يملك الفرد فينا إلا أن يقف إجلالاً لينبوع شلال الدم المتدفق، ونحن لا نملك سوى كلمات . . ليس أكثر، إلى أطفال الحجارة، جبابرة الانتفاضة الذين نفضوا غبار السنين عن الوطن السليب، وجعلوا المارد يزأر، أصبحت أغانيهم مع الحجارة، وأتقنوا عزف سيمفونية رائعة فى حبك أيها الوطن، فليقف العالم صامتًا للسواعد الرامية لحماس، وليقف إجلالاً وإكبارًا لشهداء الوطن الذين باعوا كل شيء إلا الإخلاص لله والوفاء للأرض والقضية . . وحينما يصبح الموت فرحًا، وتقدم التهانى بدل التعازى لهؤلاء الذين قدموا دمهم على مذابح التضحية . . عندها يقف الاحتلال برهة ويعيد حساباته . . .

أمام بيت الشهيد سمير وضع إكليل من الزهور زينته الآية الكريمة ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٢٣] وذيلت الآية بتوقيع حركة المقاومة الإسلامية «حماس» . .

[والشهيد سمير من مواليد ١٩٦٨ درس فى مدرسة بيت ليد الإعدادية، ومن ثم انتقل للدراسة فى صناعية طولكرم، والدراسة فى طولكرم كانت تمثل مفترق الحياة بالنسبة لسمير ففيها انضم إلى ركب الدعوة الإسلامية، والتزم الإسلام منهجًا للحياة بالرغم من التزامه بالعبادة منذ الصغر، وكان الشهيد قد حصل على المرتبة الثامنة من العشرة الأوائل فى امتحان الشهادة الدراسية الثانوية الفرع الصناعى للعام ٨٨ فى الضفة الغربية، وحاز على بعثة دراسية للسودان إلا أن قرار الأردن بفك الارتباط قد

أدى إلى إلغاء هذه البعثة. ويحدثنا شقيق الشهيد سمير عنه فيقول «كان قد نشأ فى طاعة الله وتربى فى المسجد، واعتاد أداء الصلوات بشكل منتظم.. وكان يطالع فى الدراسات الإسلامية» وأثناء الحديث اعتذر شقيق الشهيد لأنه كان ملتزمًا بالاحتفال المقام فى القرية فى ذكرى الهجرة النبوية... وما هى إلا لحظات حتى كان صوته الندى فى التلاوة يملأ مسامعنا.

المواجهة:

فى ١٨/ ٧/ ١٩٨٩ اقتحم الجيش القرية بعد العصر، وأصيب فى المواجهة فى ذلك اليوم ٢٥ شابًا، وكان من بين الجرحى سمير، إلا أن جراحه كانت خطيرة واستشهد متأثرًا بها... وفى الحادثة، وبينما كان يواجه جنود الاحتلال قال أحد الشبان «ما أكثر جيش الاحتلال»! فرد بكلمات، كانت آخر ما قاله فى حياته «نحن المؤمنين أقوى بإيماننا» فردت إحدى الأخوات المسلمات التى كانت تحضر الحجارة للسواعد الرامية ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وكان شهيدنا قبيل استشهاده قد ارتعشت روحه فطُلبت للشهادة فأحس بها وصدق حدس المؤمن، فقام فتوضأ وضوءه للصلاة، فقال له أحد أقربائه: لماذا تتوضأ ولم يحن وقت الصلاة؟ فقال «أنا أشم رائحة الجنة»[1] وأخذ الراوى يقسم لنا إنه سمع هذه الكلمات من فم شهيدنا، ولما اشتد الوطيس، وإذا بك ترى سمير، وهو يحمل مقلاعه بزنود سمراء فلسطينية مؤمنة، مرة يضع الحجارة، وأخرى الزجاجات الفارغة، وبدأ الجيش بالانسحاب خارج البلدة، وفى الحقيقة كان الجيش ينصب كمينًا لهذا الفارس الذى ما أرهبته قسوة جنود الاحتلال ولا أضعفته نيران أسلحته الرشاشة، ففى طولكرم بلد الكروم تعلم شهيدنا معانى الصبر والثبات، ولاحق شهيدنا فلول الجنود، وما هى إلا لحظات حتى بدأ الجنود بإطلاق سيل من الرصاص، فاستقرت رصاصة جبانة فى منطقة القلب، وشاهد شهيدنا الدماء «التى نذرها وادخرها لهذا اليوم» وهى تسيل.. فبدأ بالانسحاب، وبينما كان يحاول القفز عن جدار مرتفع، كان يجد صعوبة فى ذلك، فأطلق أحد الجنود رصاصة أخرى فاستقرت فى رأسه. فأمسك بحبل غسيل وهم بالصعود منه فخر

(١) هذا يذكرنا بالصحابى الجليل «أنس بن النضر» الذى قال يوم أحد «والله إنى لأشم رائحة الجنة من دون أحد/ انظر: صحيح البخارى بشرح فتح البارى لمحمد بن إسماعيل وهو مطبوع مع فتح البارى، ط ١٩٥٩م، القاهرة (٨/ ٣٥٨).

شهيدنا لتستقبله الحور العين، وسقط على الأرض، وارتفع إلى السماء، ولم يحترم جنود الاحتلال سكون الشهيد وهيبته فقاموا بضربه بأرجلهم وأعقاب بنادقهم وضربوا فتاة كانت تحاول أن تسعفه إن كان فيه رمق من حياة، كما قام جنود الاحتلال بشهادة عدد من سكان القرية «بتمزيق ملابس الشهيد وسرقوا ساعة يده. . . !!» ولم يكتفوا بسرقة البسمة المشرقة من شفاة شهيدنا، بل اعتدوا أيضًا على متاعه!! وقبيل استشهاده كان يحث الشباب على عدم التولى أو الهرب من جنود الاحتلال، وقال للشباب: «اهتفوا الله أكبر فقط» ونهى الشباب عن ترديد بعض الكلمات التى لا تليق بالمسلم. . .

ويحدثنا شقيق آخر للشهيد فيقول: كان يقرأ شقيقى كتابًا أحضره عن كرامات الشهيد والمجاهدين الأفغان «وكأنه يعنى كتاب الشيخ عبد الله عزام» وبعد أن أنهى القراءة قال «أتمنى أن أستشهد إن شاء الله»، ووجه حديثه لأمه وطلب منها أن لا تصرخ أو تخالف الشرع إذا ما استشهد.

وكانت والدة الشهيد قد أمسكت يومًا فنجان القهوة الذى شربه وقالت له مداعبة «إنى أرى عروسًا تركب على حصان» فرد قائلاً: «هذه ليست العروس يا أماه، هذه الشهادة فى سبيل الله».

وشارك عم الشهيد فى الحديث، وقد اغرورقت عيونه بالدموع فيقول: يوم أن أحضروه من التشريح، شممت رائحة عطر ترطب الجو علينا، فقلت لزوجتى لعلهم أحضروا شامير، وسأل أحد الحضور: هل وضع أحد منكم العطر على جسد الشهيد؟! ويضيف قائلاً بالرغم من مكونه ٣٦ ساعة فى التشريح إلا أن بسمة مشرقة ارتسمت على وجهه وكان جسمه كالحرير ودمه لازال ينزف!.

ويقول أحد الذين شاركوا فى دفنه: «لولا أننى خفت أن يسخر الناس منى لطلبت منه أن ينهض من نومه». ويخبرنا الحضور بأن أعداد المصلين بدأت تملأ المسجد، حتى إن بعض الأشخاص الذين يئس منهم بعض الناس فى الالتزام بالصلاة قد احتلوا مكانهم الطبيعى فى المسجد، والتزموا إسلامهم العظيم بعدما شاهدوا من كرامات الشهيد سمير.

شقيق الشهيد صهيب أصيب يوم الحادث بجراح كان يرقد فى مستشفى رفيديا بنابلس، وعندما علم باستشهاد شقيقه نهض رغم الجراح لوداع شقيقه، ويومها احتضن والده وقال «مبروك استشهاد أخى». . فالمسلم وإن عانى من الألم فإنه يعانى بصمت الفارس. . . وكانت عائلة الشهيد «والده وأمه وبعض إخوانه» خارج القرية يوم استشهاده وما علموا إلا بعد عودتهم إلى القرية ويبدو أن والدة الشهيد ذات عاطفة جياشة فكانت تبكى وتولول كثيراً عندما تسمع نبأ استشهاد شاب، إلا أنه لم يُر أصبر من أمه فى ذلك اليوم، ثلاثة شبان جمعهم حب الله التقوا على هذا الحب، وسقوه من الدماء، سمير الذى استشهد، وأمجد الذى يعيش فى الاعتقال الآن. وجهاد الذى جرح وسالت دماؤه، كانوا يمثلون صحبة المسجد.

جرى حوار بين عم الشهيد وأحد الجنود: «لقد أسرت جنديًا يهوديًا بين إيلات والعقبة أثناء الحروب الماضية وأسقيته الماء البارد والشاى، أما أنتم فقد أطلقتم الرصاص على حامل حجر» أصيب شقيق الشهيد بجراح قبل الحادث فقال: سأثأر لكل قطرة دم سالت من جراح شقيقى ولن أتركهم يفلتون. فكان دمه ثأراً وانتصاراً للعقيدة والعزيمة. وكان قد خطف طفلاً جريحًا قبل استشهاده بيوم، خوفًا من التنكيل به من قبل جنود الاحتلال وهو ينزف دمًا وهذه عادتهم، ونقله للعلاج والرصاص(يلعلع) حوله وهو لا يأبه به.

تم دفن الشهيد الساعة الحادية عشر ليلاً وكان الجيش بالقرب من مداخل القرية وقال ضابط الاحتلال «لكل كلمة الله أكبر سيتم إطلاق الرصاص» وسار فى توديع شهيدنا الآلاف. . إلى المجد حيث تبقى الرؤوس عالية فى قبرها. . . وهذا أفضل بكثير من العيش بحياة تكون فيها الرؤوس مطأطأة فالميت ميت الأحياء. . . خرجنا وكنا نهم بالعودة، اقتربت ابنة خالته تحمل على رأسها خبز الطابون وقالت بلغة قروية بريئة «يا خالتى عندما اقتربت من الشهيد وهو ينزف أطلقوا علىّ الرصاص المطاطى».

***

الشهيد/ فايز المنذر

١٩٨٩/٨/٦



السن: ١٣ سنة.

المستوى الدراسى: السادس الابتدائى.

إن كان للتاريخ أن يسجل مواقف العظماء ويكتب فى صفحاته الخالدة بطولات الشهداء فليقف التاريخ إجلالاً وإكباراً لجيل جديد من شهداء فلسطين الانتفاضة وهو يسطر بأحرف من نور فى سجل الخلود مواقف وأسماء هؤلاء الشهداء.

من هم يا ترى أبطال الحجارة؟ إنهم أشبال الانتفاضة الباسلة الذين أذهلوا بحجارتهم دوريات جنود الاحتلال، والذين ما عرفوا اللهو واللعب وتمرسوا فى ميادين الجهاد منذ نعومة أظفارهم.. فكان منهم الجريح ومنهم المعتقل ومنهم الشهيد.

وشهيدنا ينتمى لهذا الجيل، ومن هذا الطراز الفريد، إذ نشأ فى بيت مفعم بالمآسى، فقد نشأ يتيمًا إذ توفى والده وهو لم يتجاوز الرابعة من عمره، ومن ذلك اليوم أصبح المُعيلُ لهم أخاهم الأكبر، وأمه تحفهم بالرعاية والحنان، وبدأت الانتفاضة وشمر جيل أشبال الحجارة عن سواعده المباركة وبدأ يضرب الاحتلال فى كل مكان، وكان فايز دائمًا فى المقدمة مع أخيه الذى يكبره بسنتين، وقدر الله أن يصاب أخوه فى شهر رمضان المبارك برصاصة أودت بعينه، فاستقبلت أمه الحادث بصبر وثبات وإيمان بقدر الله وقضائه، فكان هذا الحادث حافزاً للشهيد ومقويًا لعزيمته وإصراره على الانتقام لأخيه من الأوغاد الذين سلبوه إحدى عينيه، وكان على موعد للقاء ربه فى يوم الأحد ٦/ ٨/ ١٩٨٩، إذ خرج كعادته لصلاة العصر فى المسجد وبعدها جلس مع إخوانه فى أحد أركان المسجد فى جلسة إيمانية لحفظ القرآن الكريم وكأنه قد حفظ سورة تبارك واستحق جائزة كانت عبارة عن ملابس وكان يسير مفتخراً بالجائزة ويعلن عن نيته حفظ سورة الواقعة وغيرها من السور، وبدأ يتلو القرآن من سورة النساء ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن

كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٤١]، وعندما قرأ إذا به يقرأ «شهيد» مكان «بشهيد».

ورغم تصويب الإخوة له إلا أنه قرأها شهيد وفى هذه اللحظة انبعثت أصوات من خارج المسجد، فكان أول من خرج ليعرف الخبر وعندما أيقن أنها المواجهة مع جنود الاحتلال الذين اقتحموا البلدة وبدأوا باستفزاز أهاليها شمر عن ساعديه ليشترك مع إخوانه فى التصدى لجنود الاحتلال وغطرستهم، واشتد أوار المواجهة وبدأ الجنود يطلقون الرصاص الحى، ورغم ذلك لم تفتر عزيمة الأبطال واستمروا فى مواجهتهم لغطرسة جنود الاحتلال بكثافة وغزارة، وحدث ما كان يتوقع، فقد كمن جنود الوحدة الخاصة لقاذفى الحجارة واستمر الجنود المقتحمون فى مناوشة الأبطال وأغروهم بالتقدم فكان شهيدنا فى مقدمتهم شجاعًا جريئًا جسوراً ممتلئًا بالحيوية والإيمان مقدامًا لا يهاب الموت فصوب قناص من الوحدة الخاصة البندقية عليه وأطلق عليه رصاصة جبانة استقرت بإحدى شرايينه ونقل إلى المستشفى، وهناك اشتد النزيف ورغم محاولات الأطباء لإنقاذ حياته إلا أن قدر الله كان أقوى وأعظم.. وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها فى مستقر رحمته مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.

وقد تمت مواراة الجثمان ليلاً فى مقبرة الشهداء بجباليا، وأقسم أحد الإخوة الذين أصابهم شيء من دمه أنه كان يفوح برائحة كالمسك، ولم يكن الدفن يليق بمكانة الشهيد، فقرر أهله إعادة دفنه فى اليوم التالى، وأخرج من قبره الأول ففاحت من جسده الطاهر رائحة كرائحة المسك.. وهذا دليل صدق الشهادة وقبولها من الله.

يجب علينا أن نقف إجلالاً وإكباراً أمام هذا الجيل العظيم الذى ضحى بنفسه فى سبيل الله وهو فى مقتبل العمر، لم يذق طعمًا حلواً للحياة، وعاش رجلاً منذ الصغر وبطلاً فذًا، فلجميع الشهداء الرحمة.. وسيبقى اسمهم مسجلاً فى جبين التاريخ وجزاهم الله خيراً وألحقهم بركب النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.. فى جنات النعيم وفى الفردوس الأعلى من الجنة إن شاء الله تعالى.

***

الشهيد / نضال إبراهيم محمد مسك

١٩٨٩/٨/٩

فى بقعة مقدسة من بقاع فلسطين الحبيبة، وفى أكناف بيت المقدس، فى مدينة الخليل إبراهيم عليه السلام، حيث تمتزج رائحة الحاضر بالماضى لتذكرنا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إبراهيم وإسحاق ويعقوب[1] ولد ذلك المسك ليفوح بشذاه فى ربوع تلك المدينة المؤمنة، والتى ما فتئت تناجز اليهود وتقاتلهم، تقدم الشهداء تلو الشهداء.. والتضحيات تلو التضحيات صامدة رغم الجراح.. تأبى الذل والهوان.. ولد شهيدنا نضال فى ١٧/ ٣/ ١٩٧٢م، ونشأ فى أسرة مؤمنة بالله تبارك وتعالى أخذ منها أخلاق الإسلام، وشجاعة الرجال، ورائحة المسك الزكية المنبعثة من نجيع الشهداء الطهور، وتدور الأيام ويكبر حب النضال مع نضال وخصوصاً أنه ابن المسجد منه نشأ، وفى أحضانه كبر وترعرع، ومن جانب محرابه انطلق كالسهم معاهداً الله تبارك وتعالى على الجهاد والانتقام من رؤوس اليهود المجرمين، لقد كان نضال من رواد المسجد القلائل الذين يحرصون على أداء الصلوات جماعة وعلى دروس العلم والقرآن الكريم، ويعرف عن الشهيد حبه للعلم، لذلك داوَمَ على دراسته حتى وصل إلى الصف الأول الثانوى، وعندها اختاره الله عنده مع الشهداء البررة والصالحين.

أخلاق الشهيد:

لقد كانت أخلاقه طيبة كالمسك، فله من اسمه نصيب، امتاز بالهدوء والحياء، وكثرة الصمت، وكان ليّنا طيب المعشر يحبه كل من رآه[2]، إذا نظرت فى وجهه يجذبك إليه نور وضّاءٌ يترقرق كجدول ماء عذب يتسلل بين شجيرات خضراء تغريك بتتابع النظر..

إنه نور الشهادة ينساب من بين عينى نضال ليذكرك بالصالحين المؤمنين الذين رووا تراب الوطن بدمائهم الزكية... كان يحرص ـ رحمه الله ـ على استغلال وقته وعلى

(١) يُذكر أن مدينة الخليل تحوى رفاة بعض الأنبياء والأولياء الصالحين فيقال إن قبر سيدنا إبراهيم وقبرى سيدنا موسى وإسحاق موجودان فى أسفل المسجد الإبراهيمى الشريف.

(٢) يقول النبى ﷺ فى ذلك: « إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا وإن=

تربية بدنه فكان بارزاً فى فريق المسجد الرياضى، وقد حصل على الحزام الأخضر فى الكاراتيه متمثلاً قول الرسول ﷺ «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[٢]، لقد كان نضال صاحب تواضع جم، وحياء شفاف، يقول عنه أحد أساتذته «لقد كان خلوقًا جم الحياء، وكان ذا شجاعة نادرة، وبشاشة دائمة، يقبل على العلم بشغف وحرص».

إرهاصات الشهادة:

لقد سبق استشهاد نضال عدد من الإرهاصات منها:

(١) قال لأخته: إذا استشهدت ضعى صورتى هذه مع النعى فى الجريدة، وكان يقصد جريدة الصراط، وقالت أخته: لقد أحسست أن الصورة قد كتب عليها الشهيد نضال رغم أن الأمر لم يكن حقيقة.

(٢) أوصى أحد إخوانه قائلاً: إذا استشهدت فضع وردة على قبرى.

(٣) قال لجدته: أين دعاؤك لى ؟ فقالت له بلهجتها العامية «الله يزوجك» فأجابها: إن شاء الله ولكن من الحور العين.

(٤) فى الأسبوع الأخير من عمره كان يحرص على ارتداء الملابس البيضاء وكان وجهه مستبشراً وضاءً أكثر مما عهد.

استشهاده:

منذ أن بدأت شرارة الانتفاضة الأولى وعقدت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» اللواء كان الشهيد من السواعد الرامية التى لا تكل ولا تمل. وفى ١٩٨٩/٨/٩ قام الشهيد وبعض جنود السواعد الرامية بنصب كمين للسيارات العسكرية قرب مسجد الأنصار، وعندما مرت ناقلة عسكرية أمطروها بالحجارة فردت عليهم بإطلاق النار.. مما أدى إلى استشهاد نضال حيث أسرع الإخوة إلى خطف جثته ودفنها قبل أن يستولى عليها الجيش.

= أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون». انظر النووى / يحيى بن شرف النووى/ت ٦٧٦هـ، رياض الصالحين، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٢٥٢ «جابر بن عبد الله»

(١) انظر: مسلم بشرح النووى(١٦، ٢١٥) «أبو هريرة».

قالوا عن الشهيد:

(١) والدته: لقد كان يملأ البيت بشراً وسعادة وخاصة مع إخوته الصغار وكان يوقظنا لصلاة الفجر باستمرار، وكنت أحس أنه ليس من أهل الدنيا، ولكننى لن أنسى محياه الجميل أبداً رغم شعورى براحة وطمأنينة بعد استشهاده.

(٢) والده: أتمنى أن يضحى كل شاب مسلم بنفسه كما فعل ابنى نضال لإعلاء كلمة الله وتحرير الوطن والمقدسات، وإننى أفتخر أن ابنى قد استشهد بعد أن كان بطلاً من أبطال «حماس».

(٣) شقيقه: إن التنافس فى نيل الجنة أمر عظيم، وأحس أن أخى نضالاً قد سبقنى إليها مع أننى حريص عليها ولكننى سأنالها إن شاء الله.

(٤) أحد أقربائه الذى حضر زائراً من المهجر: رأيت بعينى تضحيات شباب فلسطين على خلاف ما كنت أتوقع وأنا فى المهجر فالمجاهدون هم شباب الإسلام وليس غيرهم، وإننى على يقين أن الله سينصر الإسلام على أيديهم.

من كرامات الشهيد:

أولاً: لقد اشتم إخوانه رائحة المسك تفوح منه وقد لاحظ هذا كثير ممن حضر الساعات الأولى بعد الاستشهاد.

ثانياً: كان مبتسماً متجهاً للقبلة بعد استشهاده.

ثالثاً: لقد سمعنا فى منطقة استشهاده زغاريد الطيور بشكل لافت للنظر.

عاطفة دافقة:

أحد الذين هم فى عمر نضال ويشاركه كل جهد وجهاد تأثر لفقدان رفيق دربه فقال هذه الأبيات الشعرية رغم أنه لم يكن قائلاً للشعر من قبل:

مساجدنا قلاع فى الجبال ... حماس بها أسود فى القتال

مساجدنا عرين فيه تحيا ... ضراغم حصنها صعب المنال

ونحن اليوم أحباب كرام ... تؤلف بيننا طيب الخصال

نضال يا سليل المسك تبقى ... شهيداً للعقيدة والنضال

ففى الأنصار أنت به على ... من الرهط الكريم من الغوالى

فيا أهل الشهيد لكم سلام ... أيا أهل الكرامة والجلال

***

الشهيد /أمجد واثق الطويل

١٩٨٩/٨/١٥



ولد الشهيد المجاهد «أمجد الطويل» فى ٢٣/ ٩/ ١٩٧٤م فى بلاد الغربة «أمريكا» ولكنه ما فتئ لسانه عن ذكر فلسطين، فهى عالقة فى ذهنه، مغروسة فى قلبه ووجدانه، فجاء به والده من أمريكا منذ ست سنوات ليعيش فوق ثرى بلاده الطهور ينهل من معينها، ويتشرب تاريخ أمجادها وعاداتها وتقاليدها، وهى التى حاول أعداء الله ـ يهود ـ طمسها وتغييب معالمها.

لقد كان أمجد شابًا مرفهًا عاش فى أسرة ذات يسار ولكنه لم يركن إلى الدعة وهو الابن البار والشاب المطيع الذى رباه المسجد، وغرس فى قلبه ووجدانه الشهامة والرجولة وأشرب روحه العزة والكرامة والإباء، فكان -رحمه الله- نشيطًا فى فريق المسجد الرياضى، ودرب جسمه ليكون مستعداً وقت النزال، فتعلم لعبة «الكاراتيه» اللعبة التى كان يحبها ويمارسها. وفى الجانب العقلى والثقافى فقد بز أمجد إخوانه وفاقهم، فكانت هوايته المفضلة المطالعة فى مكتبة المسجد والمدرسة، وكان أمجد ذكيًا مجتهداً، فكم من مرة جاءه زملاؤه من الطلاب ينشدون عنده الجواب لمسألة رياضية أو إعرابًا لجملة عربية، فكان معطاءً بلا حدود يفيض رقة وطمأنينة وسكينة، تعلو وجهه إشراقة تزينها ابتسامة جميلة تنبئك عن قلب امتلأ بحب إخوانه، وصمته وهدوئه وقلة كلامه ورزانته تخبرك عن شخصية متزنة مليئة ونفسية وطاقة روحية هائلة تجعل إصراره فى الحق عجيبًا ودفاعه عن أرضه ووطنه عظيمًا وقويًا.

حادثة استشهاده:

فى يوم من أيام الصيف القائظ، خرجت مجموعة من الفتيان المؤمنين بربهم، والذين لم يلتفتوا إلى الدنيا وزخارفها وزينتها، خرجوا يرددون ﴿ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي

وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤]. ويحملون أرواحهم على أكفهم، لا يلتفتون إلى الوراء ترى فى أعينهم الحزم والعزم والإصرار، إنهم يقولون لهذا الشعب:

أبشـــــر إن أمـــــتى ولدت جـــيـــلاً يرتل ســـورة العـــصـــر

أبشـــر إنا جـــيـل نصـــرتكم جـــئنا نرتل ســـورة النصـــر

وإذا ما اقتربت منهم لتستخبر خبرهم وتعرف هويتهم، أخبروك بأنهم سواعد حماس الرامية، التى زلزلت يهود وخلخلت قواعد أمنهم، وبلبلت استقرار حياتهم، وإذا ما تجرأت فى السؤال لتقول لهم: ما الذى أخرجكم فى هذه الساعة؟ إن شبابًا أمثالكم يجلسون الآن فى بيوتهم وعند أهلهم وأمام شاشات التلفاز يشاهدون ويتمتعون؟ فيجيبونك بلسان المؤمن الواثق: لقد خرجنا ملبين نداء حركة المقاومة الإسلامية «حماس» فى ذكرى معركة خيبر (١٥/ ٨/ ١٩٨٩م) والتى اجتث فيها النبى ﷺ اليهود وغرقدهم من جزيرة العرب، وها نحن خرجنا نلبى النداء، ثم يلوح لك سؤال فتقول:

كيف السبيل إلى حرق غرقدهم وإنبات النخيل؟ فيجيبونك بلسان الواثق المؤمن الذى لا تهيبه قوة العدو العسكرية ولا يستجدى أحدًا من أشقاء العروبة والإسلام الذين يغرقون ملء جفونهم فى سبات عميق، ويرقصون ويغنون على جراحاتنا، ويستهزئون بنحيب أمهاتنا وأخواتنا، ولا يحترمون حتى نجيع شهدائنا الطاهر الذى روى أرض الإسراء والمعراج- إنهم يقولون لكل البشر:

حـــجـــر من ســاحـــة الأقـــصى وعـــود من حـــصـــيـــرة

وصـــــرخـــــة من أرض نابلس وحـــبـــة رمل من يافـــانا الأســيـــرة

هى أقـوى من صـواريخ الأعـاريب ومـــن نـــفـــط الجـــــــــزيـــرة

وفى وسط هؤلاء الأطهار كان شهيدنا البطل حيث لبى نداء إخوانه، ولعله كان على موعد مع الشهادة فذهب إلى بيت جدته مودعًا، ثم يتجه شهيدنا إلى المسجد، ليكون المسجد آخر عهده فى الدنيا، ويصلى العصر جماعة، يرى بعد ذلك ودماء الشهادة تترقرق فى وجهه، ويبقى فى المسجد الذى أحبه وتربى بين أحضانه حتى موعد المواجهة مع قوات يهود.

وفى ساعة الصفر - الساعة السادسة مساءً - اهتزت قلوب الرجال والنساء والأطفال فرحًا، وأصداء نشيد المؤمنين يجلجل فى سماء الوطن، إنهم يرددون الهتاف الإلهى الخالد «الله أكبر» فتزلزل لها قلوب المجرمين من يهود، ويصلون الماضى بالحاضر فيصدحون «خيبر خيبر يا يهود، جند محمد سوف يعود». والأسود الهصورة تزأر لتملأ سمع الدنيا، وتكتب فى التاريخ حياة أمة، وعزيمة شعب لا يلين فتهتف «حق قوة حرية مقاومة إسلامية» وإذا ما نظرت إلى الأفق، ودققت النظر ترى فارسًا ملثمًا واثقًا من نصر الله يفيض قوة وحيوية وحماسًا كيف وهو بين شباب كلهم حماس ؟، ويمسك الناس أنفاسهم ويرفعون أكف الضراعة إلى الله العلى العظيم أن يحفظ الشباب وأن يسدد رمياتهم، ويقوى سواعدهم. لقد جن جنون العدو، ففتحوا نيران أسلحتهم باتجاه الفتية الذين أمطروهم بوابل من قذائف الحجارة المقدسية التى نطقت فى أيديهم، إنى من عهد عمر، إنى رأيت عمر، لا أريد سوى عمر وصلاح الدين والقسام والبنا وشهداء بلادى من المؤمنين الطاهرين.

وبعد المواجهة انسحب الشباب بعد أن أصبحت المواجهة مستحيلة وتفرقوا فى الجبال والوهاد والقرى المجاورة، وعاد الشباب قريبًا من ساعات العشاء ولكن أمجد لم يعد، تفقد الشباب صفوفهم فى صلاة العشاء، فأدركوا أن الفارس البطل لم يحضر صلاة العشاء وهو الذى كان يحرص دائمًا على صلاتها جماعة فى المسجد، وهنا تتحرك مجموعات الشباب من إخوان أمجد إلى بيته وأقاربه يسألون عن البطل الهمام دون جدوى، فانطلقوا وأحضروا سيارة الإسعاف وعادوا وسط الظلام إلى الجبل يبحثون عن أخيهم الذى أحبهم وأحبوه ولكنهم لم يعثروا على شىء يدلهم على مكانه، وفى الصباح الباكر تنطلق أفواج من إخوانه مرة أخرى يبحثون عنه. فى حين يتوجه أهله إلى مركز الجيش للسؤال عنه، فيبلغهم الجيش أن ابنهم ابن(الخمسة عشر ربيعًا) صاحب الشعر الأشقر والعينين الزرقاوين موجود عندهم فى الحجز، فهدأ الجميع وأقفل ملف البحث عنه.

وبعد يومين يأتى أحد الرعاة بخبر صاعق ينفجر دموعًا فى عيون الشباب المؤمن ودمًا قانيًا فى قلوبهم : «لقد وجدت جثة ملقاة فى وسط الجبل» وخرجوا إلى الجبل تسبقهم قلوبهم وهى تكاد تنخلع من الحزن وتنفطر نفوسهم من الألم، خرجوا

بالكشافات المضيئة وفى نفس الموقع الذى بحث فيه سابقًا . . وجدوا جثمانه وقد لوحته الشمس وآثار رصاصة اخترقت القلب، ووجه ملىء باللكمات وآثار حروق بادية على وجهه ويديه وكومة من السجائر عند جثته.

تشييع جنازته:

ما إن سرى نبأ استشهاد أمجد حتى توتر الوضع فى مدينتى رام الله والبيرة.

اختطف الشباب جثمان شهيدهم البطل، ونعت حركة المقاومة الإسلامية ـ حماس ـ شهيدها وطلبت من الناس إغلاق محلاتهم والامتناع عن الحركة حداداً على روح الشهيد، فاستجابت الجموع من أبناء المدينتين لنداء حماس، واندلعت المواجهات العنيفة صباح السبت، وحملت الرايات والأعلام واللافتات التى تحتسب عند الله الشهيد أمجد، واصطف العشرات من أبناء حماس فى كل موقع يرددون «نقسم بالله العظيم نحن أبناء حركة المقاومة الإسلامية ـ حماس ـ على الثأر لشهيدنا أمجد والله على ما نقول شهيد»، وشيع الشهيد كما يليق بالشهداء، وورى جثمانه الطاهر تراب بلاده الحبيبة، ولكن قوات التتار اليهودية الحاقدة قامت بإغلاق المنطقة وفرض نظام منع التجول، وإغلاق الشوارع المؤدية إلى بيت والده بالأتربة ومنع وصول الناس إليهم.

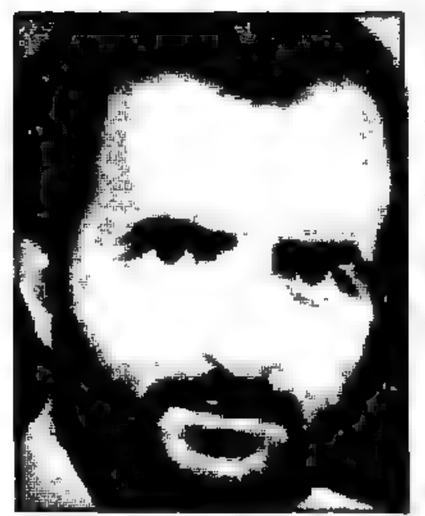
كيف استشهد أمجد؟

شاهدت قوات اليهود أمجد فى الجبل أثناء المطاردة فاعتقلوه بعد أن تعرفوا على ملابسه، ضربوه بأعقاب البنادق، سألوه عمن معه فأنكر، عادوا به إلى الجبل فاجتمع عليه أبناء الأفاعى والقرود وبدأوا بتعذيبه ثم قاموا بإطلاق النار عليه لتصعد روحه الطاهرة إلى عليين.

***

الشهيد / مصطفى حسين طاهر الدباغ

١٩٨٩/٩/٢



«لا سواء.. قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار» الكلمات الخالدة التى أمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب -وكان جهورى الصوت- أن يرد بها على أبى سفيان بعد معركة أحد لما وقف مزهواً بالنصر على المسلمين رافعًا صوته بالنداء: يوم بيوم (أى يوم بدر بيوم أحد)(١).

إذن ليس هناك مجال للمقارنة فالنتيجة محسومة لصالح المؤمن مهما كانت.. ومن هنا، من هذا المفهوم انطلق المؤمنون من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم ممن جاءوا بعدهم فى طريق الله يبتغون الأجر ويتسابقون فى عمل الصالحات لا تفتر لهم همة مهما كانت المصاعب كبيرة ولا تلين لهم عزيمة مهما كانت الطريق وعرة.

أنت تقرأ يا أخى فى كتب السيرة عن رجال باعوا الحياة ببخس وكان الموت فى سبيل الله أسمى أمانيهم، وقدموا من الصالحات فى دنياهم ما أهلهم لأن يختارهم الله عنده شهداء.. أحبوا لقاء الله فأحب الله لقاءهم، هم كما وصفهم الشاعر.

دفعوا ضريبتهم للدين من دمهم   والناس تزعم نصر الدين مجانًا

هذه النماذج من الرجال تشكل على مدى الدهر منارات يهتدى بها السائرون فى رحاب الله، يظل زيتها يضىء ونورها يسطع يغريك ببذل الهمة فى السباق للحاق بركب الأحبة محمد وحزبه.

الشهيد مصطفى حسين طاهر الدباغ «أبو أيمن» فارس دخل الميدان.. ميدان الجهاد بروح طاهرة ونفس زكية صافية، فاختاره الله إليه ليكون من المقربين وبصحبة الأنبياء والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقًا. فى قلب مدينة رام الله فتح بيت العزاء

---

(١) انظر: تفاصيل ذلك فى معركة أحد عبد السلام هارون تهذيب سيرة ابن هشام، ص ١٦٧.

الذى استوقفنا عند الدخول إليه لافتات حركة المقاومة الإسلامية «حماس» التى تحتسب أحد أبنائها الشهيد الحاج أبا أيمن عند الله، وأخرى تقسم على الثأر للشهيد وثالثة فيها قول الله تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣] ثم فى ساحة الجلوس كان علم كبير مكتوب فى وسطه عبارتى «لا إله إلا الله ـ حركة المقاومة الإسلامية» وعلى العلم علقت صورة للشهيد.. جذبتنى الصورة فتركت مجلسى واقتربت منها متأملاً، وإذا بصوت ناعم لطفلة صغيرة جميلة يخاطبنى عمى... هذا أبوى... جلست القرفصاء إليها وقد اهتز كل بدنى.. إنها زينب ابنة الشهيد... قلت لها: أتحبينه يازينب؟.. بحبه كثير كثير.

قلت لها مشيراً بيدى إلى العلم: ما هذا يا زينب؟

هذا علم... علم مين يا زينب؟ فقالت ـ والله على ما أقول شهيد - علم حماس. فسألتها مسرعًا ـ وقد تعجبت من ذكائها رغم صغر سنها ـ هل تحبين حماس؟ فوالله لقد أجابتنى زينب بنت السادسة: إحنا كلنا حماس عمى. وضعت يدى على شعرها الأملس الناعم وقلت مخاطبًا نفسى «حسبنا الله ونعم الوكيل»، لك ولأمك ولإخوانك الله يا زينب.. وهو نعم المولى ونعم الوكيل.

مع عائلة الشهيد الوادعة المطمئنة إلى قدر الله، الراضية بحكمه الصابرة على قضائه جلسنا وعن الشهيد حُدِّثْنَا...

ولد شهيدنا الحاج مصطفى سنة ١٩٥١م فى مدينة خان يونس فى قطاع غزة، وعاش يتيمًا منذ صغره متحملاً مسؤلية إخوته الصغار، فكان رجلاً جادًا مثابرًا نشأ على درجة عالية من الأخلاق والتقوى والخوف من الله. كان محبًا للقرآن ومداومًا على تلاوته مكبًا على حب دروس العلم والجلوس فيها وكان دائمًا يردد قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨] كلما سمع نبأ استشهاد أو جرح أحد.

تقول زوجته أم أيمن «كان زوجى حنونًا وعطوفًا علىَّ وعلى أولادى، ثم تقول وقد خالط صوتها نحيب: لقد تمنى زوجى الشهادة وطلبها من ربه سبحانه وتعالى فلن

أعترض على حكم الله ما حييت فهنيئًا له، وأعطنا ما أعطيته يا رب يا كريم»، أما والدته فتقول: هنيئًا لك يا ولدى وأرجو من الله أن أقابله فى الجنة.

يوم إصابته:

يقول صديق له كان معه: ذهبنا بسيارة الحاج مصطفى صباح الخميس الموافق ٢٤/ ٨/ ١٩٨٩ إلى نابلس لجلب البضاعة، وعلى حاجز التفتيش الدائم عند مثلث سلفيت وقفت منتظرًا الدور خلف السيارات وهناك رفع الشهيد يديه ودعا الله قائلاً «اللهم أمتنى شهيدًا... اللهم أمتنى شهيدًا» وكان طيلة نهاره ضاحكًا مستبشرًا... ولما عدنا وأنزلنا حمولتنا توجه الشهيد بسيارته إلى خليل الرحمن لجلب البضاعة وصلى المغرب، ثم قفل راجعًا هو وأخَوَان معه، وأمَّروا أحَدهم عليهم، وظلوا فى حالة ذكر واستغفار لله حتى لحظة وقوع الحادث حيث لاقتهم سيارة مستوطنين تسير فى الاتجاه المعاكس ورمتهم بحجر أصاب الزجاج الأمامى وأصاب رأسه إصابة قاتلة، فارتطمت سيارته بجدار وأغمى على الشهيد. وقام الأخَوَان - اللذان بحمد الله لم يصابا - بنقله إلى مستشفى الحسين فى بيت جالا - الذى لم تتوافر فيه الأجهزة اللازمة - فحولوه بدورهم إلى مستشفى المقاصد فى القدس الذى نقله بدوره إلى مستشفى رام الله لعدم توافر جهاز تصوير الرأس والمخ، وعند تشخيص الحالة قال الأطباء فى مستشفى رام الله وجوب القيام بعملية له فى المخ، ولكن لعدم وجود جهاز تنفس اصطناعى قاموا بإعادته إلى مستشفى المقاصد حيث كان رأيهم هناك بعد رؤيتهم لصورة المخ بوجوب إدخاله غرفة الإنعاش وعدم إجراء عملية له قائلين «إن وضعه سيتبين بعد ٢٤ ساعة وسيزول عنه الخطر فى الغالب».. ومرت بعدها ٢٤ ساعة وبعدها ٧ ساعات، وصارت فيها حالته خطيرة، وقالوا إن الدماغ توقف عن العمل وظل فاقد الوعى منذ لحظة إصابته حتى ساعة استشهاده فى الحادية عشرة من صباح يوم السبت الموافق ٢/ ٩/ ٨٩ حيث تم دفنه فى مقبرة البيرة بعد صلاة الظهر على جناح السرعة.

لحظات إصابته واستشهاده وردود فعل أهله:

قال ابنه أيمن (١٤ عامًا) عند إصابة والده «أنا أحب أن يموت أبى شهيدًا ولا أريد من أمى أن تبكى عليه».

ابنه أحمد (١١ عامًا) «لست حزينًا على والدى لأنه ذاهب إلى الجنة».

محمود (٩ سنوات) كان نائمًا عند استشهاد أبيه فلما استيقظ بكى واحتضن عمه سائلاً «أين أبى؟» فأفهمه عمه أن أباه فى الجنة، وهو يريد منك المواظبة على الصلاة والدراسة.

زينب (٦ سنوات) وهى ذكية جدًا سألت عن أبيها فى بداية إصابته وبكت حزنًا عليه ثم لما عرفت أنه سيكون فى الجنة قالت لأخيها محمود «إذا كنت تحب أبى فلا تبكى عليه لأنه شهيد فى الجنة».

محمد (٥ سنوات) وهو معاق عقليًا وكان الشهيد يعطف عليه ويخصه بحبه وحنانه وكان يطعمه ويغير له ثيابه إذا تبول فيها.

سندس (٢٠ شهرًا) أخذ الشهيد اسمها من القرآن وكان يحبها كثيرًا.

إبراهيم وسماح وهما توأم وعمرهما ٤٠ يومًا ولدا قبل استشهاد أبيهما بشهر.

وكان يردد دائمًا:

سـأثأر لكن لرب ودين ... وأمضى على سنَّتى فى يقين

فإما إلى النصر فوق الأنام ... وإما إلى الله فى الخالدين

رحمة الله عليك... وإلى الله فى الخالدين يا شهيدنا أبا أيمن.

***

الشهيد /بسام يوسف سعد أبو تمام

١٩٨٩/٩/١٦

مولده ونشأته:



ولد الشهيد بسام فى مخيم (الشهداء) طولكرم فى ٢٥/ ٧/ ١٩٦٩م وما إن شب بسام وأدرك معنى الحياة حتى علم الحقيقة المرة أنه لاجئ وأهله لاجئون فيسأل بسام عن موطنه؛ عن قريته التى هدمها الغرباء المحتلون. . ويبقى السؤال معلقًا فى ذهن الطفل الذى يمثل مأساة شعب بأكمله.

لقد كان عدد أفراد أسرة الشهيد ١٢ فردًا يعيشون فى بيت من بيوت المخيم الضيقة. . فاضطر بسام الذى أكمل الصف الثالث الإعدادى إلى ترك الدراسة، والعمل للمساعدة فى القيام بأعباء الأسرة الكبيرة. . عمل فى منطقة ١٩٤٨م، وعندما انفجرت الانتفاضة لتحيى فى النفوس الآمال، ترك بسام العمل، وأصبح عاملاً مجاهدًا فى سبيل الله يكتفى بالقليل ويقدم الكثير من وقته وجهده ودمه.

كان بسام دائم الذكر للشهادة فى سبيل الله، سريع التحرك، متشوقًا للعمل ضد المحتلين يشترك فى قذف المحتلين الغاصبين بالحجارة.

حادثة استشهاده:

استجابة لنداء حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، والداعى إلى تصعيد المواجهة مع الاحتلال فى ذكرى مجزرة (صبرا وشاتيلا). . انتشرت أعداد كبيرة من شباب (حماس) الملثمين[١] فى شوارع المخيم وأزقته فلا ترى إلا شبانًا يلبسون السواد، يحملون الأعلام المحلاة بكلمة التوحيد. . . متاريس حجرية. . . إطارات محترقة. . . كما أشعلت الإطارات فى الشوارع الرئيسة. . وما هى إلا لحظات حتى تعالت

---

(١) تذكر بعض الروايات أن بعض استعراضات حماس فى مخيم طولكرم كانت تضم أكثر من أربعمائة ملثم.

الأصوات تشق عنان السماء وهى تهتف الهتافات الإسلامية التى تبعث الحماس فى النفوس، وها هم أولاد سكان المخيم يرفعون أيديهم إلى الله العلى القدير أن يحفظ شباب الإسلام، وأن يسدد ضرباتهم، ويحمى صفوفهم ويخذل أعداءهم . . . لقد شحن الجو وتوتر الوضع، واستنفرت قوات الاحتلال فى المخيم والمدينة، وبدأت المواجهة . . . أرتال من السيارات العسكرية المليئة بالجنود، وقاذفات الحجارة، وأنصاف المجنزرات تحاول اقتحام المخيم . . ولكن أسود حماس يوقفونها عند نقطة معينة . . المواجهات انتقلت من شارع إلى شارع ومن زقاق إلى زقاق، ومن حارة إلى حارة، ولا تسمع إلا أزيز الرصاص، وأصوات الانفجارات الناتجة عن قذف الجنود للقنابل الصوتية، ووسط هذا الجو المشحون . . كانت أصوات التكبير تعلو فوق سحب الدخان وأصوات الرصاص المنطلقة من أفواه البنادق .

لقد كان بالإمكان سماع أصوات ارتطام الحجارة والزجاجات الفارغة، ورنين القضبان الحديدية .

وازداد الغضب وبلغ ذروته قبيل المغرب . . وكانت عيون الجنود تقدح بالشرر المتطاير، وتغلى قلوبهم وأفئدتهم بمراجل الغضب، وتتقد بالحقد، وكانت حجارة الحق المنطلقة من شباب الحق تضرب وجوه الجنود ورؤوسهم مما زاد من حقدهم ووحشيتهم .

ومن بين الرصاصات المنهمرة كالمطر تسلل بعضها ليصيب قلبًا طالما خفق بالإيمان، وطالما تحرك عند ذكر الله تبارك وتعالى . . ويركض بسام وهو يقول : أصابونى . . . أصابونى . . . فيحمله إخوانه، إلا أن الجيش يقتحم بسرعة، ويشاهد بسامًا وهو ملقى على الأرض التى أحبها، ويحاول الجبناء لمسه . . . لكن صيحات الله أكبر تعالت من كل اتجاه، وانطلقت ثورة الغضب وتفجرت براكين وحمم على جنود الاحتلال . . ولم يجد هؤلاء سبيلاً إلا الهرب ـ وهو ديدنهم ـ وهم يطلقون الرصاص والقنابل الغازية والصوتية . . وينقل بسام إلى مستشفى طولكرم، وحالته خطيرة جداً . . . ثم يحول إلى مستشفى رفيديا . . . وينقل وهو ينزف الدم الزكى . . . ويهب شباب حماس للتبرع بالدم فى حين كانت الاشتباكات ما تزال مستعرة فى المخيم .

أما بسام فقد كان فاقداً الوعى ورغم ذلك، فقد شهد العديد من الشباب أنه كان يهلل دون انقطاع . . وفى مستشفى رفيديا حدثت قصة غريبة تدل على استعداد بسام

للاستشهاد والشهادة، فقد حَدّثَ الأطباء والممرضون بخبر جاء فيه (إن بسامًا عندما صحا من غيبوبته وكانوا يهمون بإدخاله إلى غرفة العمليات، قال كلمات بسيطة فيها حرارة الرجاء والشوق إلى اللقاء بالأحبة محمد وصحبه. . قال للأطباء والممرضين: (ما تسعفونيش. . بدى أستشهد) وقد استحلفهم بالله العظيم ألا يسعفوه. . وحاول بكل قوته رغم ضعفه وجراحه إيقاف إسعافه. . . وقام الممرضون بإمساكه من أطرافه الأربعة. . . ولكن يأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يصطفى بسامًا عنده شهيداً فترتفع روحه إلى السماء أثناء إجراء العملية).

لقد حَدَّثَ الأخوة الذين كانوا معه أن الشهيد واجه مجموعة من الجنود على بعد ٣٠ متراً فقال له ضابط المجموعة باللغة العربية (سأقتلك) فرد عليه بسام (اقتل إذا كنت رجلاً. . .) وبعدها توجه إلى مكان آخر للمواجهة. وكان يتنقل من مكان إلى آخر ليتخذ لنفسه مكانًا حساسًا واستراتيجيًا، فلما رآه الضابط نفسه صوب إليه بندقيته وأطلق عليه رصاص دمدم فى صدره مما تسبب فى نزيف داخلى وانفجار فى صمامات القلب وانفجار كامل بالرئة . وفى هذه الأثناء كان الشهيد لا ينطق إلا بكلمة التوحيد: (لا إله إلا الله. . . محمد رسول الله. . .).

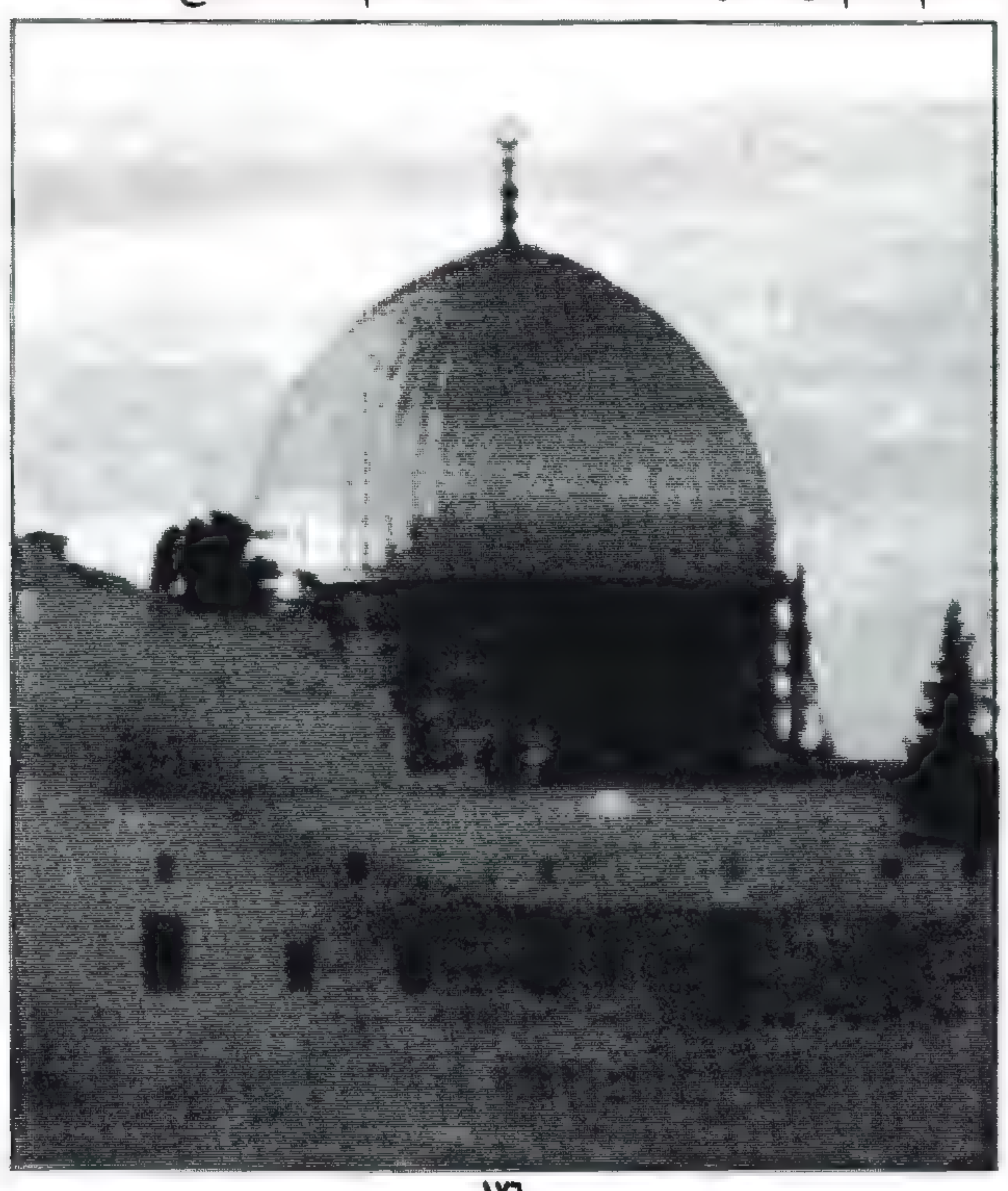
تشييع جنازة الشهيد:

ما إن وصل خبر استشهاده فى الساعة التاسعة ليلاً حتى انطلقت أصوات التكبير من كل مكان. . . وأصبحت الأنوار تشع من كل جهة، وانطلقت الحناجر بالتهليل لتقطع سكون الليل. . . الأهازيج الإسلامية والأناشيد الحماسية والسواعد الرامية لا تكل ولا تمل وهى تواجه أعداء الله. وانطلقت مكبرات الصوت تذيع على مسامع أهل المخيم بيان حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الذى يحتسب عند الله شهيدها البطل بسام أبو تمام، وانطلقت المسيرات خلال الليل، وسط الهتافات. . .

حضرت تعزيزات مكثفة من جنود المشاة وعربات الجيب المصفحة وراجمة حجارة، وتصاعدت المواجهة والاشتباكات فى ليلة لم يشهد لها المخيم مثيلاً منذ عدة أشهر. . وحاول جنود الاحتلال فرض نظام منع التجول دون جدوى، وبقى الأمر على حاله حتى آخر الليل.

أما جثمان الشهيد فقد حفظ فى مكان آمن بعد أن أخذته مجموعة من شباب حماس فى نابلس، وبقى حتى وصلت مجموعة من أسود حماس فى مخيم طولكرم إلى نابلس، وأخذوا الجثمان ودفنوه فى مقبرة الشهداء فى المخيم بعد أن عُصبَ رأسه بالعصبة الخضراء المكتوب عليها لا إله إلا الله، ولف بعلم كبير مزين بكلمةَ التوحيد وذلك فى ساعة مبكرة من فجر اليوم التالى.

لقد كانت دماء الشهيد تنزف من جرحه... بينما الرائحة طيبة زكية وكانت هيئته كالنائم مبتسم الوجه، فرحمك الله رحمة واسعة يا بسام وأسكنك فسيح جناته .

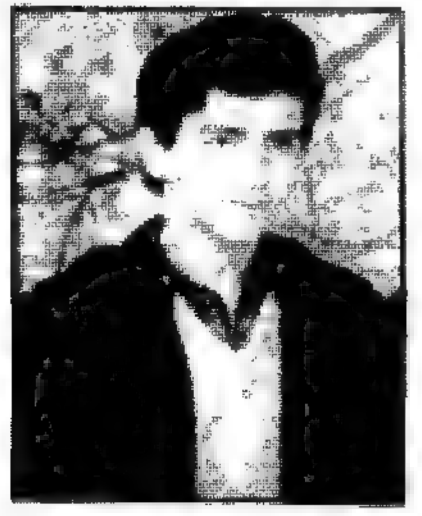


الشهيد/ بلال زهير عناب

١٩٨٩/٩/٢٨

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

شهيد المقاومة البطل:



ولد الشهيد البطل بلال فى مدينة نابلس «عاصمة جبل النار» بتاريخ ٢٨/ ٩/ ١٩٦٧م، وقد نشأ وترعرع فى بيت متواضع، كما هو الحال فى معظم الأسر الفلسطينية، وللشهيد ٨ إخوة: ٥ بنات و٣ أولاد، وقد تلقى دراسته فى جميع مراحلها فى مدارس مدينته، كان خلالها مثال الطالب الخلوق المؤدب الذى ينظر إلى المستقبل بعين التفاؤل والأمل، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية التحق بجامعة النجاح الوطنية بنابلس فى قسم اللغة الإنجليزية، نظرًا لتفوقه فى هذه اللغة، وقبل إتمامه السنة الثالثة أغلقت الجامعات من قبل سلطات الاحتلال كما هو الحال فى بقية الجامعات والمعاهد والمؤسسات التعليمية فى الأرض المحتلة، لم يركن الشهيد إلى هذا القرار التعسفى بل واصل تعليمه فى قسم آخر تابع للجامعة، بالإضافة إلى العمل فى محل والده فى الخضار، وخلال تلك الفترة كان يعلم الطلاب فى بيته وفى المساجد متحديًا بذلك قرار السلطات التجهيلى. وقد استمر على هذه الحال يدرس ويعمل حتى استشهد وارتقى إلى الفردوس الأعلى مساء يوم الخميس٢٨/ ٩/ ١٩٨٩م.

دراسته:

تحدثنا بأن الشهيد درس فى مدارس مدينته، وكان متفوقًا فى دروسه كما يحدثنا بذلك طلاب صفه، وفى المدرسة الثانوية التحق الشهيد بصفوف الحركة الإسلامية وشبابها الطاهرين، وكنت تنظر إلى الطالب «بلال» يدافع عن الإسلام العظيم، ويدعو إلى الله تعالى بين صفوف الطلبة، كل ذلك مع تفوق واجتهاد فى دراسته وكم كان للشهيد الشاب من المواقف العديدة فى قول كلمة الحق لا يخشى فى الله لومة لائم، وهذه الحقيقة التى حدثنا بها رسولنا ﷺ عندما قال: «نصرت بالشباب».

وقد حدثنا زملاؤه وأساتذته أنه لم تكن تسمع عنه شكوى وإنما كان من المحببين إلى الجميع. وكم كان يفسر حديث النبى ﷺ **«لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك...»** وعندما انتهى من التوجيهية العامة كان ترتيبه الثانى فى مدرسته، طلب منه أهله أن يدرس فى الخارج فقال: لا خروج من أرض الرباط[1] والتحق بجامعة النجاح بنابلس. كانت الجامعة هى المحضن الذى بدأت فيه شخصية الشهيد بالنضوج والتفتح، وقد كان من أول يوم من أفراد الكتلة الإسلامية فى الجامعة، لم يكن الشهيد يلهو كما يلهو الشباب التائه المخنث، بل كان يتمثل بقول الشاعر:

شـبـاب خنث لا خـيـر فـيـهـم ... وبورك فى الشـبـاب الطامـحـين

لم تكن تراه فى جامعته سوى مستمعًا أو دارسًا أو متكلمًا وأغلب كلماته عن واقع المسلمين المعاصر، والطريق الأمثل الصحيح لحل قضية فلسطين، وكم كانت تعجبه الآيات الأولى من سورة الإسراء، وقد يرددها ويفسرها مراراً أمام أصدقائه وإخوانه. وقبل اندلاع الانتفاضة شارك الشهيد فى العديد من المظاهرات والمسيرات التى نظمتها الكتلة الإسلامية فى جامعة النجاح، وعندما حاول المتدينون الصهاينة تدنيس المسجد الأقصى تألم كثيراً وود لو يطير إلى هناك لكى يذود عن حياضه ويدافع عن أطهر بقاع الأرض.

أخلاقه:

بدأ الشهيد يواظب على أداء الصلاة وهو لم يتجاوز العاشرة، حيث كان لوالده «الحاج زهير» أكبر الأثر فى تمسكه بصلاته، وكان هذا سر الأخلاق العالية والفضائل الحميدة التى يتحلى بها، ولا عجب فالصلاة تدفع صاحبها دائمًا إلى الوصول إلى مقامات التقوى والصلاح وكان يحافظ على صلاة الفجر.

كان عندما يغضبه أحد الناس، لا تسمع منه سوى «سامحك الله يا أخى» وفى الشارع الرئيسى مع جيرانه وإخوانه مثال الشاب الهادئ تعلو دائمًا شفته البسمة الحلوة الحميدة.

يحدث أحد الشباب عن أخلاقه فيقول:

ذهبت يومًا إلى بيته، وكان عليه امتحان فى اليوم التالى، فلم يشأ أن يخبرنى بذلك، وقبيل انصرافى أخبرنى بأن عليه غدًا امتحانًا ـ وهذا كله دليل على سعة قلبه وصدره، إذ

(١) قال ﷺ: فيما رواه عنه عبد الله بن حوالة «سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة: جند بالشام وجند بالعراق، فقلت مُر لى يا رسول الله إن أدركت ذلك، فقال عليك بالشام، فإنها خيرة الله فى أرضه، يجتبى إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا إلى من عذركم فإن الله توكل لى بالشام وأهله» أبو داود (٣/ ٤).

كان يعتبر الجلوس مع أحبابه من أفضل اللحظات وأحلاها. كان عندما يتألم من شيء لا يخبر الجميع، وإنما كان يسر ما فى قلبه إلى أحد إخوانه، ومن ذلك أنه فى يوم أوقفه جنود الاحتلال وأوسعوه ضربًا ولكنه لم يخبر أهله بذلك إلا بعد أسبوع من الحادث!! لم يكن يزوره أحد إلا وقام باستضافته خير ضيافة وانصياعًا لأمر النبى ﷺ **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»**[1] وكان يحافظ على صيام الاثنين والخميس، كان عندما يناقش أحدًا، لا يصرخ فى وجهه، وإنما كان يعطى محدثه الفرصة فى الكلام أولاً وعندما ينتهى يبدأ هو بالكلام ويعطى محدثه الحجة والبرهان على أقواله بدون تعصب لرأى إلا لصوت الحق لا غير. لم يكن الشهيد مترفعًا ولا متكبرًا، وإنما كان متواضعًا طيب الأخلاق، حتى عندما يلقى الصغار يسلم عليهم، وقد اشترك فى لجان المساجد التعليمية، حيث كان يدرس الطلاب دروسهم بكل تواضع وسعة صدر. وكان مع ذلك يتألم لما أصاب الإسلام والمسلمين، وما تقوم به سلطات الاحتلال من الاعتداء على بيوت الله وعلى أبناء شعبه وكان يردد دائمًا، أما آن لسيف الحق أن يخرج من غمده.

استشهاده:

امتثالاً لدعوة حماس فى بيانها رقم (٤٧) باعتبار يومى ٢٨، ٢٩/ ٩/ ١٩٨٩ أيام تصعيد ومواجهات ضد جنود الاحتلال وقطعان المستوطنين، كان أفراد السواعد الرامية فى منطقة الجبل الشمالى يتخذون مواقعهم البطولية، وقبل يوم التصعيد كان أبطال حماس يحرقون النقطة العسكرية الجاثمة فوق مدرسة المعرى الابتدائية ويسكبون الزيت ويكتبون «حماس نار على المعتدى» ويرفعون الأعلام الفلسطينية المزينة بـ: لا إله إلا الله فوق سطح النقطة. فى ظهيرة ذلك اليوم، كان شهيدنا البطل يجمع الشباب ويرتب الموعد مع إخوانه للتصعيد العام بعد صلاة المغرب مباشرة، كان الشهيد فى ذلك اليوم وعلى غير عادته يجلس مع إخوانه ويحدثهم حديث الروح وهو باسم الثغر وكأنه يستعد للقاء الله، يتمثل قول الصحابى الجليل خبيب بن عدى رضى الله عنه:

ولست أبالى حين أقتل مسلمًا ... على أى جنب كان فى الله مصرعى

وقد صلى المغرب جماعة فى المسجد، وخرج على وضوئه وقرأ شيئًا من القرآن ووقف على باب المسجد يستحث إخوانه فى الإسراع والمواجهة... وخرج الشهيد على رأس إخوانه يقودهم لضرب جنود الاحتلال.

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ أبو هريرة.

وقد كانت خطة الشباب أن تكون هناك حراسة وكمائن فى عدة أماكن متفرقة من المنطقة، وقد أطلق المحتلون عدة رصاصات ظنًا منهم أنهم يخيفون الشباب ولكن هيهات، وكان الشهيد يهتف: «ثبات يا شباب الله أكبر»، وفجأة برز جنود الاحتلال من إحدى المناطق وأطلقوا رصاصهم الغادر، ورد عليهم بالتكبير والحجارة إلا أن الرصاص أصاب رأسه الطاهر فسقط شهيداً على الأرض وهو ينزف ويردد الشهادتين. ورجع الجنود بعد أن فاجأهم الشباب بالحجارة التى كانت تنهمر عليهم كالمطر، ونقل الشهيد إلى مستشفى الاتحاد النسائى إلا أن روحه الطاهرة فاضت إلى بارئها قبل وصوله للمستشفى. وعند سماع الخبر خرجت جماهير عاصمة جبل النار بمسيرات حاشدة تزف الشهيد فى عرس فلسطينى مهيب وكانت تردد «لا إله إلا الله الشهيد حبيب الله»، « بالروح بالدم نفديك يا شهيد». وقد لف الجثمان بالعلم الفلسطينى المزين بـ: لا إله إلا الله، وأعلنت حركة حماس النفير العام وأن دم الشهيد لن يذهب هدراً واعتبار اليوم التالى يوم حداد على روح البطل. وبين التهليل والتكبير كان جثمان الشهيد يوارى فى المقبرة الشرقية.

كرامات الشهيد:

من كراماته أنه استشهد فى يوم ميلاده، فقد ولد يوم ٢٨/ ٩/ ١٩٦٧ واستشهد فى يوم ٢٨/ ٩/ ١٩٨٩ ليلة الجمعة. كان يبتسم عند استشهاده وقد ظل دمه الطاهر ينزف حتى بعد ساعتين من استشهاده وكانت رائحة دمه معطرة كالمسك والياسمين. ويقول أحد أطباء المختبرات فى مستشفى الاتحاد: فحصت فى المختبرات مئات من حالات الدم وأنواعها، ولم أشم أحسن من رائحة دم الشهيد حيث خرجت منه رائحة طيبة معطرة دفعتنى لأن أستنشق عبيرها بنهم شديد.

وقد كان يردد:

من قال إنى أعزل ويكفه حجر ... فليس إلى القضية ينتمى

قد دق ناقوس الفدا فتبسمى ... ودعا الحمي أبطاله فتقدمى

من وصايا الشهيد:

وصى إخوانه قبل استشهاده: «إن رزقنى الله الشهادة فضعوا فى قبرى مصحفًا ولا تبكوا علىَّ فإننى شهيد والشهيد لا يجوز البكاء عليه». وقال:

صدق العزيمة درع كل مرابط ... عند اللقا وبدينه لا يهزم

الشهيد/ عبد الله ربايعة

١٩٨٩/٩/٣٠



ولد شهيدنا فى عام ١٩٦١ وعاش طفولته فى أسرة متوسطة الحال، وعاش حياته نقيًا طاهرًا حتى إنه بدأ التزامه بالصلاة وهو فى سن السابعة، وأصبح (حمامة للمسجد) يتردد عليه، وفيه تعلم واستمد ثقافته من خلال التردد على دروس المسجد، وأنهى التوجيهى فى العام ١٩٨٠ ليبدأ مرحلة جامعية جديدة، ودرس فى الكلية الجامعية المتوسطة بعمان، وأنهى دراسته فى الهندسة المدنية. وخلال وجوده فى الكلية الجامعية كان مثالاً للطالب الملتزم، وكان مجالاً خصبًا فى الدعوة إلى الله والدفاع عن الإسلام، خلال هذه المرحلة صقلت شخصيته الإسلامية الحركية، وعرفه الطلبة طالبًا أمينًا، خلوقًا، مدافعًا عن دين الله، وتخرج عبد الله ليواجه شبح البطالة، حيث وجد أن فرص العمل أمامه فى أرض الوطن قليلة، ومن ثم توجه إلى اليمن للعمل فى معهد فى اليمن الشمالى مدرسًا، وعمل هناك لمدة سنتين كان مثالاً رائعًا للشباب المسلم الفلسطينى وكان خير ممثل للشباب الفلسطينى المسلم، فكثر محبوه وإخوانه هناك، وأصبح عبد الله رمزًا للفداء والأخلاق الحميدة، فكان سفيرًا لفلسطين فى اليمن، ليس سفيرًا دبلوماسيًا ولكن سفير خير وحق، وبعد سنتين من العمل، شعر أن بلاده النازفة بالجراح بحاجة إليه، فحمل عصا الترحال وهب راجعًا، ولم ينس إخوانه أن يودعوه بالدموع الغالية فهم الذين فهموا شخصيته، وحديث الشهادة الدائم كان خير مؤشر عما سيقوم به عبدالله، فكأنهم شعروا بأنها آخر لحظات اللقاء. . . وخلال وجوده فى ميثلون تزوج عبدالله ورزق بطفلة أسماها (سندس) ولعل الاسم يوحى بطموح هذا المجاهد.

وسألنا والده عن أخلاقه، فهز رأسه وقال: أخلاقه فوق ما تتصور، فى حياته كلها لم يشكُ أحد منه، حيث كان يقوم بواجباته الدينية من صيام وقيام خير قيام، كان (الله يرضى عليه) يقبل يدى ويدى أمه كل صباح وكان عبدالله لا ينسى إخوانه من محبته وإيثاره، فحرص فى شهر رمضان على إطعام إخوانه، وكان يعد الطعام فى البيت

وينقله إلى المسجد فى إفطار جماعى، ليس هذا فحسب بل إن وقته كله كان مخصصاً للدعوة إلى الله، فدروس العلم فى أركان المسجد تشهد له، ودروس أخرى كان من خلالها يعلم الطلاب ويساعدهم فى دراستهم، لقد بكاه طلابه بكاءً مراً، كما بكى بعض طلابه اليمنيين، وقد تحدث الشهيد حديثا لبعض إخوانه حيث قال (كنت أدرس لبعض الطلاب، وكانوا يأتون لوداعنا للجهاد فى سبيل الله فى أفغانستان، ولقد استشهد عدد من طلابى فى أفغانستان، فكنت أشعر بالغبطة لهؤلاء، وأجد نفسى صغيرة فى هذه المواقف . . . لذلك قررت العودة إلى فلسطين لأستشهد على ترابها) ويقول شاب عنه: كان نجمًا فى منطقة المشارق[1] وقال عنه أخ آخر: كان مثالاً للزهد حيث إنه ما كان يلقى بالاً بأمور الدنيا، وكان قنوعًا عفيفًا طاهراً نقيًا.

استشهاده:

فى يوم السبت ٣٠/ ٩ / ١٩٨٩ حيث دعت حركة «حماس» لإضراب شامل احتجاجًا على استمرار الاتصالات مع الولايات المتحدة، العدو المركزى لشعبنا الفلسطينى وقضيته، فى ذلك اليوم أدى صلاة الفجر فى المسجد جماعة، وخرج بعدها، حيث لبس لأمة الحرب وهى عبارة عن عباءة سوداء قصيرة، ووضع قناعًا على رأسه وعصابة خضراء كتب عليها «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وخرج إلى مدخل القرية حيث بدأ بوضع حاجز حجرى لمنع تنقل السيارات لإنجاح الإضراب الذى راهنت عليه بعض الأطراف والفئات ودعت لإفشاله، وفى هذه الأثناء دخلت سيارة ركاب تحمل إشارات عربية، وفى الحقيقة كان فى داخلها عدد من الجنود والمخابرات، وعندما اقتربت من الحاجز، طلب عبد الله ممن فيها إبراز هوياتهم، وما إن طلب عبد الله ذلك، حتى أشهروا مسدساتهم، وبدأوا بإطلاق النار فقفز عبدالله بين الأشجار، إلا أنه أصيب برصاصة فى الرأس وأخرى فى الفم، وأربع رصاصات فى الصدر استشهد على إثرها. وبعد الحادث هرعت سيارة إسعاف عسكرية إلى المكان ووجدت فى مكان الحادث بقايا علب جلوكوز، وهذا الأمر يحير لأن جنود الاحتلال لم يقوموا (حسب معرفتنا) خلال الانتفاضة بإسعاف الجرحى الفلسطينيين، كذلك فإن طبيعة الإصابة (رصاصة فى الرأس والصدر) تقتضى بأن لا يتم استخدام الجلوكوز رغم الإصابة القاتلة، ومن خلال فحص يد الشهيد لم ير أثر لاستخدام الإبر فى يده، مما يعنى أن إصابة حدثت فى صفوف جنود الاحتلال والذى يؤكد ذلك قول الحاكم العسكرى لوالد الشهيد عندما استدعاه: (ابنك كان ملثمًا وكان يحمل علمًا بيد وبيده الأخرى سيف).

(١) المشارق: عدة قرى تسمى بـ « المشارق » وهى قرية من قرية ميثلون.

ويقول والد الشهيد حول الحادث: (عندما سمعت إطلاق النار شعرت بقلق فى قلبى، حيث إننى أعلم أن عبد الله له تحركات كثيرة وله نشاط واسع، ولكن كان سرياً للغاية ولم يكن يخبرنا بشىء من نشاطاته، فخرجت إلى المسجد أبحث عنه فلم أجده، وكان الظلام لا يزال يخيم على البلدة سألت عنه فى الحارة لم أجده، وسمعت أن الشيخ محمد إمام المسجد أصيب بجراح، وأن عبد الله مفقود وفى الساعة ٣٠, ١٠ أعلن الاحتلال عن استشهاد ابنى وبعدها توجهت إلى الحاكم العسكرى وطلبت جثة ابنى، وظلوا يساوموننى لمدة ٦ أيام، وتم تسليم الجثة الساعة ٣٠, ١٠ ليلاً) ويكمل والد الشهيد القصة فيقول: (عندما وصلنا إلى البلدة وجدنا أن معظم الأهالى ينتظرون، فخرجت البلدة فى مسيرة ليلية فقلت لهم بأن الحاكم العسكرى قد اشترط علينا أن يتم الدفن ليلاً، إلا أن الناس لم يسمعوا لقولى وظلوا يرددون الشعارات، إلى بيتنا، حيث ودعناه، ونقل إلى مكان ما فى القرية حتى الصباح، حيث اجتمع سكان القرى المجاورة وخرجوا فى مسيرة لم أر مثلها فى حياتى).

وينقلنا أحد الشباب إلى صورة من المسيرة فيقول: اجتمع حوالى ستة آلاف شخص يتقدمهم الشباب ورفعت الرايات الإسلامية، وسارت الجموع وهى تردد الشعارات الإسلامية مثل «لا إله إلا الله الشهيد حبيب الله، أبشر أبشر يا قسام، حق قوة حرية جنازتنا إسلامية».

واتجهت المسيرة بعدها إلى المدرسة حيث ألقيت الكلمات التأبينية، وألقى أحد الدعاة كلمة عن الشهادة فى سبيل الله وكرامة الشهيد، وذكر مناقب وصفات الشهيد وأخلاقه واخترقت المسيرة شوارع البلدة مروراً بمكان استشهاده وحتى مقبرة البلدة حيث وورى التراب هناك، ولم ينس الشباب أن يمروا به على مسجد القرية الذى كان جزءاً من حياته والذى يذكره فى كل ركن من أركانه، وألقى الناس عليه نظرة الوداع، ولم يتمالك الشباب أنفسهم. فسالت الدموع من العيون التى أحبت عبد الله، بينما كانت النسوة تطلق الزغاريد وداعًا لبطل من أبطال ميثلون، أما عن هيئته فيقول أحد الأخوة: (بالرغم من أنه مكث ٦ أيام فى الثلاجة، فكنت تحسبه نائمًا، ووالله لو أننى جئت إليه تحت شجرة لحسبته نائماً، وحاولت إيقاظه).

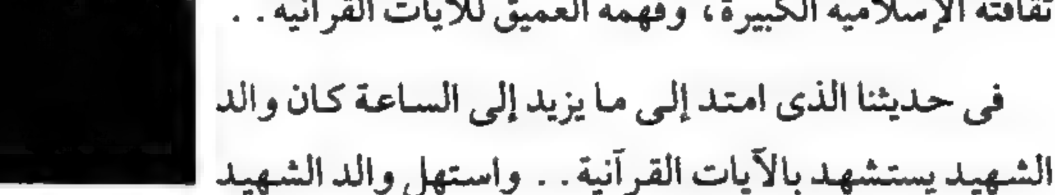
وقال آخر: (انظر إلى هذه الصوة صورة الشهيد وهو حى)، لقد كان مثلها تمامًا.. رحم الله شهيدنا وأسكنه فسيح جناته.

***

الشهيـد / محمد خليل سعيد أبو زياد

١٩٨٩/١٠/١

مولده ونشأته:



في بيت الشهيد التقينا والده، رجل قارب الستين عامًا، ملتح، تشعر من خلال قسمات وجهه بأنك أمام فلاح فلسطيني عشق الأرض وترسخت أقدامه على أرض الأجداد ولكن الذي يختلف في هذا الفلاح عن غيره، ثقافته الإسلامية الكبيرة، وفهمه العميق للآيات القرآنية . .

في حديثنا الذي امتد إلى ما يزيد إلى الساعة كان والد الشهيد يستشهد بالآيات القرآنية . . واستهل والد الشهيد حديثه بالكلام عن حياة الشهيد، فقال: ولد محمد بتاريخ ١٠/ ١٠/ ١٩٧١ وانتظم في الصلاة وهو ابن عشر سنوات، وكان ذا أخلاق رفيعة خاصة في بيته وتعامله مع شقيقاته ووالدته، فكان في ذلك مثالاً للشاب المسلم الخلوق . . كما أنه كان شجاعًا، ففي كثير من الأحيان كان يخرج ليلاً لإحضار أغراض البيت بالرغم من الحضور المكثف للجيش . . أما عن هوايات الشهيد فيقول والده: كانت الدراسة تأخذ معظم وقته فهو الأول في صفه ولكن بالإضافة لحبه للدراسة كان يعشق السباحة والرياضة وكان يهتم بإعداد جسده إعدادًا قويًا فكان صاحب بنية قوية .

أمام عن تطلعاته المستقبلية فيقول والده: أنه كان يرغب في دراسة الطب، وكان لا ينظر إلى المهنة بسبب ما تدره من أموال، بل كان يعتبرها وسيلة لخدمة المجتمع الذي يعيش فيه، وكان دائمًا يردد مقولة (يجب أن لا يكون الإنسان أنانيًا، بل يجب أن يخدم المجتمع الذي هو جزء منه).

حادثة الاستشهاد:

١/ ١٠/ ١٩٨٩م، كان يوم إضراب شامل، إلا أن الشهيد كان يذهب للدراسة، لأنه يعتقد أن الدراسة لا تتعارض مع الإضراب فكان يلتزم بالدراسة، وفي ذلك اليوم

قام عدد من الطلاب بمنع الطلبة من الذهاب للمدرسة، فرجع محمد من مدرسته وأثناء عودته اصطدم هو وعدد من الطلبة بدورية تابعة لجيش الاحتلال، وحدثت مواجهات عنيفة وجهًا لوجه بين الشبان الذين يحملون الإيمان فى قلوبهم والحجارة بأيديهم وبين القوات الغازية المدججة بكل أنواع الأسلحة التى يختفى خلفها الجبناء، وأثناء ذلك أصيب عدد من زملائه فتم إخلاؤهم، إلا أن محمداً ثبت فى مكانه واستمر فى رجم جنود الاحتلال، وبينما كان يرفع يديه ليلقى الحجارة باتجاه جنود الاحتلال أطلق أحد الجنود النار باتجاهه، فأصيب بثلاث رصاصات فى اليد والبطن، فسقط وبيده (حقيبته) المدرسية وجراحه تنزف، لتعطر دفاتره المدرسية بعطر أحمر وبعد لحظات يتم نقل الشهيد إلى أحد الأطباء والذى يقرر استشهاد محمد ويتم الإعلان عن ذلك عبر مكبرات الصوت، ليخرج أهالى البلدة رجالهم ونساؤهم وأطفالهم لوداع الشهيد فى مسيرة جنائزية كبيرة، وهم يرددون الشعارات المنددة بالاحتلال والممجدة للشهيد.

فأكرم بها من حياة نالها الشهيد بعد غسل ذنوبه بدمائه.. دماء لونها لون الدم ورائحتها رائحة المسك.



الشهيد/ عمار زكى القدومى

١٩٨٩/١٠/١٢

مولده ونشأته:



هذا هو عمار زكى القدومى ابن نابلس عاصمة جبل النار. . فقد ولد شهيدنا بتاريخ ٣٠/ ٨/ ١٩٧٢ فى سفح من سفوح جبل النار وفى حديقة من حدائق الأحرار تفتح الزهر والنوار. . فأطل من قلب الزهور عمار ففاضت فى الجو روائح الورود واستمر مجاهدنا بالصعود. . يستقى من شريعة رب الوجود، هذا هو عمار لشباب حماس المنار. . ترك اللهو واتخذ القرار. . فراح يقاوم الباغى الغدار والتحق بركب الشهداء الأخيار يسير نحو الفردوس، نحو الحور العين ظافراً منتصراً بالشهادة التى منحه الله إياها مبشراً لإخوانه المجاهدين من بعده، منتظراً لقاءهم الخالد فى جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. ومع انطلاقة الانتفاضة الفلسطينية فى عام ١٩٨٧ سارع عمار للالتحاق بصفوف حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ليلتحق بركب الحق والقوة والحرية. . سار مع قافلة الدعوة الإسلامية فكان من طليعة مجاهدى حماس ومن الدعاة إلى الله حيث هدى الله على يديه بعض الشباب إلى الإسلام. . إلى الطريق القويم. وكان مسارعًا لتنفيذ نشاطات الحركة الإسلامية، فلا تجد نشاطًا إلا ويشارك به، ولا تجد تصعيداً يمر إلا وكان لعمار الحظ الأوفر فى الاشتراك فيه. . وذات يوم خطر على باله طريقة لتوزيع بيانات حماس فقام بشراء كمية كبيرة من أشرطة النشيد الإسلامى الحماسى الهادف من جيبه الخاص، ثم كان يضع البيان والشريط فى ظرف مكتوب ويقوم بتوزيعه على البيوت. . وكان عمار غيوراً على إسلامه، شديد الاعتزاز به، . نعم لقد كان يؤمن بالإسلام كلاً لا يتجزأ (روحًا وعملاً. . جهاداً ودعوة. . جيشًا وفكرة. . مصحفًا وسيفًا) كيف لا وقد تعلم على أسس دعوة الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله فتعلم منها دروسًا فى التضحية والفداء والبذل والعطاء؟!. تعلم حب الشهادة والشهداء والعمل فى سبيل الله وحده

لتحرير الأوطان من رجس الدخلاء والجبناء فتربى على مائدة القرآن واستقى دروسًا فى محاربة العدوان . .

استشهاده:

فى اليوم المحدد ١٢/ ١٠/ ٨٩ يوم ذكرى المولد النبوى الشريف . . التهبت الأرض تحت أقدام المحتلين، وكان تصعيدًا مميزًا استشهد فيه عدد من أبناء حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وكان شهيدنا عمار على موعد مع الشهادة، فانطلق المجاهد البطل يصب جام غضبه على يهود، وأطلق حجارته المباركة على رؤوس المحتلين وتأتى مدرعات الاحتلال فيبدأ الشباب المجاهد يصليها بوابل من حجارتهم المباركة، وهتافات الله أكبر، الله أكبر، تخرج من صدور المجاهدين قوية مجلجلة فيهتز لها عرش المحتلين ويصاب الجنود بالذعر الشديد، ويقوم أحد القناصين القتلة بإطلاق رصاصات الغدر والإثم والعدوان لتستقر بقلب عمار الطاهر، بذلك القلب الذى امتلأ بحب الله، وحب الجهاد فى سبيله، فيتدفق الدم الطاهر الزكى ليمتزج بدماء الشهداء والأبرار وبدماء حمزة والقسام، وبدماء شهداء الانتفاضة ويحتجز المحتلون الجثمان الطاهر ويرفضون تسليمه لذويه وتذهب أمه لرؤية ابنها الشهيد وتتمالك نفسها حين تراه مسجى كالنائم وتقرأ له الفاتحة ثم ما تلبث أن تفقد أعصابها لتصب اللعنات على الأنظمة العربية المتخاذلة وعلى كل المتخاذلين والمستسلمين والمفرطين بدماء الشهداء الأطهار . . .

وفى ثيابه المضمخة بدمه الزكى الطاهر، يكفن، فكل حرير الدنيا وديباجها لا يصلح أن يكون كفنًا لشهيد جليل ومجاهد عظيم من طراز عمار . . وقبل أن يوارى جثمانه الطاهر فى تراب فلسطين الزكى المبارك، كان عمار ينادى الشباب ويقول لهم :

أنا لله قد نذرت حياتى ... وسألت الإله حسن الثبات

فإذا ضمخت دمائى صدرى ... واحتوانى الثرى وضم رفاتى

فاذكرونى يا إخوتى فى الصلاة

وأخيرًا نقول : إننا فى شوق لرؤيتك يا عمار وسلامنا لك يا أخانا . . وأنت الآن مع الحور العين برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

الشهيد / مجاهد محمد حسن شحادة

١٩٨٩/١٠/١٢

مولده:



ولد الشهيد مجاهد يوم الاثنين ٤ من أكتوبر ١٩٦٨، وفى عائلة متوسطة الحال بقرية سنجل قضاء رام الله.

نشأته:

نشأ الشهيد وترعرع على ثرى جنين الطيب، بحكم أن والده كان يعمل فى مدينة جنين، وتلقى دراسته فى مدرسة عز الدين الثانوية فى جنين، ولم يكمل الشهيد دراسته الثانوية العامة، فتوجه إلى ميدان العمل الحر، ولكنه لم يكن يبدى اهتمامًا كبيراً فى العمل اللهم إلا تحصيل دخل يكفيه «مصروف جيب».

خلقه وتربيته:

مَنَّ الله على شهيدنا برفقة خير من الشباب المسلم فى مدينة جنين، وبيت عامر بذكر الله، فنشأ نشأة إسلامية، وتخلق بأخلاق الإسلام فكان مثالاً للشاب المسلم وضىء الوجه، عامر القلب بالإيمان، وترسخ حب الإسلام فى نفسه منذ الصغر وتعلق قلبه بالمساجد، إذا خرج منه ما يلبث أن يشتاق إليه فيعود. ووهب الله شهيدنا صوتًا جميلاً، فكنت تراه فى الأعراس الإسلامية ينشد الأناشيد ويشارك فى التمثيل، وكان مجاهد يحب إنشاد «مسلمون مسلمون حيث كان الحق والعدل نكون، نرتضى الموت ونأبى أن نهون، فى سبيل الله ما أحلى المنون». «جاهد فى الله أخى، جاهد إن كنت تقيًا، تملك آفاق الدنيا وتلاقى الله رضيًا». وكان ينشد أيضًا:

نحن الفتيان من جندك   آثرنا الموت من أجلك
رمينا الدنيا كلها بعيد   وَحَّدنَا القلب على التوحيد

إصابته:

فى بداية الانتفاضة أطلق جنود الاحتلال رصاصة مطاطية باتجاه عينه أثناء إحدى المواجهات فى مدينة جنين وفقد ما نسبته ٩٨٪ من القدرة على الإبصار وعولج فى مستشفى العيون فى القدس فى ٢٢ حزيران(يونيو) ١٩٨٩ أى قبل استشهاده بثلاثة أشهر وعشرين يومًا.

أصيب برصاصة أثناء مواجهات جرت فى وسط المدينة اخترقت صدره لتخرج من ظهره وكانت قريبة من شريان رئيسى للقلب كما ذكر أحد الأطباء. وقال الطبيب يومها: «هذا الولد يحبه الله» وأحدثت الإصابة كسرين فى عظم الكتف. وبالرغم من جراحه فقد واصل الجرى عندما حاول جنود الاحتلال إلقاء القبض عليه إلا أنه استطاع أن يختفى عن أنظارهم. وزاره يومها شقيقه الشيخ حسن فقال له ظننتك استشهدت فرد عليه بالعامية «راحت عليَّ الحوريات» وتم نقله إلى مستشفى رفيديا ومكث عدة أيام فى المستشفى فما اشتكى من الألم رغم جسامة الإصابة ورفض أيضًا أن يأخذ تقريراً عن الإصابة رغم إلحاح الكثيرين عليه للانتفاع به. وقبل أيام من استشهاده زار أحد الأطباء من أجل مواصلة العلاج فى مكان الإصابة وقال له الطبيب: ألم تستشهد؟ فقال له وهو يبتسم فى المرة القادمة إن شاء الله. وقبل استشهاده بأيام أيضًا أخذه جنود الاحتلال إلى فوق إحدى العمارات وأوسعوه ضربًا، وعندما عاد إلى أمه قال لها لقد أصعدونى ولم يضربونى خشية أن يصيبها الجزع.

الاستشهاد:

فى ذكرى المولد النبوى. كانت مسيرة لحركة حماس، وكان الشبان يرددون الشعارات الإسلامية، وأنشد«مجاهد» كذلك طلع البدر علينا، وقسمت المسيرة إلى مجموعات، كل مجموعة تتكون من ٣ أشخاص، وكان مجاهد أميرًا على مجموعته التى سميت مجموعة الشهيد عبد الله ربايعة، وكانوا يلبسون دشداشة حتى الركبة، وقناعًا ملفوفًا حوله عصابة خضراء كتب عليها «لا إله إلا الله محمد رسول الله». لقد بدأت مكبرات الصوت وسماعات المسجد تبث إعلانات عسكرية منها «على السواعد الرامية تطبيق خطة رقم(١)»، بعدها انتشر شباب حماس بسرعة كبيرة، وهم يكبرون.. وعادوا للتجمع فى نفس المكان الذى انطلقوا منه. وحدث فى نهاية العرض

اشتباك مع جنود الاحتلال، وكان الشبان يمرون من شارع قريب من مسجد عمر بن الخطاب، وبعد الاشتباك مرت جميع المجموعات باستثناء مجموعة مجاهد، وعندما قفز مجاهد فوق سور المسجد فوجئ بجنود الاحتلال أمامه، فأطلقوا عليه النار، فأصيب برصاصة اخترقت رأسه من جهة حاجبيه، فسقط على الأرض ووضع يديه كما يضع الرجل يديه للصلاة، وهوى على الأرض ساجدًا، وجاء رأسه بالقرب من شجرة زيتون وسالت دماؤه فى جذعها، وكان الشهيد قد كتب بيده شعاراً على أحد الجدران يقول فيه: «لو قطعوا عنك الماء يا شجر الزيتون سوف ترويك حماس بالدماء والعيون» وبالفعل فقد سقى مجاهد شجر الزيتون من دمائه التى نزفت من جبينه الذى ما سجد إلا لله، ومن عينه التى اخترقتها الرصاصة!

وفى هذه الأثناء توجه أخوه الشيخ حسن لإحضار أمه وأخواته لتوديع مجاهد، وعن هذه اللحظات تحدثنا والدة الشهيد، فتقول بأنها تربت تربية إسلامية فى بيت مؤمن، وأنها ربت أبناءها على الإيمان والتقوى، وتضيف: فى البداية عندما سمعت صوت إطلاق رصاص، وتأخر مجاهد فى العودة، قلت لقد استشهد مجاهد، وعندما جاء الجيش يطرق أبوابنا قلت هذا تأكيد على استشهاد مجاهد، ولما دخل الشيخ حسن قال لى زغردى فزغردت، فقال لى: استشهد مجاهد، فزغردت ثلاث مرات وحمدت الله سبحانه وتعالى أن شرفنى باستشهاده».

ووسط دهشة امرأة بجوار بيت الشهيد، قالت لها والدة الشهيد: «باركى لى أنا زوجت مجاهد». ولما أدرك الشباب أن مجاهدًا استشهد أعلنت مكبرات الصوت نبأ استشهاده، وهنأت أهله، وأهل جنين بذلك وانطلقت الآيات القرآنية والشعارات من مكبرات الصوت:

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]
تلا ذلك نعيه:

نعى حركة حماس:

«تنعى حركة المقاومة الإسلامية شهيدها البطل وابنها المجاهد مجاهد شحادة الذى استشهد قبل قليل، ونطلب من جميع الأهالى الخروج إلى الشوارع أو الصعود فوق

أسطح المنازل وترديد هتافات الله أكبر». هذا واستمرت مكبرات الصوت تنعاه أكثر من ساعة. وبعد أن سمع الناس بذلك، خرجوا على أسطح المنازل وبدأوا يصرخون «الله أكبر» وذلك بناء على دعوة «حماس». وهاجت العواطف، ومن لا تهيج عاطفته والكل عرفه مخلصًا صادقًا مجاهدًا؟ واعتقل جنود الاحتلال اثنين من أشقاء الشهيد خضر أبو جزرة، وكان الشهيد مجاهد قد أحيا ذكراه بتلاوة القرآن والأناشيد الإسلامية. وفى بيتهم حدثتنا والدة الشهيد عن لحظات رؤيتها لمجاهد (ذهبت أنا وأخوات الشهيد وزوجة ابنى الشيخ حسن، وعندما وصلت إلى المكان الذى كان موجودًا به، كان هناك عدد كبير من الجنود والمجندات، وكانوا يرقبون ردة فعلنا، والحمد لله لم تنزل لى دمعة واحدة، ووقفت أمام الشهيد وقلت «السلام عليكم، هنيئًا لك الشهادة، أنا راضية عنك، وأنا مبسوطة، ورفعت رأسى عاليًا، والله يرضى عليك ويجعل مأواك الجنة). وفى هذه اللحظات يقول الشيخ حسن، بأن الشهيد بعد أن أغمض عيونه، فتحها وابتسم فسالت الدماء من طرفى فمه، ، وبكثافة. . وإزاء هذا قالت والدة الشهيد لشقيقه الشيخ حسن هامسة «يا حسن مجاهد ليس ميتًا!» وبعد هذا غمست والدة الشهيد يديها بدم مجاهد ورفعتها عاليًا وقالت مخاطبة الجنود والضباط وسط دهشة وحيرة: «هذا تصريح العبور للجنة» وبدأت أردد «أطلب شباب يا وطن وتمنى».

وتقول أم حسن عن جسم مجاهد: كان طريًا وساخنًا ولم تبد عليه العلامات التى تظهر على الأموات وسألتها: عادة ما تحزن الأم لفراق ابنها ولو كان شهيدًا، فما السبب فى موقفك هذا؟ فتقول: أنا أحب مجاهدًا كثيرًا، وكان مدللاً لكثرة حبى له، ولكن صدقنى ما كان فى قلبى ذرة حزن واحدة وإن كان يوجد، فعندما رأيت الجنود فإنها ستزول. . . لأننا لا نريد أن نشمتهم بنا، وهذا مستمد من عقيدتى الإسلامية، حيث كان لتربيتنا الإسلامية دور فى الصبر والمصابرة. كان حديثنا يدور وصوت مجاهد ينشد من إحدى الأشرطة «اشتدى يا انتفاضة اشتدى. .»، بالإضافة إلى وجود عدد كبير من الأعلام الإسلامية والزهور وكان الجيش قد طلب فى يوم سابق إزالة هذه المظاهر، إلا أن إحدى شقيقات الشهيد صرخت فى وجهه ورفضت الطلب. واستكمالاً لصور الصبر عند الأم الفلسطينية المسلمة المصابرة المرابطة، شقيقة خولة والخنساء، فقد جاءت

بعض النسوة كعادتهن يبكين ويندبن الشهيد فقالت لهن والدته« إحنا عنا عرس، اللى بدو يفوت يقول: أهنيك أما اللواتى يردن البكاء فلا مكان لهن».

وجرت مسيرة من طالبات المدارس، وعندما وصلن إلى بيت الشهيد نشدن زغردى أم الشهيد فما كان من أم حسن إلا أن تزغرد، وسط الهتافات بالروح بالدم نفديك يا مجاهد، لا إله إلا الله الشهيد حبيب الله، ولم يتمالك الحضور أنفسهم فذرفت دموعهم، وبعد هذه الحوادث تدخل النساء المعزيات وخاصة طالبات المدارس، يقلن: «مبروك الشهادة يا خالتى».

وقيل فى رثاء الشهيد:

إن الذى جعل الجهاد فريضة ... أولاك نعمته فدمت مجاهد

لا زلت أذكر للصلاة مناديًا ... وصدى ندائك للأذان مردد

أسبغت من سنن الضوء جوارحًا ... مستبشرًا ولقيت ربك ساجدًا

وصرخت فى وجه الطغاة بقوة ... الله أكبر فى السماء لها صدى

أذكيت من دمك الطهور مشاعلاً ... وجعلت من شرع الشهادة رافد

تُهدى إلى الأجيال قصة ثائر ... فى الله والإسلام تبتدر الردى

***

الشهيد / جميل صالح جواريش

١٩٨٩/١٠/١٣

مولده ونشأته:



ولد شهيدنا بتاريخ ٢٠/ ١/ ١٩٦٩ فى مخيم عايدة، وترعرع فى ظل أحضان عائلة مسلمة كريمة. وينتمى الشهيد لعائلة آل عبد المكونة من أم وثمانية إخوان وابنتين، ودرس المرحلة الإعدادية فى مدرسة عايدة الإعدادية، وبعد أن اتجه نحو الصناعية الحرفية وتخصص فى صناعة الخزف فى مصانع بيت لحم وعندما أتقن هذه الحرفة عمل فى أحد المصانع الإسلامية، وامتلأ ذهنه بفهم شامل لتعاليم الإسلام العظيمة ووطن نفسه على حب الاستشهاد.

استشهاده:

بتاريخ ١٣/ ١٠/ ١٩٨٩م دعت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» إلى تصعيد شامل مع الاحتلال، وصادف ذلك اليوم يوم جمعة وكانت الحركة قد دعت إلى تصعيد مع الاحتلال يوم الخميس الذى صادف ذكرى المولد النبوى الشريف ودعت الحركة كذلك إلى إضراب شامل يوم السبت ١٤/ ١٠/ ١٩٨٩، واستقبل الشهيد هذه المناسبة بهمة ونشاط، فقام يوم الجمعة صباحًا واغتسل استعداداً لصلاة الجمعة، وكان يحرص على هذه السنة استجابة لحديث الرسول ﷺ والذى يحض على الاغتسال والتطيب والذهاب للمسجد مبكراً[1]، وأدى صلاة الجمعة فى مسجد أبى بكر الصديق وبعد أن

---

(١) يندب التبكير فى الجمعة لغير الإمام: فقد روى أبو هريرة حديثًا عن رسول الله ﷺ جاء فيه: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح فكأنما قَرَّبَ بَدَنَة، ومن راح فى الساعة الثانية، فكأنما قَرَّبَ بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح فى الساعة الرابعة، فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة تستمع الذكر» انظر مسلم بشرح النووى (٦/ ١٤٥)، أبو داود، السنن (١/ ٨٦) الترمذى، السنن (٢/ ٥)، النسائى، السنن، (٣/ ٩٧ - ٩٩).

أنهى صلاته ذهب مع أصدقائه وساروا معًا فى أزقة المخيم وزار أحد أقربائه، وعندما سمع المنادى ينادى لصلاة العصر، نهض، وصلى العصر جماعة ليخرج بعدها ليزور معظم إخوانه الذين أحبهم، وكان سلوكه يوحى بأنه يودع أهل الحى وربما رأى برؤية المؤمن وهو ذو فراسة، أنه آن أوان الرحيل، وبينما كانت الشمس تميل إلى الغروب، كانت شمس الشهادة تقترب من البزوغ فى فجر ساطع تلوّن أفقه دماء الشهيد فترسم على ظلال الجبال بلون الدم القانى لوحة الشرف والتضحية.. ويذهب شهيدنا لصلاة المغرب، وبعدها إلى التلال المجاورة ليلبس اللباس الذى اعتاد عليه، الأخضر المميز لحركة حماس، ويربط على جنبيه أطهر وأشرف وأخلد شعار «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وخرج بلباس الجهاد مع ثلة من أفراد السواعد الرامية، ولم ينس قبل أن يتجه إلى ساحة الوغى أن يودع أهله وخصوصًا أمه التى أحبته حبًا عظيمًا وكذلك والده وأعمامه وإخوانه، وأصرت والدة الشهيد تلك الليلة على أن يتناول صالح العشاء إلا أنه رفض وأصر على اللحاق بإخوانه فى الموعد المحدد. وقبل أن يخرج من بيته طلب من عمه أن لا يدع أمه تبكى عليه إذا استشهد أو تذهب للقبر وتنوح عليه، وطلب صالح من أهله أن يدعو الله كى يرزقه الشهادة فى سبيل الله. وقد نالها والحمد لله رب العالمين.

إصابة الشهيد:

وقد أصيب الشهيد بست رصاصات فى جسده بالوجه والرأس، فاستشهد على الفور، وسالت دماؤه تعطر أرض المخيم وتنتشر عطرًا فى الآفاق، وارتفعت روحه إلى بارئها راضية مرضية إن شاء الله، وقام الجنود بالاستيلاء على جثة الشهيد وملاحقة إخوان صالح عَلَّهم يظفرون بصيد كامل، إلا أن الله أبى أن ينال الظالمون مبتغاهم، وأطلقوا النار باتجاه هؤلاء الشباب إلا أن الله حفظهم من كيد هؤلاء القتلة.

دفن شهيدنا فى مقبرة الشهداء الإسلامية فى مخيم عايدة ووُجد وشاح على صدر الشهيد كتب عليه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ومن الأشياء التى كان يحبها الشهيد سماع وقراءة القرآن الكريم وبخاصة سورة مريم كما يقول والد الشهيد. ويقول أحد الإخوة الذين شاهدوا

الشهيد: من الكرامات التى أظهرها الله على الشهيد أن رائحة المسك فاضت من قبره، كذلك صبرت والدة الشهيد صبراً عظيمًا وكانت مثال الأم المؤمنة الصابرة، وكذلك والد الشهيد الذى كان مؤمنًا حقًا حين صبر على فراق فلذة كبده، وإن كان صالح قد رحل بجسده إلا أن ذكراه العطرة ستبقى مرتسمة فى الأذهان وتبقى صورته فى الوجدان فكل أهالى المخيم يضعون صورة صالح فى قلوبهم وبيوتهم!



شهداؤنا فى الجنة وقتلا هم فى النار

الشهيد/ حسام سهيل فريد أبو زنط

١٩٨٩/١١/٢٥

مولده ونشأته:



تعكس قصة حياة واستشهاد حسام أبو زنط جزءاً من المأساة الفلسطينية، فيوم ولد حسام بتاريخ ٩/ ١١/ ١٩٧١م، دخل والده السجن بتهمة مقاومة الاحتلال وحكم عليه بالسجن مدة خمس سنوات، وترك سهيل صغيرَه الجديد في المستشفى، ووضعت الأغلال في يديه ليعيش حياة السجن، ولكنها كانت في الحقيقة سجنين، الأول: سجن الاحتلال والثاني: ترك زوجته وطفله الصغير لا يعرف عن مصيرهما شيئًا.. ولكن قطار الحياة يسير، بالرغم من الآلام والمعاناة، ويكبر حسام وتكبر معه الآمال والآلام، خاصة عندما كان يذهب لزيارة والده في سجون نابلس واللد والرملة.. وكان في بعض الأحيان يقوم بضرب جنود الاحتلال فيقول الجنود لوالدته: هذا (مخرب) مثل والده.. وتقول والدة الشهيد: إن حسامًا كانت لديه هواية النحت، واقتناء التحف فكان ينحت الآيات القرآنية والشعارات الإسلامية على الخشب، (أحضرت لنا والدته قطعة خشبية مزخرفة بأسماء الله الحسنى، صنعها حسام بيده)، ونشأ منذ صغره نشأة إسلامية وأصبح من رواد المساجد، يقضي معظم أوقاته إما في المسجد أو في النشاطات المسجدية الأخرى.

حياته في بيته:

كان حسام بالرغم من صغر سنه داعية في المسجد والحارة والبيت. ففي البيت كان يطالب شقيقاته بالالتزام باللباس الشرعي، والمحافظة على التقاليد الإسلامية والعبادات، وبالفعل استطاع التأثير إيجابيًا في بيته، حتى إنه من خلال مناقشاته أثَّر أيضًا على والديه، وكان يعظ أهله دائمًا ويدعوهم إلى تقوى الله وطاعته، كما كان يندد بالحفلات الموسيقية الغنائية.

كما كان يحذر شقيقاته وإخوانه من مشاهدة برامج التلفزيون الهابطة أو الأفلام الساقطة، وكان يدعو زملاءه للالتزام بالإسلام، ويقول عم الشهيد: إن الشهيد كان يطالع الكتب الإسلامية وآخر ما طالعه من كتب كان (ماذا يعنى انتمائى للإسلام)، (قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله)، (رسائل الإمام الشهيد حسن البنا)، كما كان يقرأ جريدة الصراط وصوت الحق والحرية باستمرار.. كما كان يحب سماع الأشرطة الإسلامية، وأوصى قبل استشهاده أن يتم وضع شريط أم النور رقم ٩ فى بيت العزاء.

دوره فى الانتفاضة:

كان لتوجهات حسام الإسلامية أثر بالغ فى صقل توجهاته السياسية، ولهذا كان ينطلق من عقيدة إسلامية فى فهمه للصراع، وكان يناقش والده كثيراً فى ذلك، كما كان لفترة اعتقال والده أثر فى زرع الحقد المقدس فى قلبه على الاحتلال، وأصبحت مقاومة الاحتلال عملاً يوميًا له، وخلال الانتفاضة لم تفته فرصة المشاركة فى دفن أكثر الشهداء والمشاركة فى تشييع جنائزهم وحفر قبورهم.. وكان فى كل مرة يقول لزملائه: هذا القبر سيكون لى إن شاء الله!! وعندما استشهد الطفل (غالب سامحنا) قال لإخوانه: كيف يستشهد هذا الطفل ويسبقنا؟ لهذا كان حديثه عن الشهادة يسيطر على كل جلساته ومناقشاته.

حادثة الاستشهاد:

فى الساعة العاشرة من يوم ٢٥/ ١١/ ١٩٨٩، ذهب حسام إلى مطعم والده فى وسط المدينة، وكان جيش الاحتلال فى حالة استنفار، وكانت المدينة تعج بالمسيرات الشعبية.. وشاهد حسام دورية عسكرية قد أوقفت عدداً من الشبان لمسح الشعارات وتنظيف الشوارع من المتاريس. فأثر ذلك فى نفسه فصعد إلى رابية عالية، وبدأ يرشقهم بالحجارة، من أجل إشغال الجنود ليفلت الشبان من قبضتهم. ثم أرسله والده إلى البلدة فوجد شابًا مربوطًا داخل جيب عسكرى، فوقف فى حالة اندهاش، فقال له أحد معارفه: لماذا تقف يا حسام؟ فرد عليه قائلاً: للأسف لو أنه ليس مكبلاً لعملت على إطلاق سراحه. وقبل الظهر توجه هو وعمه إلى البيت وأثناء صعوده إلى البيت مر

بالقرب من مقبرة الشهداء، وفى الطريق بدأ ينشد أناشيد إسلامية حماسية، وبعد أن أدى صلاة الظهر سمع صراخ بعض النسوة وتبين أن مجموعة من جنود الاحتلال - وهى مشهورة بين السكان بالعنف والانحطاط - دخلوا بيتًا كان أهله عدا فتاتين، وبدأوا بتفتيش البيت وركزوا على بعثرة ملابس الفتيات من الخزائن وهم يطلقون التعليقات المشينة مما أرهب الفتاتين وجعلهما تتوجسان شرًا. . فبدأتا بالصراخ طلبًا للحماية من الأهالى، فاعتلى حسام سطح أحد المنازل القريبة وبدأ يرجمهم بالحجارة والزجاجات الفارغة فخرجوا مذعورين وبدأوا يطلقون النار بشكل مكثف وعشوائى وكان حسام ينتقل من مكان إلى آخر يحضر الحجارة، فصوب أحدهم بندقية قنص على حسام ورماه برصاصتين أصابت إحداهما عينه واخترقت مخه فسقط من السطح، وبعد مدة طويلة حضرت إلى المكان قوة عسكرية أخرى يترأسها ضابط كبير طلب هوية حسام من الأهل، ثم سمح بنقله للمستشفى الإنجيلى فى نابلس حيت تمت الإسعافات الأولية، وحول حسام لمستشفى المقاصد فى القدس، وهناك ربط جسده على الأجهزة رغم أن دماغه كان قد توقف عن العمل، وبعد أن أسلم روحه، جاء أحد الممرضين وجلس مع والده وكان ذلك فى يوم ٤/ ١٢/ ١٩٨٩ وأخبره بطريقة لبقة عن استشهاد ابنه.

ردود فعل أهل الشهيد:

تقول والدة الشهيد: كنت عند إصابة حسام نائمة، ثم استيقظت على صراخ النسوة وهن يقلن: إصابة. . إصابة، ودون أن أعرف المصاب اتصلت بوالده وقلت له: ابنك حسام أصيب بجراح. وعندما أخبر والده فى المستشفى عن استشهاد ابنه اتصل فورًا بوالدته وقال لها: زغردى. فما كان من أم حسام إلا أن صعدت على سطح بيتها وبدأت تزغرد حتى سمعها أهل الحى جميعًا فعلموا أن حسامًا استشهد، ويضيف والد حسام: لقد توجهت إلى السرير الذى يرقد فيه حسام وقبلت يديه ثم احتضنته مودعًا.

من كرامات الشهيد:

لقد زاره أحد الشباب المسلم من بيت المقدس للسلام عليه، فسلم عليه حسام بسلام حار مع أنه لم يحرك شيئًا من أعضائه خلال تسعة أيام.

ويقول أحد الممرضين بأنه فى اللحظة الأخيرة لصعود روح حسام الطاهرة حرك إصبعه بالتشهد.

ومن الكرامات التى أظهرها الله على حسام، أن والده استطاع أن يدخل نابلس (وهى التى كانت تخضع لنظام منع التجول) بالرغم من مئات الجنود وسيارات الاحتلال ووضع جسد الشهيد فى بيته لمدة ثلاث ساعات ونصف، وصلى عليه صلاة الجنازة فى البيت، ومن كراماته أيضاً أنه كان مبتسمًا، وبعد دفنه خرجت رائحة طيبة جميلة جداً وشهد بذلك الإمام الذى صلى عليه والمصلون، ودفن حسام فى مقبرة الشهداء الساعة الثانية والنصف ليلاً. . . وأثناء دفنه يؤكد والده أن الأضواء كانت وكأنها نهار مبلج.

أما حركة المقاومة الإسلامية (حماس) فقد نعت شهيدها، ووزعت صورة الشهيد وقد كتب تحتها:

أخى إنَ نمتْ نَلْقَ أحبابنا ... فروضات ربى أعدت لنا

وأطيارها رفرفت حولنا ... فطوبى لنا فى ديار الخلود

فإلى جنات الخلد يا حسام مع النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.



الشهيد /ناصر عبد المجيد كجك

١٩٨٩/١٢/٥

نشأة ناصر:



ولد ناصر فى عام ١٩٧١ وكان يدرس فى مدرسة فلسطين الثانوية وفى نهاية العام الدراسى كان سيتوجه إلى امتحان الثانوية، وأعرب ناصر قبل استشهاده عن رغبته فى دراسة الشريعة الإسلامية.

نشأ ناصر نشأة إسلامية بحكم بيئته ولم يكن جاهليًا قط فى حياته والتزم الصلاة وعمره ٨ سنوات فكان والده يأخذه للصلاة جماعة فى مسجد اليرموك وأصبح من رواد المسجد، كان يسعى بجد للمحافظة على صلاة الجماعة فى المسجد من الفجر حتى العشاء.. المسجد كان معقل رجولته ومصدر بطولته وفهمه، والقرآن زاده والمعين الذى لا ينقطع، ولاسم المسجد (اليرموك) دلالات ودلالات.. اسم يذكرك بالبطولة والنصر.. اسم يدعوك إلى الإقبال لنيل الشهادة وركوب المخاطر... ويسمع صوتًا يناديه ويتردد صداه أن أقبل فالحور العين بانتظارك، اغسل ذنوبك بدمائك واكتب ملحمة التاريخ بأحرف من نور تضىء به الطريق لجيل بعد جيل.. احمل المصحف بيد والسيف باليد الأخرى ولا تكن كأولئك الذين قالت عنهم عائشة رضى الله عنها: إن لهم قلوبًا كقلوب الطير كلما هبت الريح اهتزت قلوبهم، فلا نامت أعين الجبناء..

ولكى يسيطر على نفسه وتكون تحت قيادته لا أن يكون تحت قيادتها، دأب على صيام الاثنين والخميس، فحققت له رجولة كاملة، ولبناء جسم قوى تكتمل فيه معانى الإيمان أحب الرياضة ومارسها فى فريق المسجد.. والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.. وبعد أن انطلقت الانتفاضة تقتل الجبن وتحيى النفوس، التزم المسجد واقترب من الله وكأنه يعلم أنها قد تكون شهادة، وحرص على الاستماع إلى الكلمة الطيبة والأناشيد الإسلامية الهادفة وخصوصًا تلك التى تتحدث عن الشهادة.

حادثة الاستشهاد:

فى ٥/ ١٢/ ١٩٨٩ دعت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) إلى يوم مواجهة شامل تأكيداً لحيوية الانتفاضة وروحها المعطاءة التى لا تنقطع ولا تموت، صلى ناصر يومها العصر جماعة فى المسجد وكان يعيش اللحظات التى تسبق تحقيق الحلم.. وما هى إلا لحظات ويغسل ذنوبه بدمائه لترتقى روحه إلى عليّين بإذن الله، وبدأت المواجهة وهو يوم تتحول فيه المناطق المحتلة سعيراً، فلقد أصبحت النداءات بالتصعيد الصادرة من قبل حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، تجد لها استجابة واسعة بين أبناء شعبنا حيث يختلط فيه روائح البارود مع الدم الطهور لشهدائنا، وترى الأرض مزهوة مزدانة بالجيل الجديد من أبناء الإسلام، وهم يذودون عن حياضه، ويحيون فى الأمة الأمل من جديد. وكان ناصر فى الصفوف المتقدمة، لا يوجد بينه وبين الجندى سوى ستة أمتار أو أقل، وليس بينه وبين المجد إلا دقائق، ويطلق الجندى الجبان نار حقده لتستقر فى القلب النابض ورشح جرحه دمًا وعطراً يزين ثوب الأرض القشيب.. وسقط الشهيد وهو يهتف بهتافاته الإسلامية والله أكبر.. مودعًا بها إخوانه موصيًا إياهم بمواصلة الطريق وعدم التوقف حتى تحقيق المراد، ونقل إلى المستشفى ولحق والده به عندما علم نبأ إصابته من بعض الشبان، وسأل أبو ناصر الطبيب عنه فأجابه (ولم يكن يعلم أنه استشهد) فرد أبو ناصر: الحمد لله رب العالمين، اللهم اجعل عمله مقبولاً لوجهك الكريم، والناس فى ذهول لا يكادون يصدقون أن يسمع رجل نبأ رحيل مهجة فؤاده وولده الوحيد الذى يعينه على الحياة، ويلهج لسانه عند الكلام حتى إن بعض الحضور شكُّوا فى كونه والده، ولم يختل توازن الأب بل صلى الجنازة فى المقبرة ووضعه بيديه فى القبر، ومن ثم ألقى كلمة وعظ فيها الشباب وصبَّرهم (لأنهم كانوا يبكون لفراق ناصر) وقال: (من كان يحب ناصراً فليتبع طريقه وهى طريق المساجد والتربية القرآنية وطريق الإسلام...).

وعقب حادث الاستشهاد فرضت سلطات الاحتلال نظام منع التجول على الحى الذى استشهد فيه ناصر، فخرجت مجموعات من الشبان، ونادت عبر مكبرات الصوت (بأمر من الحاكم العسكرى لحماس يرفع نظام منع التجول) فخرج الناس من بيوتهم فى مواجهات مع جنود الاحتلال، واستخدم الجنود الرصاص الحى

والبلاستيكى، وأصيب عدد كبير بجراح، ويذكر لنا عدد من الإخوة أنهم سمعوا خبراً من الإذاعة العبرية يدعى فيه أنه فرض نظام منع التجول على قطاع غزة بأكمله رداً على المتطرفين المسلمين فى أعقاب هذا الحدث. وجرت مسيرة ضخمةٍ من المقبرة حتى المسجد وألقيت الكلمات التأبينية المؤثرة التى تحدثت عن الشهيد والشهادة.



رد فعل عائلة الشهيد:

لم يقتصر الصبر على والد الشهيد فقط فهو لم يندهش لأنه كان يتوقع له الشهادة فهذا الطريق معروف إما إلى الشهادة أو النصر، كذلك كانت أمه وأخواته من الصابرات المؤمنات واحتسبن ناصراً مع الشهداء الأبرار.

ويقول والده بأنه شاهد ناصراً فى المنام وهو يقذف الحجارة باتجاه جنود الاحتلال فقال له والده : دير بالك ناصر فأجابه (ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك) ثم أخذ يدعو : «اللهم استرنى فوق الأرض وتحت الأرض وجنبنى الفتن ما ظهر منها وما بطن. كان يدعو بهذا الدعاء، ولقد استجاب الله الدعاء فلم يمس جسده مشرك وحفظ الله جسده وهو الذى كان يحافظ على شعائر الله».

الشهيد / أمجد عبد المجيد سعيد حسن

١٩٨٩/٤/٢٣

ولد الشهيد أمجد فى قرية دير السودان، وهى إحدى قرى رام الله فى عام ١٩٦٦ لأسرة فقيرة، أنهى دراسته الابتدائية فى مدرسة القرية وكان الأول على صفه فى معظم صفوف المرحلة الابتدائية، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدرسة الأمير حسن الثانوية فى بلدة بير زيت ليواصل دراسته، تعرف على شباب الكتلة الإسلامية فى جامعة بير زيت منذ صغره والتحق بشباب المسجد وهو فى الصف الثانى الإعدادى، وشارك شباب الكتلة الإسلامية فى أول مخيم عمل تطوعى لها فى قرية دير أبو مشعل هو ومجموعة من الشباب المسلم فى مدرسة الأمير حسن، عمل على إنشاء تجمع إسلامى بسيط فى المدرسة على غرار الكتلة الإسلامية فى الجامعة، وعمل على توزيع البيانات الخاصة بالكتلة وعلى بيع الكتب الإسلامية فى المدرسة.

فى نهاية الثانوية العامة وقبل تقدمه لامتحان التوجيهى ابتلاه الله بوفاة والده فأثر عليه تأثيراً كبيراً، وبعد إنهائه التوجيهى التحق بكلية الشريعة فى جامعة الخليل، وانضم إلى الكتلة الإسلامية من أول يوم التحق فيه بالجامعة، وكان من العناصر البارزة فى الكتلة الإسلامية، فكان أمجد دينامو الكتلة الإسلامية، لا يعرف الكلل أو الملل أين ما تذهب تجده أمامك وكان يلعب دوراً بارزاً فى استقطاب الطلاب الجدد وفى أعمال المظاهرات ضد الاحتلال، وكانت شخصيته تتميز بالجدية فى جميع أوقاته.

عندما اندلعت الانتفاضة المباركة، وأغلقت سلطات الاحتلال الجامعات عاد أمجد إلى بلدته، ليكون من السابقين للانضمام إلى حركة المقاومة الإسلامية «حماس» فور الإعلان عن تأسيسها، وأصبح نجم أمجد يتألق على مستوى القرية حيث برز كشخصية قيادية لكل الأحداث التى تجرى على ساحة القرية مع جنود الاحتلال الفاشيين، وفرض احترامه على كل الاتجاهات الموجودة فى القرية.

استطاع أمجد هو وشباب المسجد فى القرية أن يعملوا على تأصيل مفاهيم الإسلام فى نفوس الناس من خلال تربية الشباب فى مسجد القرية، فعمل على تربية الناشئة من شباب البلدة داخل المسجد، وكان يقوم مقام الإمام عند غيابه، فكان يؤذن ويؤم الناس فى الصلاة، ويقوم بجمع التبرعات من الناس من أجل العناية بمسجد القرية.

لم تقتصر مشاركة أمجد فقط على ساحة القرية وإنما تعدتها إلى رام الله والأقصى، فكان يؤدى معظم صلوات «الجمع» فى المسجد الأقصى المبارك، وقد شارك بقوة فى أحداث ١٥/ ١/ ١٩٨٨ التى فجرتها حماس فى ساحات الأقصى، كما أنه كان يشارك فى أحداث المواجهات التى تدعو لها حماس فى داخل مدينة رام الله.

فى أول جمعة من رمضان عام ١٩٨٩ والتى صادفت أول يوم فى رمضان والذى دعت حماس فيه إلى مواجهة مع الاحتلال كان أمجد يومها أول من فجر الأحداث على ساحات الأقصى، فاستطاع أن يحطم كاميرا أحد المصورين الصهاينة على بعد ١٠٠ متر، وكان أول من اقتحم باب المغاربة كما يروى شهود عيان من زملاء أمجد الذين شاركوا معه فى الأحداث، وأصيب يومها بأربعة رصاصات مطاطية فى بطنه وفخذه.

حادثة استشهاده:

فى ذكرى معركة بدر الفاصلة دعت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) إلى المواجهة والتصدى للعدو، وأن يكون يوم بدر بدراً فى تاريخ الانتفاضة تتجدد فيه عزيمة الجهاد، وليلتقى فى ظلاله مجاهدو الإسلام اليوم مع أسلافهم الذين كانوا مع رسول الله ﷺ فى بدر، ويستعد شهيدنا أمجد منذ الصباح لينطلق إلى رام الله ليلبى نداء حركة الجهاد والمجاهدين «حركة حماس»، ولسان حاله يقول «اللهم اجمعنى مع شهداء بدر اللهم لا ترجعنى إلى بيتى خائبًا»، وما هى إلا سويعات حتى كان شهيدنا البطل وسط الجموع الهادرة الهاتفة بـ«الله أكبر» «خيبر خيبر يا يهود، جند محمد سوف يعود»، لقد أبلى أمجد بلاءً حسنًا، فها هو يقذف اليهود بالحجارة تارة، ويشعل إطاراً تارة أخرى، وفى وسط أزيز الرصاص المنهمر تنطلق الحجارة المقدسة من يدى الشهيد لتوقف دورية عسكرية كانت متجهة إلى مكان تجمع الشباب المسلم، ويصيبها إصابة مباشرة اضطرت

الجنود الجبناء أن يتركوا سيارتهم وسط الشارع ليختبئوا كالفئران خلف شاحنة كانت تقف فى المكان، ويلاحظ الجنود شابًا قويًا يزأر كالأسد الهصور يناور ويداور ويصر على المقاومة، فيطاردونه بمسدساتهم، ولكنه ينجو منهم بفضل الله ليعود مسروراً إلى بيته فى قرية دير السودان، إنه مسرور لأن الله شفى صدره من بنى يهود، ولكنه سرور فيه غبش، إنه يرنو ببصره إلى الأفق البعيد. . لم ينل ما كان يصبو إليه. . . نعم إنه يضحك مسروراً ولم يُر ضاحكًا مثلما كان فى ذلك اليوم، ولكنه يشعر فى قرارة نفسه أنه تهيأ لعرس إلهى، تهيأ ليلتقى بالأحبة محمد وصحبه. وبعد يوم من الجهاد يصلى أمجد العشاء وصلاة التراويح إمامًا فى مسجد قريته ليودع تلك القرية الهادئة التى أحبها وأحبته ليكون آخر عهده بها آيات وصلوات وتضرعات ودمعات دافئة مضيئة تنير درب المجاهدين، وعاد أمجد إلى البيت وأكب على كتاب الله يقرأ آياته ويتدبر معانيه، وأم الشهيد تنظر إلى ابنها الحبيب. . . إنه يترقب شيئًا. . . أمجد يا بنى لماذا لا تنام؟ فقال لها: سأنام يا أماه. . . سأنام. وما هى إلا دقائق معدودة حتى كانت الطرقات شديدة قوية على الباب أمجد. . أمجد. . جاء الجيش. ونهض الشهيد مسرعًا ولبس حذاءه وامتشق حسامه وسلاحه إنها «المقلاع» الذى به قتل داود الصغير المسلم جالوت الكبير الكافر، لحقت به أمه تحاول منعه. . . إنها ترى ابنها يخرج وقلبها يحدثها أنها آخر مرة تنظر فى عينى أمجد البراقتين، لقد كان أمجد أول من يهب لمقاومة الغزاة المحتلين، كان يقود الشباب إلى مواقع الشرف والمواجهة، وبعد خروجه ومجموعة من الشباب إلى منطقةِ وجودِ الجيش، استطاعت مجموعة من جنود الاحتلال أن تنصب كمينًا للشهيد البطل الذى كان يدافع بحجارته عن أحد البيوت التى حاصرتها قوات البطش اليهودية لاعتقال أحد أبنائها، وينسحب أمجد إلى الخلف لينصب كمينًا لقوات اليهود فى طريق عودتها كما كانوا يفعلون فى كل مرة. وكان أمجد آخرهم انسحابًا، كما كان أولهم مواجهة ومقاومة، ويفاجأ الشباب بالجنود من أمامهم، فأطلق أحدهم رصاصة غادرة لتخترق أسفل العنق وتخرج من أعلى الكتف، ويسربل الشهيد بدمائه الزكية الطاهرة، ويقع على الأرض التى أحبها وعشقها لتروى دماؤه الطاهرة أرض فلسطين فتنبت فيها العزة والكرامة والحرية، لقد ترجل الفارس عن فرسه، فأقبل إليه جنود الغدر اليهود ليضربوه بأعقاب بنادقهم على وجهه وجسمه، وأسروا جثمانه وأخذوه إلى مستوطنة

قرية اسمها «حلميش» وبعد أن فارقت روحه الطاهرة جسده الفانى، سلموا جثمانه لأحد السائقين الذى خرج من القرية للعمل صباحًا.

جنازته:

وعندما سمع الشباب المسلم بنبأ استشهاد أخيهم الذى أحبهم وأحبوه، واحترمهم واحترموه، وعاش معهم بقلبه وروحه تدفقت الجموع عبر الجبال والوهاد والوديان لتودع الشهيد البطل، وتكون شاهدة هذا العرس الإلهى ولتعاهد الشهيد أن تثأر لدمه الزكى الطاهر من رؤوس المجرمين وأن تسير على دربه حتى يتحقق النصر المبين، وتعلو راية الإسلام ربوع هذه الديار العزيزة.

كرامة الشهيد:

لقد أكرم الله أمجد بالشهادة فى ذكرى يوم الفرقان... وهى أعظم كرامة، ولكن الناس يحبون أن يروا إكرامًا ماديًا ظاهرًا فى الدنيا وقد كان، فقد سالت دماؤه الطاهرة على النعش الذى حمل به ورسمت هذه الدماء لفظ الجلالة «الله» واضحة بيّنة شاهدها مئات من الناس بأم أعينهم.. نعم لقد رسمت الدماء كلمة «الله» لأنها خرجت من قلب نبض بحب الله واطمأن لذكر الله وطالما هتف من قلب صادق «الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا».

رحمك الله يا أخانا... يا أمجد، وأسكنك فردوس جنته مع شهداء بدر وأحد واليرموك وحطين ونحالين والشيخ رضوان... ويا أم أمجد.. ويا إخوان أمجد إنها ليست جنة.. إنها جنان وإن أمجد أصاب منها الفردوس الأعلى إن شاء الله تعالى... إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا على فراقك يا أمجد لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

* * *

الشهيد/ فيصل سعود أبو سرحان

١٩٩٠/١/٨



القدس هى الحركة الجارية مع أنفسنا والمدد السارى فينا سريان الروح من الجسد، مدينة لا تعرف الهوان والمذلة ، قوية أبية عصماء، لا يعمر فيها ظالم ولا يخلد فيها غاشم، ولن تكون نهاية صهيون على ثراها خيراً من نهاية الصليبيين فى حطين أو التتار من عين جالوت . . لأجلها ترخص الدماء والأرواح وتهون التضحيات وحفاظا على ثراها سالت دماء الصحابة والتابعين وضحى السلطان عبد الحميد الثانى بدولة الخلافة وتلون ثرى القسطل بدماء عبد القادر الحسينى وتعطرت أحراش يعبد بدماء القسام ورفاقه، وعلى الطريق قدم شعبنا ولا يزال يقدم الشهيد تلو الشهيد دفاعًا عن القدس بحجارتها ومساجدها وحاراتها وأسوارها وبواباتها وكل ذرة من ثراها تمتزج بدم شهيد سقط مدافعًا عنها مردداً . . «أقصانا لا هيكلهم»، ولم تكن مجزرة الأقصى بتاريخ ٨/ ١/ ١٩٩٠ م التى راح ضحيتها عشرون شهيداً ومائة وخمسون جريحًا، لم تكن أول ولا آخر مجزرة يرتكبها الصهاينة بحق شعبنا المجاهد، فتاريخهم ملون ومسطر بدمائنا ومزين ومزخرف ببشاعة مجازرهم وعنصريتهم وهمجيتهم بدءًا بدير ياسين وكفر قاسم والطنطورة وانتهاءً بنحالين والأقصى ومجزرة الخليل وترقوميا، ولطالما استنجدت القدس بالمسلمين ورددت ملء فمها: واسلاماه . . وامعتصماه . . ولا مجيب ولا معتصم ولا عمرو ولا صلاح الدين . وإثر مجزرة المسجد الأقصى البشعة هب بطل مقدام بسكينة لينتقم للشهداء وليشعل حرب السكاكين التى أثارت الرعب فى صفوف يهود وشفت صدور المؤمنين وصار بطل عملية البقعة «عامر أبو سرحان» رمزًا للجهاد والبذل والتضحية والبطولة، وتردد اسمه فى المساجد والمهرجانات والأناشيد والمواعظ ورددت الحناجر (عامر سرحان باستبسالوا علمنا ضرب السكاكين كيف يحرر وطنا) حتى صار مضربًا للمثل، مما دفع يهود للانتقام منه عبر عزله السنوات فى زنازين عزل الرملة والحكم عليه مدى الحياة

وهدم منزل عائلته الذى كان يأوى وقتها أكثر من عشرين فرداً إضافة إلى طابور جديد بنى حديثًا إلى جانب المنزل وتحطيم ثلاث غرف نوم جديدة لإخوته مما اضطر أسرته للهرب الى الأردن مؤقتًا حتى تتخلص من تحرشات الجيش والمستوطنين . . وبقى أخوه « فيصل سعود أبو سرحان» ليكمل آخر امتحانات التوجيهى ويلتحق بعدها بأهله فيفرغ اليهود حقدهم بشهيدنا فيصل انتقامًا من أخيه المجاهد «عامر أبو سرحان».

ولد شهيدنا فيصل «أبو مروان» فى قرية العبيدية قرب بيت لحم عام ٧٣، ورضع حب الدين والوطن والشجاعة والفداء منذ الصغر، وكان أول طالب من رياض الأقصى التى افتتحت من القرية عام ١٩٧٩ م وحفظ فيها الأناشيد وتغنى بكتاب الله منذ الصغر وكبر وكبرت معه أفكاره وأحلامه وتوسعت مداركه لما يعانيه شعبنا من تهجير وقتل وتشريد، وامتاز بمكانته الخاصة لدى والديه وعلاقاته الاجتماعية مع أقرانه، وتعلق قلبه بالراية الخضراء وكأنما أحس بقرب الشهادة فقال لأحد إخوانه : احتفظ بالوصل لأننى لا أعلم ما يحدث لى غدًا، وعندما زار أخاه «عامر» فى عزل الرملة وأخذ يحدثه عن الجهاد والشهادة وقصص الشهداء، تأثر فيصل كثيراً خصوصاً لدى سماعه عن الشهيد القسامى «مروان الزايغ» فجعل كنيته «أبو مروان» تخليداً واعتزازًا بهذا الشهيد واقتداءً بالمصطفى عندما احضروا له طفلاً فقالوا ما اسمه ؟ قالوا فلان قال بل هو المنذر، تفاؤلاً باسم عم أبيه «المنذر بن عمرو» الذى استشهد فى بئر معونة.

وفى يوم السبت اندلعت مواجهات فى قرية العبيدية لدى اقتحام الجيش للقرية تركزت فى مدرسة العبيدية الثانوية وكان فارسنا المقدام «فيصل» فى المقدمة يصدح بالتكبير ويرجمهم بحجارتنا المقدسة، ولدى اشتداد المواجهات بدأ المتظاهرون بالانسحاب وبقى «أبو مروان» صامدًا لا يتراجع ولا يتزحزح مع مجموعة من إخوانه المجاهدين، فقام قناص يهودى مجرم بتوجيه الرصاص نحو «صدر» فيصل الذى سقط جريحًا على أرض المدرسة، فاندفع الصهاينة الكلاب نحو صيدهم الثمين وكم كانت فرحتهم عندما عرفوا أن أخاه هو مفجر حرب السكاكين عامر أبو سرحان، وأطلقوا الرصاص نحو رأسه ليجهزوا عليه كما روى بعض شهود العيان، وتلقى الأهالى نبأ استشهاده بتصعيد المواجهات وملاحقة قوات الجيش إلى مستشفى الحسين فى بيت جالا، وحمل الشهيد على الأكتاف ليزف الى الحور العين، ودفن فى قرية زعترة شرق

مدينة بيت لحم يشكو إلى الله ظلم الظالمين وحقد بنى صهيون أذل وأخس خلق الله.
أما أسرة الشهيد فقد تلقوا خبر استشهاد فيصل بالفرح والاستبشار واستقبلوا المهنئين فى حفلته أشبه ما تكون بالعرس فى منطقة (مأدبا) وزعت فيها المشروبات والحلوى.

هكذا غادر جسد فيصل وبقيت روحه وذكراه العطرة تبعث فى قلوبنا الحياة وتذكرنا أن هناك قيمًا ومبادئ أغلى من الحياة ذاتها وأن الحياة مجرد رحلة عابرة نحو الحياة الحقة هناك فى جنات ونهر عند مليك مقتدر. وكم من الأموات تحيا القلوب لذكرهم.. وكم من الأحياء تقسو القلوب برؤيتهم.

مضى فيصل لينضم لأخيه مروان ليطرب بسماع قصته يرويها له بنفسه بعد أن سمعها من أخيه عامر، ويحدثه عن إخوة يقبلون من الأسر يحبونه ويرددون ذكراه، ويدعون الله ألا يحرمهم أجر الشهداء ولا صحبتهم... وإلى اللقاء فى جنات الخلد يا فيصل. والسلام على روحك الطاهرة.



ليس خوفا من اليهود ولكن الحرب كر وفر

الشهيد /حسام جهاد الزعيم

١٩٩٠/٢/١١

مولده ونشأته:



فى حى الشجاعية بغزة الصمود ولد الشهيد حسام جهاد الزعيم عام ١٩٧٦ فى أسرة كريمة الأصل كريمة النسب . . قد أحبه كل من عرفه : أحبه شباب مسجده . . لدماثة خلقه وخفة روحه ولابتسامة رقيقة لا تفارقه . . ورباطة جأشه فى مقاومة الاحتلال . . رغم حداثة سنة (١٤ عاما)، فقد كان يعشق لعبة الحرب، وكان زعيم الأولاد فى الشارع، وكان يصنع لنفسه بندقية من الخشب والحديد، ويرتدى بزة رمادية مزركشة، من راه من بعيد يظن أنه شبل عسكرى مقاتل وهو دائمًا الضابط فى اللعبة . . يتصدر المواجهات يشجع الصبيان، ويستثير همم الشباب يعلمهم فنون المقاومة وكيف تكون الرجولة؟ وكيف يكون الثبات؟ والكل معجب بجرأته الفائقة وحماسه المتقد، لم يزده تنكيل الاحتلال وجنوده إلا عزمًا ومضاءً، ذات يوم طاردته سيارة عسكرية وهو يلعب لعبة الحرب ويحمل عدة الجندى، ولما وجدوه صغيراً اكتفى جنود الاحتلال بإرعابه بالضرب، وحملوه فى سيارة الجيب، وداروا به فى الحى عدة دورات، وهم يصرخون ويعربدون. أما المرة الثانية التى جعلت جند الاحتلال يحقدون على هذا الشبل فذلك حين فتشوا حقيبته المدرسية ووجدوا فيها رسمًا يمثل الإسلام كيف يطعن العلم الصهيونى وينزف دمًا أسود، فاحتجزوه عندهم ساعات حتى جاءت أمه وعشرات النسوة وخلصنه بالقوة، وعندما حاول والده منعه من قذف الحجارة صاح قائلاً : والله لو قطعتنى إربًا إربًا ما تركت قذف الحجارة على اليهود. ثم قال لوالده : إذا أغلقتم الباب قبل الثامنة ليلاً موعد منع التجول فسأذهب وأنام فى المسجد أو عند أصحابى . . ! . وذات يوم أقسم على إرعاب ضباط الاحتلال قبل الجنود، فصنع جسمًا مشبوهًا ووضعه فى وسط

الشارع، ووضع أسلاكًا كهربائية وربطها فيه، ومد الأسلاك إلى مكان خفى وحينما مرت الدورية توقفت ولم تتقدم ثم جاءت السيارات العسكرية تباعًا، وأغلقت المنطقة حتى جاء خبير المتفجرات ليفكك هذه العبوة المخيفة!!

إرهاصات الشهادة:

لقد عشق حسام الشهادة وتمناها.. فكان كلما مرّ على قبر الشهيد أسعد الشوا قرأ الفاتحة وتمنى أن يكون مكانه، وقبل حادثة الاستشهاد بدا أكثر جدية ورجولة، اهتم بصلاة الفجر فى المسجد وكان يتفق مع شباب المسجد للخروج معًا.. ثم جهز لعرس أراده، فأعد صورًا فوتوغرافية له وخبأ ثلاثة أعلام محلاة بشعار التوحيد فى وسادته وأوصى شبلاً من أشبال المسجد قائلاً: إذا استشهدت فاذهب إلى البيت وأخبر أمى وأخرج الأعلام فى المسيرة. لقد كان حسام يغتسل قبل أن ينام ثم يغتسل فى الصباح قبل الذهاب للمدرسة بحثًا عن الشهادة.

يقول الحاج أبو نبيل، كبير عائلة الزعيم عن هذا الفتى: كان دومًا يتحدث عن الشهادة وكان يعد نفسه للشهادة منذ زمن منذ بدء الانتفاضة وهو يطلب الشهادة ولكنه لم ينلها إلا بعد مرور سنتين. أما أحد زملائه فيقول: فى أحد الأيام قال لى حسام عندما استشهد، تذهب إلى البيت المهجور - وعين له المكان - وتحضر العلم المكتوب عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله وتضعه على جسدى. وكان حسام قد جهز هذا العلم ليوم الرحيل وكان حسام يقول لوالدته: أنت وأبى وجدى وجدتى سأشفع لكم إن شاء الله، لأن الشهيد يشفع لسبعين من قومه. وتابع حديثه قائلاً: يا أمى أنا بعد يومين سأستشهد إن شاء الله فافرحى ولا تبكى على وقولوا فى فرح استشهادى: لا إله إلا الله.

حادثة استشهاده:

فى يوم ١١/ ٢/ ١٩٩٠م دعت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) للتحدى والمواجهة فى ذكرى استشهاد الإمام البنا رحمه الله، وفى حى الشجاعية الثائر الذى طالما قهر الجنود وأذلهم.. انهمر سيل من الحجارة المقدسة من الأيدى المتوضئة (السواعد الرامية) من خلف الجدار الإسمنتى على دورية عسكرية أصابت الجنود

إصابات مباشرة فقفزوا مرتعبين يطلقون الرصاص فى كل اتجاه ووضع أحدهم البندقية فى شق بين البراميل الإسمنتية وصوب على المقاتل المغوار حسام، فأصابه برصاصة قنص فى مؤخرة رأسه. . وسقط الشهيد على الأرض يرويها بدمه الطهور وبقى ينزف مدة ٣ دقائق، نقل بعدها إلى مستشفى الشفاء، وتم تحويله إلى مستشفى تل هشومير، لخطورة إصابته، فقد خرج جزء من دماغه بعد إصابته وأجريت له عملية جراحية استمرت حوالى ست ساعات، وتبين أن الرصاصة دخلت لعمق ٧ سم فى الرأس.

جنازة الشهيد:

لم يسمح الحاكم العسكرى لذوى الشهيد بدفنه، اشترط عليهم عدة شروط منها: إزالة الأعلام الفلسطينية المزينة بـ: لا إله إلا الله، وإزالة المتاريس عن الشوارع، وعدم إلقاء الحجارة. وفى مقابل ذلك فإن الحاكم العسكرى لن يدع الجنود يدخلون الشجاعية لمدة ٣ أيام، ولم يوافق ذوو الشهيد على هذه الشروط وقالوا له نحن لا نملك أن نطبق هذه الشروط فحسام ليس ابن الزعيم، إنه ابن فلسطين وابن الإسلام. وادعى الحاكم العسكرى بعد ذلك بأنه سيقوم بمحاكمة من قام بإطلاق النار على حسام. . ورد كبير عائلة الزعيم باستهزاء على هذا القول فقال: أنا لا أحب أن تحاكموه ولكننى أدعو الله أن يكون له ولد ويحدث له نفس المصاب، وتذكر أن المسلم العربى لا يمكن أن ينسى ثأره. . . وبعد ذلك توجه الحاكم العسكرى إلى والد الشهيد بكلمات تنم عن وقاحة قائلاً: نحن آسفون لاستشهاد حسام. ويرد والد الشهيد بغضب: وهل يستطيع تأسفك أن يعيد لى ابنى ؟ ودفن الشهيد فى الساعة الحادية عشرة وكانت صيحات الله أكبر تهز الشجاعية التى لم تهتز لقمع جنود الاحتلال، لكنها اهتزت طربًا على هتافات أبناء الإسلام وهى تشق عنان السماء، مُقْسِمة على الثأر من رؤوس المجرمين.

من كرامات الشهيد:

ما إن دخل جثمان الشهيد المنطقة ليلاً حتى ذرفت السماء دموعها؛ سقط رذاذ من المطر مع أن السماء كانت صافية، وأحيط موكب الشهيد بالمهابة والجلال، ويا مدامع السحاب طوفى على الديار وأودعى بكل شبر دمعة من السماء. ولما كشف عن وجه الشهيد عند القبر ذهل الحاضرون لبهاء ما رأوا. . ينابيع نور ملائكى تنساب من وجهه وريح المسك تفوح من جوانحه ودم طيب برائحة زكية.

أم محتسبة ووالد صابر:

عندما سمعت أم الشهيد بنبأ إصابة حبيبها، صلت ركعتين ودعت الله قائلة: اللهم إن كان بقاؤه خيراً فابعثه، وإن كان استشهاده خيراً فاختره إلى جنبك مع الصديقين والشهداء. وعندما وصل إليها خبر استشهاده أخذت تذرف الدموع، ثم دخلت وصلت ركعتين لله واحتسبت عند الله شهيدها. احتشد الناس يكبرون: لا إله إلا الله.. الشهيد حسام حبيب الله.. ثم طلبت من الأهل أن يهنئوا أباه بعرس ابنه.

ولا ننسى موقف الأب المشرف الذى صبر على رحيل ابنه صبراً يعجز الإنسان عن وصفه، حيث استقبل الأهل بقوله: «أحتسبه عند الله.. حسام ليس ابن آل الزعيم... إنه ابن فلسطين... عاش لها ومات من أجلها.. وهذا قدر الله فينا».

أما شقيقه فقد أخذ يبكى بكاءً مراً، واقترب من والدته قائلاً: أنت لك ولد... أما أنا فلم يعد لى أخ. وبالفعل فقد أمسى هذا الشقيق وحيداً، ودفن الشهيد فى الساعة الحادية عشرة وكانت صيحات (الله أكبر) تهز الشجاعية التى لم تهتز يوماً لقمع جنود الاحتلال... والسماء تذرف دموعها وتطوف بها على ديار الشهيد.

قافلة الشهداء تسير، تكبر وتسير أبداً ستسير.. وشهيد يتلوه شهيد ودم ينزف، جرح يتفجر، مقبل يسقط.. روح تصعد.. أهلاً بشهيد.. زغرودة فرح من أم ثكلى.. فى عرس شهيد دمع يجرى يهدر... وطوفان يقتلع الأعداء... طفل يكبر... أمل أخضر فى وطن مسلوب، تلك مسيرة شعب وحكاية شهيد.

***

الشهيد/ عبد اللطيف مصطفى السقا

١٩٩٠/٥/٤

يرتجف قلمي. . . ولا أكاد أصدق. . . لكنه قدر الله النافذ. . . وهو الثمن الذى نقدمه لنصرة قضيتنا العادلة. . . فأسأل الله أن يجمعنى بك يا أخى الحبيب فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، والحمد لله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وُلد الشهيد فى ٦/ ٩/ ١٩٦٧م، العام الذى سقطت فيه ورقة التوت فظهرت الزعامات الثورية والقومية والاشتراكية على حقيقتها. . تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى مدارس خان يونس، وفى عام ١٩٨٦م التحق بكلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية بغزة، وفيها تعرف على الكتلة الإسلامية، وسرعان ما أصبح من شبابها العاملين.

رغم أن منطقة خان يونس قدمت منذ بداية الانتفاضة ما يصل إلى ستين شهيداً. . . ورغم توالى قصص الشهداء على صفحات الجرائد. . . وشيوعها فى أحاديث الناس لدرجة أنها أصبحت جزءاً من مميزات حياتهم. . . إلا أن جماهير المدينة الباسلة شبابها ونساءها وشيوخها قد وجدوا أنفسهم هذه المرة أمام نموذج من الشهداء متفرد، ومثال من العطاء متميز. . إنه أحد أبطال حركة (حماس) الشهيد الملثم عبد اللطيف مصطفى السقا.

أحب عبد اللطيف من حوله فأحبوه. . تبسم فى وجه كل من قابلوه. . . فألفوه واحترموه. . . كان قدوة لإخوانه فى شجاعته وعبادته وأناقته وإخلاصه. . . فكان فقده أليمًا على قلوبهم أجمعين. . .

لقد تميز البطل الملثم عبد اللطيف السقا بصفات عميقة فى شخصيته كان أهمها الجدية والصراحة، والأدب، وطلاقة الوجه عند اللقاء خصوصًا لقاء الشباب المسلم، ولمعت فى سيرته صفات الشجاعة والجرأة، وجمع بين الشخصية القيادية والتنفيذية فى

نفس الوقت، مَنْ عامله ولو لفترة قصيرة يشده إليه عمق انتمائه للإسلام . . الأمر الذى كان واضحًا فى إقباله على التضحية وحرصه على الشهادة . . . قال شقيقه الأكبر المحامى سليم السقا : إن لى ستة إخوة . . . ولكن حبى لعبد اللطيف يزيد عن حبى لبقية أشقائى مجتمعين .

قصة استشهاده:

كانت (حماس) قد أعلنت عن يوم الخميس ٣ من أيار ١٩٩٠م إضرابًا تجاريًا ومواجهات، تضامنًا مع شهداء حماس الثلاثة الذين سقطوا فى مخيم جباليا فى مواجهات عيد الفطر . . . وفى يوم الأربعاء الموافق ٢ من أيار ١٩٩٠م كان ملثمون تابعون للحركة يجوبون كل شارع وزقاق فى طول قطاع غزة وعرضه، يخطون على الجدران عبارات الصمود، معاهدين الله والشعب على المضى قدمًا حتى زوال الاحتلال . . وكان الأخ عبد اللطيف أحد الملثمين الذين يقومون بهذه المهمة الجهادية فى أحد شوارع خان يونس، وفى تمام الساعة الرابعة والنصف من فجر ذلك اليوم . . استيقظت الطيور من أعشاشها على صوت زخات من الرصاص . . . تتبعها أنات شهيد يردد: الله أكبر . . . لا إله إلا الله . . . وكان هذا الشهيد هو البطل الملثم عبد اللطيف مصطفى سليم السقا .

منذ أن سرت أخبار استشهاد البطل الملثم أقفرت الشوارع، ووضعت المتاريس وأشعلت الإطارات وخيّم الحزن والتحدى على كل شىء فى المدينة ومنطقتها . . . ولفت نظرى إقبال عدد من إخوان الشهيد وأحبائه يعانقون بعضهم بعضًا والدموع تنهمر من عيونهم بلا حساب وهم يرددون : الحمد لله لقد نالها . . . أى الشهادة .

من الأمور التى لا يعلمها إلا قليل من الناس أن الشهيد كان قبل ثلاثة أعوام قد تبرع بحصته من إرث والده من الأرض للمسجد المجاور ابتغاءً للأجر من الله تعالى .

فى الساعة الحادية عشرة ليلاً خرج عشرة فقط من أفراد عائلته لدفن الجثمان الطاهر تحت حراسة عسكرية مشددة من قوات الاحتلال التى رفضت السماح لأكثر من هذا العدد بالمشاركة فى الحضور إلى المقبرة .

حدثنا إخوته أن جسده كان مخترقًا بحوالى خمس عشرة رصاصة فى عنقه وصدره وبطنه وذراعيه . وقد عاينا السترة التى كان يرتديها فلاحظنا أن فيها ثقوبًا كثيرة فى

منطقة العنق والصدر والبطن والذراعين. . وكان ظهرها سليمًا ليس فيه أى ثقب مما يدحض ادعاء السلطات التى زعمت أنه أصيب وهو يحاول الفرار.

أجمع كل من حضر عملية الدفن على أن ثغر الشهيد كان منفرجًا عن ابتسامة عريضة لفتت انتباه كل من شاهد جسده الطاهر، وكانت عيناه مفتوحتين تمامًا وجسده لينًا ودمه ما زال رطبًا يبلل ثيابه. مسح شقيقه الأصغر إسماعيل بيده على جبين أخيه الشهيد فوجده يتصبب عرقًا بعد ١٩ ساعة من استشهاده.

قالت أمه والدموع تملأ عينيها: كنت أحس أنه سيستشهد. . . وأضافت: أدعو الله أن يصبر قلبى. . . يجدر بالذكر أن أم الشهيد لم تصرخ ولم تولول. . بل كانت ثابتة محتسبة طول الوقت. ولعله فاتنا أن والد الشهيد قد توفاه الله منذ عدة سنوات رحمه الله.

من العبارات التى كتبها الشهيد على الجدران قبل دقائق من استشهاده: (الانتفاضة مستمرة رغم كثرة التضحيات)، (حماس تصنع وقود الانتفاضة من دماء شهدائها). . . أما آخر عبارة كتبها الشهيد على الجدران فكانت (قدمًا إلى الإمام يا قافلة الشهداء). لقد خرج ينعى الشهداء فإذا به شهيد يوم ٤/ ٥/ ١٩٩٠م وقد أعلنت (حماس) فى مدينة خان يونس عن إطلاق اسم الشهيد عبد اللطيف السقا (أبو حذيفة) على الشارع الممتد من أول شارع البحر وحتى مسجد (السنة) شرقًا له، وهو الشارع الذى ارتفع فيه الشهيد إلى العلا مضرجًا بدمه يشكو ظلم الظالمين.

لقد نعت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) شهيدها البطل، ووضعت اسمه فى إطار كتب عليه. . . شهيد البطولة والفداء. . شهيد حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وإلى جانب الصورة كتبت العبارات التالية:

أخى تمت نلتق أحبابنا ... فروضات ربِّى أعدت لنا

وأطيارها رفرفت حولنا ... فطوبى لنا فى ديار الخلود

***

الشهيد/محمد شاكر أبو هشيم المصرى

١٩٩٠/٥/٥



مخيم الشهداء.. عُرف قبل الانتفاضة بكثرة الشباب المنحرف الفاسق.. راقص الديسكو المعربد وشارب الخمر... عرف بكثرة نسائه اللواتى يعملن فى المصانع والمزارع اليهودية... ولكن بفضل الله ـ تحول هؤلاء إلى شىء آخر بعد ثورة المساجد... تحولوا إلى شىء بعد أن كانوا لا شىء... أصبح يتسابق فتيانهم ورجالهم ونساؤهم للاستشهاد فى سبيل الله.. حداؤهم الخالد «الله أكبر ولله الحمد.. الله غايتنا والرسول قائدنا... والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا...».

حين يتاح للزائر أن يدخل هذا المخيم ـ وقليل من يستطيع ذلك لكثرة المواجهات أو مدد فرض نظام منع التجول ـ ويتجول فيه... يرى تلك البيوت المتراصة بفوضى غريبة تشكو إلى الله ظلم الظالمين... وأول ما يلفت النظر كثافة الشعارات على الجدران وبخاصة شعارات حركة المقاومة الإسلامية «حماس» عند ذلك ستدرك فوراً شدة الأثر الذى أحدثته الانتفاضة المباركة فى أبناء شعبنا.. حولتهم إلى أمة مجاهدة.. ثائرة.. تطلب الحرية والكرامة بعد أن تاهت ردحًا طويلاً من الزمن.. وعندما تنظر إلى الوجوه تجدها تحمل الحجارة وكتل الحديد والزجاجات الفارغة والحارقة... تحفز دائم... مفاجآت لا يحسب المرء لها حسابًا.

مولده ونشأته:

فى هذا المخيم المجاهد ولد الشهيد محمد شاكر أبو هشيم فى عام ١٩٦٥م والذى لقب «بالفهد الحمساوى الأسمر»، ومحمد من أوائل الشباب المسلم الذين دخلوا سجون الإحتلال، وفور دخوله فرز «اتجاه إسلامى» ورغم ما يلاقيه هؤلاء الناس من ضيق وعنت حتى من أبناء جلدتهم... رغم ذلك صبر محمد ـ رحمه الله ـ حتى منّ الله تبارك وتعالى عليه بالفرج.

دوره فى الانتفاضة:

كان الشهيد صاحب دور مميز فى المخيم والمدينة. . يصعد ويواجه المحتلين ويوجه شباب حركة المقاومة الإسلامية «حماس» ويقودهم وخاصة فى المواجهات الليلية، وكان ـ رحمه الله ـ متخصصاً فى الاستطلاع وكشف أماكن الكمائن التى ينصبها جنود الاحتلال، وهى مهمة صعبة وشاقة تحتاج إلى سرعة وجرأة وإقدام وحذر شديد. . ومن مهماته الأكثر صعوبة أنه ـ رحمه الله ـ كان يوصل معظم الشباب الذين يطاردهم جنود جيش الاحتلال إلى بيوتهم، فكان يطرق الأبواب بنفسه حتى يطمئن إلى دخول الشباب بيوتهم. . . حدث أحد إخوانه قال: «لقد كان محمد ضمن مئة شاب يقومون بمهمات ليلية، وكان جند الاحتلال يملؤن المخيم، فأخذ الشهيد يرافقهم إلى بيوتهم واحداً تلو الآخر. . حتى آخرهم ثم عاد إلى منزله وحيداً دون أن يكون معه أحد». لقد كان لوجود محمد بين الشباب أثر نفسى كبير وينعكس ذلك على قوة التصعيد. . وفى إحدى المرات أصيب إصابة خطيرة فى حنجرته أسفل الذقن برصاصة معدنية لكن الله تبارك وتعالى سلم.

كان الشهيد من الأوائل الذين تصدوا للسلاح الجديد الذى أدخله المحتلون للمعركة مع الشعب الأعزل لرفع معنويات جنودهم المنهارة، وهو راجمة الحجارة، فقد استطاع محمد كسر حاجز الخوف بإطلاق زخات من الرصاص فى كل الاتجاهات. . . وقد نجا يومها من الموت بأعجوبة. . . وفى إحدى المرات تسلق فوق إحدى جرافات الجيش المحتل. . . لقد كان الشهيد شجاعًا شجاعة لا تصدق. . . لقد كان بالفعل أسداً لا يهاب الموت، ولا تقف جرأته عند حد. . . وكان من ضمن أعماله التى تدل على الجرأة العظيمة: أنه اختبأ مرة خلف حاجز من الحواجز فى وسط الشارع فى حين كان أحد الجنود ينظر إلى الناس بغرور وغطرسة، وكانت تحرسه راجمة الحجارة. . فما كان من الفهد الأسمر إلا أنه قفز من خلف الحاجز صارخًا «الله أكبر» ووجه ضربة قوية جداً بحجر كبير ومن مسافة قريبة إلى وجهه مباشرة. . فما كان من راجمة الحجارة إلا الفرار، وركض الجندى خلفها مذعوراً، فُسر الناس بذلك سروراً عظيماً.

لقد اعتمد الشهيد أسلوب الضربة الخاطفة والقوية. . . فكان ينصب الكمائن فيباغت ويضرب ثم ينسحب وهكذا.

حادثة الاستشهاد:

لقد آن لهذا الفارس أن يترجل . . . آن لهذه النفس الوثابة أن تُقبل على ربها، وأن تستقبل من الملائكة الأطهار فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

لقد تمركز بشكل دائم جنود من وحدة جولانى قرب المخيم، وقد تبين من الأمر أن الهدف كان القضاء على (حماس) بالذات، وتأديب المخيم الصامد كما كانوا يقولون لعامة الناس. . . لذا قررت (حماس) التحدى والمواجهة، وتأديب هؤلاء الجنود المتغطرسين المغرورين كما قامت بتأديب ما سبقها من وحدات. . . وفى ليلة ليلاء صعدت «حماس» المعركة مع هؤلاء المغرورين وكان تصعيداً مميزاً حيث أقيمت الحواجز، وأشعلت الإطارات ونصبت الكمائن، وقد أصيب من جراء ذلك الكثير من الجنود الغزاة إصابات بالغة ولم يجرؤوا على دخول المخيم. . . وتتوالى صيحات التكبير ويشتد أوار المعركة ولم يستطع هؤلاء الأغراب فرض منع التجول على المخيم فى حين كانت تذيع مكبرات الصوت بأيدى أسود الإسلام البيانات الداعية إلى فرض نظام منع التجول على جنود وحدة (جولانى) ورفعه عن المخيم باللغتين العربية والعبرية.

وفى اليوم الموعود ـ حيث لا يستأخر الموعد ساعة ولا يتقدم – يوم ٥/ ٥/ ١٩٩٠م – ١٠ من شوال ١٤١٠هـ دعت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» إلى تصعيد مميز. . فاشتعل المخيم وأصبح شعلة واحدة. المواجهات من زقاق إلى زقاق ومن شارع إلى شارع، وأصبح الشباب يضربون الجنود وجهًا لوجه، وذلك تحت أزيز الرصاص وفرقعات القنابل الصوتية والغازية. . . ولأربع جولات متتالية يفر الجنود من شوارع المخيم أمام أسود الإسلام، الذين أمطروهم بوابل من الحجارة وقطع الحديد، وهتاف: «الله أكبر والنصر للإسلام». . . . وفجأة سرى بين الشباب خبر أن الجنود اعتقلوا أحد الشباب، وعلى الفور توجهت فرقة المهام الطارئة التابعة للسواعد الرامية لإطلاق سراح الشاب وكان على رأسها القائد البطل محمد أبو هشيم، وبدأت المجموعة بقيادة الفهد الأسمر بتطويق الجنود وقذفهم بالحجارة. . . كان الجنود لا يبعدون عن محمد إلا أمتاراً قليلة. . . وهنا يقوم الجنود بمحاولة غادرة للالتفاف حول الفهد الملثم المخيف. . وقد كتب على عصابته بحروف كبيرة «الله. . . الجنة» لا تخيفه الرصاصات. . . ولا

تثنيه العيارات المعدنية والمطاطية ولا القنابل الصوتية . . وحين باءت محاولتهم بالفشل أطلقوا عليه النار من كل اتجاه . . . وينسحب أبو هشيم مسرعًا وقد أصيب فى صدره بأربع رصاصات . . . إحداها استقرت فى القلب ، والأخرى رصاصة (دم دم) تفجرت أسفل البطن . . . ويتحامل الشهيد على جراحه ، ودماؤه تنزف من جميع أنحاء جسمه . . . و لكن بعد عدة أمتار لم يستطع الفارس أن يكمل المسير فوقع على الأرض لتروى دماؤه العطرة تراب فلسطين الطهور . . .

قام اثنان من الجنود وعيونهم تقطر حقدًا أسود بالإمساك بقدميه وبادروا ـ لعنهم الله ـ بجره فى الشارع وسحباه أكثر من عشرة أمتار ورأسه وجسده يصطدمان بتراب وحجارة الطريق التى أحبها ، وجبلت دماؤه بذراتها . وبعد ذلك أخذوا يقفون على جثمانه الواحد تلو الآخر يضربونه بالبنادق والبساطير فى مكان الإصابة وجراحه تنزف . . . بينما هو يرفع سبابته وينطق لسانه بالشهادتين . . . لقد كان يتمنى ويطلب من الله أن يصيبه الرصاص فى الصدر وليس فى الظهر . . . وألا تقع جثته فى أيدى الأعداء . . . وقد صدق الله فصدقه الله ، فقد حضرت سيارة الإسعاف التابعة للوكالة ، ولا يعلم أحد كيف ومن أين جاءت؟ ! وكأنها هبطت من السماء لأن أحدًا لم يستدعها على الإطلاق ، ونزل سائقها وحمل جثمان الشهيد وأخذه بالقوة من بين أيدى الجنود الجبناء ، وانطلق مسرعًا إلى المستشفى ، وصرخ أحد الشباب بمجرد أن رأى سيارة الإسعاف وأبو هشيم بداخلها «استشهد محمد» علمًا بأنه لم يكن يعلم باستشهاده بعد ، وإنما قال ذلك لزيادة الحماس وشدة الاصطدام . . . وهنا انفجرت الأرض واشتعل المخيم ، وكأن المخيم ببيوته وشوارعه وأزقته . . . رجاله ونسائه . . . شبابه وأطفاله يلاحقون الجنود . . . ويجن جنون جنود جيش الاحتلال ، وتأتى الأوامر بفرض نظام منع التجول لكن الناس لم يذعنوا للأمر واستمرت المواجهات . . . وصل الشهيد إلى مستشفى طولكرم . . . وتحقق الطبيب من استشهاده ، وشاع الخبر . . .

جنازة الشهيد :

قام أسود حماس وسواعدها الرامية باختطاف الجثمان . . . وقد بذل الشباب جهدًا كبيرًا لإخفاء جثمان الشهيد حيث فرض نظام منع التجول فى الطرق المؤدية إلى المخيم

عبر جميع القرى فى المنطقة . . . لكن الله كتب له النجاة . . ودفن فى ساعة متأخرة من الليل . . . لقد رددت الأجواء مع ذلك الموكب الجنائزى المهيب :

وقد لاقى الشهادة يا رفاقى رجال لا يهابون المنونا
فمهلاً يا طغاة الحكم مهلاً فطعم السوط أحلى ما لقينا

فى اليوم الأول لدخول فرقة «جولانى» المخيم صرح أحدهم قائلاً :

«نحن جيش جولانى لا نفرض منع التجول . . . جئنا لتأديب المخيم خلال سبعة أيام . . . نحن الجيش الذى لا يقهر . لقد قهرنا جميع الدول العربية» . . . وفى أقل من أسبوعين يضطر هذا الجيش الذى لا يقهر! إلى فرض نظام منع التجول مرتين . . . ثم يفرضه مرة أخرى عند استشهاد أبى هشيم ولكن دون فائدة ، فالمخيم اشتعل ناراً تحت أقدامهم ، وأصبح وكأنه جهنم تلقى بشواظها وحممها عليهم . . . مواجهات واشتباكات عنيفة جداً ، حرب شوارع حقيقية . . . من شارع إلى شارع ، ومن زقاق إلى زقاق ومن حارة إلى أخرى . . . والسواعد الرامية تطارد الجيش المسلح فى كل مكان ، والحجارة وكتل الحديد والزجاجات والقضبان تتقاذفهم من كل جهة وصوب حتى إن الجنود كانوا يتصايحون ويبكون من جراء الإصابات الكثيرة التى أصابتهم . . . حتى تصايح الجنود مع الضباط الذين كانوا يرفضون الأمر باقتحام المخيم ومواجهة السواعد الرامية . . لقد روى شهود عيان أن هناك عدة زجاجات حارقة ألقيت باتجاه الجنود ، وإن إحداها انفجرت تحت أقدامهم وشوهدت النيران تحاصرهم . . . فيما شوهدت سيارة إسعاف تابعة لهم تنقل المصابين من الجنود . . . وذكر التلفزيون اليهودى فى نشرته الإخبارية باللغة العبرية أن عدة جنود قد أصيبوا وأن حالة اثنين من الضباط تدعو إلى القلق .

بالرغم من فرض نظام منع التجول على المخيم إلا أن الوفود من الشباب كانت تتوجه نحو بيت الشهيد مخترقة بذلك المنع . . . وقد تلقاهم والد الشهيد بالأحضان مبتسماً وكان يقول : أهلاً وسهلاً يا إخوان محمد . . . كلكم أولادى . . إنى أرى فيكم ولدى محمداً . . . إنه مازال موجوداً . وحين رفع المنع عن المخيم قام أشبال حماس بوضع العديد من أكاليل الزهور أمام منزل الشهيد كما توجهوا إلى المقبرة ، ووضعوا

أكاليل الزهور على قبر الشهيد، وقرأوا الفاتحة على أرواح الشهداء . . فيما نظمت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» مسيرة حاشدة انطلقت من مقبرة الشهداء ثم سارت في استعراض عسكري رفع خلاله الملثمون الأعلام والرايات المزينة بشهادة التوحيد وألقيت عدة كلمات تمجد الشهيد وتذكر بطولاته ومناقبه .

وفي بيانها العام رقم (٥٧) ولأول مرة نعت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» القائد المجاهد محمد أبو هشيم إلى أمتها وشعبها واحتسبته عند الله شهيداً .



أطفال فلسطين يصنعون التاريخ.. فهل يحافظ قادتهم على الجغرافيا !؟

***

الشهيد /إياد إسماعيل صقر

١٩٩٠/٥/٢٠



ولد الشهيد المجاهد إياد فى ٦/ ٢/ ١٩٧٢م فى مدينة رفح، وعاش مع أسرته فى مخيم البطانى، واتصف رحمه الله بالخلق الحسن وحبه لوالده ومواظبته على الصلوات فى وقتها، كما أنه كان مجتهداً طموحًا فى دراسته وكان فى الصف الثالث الثانوى القسم العلمى، وكان يرنو إلى المستقبل بعين الأمل من أجل خدمة شعبه المنكوب، وليضع الطاقات العقلية التى منحه الله إياها فى خدمة دينه الذى أحبه وأقسم أن يجود بدمه فى سبيل نصرته. . . لذا كان يتطلع إلى تعلم مهنة الطب التى كان يرى فيها وسيلة لتخفيف المعاناة عن أبناء شعبه المثخن بالجراح، ويكون مثال الطبيب المخلص، كان رحمه الله شابًا مسلمًا بما تحمل هذه الكلمة من أبعاد، تربى على الإسلام وحبه، وخلال الانتفاضة رأى فى حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الفتيّة الطريق السليم للوصول إلى الهدف، ورأى فى رجالها الأمانة والصدق والبطولة والفداء، وكل الأخلاق النبيلة، كما كان يرى فى شيخها وقائدها أحمد ياسين مثالاً للعطاء اللامحدود، والحب الذى لا ينضب لهذا الشعب، والأمانة العظيمة للقضية، والإرادة الصلبة رغم المرض. . .

لذا انضم إلى السواعد الرامية (حماس) وأصبح عضواً فى لجان الطلبة التابعة لحماس.

استشهاده:

فى صبيحة يوم الأحد (يوم الملحمة) ٢٠/ ٥/ ١٩٩٠، سمع شهيدنا فى المذياع خبر المجزرة الجبانة التى نفذها أحد جنود الاحتلال المسرحين فى عيون قارة، وآلمت هذه المجزرة نفس الشهيد، كما أصابه الحزن الشديد من الطريقة التى نفذت بها المجزرة وهذا

اليوم لا ينسى من الذاكرة وهو يوم مشهود فى الوقفة الشجاعة للشعب الفلسطينى الأبى، فقد أعلنت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) منذ ساعات الصباح الباكر عن تصعيد مع قوات الاحتلال وحثت الشباب والجماهير المسلمة على حرق الأرض تحت أقدامهم، فقام أبطالها بإغلاق الشوارع بالحواجز الحجرية وأشعلوا الإطارات وهب الشباب هبة واحدة، وصرخوا بصوت واحد (الله أكبر).

ويتعالى الهتاف والتكبير ولا يدخل الرعب والخوف إلى قلوب الشبان وأنَّى للرعب والخوف أن يدخل إلى قلوبهم والشباب المسلم لهذا أعد نفسه ؟!. ووقف جنود الاحتلال عاجزين عن صد هذه الجموع الحاشدة المؤمنة من الشباب المسلم الذى وهب نفسه لمثل هذا اللقاء ولمثل هذه الساعة، وظل الشباب يلاحقون الجنود بقوة ربانية تراجعت أمامها آليات الجنود وأسلحتهم الحديثة.

كان إياد يشتعل حماسًا وتوقدًا وكان يسرع فى التقدم للقاء المحتلين وجهًا لوجه وكان إخوانه يحاولون منعه من التقدم، إلا أنه كان على موعد مع هذه الشهادة، وبالقرب من مسجد الهدى وأثناء المواجهات وفى لحظة لا تتكرر فى العمر إلا مرة واحدة تنطلق رصاصة غادرة إلى شريانه الكلوى ويتدفق الدم الطاهر ليروى تراب هذا الوطن وليساهم بدوره - كما ساهم الصحابة الأبرار- فى إنبات شجرة الإسلام الباسقة فى هذه الديار المقدسة، وتنتهى أنفاس الشهيد ويسدل الستار على آخر لحظة فى حياة هذا الشاب المجاهد وتصعد روحه إلى بارئها رافعة الشكوى إلى الله من ظلم الأعداء ونكوص الأصدقاء.

كرامات الشهيد:

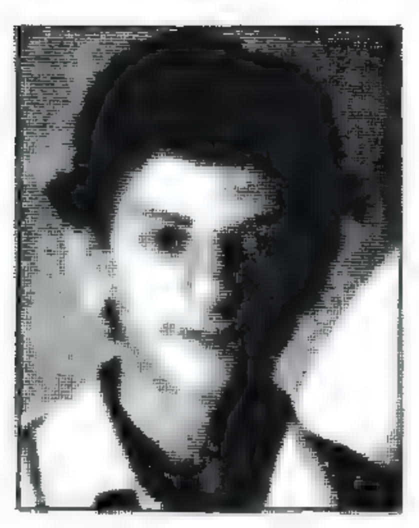
نطق شهيدنا الشهادتين قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، كما كان وجهه يشع نوراً وكانت رائحة الدم تفوح منها رائحة المسك...

***

الشهيد/محمد سمير محمد حسن الحلحولي

١٩٩٠/٥/٢٤

مولده ونشأته:



ولد الشهيد محمد الحلحولي في ٢٩/ ٣/ ١٩٧٤م في قرية (قبية) لأسرة فقيرة الحال، فوالده عامل بسيط يكسب رزقه من العمل في بيارات البرتقال، وذلك لإعالة العائلة المكونة من خمسة ذكور وأربع إناث، فكان محمد يرى والده وقد عاد مجهداً من العمل فيقرر -رحمه الله- مساعدته في قطف البرتقال حتى يخفف العبء قليلاً عن الوالد المنهك.

والشهيد محمد شاب عصامي قمحي اللون تنظر في عينيه العسليتين فترى فيهما حزنًا دفينا إنه يحمل هموم أمة، فهو يرى أمته وشعبه يعيش تحت الذل والقهر. . فماذا تفعل يا محمد بجسمك النحيل؟! هل تستطيع أن تقدم شيئًا تخفف المعاناة، وتقرب ساعة النصر المبين؟!!.

أخلاقه وعبادته:

كان الشهيد من شباب مسجد قبيا لا يجد سلواه ولا طمأنينة قلبه إلا في المسجد بين إخوانه من الفتيان المؤمنين، فكان قلبه معلقًا بالمسجد، فيكثر المكوث والاعتكاف فيه وخاصة في العشر الأواخر من رمضان، وكان على رأس الإخوة في نشاطهم وعباداتهم، وكنت تراه حزينًا شاردًا عندما يفوته أحد الأعمال العبادية المحببة إلى روحه ونفسه. أما أخلاقه. . فحدث ولا حرج. . شاب كريم النفس خلوق ومؤدب وخاصة في تعامله مع إخوانه. . . لقد كان محمد مرحًا باسمًا ترى في وجهه براءة الأطفال، وفرحة العصافير المغردة فوق الأغصان، لين الجانب متواضعًا يقوم بواجبه على أحسن حال، متعاونًا مع الآخرين سواء من كان يعرفه أو لا يعرفه. . . كان يحب الناس وخدمتهم والمساعدة في الأمور كلها. . .

وعندما تسأل الأهل عن محمد تنساب حبّات دموع حزينة لترسم على الوجوه صورة حقيقية للحب الذى كان يتمتع به بين أفراد أسرته. فكان عمود الأسرة يقوم بمعظم أعمال البيت الخارجية.. وكان مرحًا مع أشقائه وشقيقاته، دائم التذكير لهم بالله والصلاة والصيام.. ومن حبّه لأمّه فقد كان يجمع المال من أجل أن تذهب للحج إلى بيت الله الحرام.

أما إخوانه فيتذكرون محمداً: ذلك الفتى الحى المحب لخدمة إخوانه، فيقوم بكل الأعمال - وخاصة فى الإفطارات والاعتكافات - فيحضر الطعام، وينظف المسجد، إذا ظلم سامح وعفا وأتبعها بابتسامة صادقة.

لم تكن ثقافة محمد عالية، ولم يكمل تحصيله العلمى، فدرس حتى الصف الثانى الإعدادى ثمَّ خرج لمساعدة والده، لقد حفظ آيات من كتاب الله وأحاديث لرسول الله ﷺ وذلك بالتزامه بالمسجد ودروسه وحلقاته. فقلما كانت تفوته موعظة أو يتأخر عن درس أو حلقة.

دوره فى الانتفاضة:

لقد كان الشهيد من الأوائل الذين يتصدون لجنود الاحتلال عندما كانت تقتحم القرية، فتميز بشجاعة منقطعة النظير، وإذا فاته لقاء أو مواجهة مع العدو الغاصب ظهر ذلك فى وجهه فترى أمارات الحزن والأسى إذ لم يشهد المعركة بين جند الحق وبين جنود الباطل والطاغوت، ولسان حاله يقول: «والله لئن لقيتهم بعد اليوم ليرين الله ما أصنع».

لم ينس محمد فضل الشهيد ومكارم الشهادة، لذا كان دائم الذكر لها مستعداً للقاء الأحبة محمد وصحبه. يقول أحد إخوانه: «إنه قال له قبل استشهاده بفترة بسيطة: إذا أنا استشهدت فلتكن مسيرة الجنازة مسيرة إسلامية خالصة». وتقول والدته: «لقد قال لى هذه صور لى إن أنا استشهدت تعطيها للصحافة»... لقد كان يسر سروراً بالغًا عند ذكر قصص الشهداء وخاصة عندما يتحدث أحدهم عن كرامة من كرامات الشهداء، وبعد حادثة «عيون قارة» ودع والده قبل استشهاده، وأوصى أن يدفن بجوار خاله الشهيد أحمد يعقوب الذى استشهد فى ١٤/ ١٠/ ١٩٨٨.

حادثة الاستشهاد:

كانت الأرض تهتز تحت أقدام المحتلين، فدفعوا بقوات هولاكية كبيرة إلى المدن والقرى والمخيمات للسيطرة على الوضع المتفجر الذى حدث بعد مجزرة «عيون قارة»، وانتشرت السواعد الرامية على مفارق الطرق وشوارع المستوطنات لاصطياد المجرمين، فتقدمتهم بالحجارة وهى تردد ذلك الهتاف المزلزل «الله أكبر. . . الله أكبر». . نزل محمد ومجموعة من إخوانه فى ٢٣/ ٥/ ١٩٩٠م إلى (بدرس) بمحاذاة معسكر الجيش المحتل، حيث هاجم الشبان الغاضبون بحجارتهم معسكر التدريب، فجن جنونهم، وهم يرون هؤلاء الفتية يهاجمون معسكراً كاملاً مليئًا بالآليات العسكرية والبنادق والقنابل والرصاص بأنواعه. . ألا يخافون ؟! كيف يجرؤون؟! فنحن لا نجرؤ على مهاجمتهم ونحن نحمل هذا العتاد فكيف يهاجمون هم معسكراً بالحجارة ؟! تتردد هذه الأسئلة فى نفوس الجنود المنهارين. . لكنهم لا يعرفون الجواب. . إنه إيمان قوى يعمر القلوب، وإرادة صلبة قوية تبغى الحرية والعزة ولا تقبل الضيم أو الهوان.

أطلق الجنود من خلف جُدرهم النيران بكثافة على الشباب. . . رصاصًا حيًا من نوع دمدم أو من أنواع أخرى كثيرة. . . فأصيب محمد برصاصة فى مقدمة الرأس وخرجت من المؤخرة مخترقة بذلك الدماغ كله. . . ويُحمل محمد على الأكتاف وينقل إلى مستشفى رام الله، وتجرى له عملية جراحية استغرقت أكثر من تسع ساعات لكن محمداً كان قد كتب مع الشهداء، فارتفعت روحه إلى السموات العلا عند رب عظيم يمهل ولا يهمل: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ففى الخامسة والربع من صبيحة يوم الخميس ٢٤/ ٥/ ١٩٩٠م كانت روح محمد فى حواصل طير خضر تروح وتجيء فى الجنان مع الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

جنازة الشهيد:

اختطفت السواعد الرامية الجثمان من المستشفى، وسارت عبر الجبال إلى قريته قبيا وما إن سمعت القرى المجاورة بالنبأ حتى امتلأت الطرق بالشباب المؤمن. . . جاءوا من الأودية، من رؤوس الجبال، من الطرق الوعرة الصعبة، جاءوا يودعون أخاهم

الشهيد. . . وانطلقت سماعات المسجد بصوت رخيم تنعى الشهيد البطل محمد سمير الحلحولى ليصطف الشباب أمام جثمان محمد وهم يرددون القسم. . . العهد. . . بالوفاء لدمائه والثأر من قتلته إن شاء الله.

انطلقت مسيرة حاشدة تقدر بأربعة آلاف شخص تحمل الشهيد على الأعناق فما شهدت القرية عرسًا كعرس محمد، ولا اتحادًا كيوم زفاف محمد. . . الرايات تملأ الأفق، والأعلام المزينة بـ لا إله إلا الله تتقدم الجموع، وقد لُف الجثمان الطاهر بالعلم المحلى بشهادة التوحيد.

لقد كانت الدموع تملأ المآقى وشباب حركة المقاومة الإسلامية «حماس» يهتفون «الله أكبر. . . ولله الحمد» لقد هتفت الجموع بسقوط غصن الزيتون وأنه لابد من حمل البندقية. . . «اشهد يا شجر الزيتون على جرائم صهيون» « مسلم من أرض القطاع. . هو اشترى وغيره باع» ولم يردد فى المسيرة الحاشدة إلا الشعارات الإسلامية وذلك إنفاذًا لوصية الشهيد.

أما بيت العزاء فقد أمه أناس كثيرون، وكان الشباب المسلم يستقبلون الناس فى بيت والد الشهيد أربعًا وعشرين ساعة وذلك طوال أسبوع أو أكثر.

لقد أقيم حفل تأبينى للشهيد فى المسجد تحدث فيه الكثير من الإخوة الذين أشادوا بالشهيد والشهادة.

ردود فعل حول الاستشهاد:

كان والده صابراً محتسبًا فلم يجزع، ولم يقل إلا ما يرضى الله - عز وجل - بل قال: « هذا ما تمناه ابنى والحمد لله على ذلك. . هذه رغبتك يا ابنى محمد، الله يرضى عليك».

أما والدته فكانت مثالاً يحتذى، حيث لا جزع ولا عويل، بل كانت تذكر خالات الشهيد بالصبر وعدم الجزع، وقالت لوالده: «لا تحزن يا أبا محمد فها أنا فى بطنى محمد» وكانت قد رأت فى المنام ليلة إصابته مسيرة ضخمة. . . لقد كان بيت الشهيد كله صابراً محتسبًا صغيراً وكبيراً. إنها وصية محمد الذى كان يتحدث عن الشهادة أمام أمه وخالاته، وطلب من أمه أن تزغرد عند استشهاده فقالت له: ألا تكفى فجيعتنا

بخالك أم تريد أن تفقد صوابنا. فقال: «أنا برىء من كل واحدة تغضب الله، فتشق ثوبها أو تلطم خدها. . .» وكانت أمه عند حسن الظن.

أما ردود فعل إخوانه من شباب السواعد الرامية فى قرى بدرس وقبيا، فقد هاجموا المعسكر وكانت مواجهة عنيفة أصيب على إثرها عدد من أبناء القريتين.

لقد نعت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» شهيدها على الجدران، وأقسمت على ظهر المقبرة أن ترفع الراية من بعده وأن تكون حافظة أمينة لدماء الشهداء أبد الدهر.

ففى جوار الله اجتمع الشهيد مع خاله وسائر الشهداء بعد فراق طويل. وغداً فى جنة الله سيجتمعون مع رسول الله. . . فطاب المقام وطاب الصاحب.



***

الشهيد / رامى فريد قمحية

١٩٩٠/٦/٥



لقد بدأت قصة الشهيد (رامى) منذ يوم ولادته فى ٧/ ٥/ ١٩٧٧م، وليست قصة أى طفل تبدأ يوم ولادته إلا إذا كان هذا الطفل يرضع لبان الإسلام. . . لأن الإسلام باق ما دامت السماوات والأرض.

فلقد ولد رامى وتربى فى بيت إسلامى. . حيث كان والده وإخوته يواظبون على أداء الصلوات. . . وعرف شهيدنا الصلاة والصيام منذ كان عمره سبع سنين. . وكان منذ صغره من رواد المسجد الدائمين ـ وهو مسجد الحاج معزوز المصرى ـ حيث كان يحضر دروس القرآن والتجويد. . وقد عرف معنى الإسلام وأهميته فى حياة الناس. فكان مثال الشبل المسلم الحقيقى بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فكان لا ينقطع عن الصلاة، ويحافظ عليها جماعة، وينتقل بين أصحابه وإخوانه وأحبابه مبتسمًا دومًا، بشوش الوجه. . ينتقل كما تنتقل الفراشة من زهرة إلى أخرى، أما عن دراسته فكان مجتهداً فى دراسته ذكيًا فطنًا، وكانت عقليته الواعية أكبر من سنه، الذى لم يتجاوز الثلاثة عشر ربيعًا وكان يدرس فى مدرسة العامرية الإعدادية (فى الصف الأول الإعدادى).

الانتفاضة وحماس:

وانطلقت الانتفاضة فالتحق رامى بركب الدعوة الإسلامية المتمثل بحركة المقاومة الإسلامية (حماس).

قصة استشهاده:

فى يوم الثلاثاء ٥/ ٦/ ١٩٩٠ وفى ذكرى حرب حزيران (يونيو) الثالثة والعشرين ـ أعلنت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) أن هذا اليوم يوم تصعيد مميز وذلك فى بيانها رقم (٥٧) واندلعت مواجهات عنيفة فى مختلف المناطق - وخصوصًا عسكر القديم أو

الجديد ومخيم بلاطة ـ وبعد صلاة العصر نزلت مجموعة من شباب حركة المقاومة الإسلامية (حماس) إلى شارع صلاح الدين الأيوبى الذى ما من يوم من أيام الانتفاضة إلا وكان للاحتلال ومستوطنيه نصيب كبير من الهجمات والتصعيد، وما مر يوم إلا وتسمع فيه أصوات الرصاص والقنابل الصوتية والمسيلة للدموع. . . ولم يستطع الاحتلال القضاء على نشاط شباب المنطقة بالقيام باعتقال الشباب وتكسير أبواب البيوت، وهدم الأسوار واقتطاع الأشجار، بل لم يستطع الحد من نشاط الشباب فى تلك المنطقة. . فصمم جنود الاحتلال على الثأر والانتقام.

يقول والد الشهيد: إنه صلى العصر جماعة مع رامى فى ذلك اليوم ورجعا إلى البيت، ثم توجه رامى إلى أحد زملائه (جرح فى الحادث نفسه) وبعد لحظات سمعنا صوت إطلاق الرصاص، وأخبرنا بعض الجيران بأن رامى أصيب فتوجهنا إلى المستشفى حيث علمنا بعد ذلك باستشهاده.

وسألت والد الشهيد عن شعوره بصفته والدًا لولد أصبح فى قافلة الشهداء فقال: (أحمد الله سبحانه وتعالى على الشهادة والوسام الذى منحه الله لابنى. . . وأنا أشعر بالفخر والاعتزاز).

نزلت مجموعة من سواعد (حماس) إلى الشارع، وكانوا يحملون مكبرات الصوت وذلك لإلقاء البيان. . وبدأ الشباب بالكلام. . وكانوا يحملون رايات خضراء كتبت عليها كلمات التوحيد. . وما إن شارف الشباب على الانتهاء وإذا بإحدى الدوريات تهاجم المنطقة فجأة فاستعد الشباب للهجوم والانسحاب فى نفس الوقت. . ولكن كانوا قد أعدوا خطة لمثل هذا الحدث. . فقامت بمحاصرتهم والالتفاف عليهم، وأخذوا يطلقون النار عليهم بغزارة. . فأصيب رامى (١٤ عامًا) برصاصتين من النوع الحى: الأولى فى خاصرته والثانية فى رجله وأصيب شاب آخر (١٥ عامًا) وكانت حالته خطرة فأخذ جنود الاحتلال (رامى) وضربوه بشدة إلى أن نزفت دماؤه الطاهرة !! ثم قاموا بعدها بتسليمه لإحدى سيارات الإسعاف التى نقلته إلى مستشفى الاتحاد ولكن روحه الطاهرة كانت قد غادرت جسده الندى. . . ويقول طبيب فى المستشفى إنه سمع رامى يردد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فكان النطق بالشهادتين آخر كلامه.

وعن إصابته يقول والده: إن إحدى الرصاصات اخترقت كبد الشهيد. وعن رد فعله ورد فعل العائلة يقول والد الشهيد (لم أقل سوى: لا حول ولا قوة إلا بالله). وكان رد فعل العائلة يعكس درجة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فوقفت والدة الشهيد موقفًا شجاعًا وصبرت وتحملت فراق فلذة كبدها، ويقول خال الشهيد: الحمد لله هذه العائلة مسلمة ومتمسكة بالإسلام، فبعد أن ذكرناهم ما للشهيد من أجر صبروا، فالعائلة على قناعة بهذه الحقائق وكان تذكيرهم بالأمر خير معين لهم لكى يعيشوا مع هذه الحقيقة.

ويذكر أن الطبيب الجراح الذى خرج من غرفة العمليات بعد استشهاد رامى بادر والده قائلاً: الحمد لله لقد رزق الشهادة! وما إن وصل إلى مستشفى الاتحاد حتى حاصرت قوات الاحتلال مدخل المستشفى، لكن السواعد الرامية لحماس استطاعت اختطاف الجثمان، ونقلوه من طريق وعرة فرعية إلى مسجد الإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه- حيث تجمع الناس من كل مكان وصلوا عليه، وتم دفنه فى ساحة الشهداء فى المقبرة الغربية بجانب إخوانه الشهداء.. ليلحق بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وسار فى توديع الشهيد شبان الحى وهم يهتفون وينشدون الأناشيد الإسلامية.

قراءة القرآن:

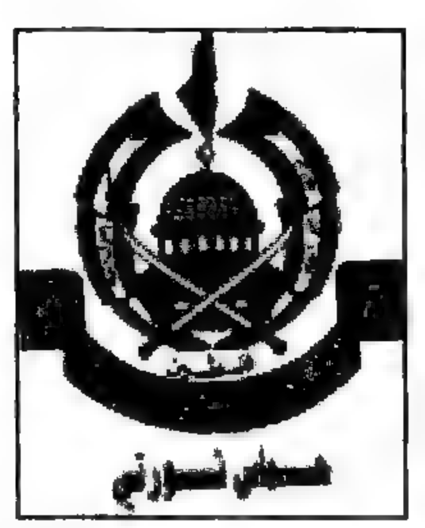
كان شهيدنا يحب تلاوة القرآن وفى أول يوم من رمضان التقى أحد إخوانه فرحًا سعيدًا، وعندما سأله عن سبب هذه السعادة قال رامى: لقد قرأت اليوم ثمانية أجزاء من القرآن! ويقول والد الشهيد: إن رامى كان يحضر من المدرسة فيضع حقيبته وقبل أن يتناول طعام الغداء كان يذهب للصلاة جماعة ويحضر بعض الدروس الدينية والتربوية. رحم الله شهيدنا وأسكنه فسيح جناته.

***

الشهيد/ مجدى عبد حميدان طه

١٩٩٠/١٠/٧

مولده ونشأته:



ولد الشهيد مجدى عبد حميدان فى ١٥/ ٤/ ١٩٧٣ فى حى الواد من البلدة القديمة فى القدس، والشهيد خامس خمسة ذكور فى أسرته، وله أربع شقيقات وقد أنهى دراسته الابتدائية حتى الصف السادس ثم اتجه للعمل فى مهنة الحدادة حتى يوم استشهاده. .

كان الشهيد ممن ذاقوا مرارة السجن والاعتقال، وأمضى ١٨ يومًا فى زنازين الجلادين الصهاينة، حيث تعرض - رحمه الله - إلى أبشع أصناف التعذيب على أيدى المجرمين الحاقدين من أبناء القردة والخنازير.

فى ليلة الاثنين ٧/ ١٠/ ١٩٩٠م اتصل الشهيد بجميع أصدقائه وطلب منهم ضرورة الحضور إلى المسجد الأقصى فى صباح اليوم التالى للدفاع عنه، ومنع اليهود من تدنيسه ووطأة أقدامهم النجسة، وفى صبيحة يوم الاثنين - يوم المجزرة - توجه مجدى إلى صالون للحلاقة، فحلق شعره، واستحم ثم توضأ، وتناول بعض الطعام، وخرج من البيت متوجهًا إلى المسجد الأقصى إلا أن أبوابه كانت مقفلة، فأعاد الكرة مرة أخرى حتى استطاع الدخول من باب المجلس ليلتحق بصفوف المرابطين فى المسجد الأسير.

وحين بدأ المجرمون بإطلاق النار كان مجدى ضمن مجموعات الشبان الذين حاولوا اقتحام المسجد بالحجارة، ولكن قدر الله تبارك وتعالى كان نافذًا فأصيب بأربع رصاصات فى القلب، ورصاصة خامسة فى المعدة، وهناك سالت الدماء الزكية. . دماء مجدى وتعفر الوجه الصبوح بالثرى، وسقط ولسان حاله يقول:

أنا لله قــد نذرت حـيــاتى   وســألت الإله حسن الثبــات

فــإذا ضَـمَّـخَتْ دمـائى صـدرى   واحـتـوانى الثـرى وضم رفــاتى

فاذكرونى يا إخوتى فى الصلاة

ردود أفعال حول استشهاده:

يقول والده : لم أعلم باستشهاد مجدى إلا عند الساعة الواحدة وخمس وأربعين دقيقة ، كنت فى حينها عند أحد معارفى ، فسمعنا أن مواجهات عنيفة تجرى فى ساحات الأقصى سقط على إثرها شهداء وجرحى كثيرون . . . اتصلت بأحد معارفى ، فدعانى للحضور على الفور ، عندها سألته : هل استشهد مجدى؟ فقال : لا ، لقد أصيب ! ! توجهت إلى البيت ، فوجدت والدى يبكى ، طلبت منه التوقف فوراً عن البكاء ، لم يتمكن الشباب من إدخاله إلى بيتى ، بل وضعوه فى بيت آخر ، فتوجهنا إلى ذلك البيت ، أقبلت على مجدى ، وكان جثة هامدة ، قبلته وبدا مستيقظًا مبتسمًا . . خاطبته قائلاً : كم كنت أتمنى يا ولدى أن أزفك شهيداً ، ويضيف والد الشهيد : حين أويت إلى الفراش فى ساعة متأخرة من يوم الاثنين ألقيت رأسى على المخدة ، ورحت أبكى ، . . لقد رأيت مجدى فى نومى ، جاء يدلنى على مكان استشهاده ، ويشير إلىّ بأصبعه ، ولم أكن أعلم وقتها مكان استشهاد ولدى ، وذهبت فى اليوم التالى إلى نفس المكان الذى رأيته فى منامى لأرى إن كان هو نفس المكان ، فأكد لى أحد الذى شاهدوا مجدى فى اللحظات الأخيرة أنه المكان الذى استشهد فيه .

وهكذا نام مجدى فى بيت المقدس مع الصديقين والشهداء ، وارتفع مقامه فى الأرض ، كما ارتفع إلى مقام أعلى فى السماء .

***

الشهيدة / مريم مصطفى زهران

١٩٩٠/١٠/٨



ولدت الشهيدة أم مصطفى فى قرية القبية عام ١٩٣٥م تزوجت فى القرية، وزوجها يعمل سائقًا، ولها من البنين خمسة، ومن البنات اثنتان، إضافة إلى أربعة إخوة، وأربع أخوات.

نشأت فى بيت متدين، وكان طبيعيًا أن تداوم على الصلاة والصيام سواء منها الفرائض أو النوافل... وكانت- رحمها الله- تحيى ليالى رمضان بصلاة التراويح وتحرص على قيام ليلة القدر بخاصة فى الأقصى.

يروى أحد إخوتها أنها رأت فى المنام وهى صغيرة أنها تدخل المسجد الأقصى وتشاهد غرفة مضيئة يتجمهر حولها الناس، فسألت ماذا هناك؟ فقيل لها إنه الرسول عليه الصلاة والسلام، فدخلت عليه وهو يصلى، فما كان منها إلا أن طفقت تقبله، وحين أخبرت والدها سُرَّ كثيراً ودعا لها بالخير.

ويذكر أولادها أنها كانت تحرص كثيراً على تربيتهم والتزامهم بالدين. وإذا كان كثير من الآباء والأمهات يرسلون أبناءهم للعمل والدراسة فى الخارج ولا يبالون بدينهم أو خلقهم فإن الشهيدة أم مصطفى كانت كثيراً ما توصى ولديها المسافرين بالمحافظة على دينهم وأخلاقهم، حيث إن أحد أولادها يدرس فى أمريكا والآخر فى إيطاليا. كان شوقها للأقصى كبيراً جداً، وكانت تزوره كلما سنحت لها فرصة.

ويتحدث أقاربها عن حسن أخلاقها وتعاملها وكرم نفسها الكثير مضيفين إلى ذلك ما تميزت به الشهيدة من شجاعة وبطولة من خلال مظاهرات ومسيرات عديدة. ويضيف أحد أبنائها بأن والده أبو مصطفى قد سجن عام ١٩٦٨ فكانت رحمها الله فى تلك الفترة الأم والأب ولم يشعروا بغيبة الوالد.

حادثة الاستشهاد:

عندما سمع الناس بنية اليهود اقتحام المسجد الأقصى المبارك، تحفزوا منذ الصباح الباكر شيبًا وشبانًا ورجالاً ونساءً وصغاراً وكباراً، لذلك نجد أن شهداء الأقصى تنوعوا بين هؤلاء جميعًا. وليس هناك اليوم فى فلسطين ما يثير الناس ويجعلهم يقبلون ولا يبالون أوقعوا هم على الموت أم وقع الموت عليهم، مثل الاعتداء على المساجد وبخاصة مسجد الإسراء الذى أحبه المسلمون فأصبح جزءاً من قلوبهم كما هو جزء من عقيدتهم. لقد سمعت أم مصطفى بالحادث كغيرها وهبت للدفاع عن الأقصى بالرغم من سنها، ومن كونها امرأة لا تستطيع التصرف أو الجرى أو غير ذلك.

يقول أحد أولادها إنه أيقظها يوم الاثنين ٨/ ١٠/ ٩٠ لصلاة الفجر وبعد الصلاة انشغلت فى أعمال البيت حتى الساعة الثامنة والنصف.. حيث عادت ابنتها مع الطلبة العائدين من مدارسهم احتجاجًا على نية اليهود دخول الأقصى ووضع حجر الأساس لهيكلهم المزعوم.. وهنا طلبت أم مصطفى من بنتها أن تكمل عنها صنع الحلويات التى بدأت بها حتى تذهب هى للأقصى.. فخافت البنت على والدتها وحاولت أن تستبقيها.. فقالت الشهيدة إن كان لى نصيب فسوف آكل من هذه الحلويات وإن استشهدت فوزعوها على روحى.. ثم توجهت إلى المطبخ ووضعت فى جيب ثوبها عدة رؤوس من البصل.. ثم توضأت وركبت مع ولدها فى سيارته واتجهت إلى القدس.

وفى الساعة الحادية عشرة خرجت من بريد القدس إلى باب الساهرة حيث حاول ولدها إرجاعها معه إلا أنها صممت على الذهاب إلى الأقصى برغم سماعها لإطلاق الرصاص.. وبمجرد دخولها كانت المواجهات بين القوات الإسرائيلية والمسلمين على أشدها... والتقت ببعض الشباب فأعطت بعضهم شيئًا من البصل، وبينما هى كذلك أصيب أمامها أحد معارفها فى ظهره فاقتربت منه لتنظر ماذا جرى له فإذا برصاصة غادرة تصيبها فى وجهها الطاهر وأخرى فى صدرها فسقطت ولسان حالها يردد:

قد عفّر الوغدُ وجهى بالدم القانى ... ومــزّق العلج أثوابى وأردانى
فصحت علّ صلاح الدين يسمعنى ... أو علّ حيدرة الفرسان يلقانى

فخرج بها الشباب من جهة باب حطة، وأقبل آخرون يحملون بابًا خشبيًا فوضعوها عليه وأقلتهم سيارة باتجاه مستشفى المقاصد. وفى آخر طلعة الطور منعهم الجنود من الاتجاه إلى المقاصد وأطلقوا عليهم قنبلة صوتية فذهبوا بها إلى المطلع فاستشهدت قبل الوصول.

لقد كانت- رحمها الله - مصممة على الشهادة وطلبتها بصدق فلقد لقيها بعض معارفها فى الأقصى وأشاروا عليها بالعودة وألحوا فى ذلك فاستحلفتهم بالله أن يتركوها وألا يحرموها الشهادة وها هى تنالها. وفى أثناء الحديث يقول أحد أقاربها: إن لم ندافع نحن عن مقدساتنا فمن يدافع؟ الزعامات العربية؟ ويضيف أحد الذين حملوا الشهيدة أم مصطفى إلى المستشفى حتى لا يراها الجيش الذى كان يحاصر المكان «وضعناها فى سيارة واتجهنا إلى بيتها فى قرية القبية وما هى إلا لحظات حتى تجمع الآلاف من القرية والقرى المجاورة وحملت الشهيدة إلى المسجد للصلاة عليها ثم إلى المقبرة حيث ألقيت بعض الكلمات».

ويروى بعض الحاضرين أن الجيش عندما رأى هذه الحشود لم يقترب، إلا أنهم عادوا بعد يومين وأزالوا الأعلام المرفوعة على القبر وعلى بيت الشهيدة، وقاموا فيما بعد بتغريم بعض أقارب الشهيدة وأهالى البلدة بسبب وجود شعارات على بيوتهم.

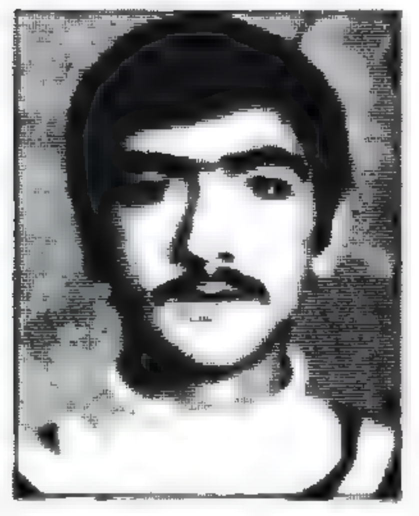
وهكذا عادت النفس الراضية المطمئنة إلى ربها، لتحيا مع الصديقين والشهداء، ارتفع مقامها العلوى فى الأرض إلى مقام أعلى فى دار البقاء، وقد استشهدت دفاعًا عن الأقصى فى الأرض وثارت تحت لواء الحق لتفوز بالبعث تحت اللواء إن شاء الله رب العالمين.

***

الشهيد / موسى عبد الهادى السويطى

١٩٩٠/١٠/٨

مولده ونشأته:



ولد الشهيد موسى عبد الهادى السويطى فى عام ١٩٦٤م، فى مدينة القدس، والشهيد من عائلة تنحدر أصلاً من بلدة دورا فى محافظة الخليل، وللشهيد تسعة إخوة من أمه وزوجة أبيه، وتسع أخوات.

درس حتى الصف الثانى الإعدادى ثم خرج إلى الحياة العملية فى إعالة العائلة الكبيرة، ولم يستقر الشهيد فى عمل محدد بل عمل فى أشغال مختلفة.

وعن آخر أيامه يروى شقيقه عادل فيقول: فى الأيام الأخيرة التى سبقت استشهاد موسى شعرنا بتغير ملموس على حياته.. فأراد أن يستقر وأن يبدأ حياة جديدة، فقد مرت على موسى فترة كبقية الشباب فى سنة من الضلال والضياع وعدم الاستقرار.

فى ليلة استشهاده حضر إلى البيت وأحضر معه الخضار والفاكهة، وكان مرحًا على غير عادته، وأصر على تغسيل يدى والدته، ثم تحدث عن رغبته فى الزواج.. وتحدث عن رغبته فى الشهادة، وتمنى أن ينالها.. كان على علم بنية اليهود الدخول إلى المسجد الأقصى فى صبيحة اليوم التالى، ولم يخف رغبته فى الذهاب إلى الأقصى للدفاع عنه.

حادثة الاستشهاد:

فى الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم الاثنين ٨/ ١٠/ ١٩٩٠م استحم موسى فى بيته، ثم توجه إلى المسجد الأقصى بعد أن سمع مكبرات الصوت، تنادى بضرورة التوجه إلى الأقصى للدفاع عنه.. وهناك وقف مع الجموع المحتشدة التى أمت الأقصى من كافة البلاد، وكانت من نصيب موسى رصاصة أصابته فى مقتل ليسقط مضرجًا بدمه فى باحة المسجد الأقصى.

رحم الله الشهيد وجعلنا وإياه من عباده الصالحين.. اللهم آمين.. آمين.

الشهيد/ برهان الدين عبد الرحمن كاشور

١٩٩٠/١٠/٨

مولده ونشأته:



ولد الشهيد برهان الدين عبد الرحمن عبد السلام كاشور فى ٢٧/ ٧/ ١٩٧١م فى سلوان/ القدس من عائلة هاجرت من مدينة الخليل، واستقرت فى المدينة المقدسة قرب حارة السعدية، وأسرة الشهيد مكونة من ستة أشقاء، خمسة ذكور، وأنثى واحدة.

أنهى تحصيله العلمى الثانوى عام ١٩٨٩م، وحصل على شهادة الثانوية العامة (التوجيهى) بمعدل ٧٥٪ وكان ينوى السفر إلى أميركا لإكمال دراسته.

عرف الشهيد برهان بتدينه، ودماثة خلقه، وحبه للناس، وكان شعاره الدائم حديث الرسول ﷺ: **« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير»**. ولذلك فقد درب جسمه بشكل كبير على عدد من المهارات الرياضية فأتقن الجمباز والكاراتيه، ثم أصبح مدربًا للجمباز لفتية بيت المقدس، وكان يحب أن يمارس هذه اللعبة على أسوار القدس وفى باحات المسجد الأقصى المبارك مستعرضًا قوته أمام أعداء الله. وشعاره **«رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة»**.

لقد جمع الشهيد من صفات الخير ما جعله محبوبًا لدى الناس، أحبه أهله وأصدقاؤه، وجيرانه، وإخوانه من شباب المسجد الأقصى المبارك الذى أحبه من كل قلبه. يقول والد الشهيد: نشأ برهان هادئ الطباع خلوقًا لا يصدر عنه صراخ أو ضجيج، وكان اجتماعيًا يشارك الناس أفراحهم وأتراحهم... لا يتوانى عن فعل الخير.

حادثة استشهاده:

توجه برهان ـ رحمه الله ـ إلى المسجد الأقصى ليؤدى صلاة الفجر من يوم الاثنين ٨/ ١٠/ ١٩٩٠، وكان الشهيد قد أصر على الذهاب إلى المسجد الأقصى للصلاة

فيه. . . فقام فجر ذلك اليوم، توضأ وهرول مسرعًا نحو بيت الله حيث كان يقضى معظم أوقاته هناك. . . تقول والدة الشهيد: لقد أرسلت وراء برهان أكثر من مرة، وطلبت منه أن يعود إلى البيت، إلا أنه كان يعتذر. . . وكان يبعث لى مع من أسألهم بردود يقول فيها: إنى باق فى المسجد الأقصى لنيل الشهادة، وتصف الوالدة قائلة: قبل أن يذهب برهان للصلاة قال لى: إنى ذاهب للاستشهاد فى الأقصى وأنه يتمنى أن يصاب بقنبلة فى رأسه، وأشار إلى نفس المكان الذى أصيب به فعلاً وعندها قلت له: «ليش يمه بتقول هيك»؟ فأجابنى: إن الشهادة مرتبة من أعلى المراتب فقلت له: «دير بالك يمه». وتقول أم الشهيد: عند الساعة الحادية عشرة سمعنا أصوات الرصاص فأحسست بالقلق وعندما حضر والده طلبت منه أن يذهب ليستفسر عنه. . . ذهب فلم يجده، لقد كانت أبواب المسجد مغلقة، فاتجه إلى مستشفى المقاصد، ووجده هناك. . . كان برهان أول من وصل إلى هناك شهيداً. . . فهو أول من سقط فى المجزرة، وهذا فخر ما بعده فخر، وشرف ما بعده شرف، فكانت دماؤه أول دماء روت ثرى مسرى الرسول ﷺ لتلقى دماء الصحابة والتابعين الذين خضبت دماؤهم هذه الأرض الطيبة على مدى القرون الماضية.

لقد أصيب الشهيد بعيار نارى فى دماغه مما أدى إلى تفجره، وكان استشهاده بالقرب من المسجد الأقصى على بعد لا يزيد على ٢٠ متراً من باب المغاربة. . . لقد عاد والد برهان إلى بيته وبشر زوجته قائلاً: «برهان أول شهيد يسقط فى الأقصى». نقل برهان من المستشفى تمهيداً لدفنه. . . ولم يتمكن الشباب من إدخاله إلى البيت بسبب وجود جنود الاحتلال الذين أطلقوا قنابل الغاز والعيارات النارية على الشباب الذين أحضروا جثمانه إلى البيت، فأدخلوه إلى بيت الجيران حتى انصرف المجرمون فقمنا بمواراته الثرى.

وعن استشهاده تقول والدته – وهى أم مؤمنة وصابرة: يوم استشهاد برهان. . . هو يوم زفافه. . . لن ننعاه ولن نبكى عليه. . . وكما ترون فإننا نوزع الحلوى والشراب. . . وبرهان استشهد دفاعًا عن الأقصى، ويا ليتنا ننال ما ناله. وتقول: لقد استشهد برصاص الضابط الصهيونى الذى قال للشباب المسلم قبل المجزرة «هذا يومكم يا مسلمون سوف أحصدكم كما تحصدون القمح». ختمت والدة الشهيد حديثها إلينا

قائلة: كان برهان يستمع إلى أغانى الشهادة وخاصة أنشودة: يا عشاق الشهادة. وأخيراً أقول لكم: إن المجزرة لن تزيدنا إلا إيماناً وإصراراً على الصمود.

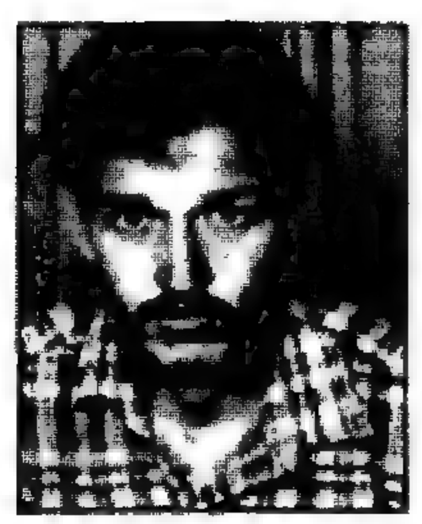
رحمك الله يا شهيد وأسكنك فسيح جناته، وكفاك فخراً أن تكتب مع شهداء الأقصى المبارك.



مسرى الرسول.. فمن له؟!

الشهيد / جادو محمد راجح زاهدة

١٩٩٠/١٠/٨



هؤلاء الشهداء لا يعرف بعضهم بعضًا . . . خرجوا إلى الأقصى فكانت دماؤهم هى التى تتعارف فى ساحاته . . وعند الله تبارك وتعالى تتآلف أرواحهم فى جنَّاته . . هؤلاء اجتمعوا على غاية عظيمة . . . غاية العقيدة والدفاع عن الأقصى ، فكتبوا بدمائهم تاريخ أمّة تبحث عن كرامتها وعزتها . . آمنوا وكان إيمانهم يزن إيمان الأمة جميعًا إذا ادلَهَمَّ عليهم الخطب وأحاطهم اليهود من كل جانب ، ارتفعت صيحاتهم بكلمة التوحيد ، والله يسمعها والملائكة . كانوا الأوفياء الذين حفظوا دعوة الله يوم أن كادت تؤذن بالزوال وتساقطوا واحدًا بعد واحد ولكنهم كلما سقط واحد منهم ازدادوا مثابرة وصبرًا ويقينًا .

مولده ونشأته:

ولد الشهيد جادو محمد راجح زاهدة عام ١٩٦٤ ، ويأتى ترتيبه الثانى ، بين إخوته وأخواته البالغ عددهم تسعة أشقاء ، وشقيقتين .

روت والدته بعضًا من سيرة حياته ، فقالت : أنهى جادو الصف الأول الإعدادى ، ثم ترك مقاعد المدرسة . . واعتقل أكثر من مرة ، كان آخرها قبل شهرين . . تعرض خلال فترات الاعتقال تلك لصنوف التعذيب المختلفة .

قمنا بزيارة شقيقه عدنان فى معتقل عسقلان . . . وخلال تجمهر ذوى المعتقلين . . . قام جندى بالاعتداء بضرب إحدى المواطنات . . . فتصدى له جادو ، وتعارك معه . . اعتقل فى أعقابها ، وتمت مصادرة بطاقته الشخصية ، ومنذ ذلك التاريخ لم يستعد جادوا بطاقته ، وظلت محتجزة عندهم . . . عرف عن جادو طيبته . . وحبه للناس . . كما كان يتفاعل مع أحداث الانتفاضة ، ويغضب للشهداء الذين يسقطون كل يوم . . .

حادثة الاستشهاد:

تصف والدة جادو، يوم استشهاد ولدها فتقول: في يوم استشهاده... قام من نومه مبكراً.. أدى صلاة الفجر ثم أحضر السيارة التى كان من المقرر أن تنقلنى إلى سجن شطة لزيارة شقيقه عدنان بعد أن أعد لى فنجانًا من القهوة، كما أعد فطوراً لإخوته الصغار..

قبل خروجى من البيت طلبت منه عدم المغادرة، إلا أنه رفض وقال: بل سأخرج لأجاهد، وأستشهد فى الحرم، وأوصانى أن أزغرد إن هو استشهد.

بعد أن عدت من زيارة شقيقه عدنان، سمعت مجموعة من النسوة تجمعن بالقرب من مستشفى المطلع، يصرخن، ويقلن: «لقد استشهد جادو»... عدت مسرعة إلى البيت فلم أجده.. قالوا لى بأنهم لم يتمكنوا من إحضار جثته إلى البيت واضطروا إلى وضعها فى مسجد الشيخ عنبر فى الزعيم... توجهت إلى هناك، فكان جادو يرقد بهدوء... كشفت عن جسمه وكان الدم يغطيه. لقد أصيب بثمانى رصاصات فى عنقه ورأسه وصدره وظهره.. وسقط فى ساحة الصخرة المشرفة، وهو يحاول نقل أحد الجرحى، رغم إصابته ورغم جراحه النازفة...

وفى جوار الله اجتمع شهداء الأقصى مع شهداء الإسلام فى فلسطين على مر العصور بعد فراق طويل، وغداً فى جنّة الله سيجتمعون مع رسول الله.. فطاب المقام وطاب الصاحب...



الشهيد / فايز أبو سنينة

١٩٩٠/١٠/٨

مولده ونشأته:



ولد الشهيد فايز حسين حسنى أبو سنينة فى قرية سلوان ونشأ فى قرية العيزرية قرب بيت المقدس وذلك بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ١٩٧١م والشهيد فايز خامس ستة أشقاء ذكور وأربع إناث.

أنهى الشهيد دراسته الابتدائية فى مدرسة القرية، ثم أتم الإعدادية والثانوية فى المعهد العربى فى أبو ديس، كان مجتهداً فى دراسته، مؤدباً مع معلميه، حصل فى التوجيهى على معدل ٨٨.٢، فالتحق بكلية العلوم والتكنولوجيا لدراسة «علم الحاسوب»، لم يحصل على شهادة دنيوية، ولكن الله تبارك وتعالى اصطفاه لشهادة هى خير من شهادات الدنيا كلها.

أخلاق الشهيد:

كان الشهيد ـ رحمه الله ـ يتمتع بخلق إسلامى عال، كيف لا وهو الذى تربى فى أحضان المسجد ؟ فهو منذ نعومة أظفاره يتردد على المسجد، فأعمدة وأركان مسجد صلاح الدين فى العيزرية تعرف الشهيد، فهو من أنشط من ساعد فى عملية البناء وتوسيع المسجد المذكور، لقد كان فايز نشيطاً فى عمارة المسجد المادية، ولكنه كان أنشط فى عمارة المسجد المعنوية، فإذا ما ذهبت إلى مسجد صلاح الدين فستجد فى كل ركن من أركانه قصة مع الشهيد، ففى هذا الركن كان الشهيد يجلس ليحفظ أجزاء من القرآن الكريم، أما مكتبة المسجد فعرفت الشهيد قارئاً نهماً لكل ما تقع عليه يداه من الكتب الإسلامية، وعندما تنظر فى أرجاء المسجد فإنك ستجد للشهيد أثراً طيباً فى كل مكان.

فعالياته فى الانتفاضة:

كان الشهيد ـ رحمه الله ـ نشيطًا حاضراً فى كل الأعمال الجهادية التى يقوم بها شباب الإسلام، فكم من مرة هب الشهيد للتصدى للمستوطنين الذين كانوا يهاجمون العيزرية من وقت لآخر، فقد كان مقدامًا شجاعًا، فيذكر لنا بعض إخوة الشهيد الذين شاركوه فى نشاطاته أنه أول من كتب شعارات فى قريته يدعو فيها الفتيات المسلمات إلى الالتزام باللباس الشرعى، فهو ـ رحمه الله ـ كان خجولاً ذا نخوة إسلامية كبيرة، فكان عندما يسأل عن الجامعة يقول: «آه.. لو لم يكن فيها اختلاط».

حادثة الاستشهاد:

خرج الشهيد منذ الصباح الباكر يوم المجزرة إلى كليته وقد تناهى إلى سمعه خبر محاولة المجرمين انتهاك حرمة المسجد الأقصى المبارك.. خرج وهو يسمع استغاثة الأقصى ومناداته:

اسمعوا الأقصى ينادى نغمة ... نحن أهل القدس عنها لا نحول

إننى ما زلت أدعو قومه ... قبل أن أغدو بقايا من طلول

كان فايز ضمن المجموعات التى تجوب الأقصى ذهابًا وإيابًا، وهم ينظرون بعيون ثاقبة إلى كل الأبواب والمنافذ حتى لا يستطيع أعداء الله الدخول وتدنيس المسجد الطهور... وتدور رحى المعركة... وقودها الجماجم والدماء... ويقوم الشهيد وهو المقدام الشجاع ولسان حاله يقول:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا[1] ... ولكن على أقدامنا يقطر الدم

وتدخل جحافل الأعداء إلى المسجد المبارك... ويستبسل الشباب المؤمن فى الدفاع عن مسجدهم ومسرى نبيهم ﷺ...

أصيب الشهيد فى البداية برصاصة مطاطية، وكان يقف فى باحة مسجد الصخرة فقال لأحد إخوانه: لنذهب إلى الأقصى فهناك رصاص حى... «ومن ضمن آلاف الرصاصات التى انطلقت من بنادق المجرمين الرشاشة باتجاه الراكعين الساجدين الآمنين أصابت إحداها فايزاً فى خاصرته»...

(١) جراحنا.

عندما انكب عليه أحد إخوانه محاولاً إنقاذه عاجله النازيون بوابل من الرصاص أصابت إحداها رأس الشهيد فارتفع ليسجل فى قائمة الشرف مع الشهداء الذين قضوا دفاعًا عن أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وكان استشهاد فايز ـ رحمه الله ـ بالقرب من مصطبة باب المغاربة بجانب المتحف الإسلامى.

لقد كان أهل الشهيد فايز - كباقى أهالى الشهداء - مثالاً فى الصبر والاحتساب، وكان يتردد على لسانهم قوله تعالى: « إنا لله وإنا إليه راجعون. . . وحسبنا الله ونعم الوكيل ».

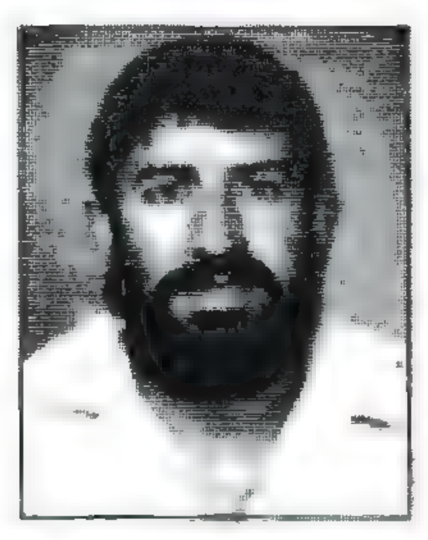
وهكذا نام الشهيد فى رقدته الأبدية إلى أن يقوم الناس للحساب، نام الشهيد علمًا مع الشهداء، وانتهت صولته. . . وخفتت أصداء تلك الأصوات التى ملأت سماء بيت المقدس بآيات التوحيد. . . وبكاه المسجد الحزين. . . بكته هضاب وجبال بيت المقدس مرددة قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

***

الشهيد / عبد الكريم وراد زعاترة

١٩٩٠/١٠/٨

مولده ونشأته:



ولد الشهيد عبد الكريم وراد زعاترة في عرب السواحرة/ جبل المكبر في مدينة القدس عام ١٩٥٠م، وللشهيد ولدان محمد (٢٠ سنة)، ونضال (١٧ سنة)، وكان يعمل - رحمه الله - في مهنة (التبليط)، هذا الرجل ما ارتضى الذل والهوان في حياته أبدًا، فحياته كانت رمزًا للحب والمودة والرحمة، كتلة من النشاط والحزم والجد، شجاعًا كريمًا ورعًا تقيًا معطاءً محافظًا على صلوات الجماعة وقيام الليل، وصيام الاثنين والخميس وكان يحرص بشكل كبير على صلاة الفجر بالرغم من بعد بيته عن المسجد.. تميز الشهيد بحياء جم والحياء من الإيمان فكان معطاءً مضحيًا، فكم من مرة أحضر إلى المسجد بعض الحلوى لإطعام إخوانه وإدخال السرور إلى قلوبهم.

أحب كتاب الله، فحفظ منه - رغم أعبائه - أربعة أجزاء وسجل اسمه للمشاركة في حفظ كتاب الله كاملاً، وكان حريصًا على مشاركة شباب المسجد في جميع نشاطاتهم، من صيام وإفطارات جماعية، كما كان أحد الذين يشرفون على البيوت المستورة ومساعدة الجرحى والمصابين.

حادثة الاستشهاد:

كان - أبو محمد - يتمنى الشهادة ويطلبها، أراد أن يلقى الله وهو راض عنه، أراد أن يموت ميتة كريمة، وفي يوم الحادث توجه إلى المسجد المبارك، ليدافع عنه، مستجيبًا لنداء حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وعلماء الأقصى المبارك، وشعاره كشعار إخوانه من شباب المساجد الذين هبوا لفداء الأقصى (لن تمروا إلا على جثثنا)، وأرواحنا فداء للأقصى، لقد كان (أبو محمد) في الصفوف المتقدمة التي دافعت عنه دفاع المستميت، وعند بداية الأحداث أصيب برصاصة غادرة أصابته في رأسه، فوقع

على الأرض ودماؤه تروى أشجار الزيتون فى باحة المسجد الطهور، سقط على الأرض ليرتفع إلى السماء عند مليك مقتدر، سقط ولسانه يردد بصوت متقطع: لا. . . إله. . إلا الله. . محمد. رسول. . الله. . لقد ارتفعت روح الشهيد إلى بارئها قبل أن يصل إلى المستشفى، لقد نظر من حوله إليه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة فوجدوا سبابته قد رفعت لتشهد شهادة الحق المبين، وروى أحد الذين حاولوا إسعافه قائلاً: إن رائحة المسك كانت تخرج من جسده، وكان متبسمًا وكأنه نائم.

كانت زوجته صابرة محتسبة، فعندما علمت بنبأ استشهاده حمدت الله تعالى، واسترجعت قائلة ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦].

وكانت تحث النساء على عدم النياح والبكاء، أما ابنه الصغير نضال، فقد أصر على رفع راية بيضاء على بيتهم بدل الراية السوداء وكتب عليها (لا إله إلا الله. . . محمد رسول الله).

رحمك الله أيها الشهيد وإلى جنات. . الخلد ونسأل الله أن يحشرنا معك فى الجنة شهداء صادقين.



الاحتلال يمنع الحياة

الشهيد / مجدى نظمى مصباح أبو صبيح

١٩٩٠/١٠/٨

مولده ونشأته:



ولد الشهيد مجدى أبو صبيح فى ١٤/ ٢/ ١٩٧٣م فى القدس وسكن فى بلدة الرام شمال القدس قرب مسجد بلال ابن رباح - رضى الله عنه - وللشهيد تسعة أشقاء ذكور، وتسع شقيقات، وقد عمل فى محل للحلويات يملكه والده، وبقى فى هذه المهنة حتى يوم استشهاده.

لم تتح الفرصة لشهيدنا لإكمال دراسته، فلم يُنه إلا الصف الثالث الابتدائى ليخرج بعدها إلى العملَ، ولمساعدة والده صاحب الأسرة الكبيرة، وكذلك أتقن مهنة ميكانيكا السيارات بالإضافة إلى مهنة (الحلوانى) التى أخذها عن والده.

واظب الشهيد على الصلاة منذ نعومة أظفاره وفى الفترة التى سبقت استشهاده كان يحرص على الصلوات جماعة فى المسجد، وخاصة صلاة الفجر. يقول بعض من يعرف مجدى إنه كان كريمًا ومتواضعًا وخجولاً ويحب الأطفال بشكل كبير، ولعله كان يعلم فى قرارة نفسه أنه لن يرزق فى هذه الحياة الدنيا مثلهم فأحبهم وعطف عليهم بشكل كبير.

شارك الشهيد إخوانه شباب مسجد بلال بن رباح نشاطاتهم، وكان يحب - رحمه الله - أن يقوم بتنظيف المسجد، وقبل استشهاده عزم على أن يلتحق بفريق كرة القدم التابع للمسجد.

حادثة الاستشهاد:

قبل استشهاد مجدى استحم وقال لأخته: إنى استحممت ولبست الأسود لأنى أريد أن أستشهد، وأوصاها بأن تزغرد له عندما يستشهد، وقال لها: إذا سجنت فلا تزورينى.

وفى يوم الاثنين وقبل استشهاده بربع ساعة تقريبًا أعطى مجدى أخاه الأكبر محفظته وهويته الشخصية . . إنها أفعال وأقوال تدل على الاستعداد النفسى للشهادة، لقد كان الشهيد دائمًا يقول لأهله إنه سيستشهد، ويوصيهم ألا يبكوا عليه .

كان مجدى ومجموعة من شباب المسجد يربضون للمحتلين عند دار القرآن داخل الأقصى، وعندما كثرت زخات الرصاص، والقنابل الغازية تراجع الشبان قليلاً، فدخل الجنود المدججون بالسلاح، وقامت طائرة هيلوكبتر بإطلاق الرصاص على الناس بشكل عشوائى فأصيب مجدى برصاصة فى بطنه، فسقط على الأرض ليرسم بدمه الطهور صورة الأمل الباسمة عند الرجال والأطفال فى بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، وهم يجابهون بصدورهم العارية الأسلحة الفتاكة التى يمتلكها المحتلون . . الأمل بالحرية والعزة والكرامة والصلاة الآمنة فى المسجد الطهور .

جنازة الشهيد :

عند العصر من يوم المجزرة أحضرت جثة الشهيد إلى الرام وتجمع المئات من المسلمين عند مسجد بلال بن رباح وهم يرددون هتافات التكبير، ومن ثم خرج المشيعون بالجثمان لتوارى الثرى، ثرى فلسطين الذين أحبه مجدى. فضحّى بدمائه، لينبت شجرة باسقة فى السماء . . تؤذن بانبلاج فجر جديد .

أما أهل الشهيد وأقرباؤه وإخوانه من شباب المسجد فقد تألموا لفراقه، ولكنهم علموا بأنه ليس فى جنة إنما هو فى جنات إن شاء الله. إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن وإن على فراقك يا مجدى لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

***

الشهيد / محمد موسى عريف ياسين عبد أبو سنينة

١٩٩٠/١٠/٨

مولده ونشأته :



ولد الشهيد محمد موسى عريف ياسين أبو سنينة فى ١/ ٢/ ١٩٦٠م فى مدينة خليل الرحمن، عاش فى ظل أسرة ملتزمة بالإسلام، فكان والده يأخذه ليصلى معه فى مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام منذ صغره، وهكذا نشأ على حب الإسلام فكان الإسلام اسما لابنه الصغير فسماه «إسلام»، أما ابنه الأكبر فسماه «سامح»، ورحل عن هذه الدنيا وزوجته حامل، وليعلم أعداء الله أنهم بقتلهم لمحمد. لم ينقصوا شعبنا، ولن ننسى القدس، فمحمد لم يمت حتى خَلَّف للقدس أسدين أربضين، وثالثهم يأتى بعد صيف وابنتان سوف تلدان رجالاً يدافعون عن القدس. ولعله بذلك قد تمثل قول الشاعر :

ستعود القدس يومًا للحمى ... ما بَقى فى أرضنا أمٌّ تلد

عمل الشهيد فى مهنة التجارة، فتجول فى فلسطين، مدنها، وقراها، ومخيماتها، يبحث عن رزقه الحلال، وبقى فى مهنته حتى لقى الله شهيداً فى المسجد الأسير. يقول أحد أقرباء الشهيد «كان الشهيد عند خروجه للتجارة إلى نابلس يخرج مبكراً فيعرج على المسجد الأقصى فيصلى فيه صلاة الضحى، وبعد رجوعه من تجارته يحرص على أن يعود قبل صلاة الظهر فيصلى الظهر جماعة فى الأقصى كذلك».

أحب الشهيد والديه حبًا كبيراً، وقد تأثر تأثرًا واضحًا بوالده، فكم مرة استمع إليه وهو يحدثه عن الإسلام، والأخلاق والآداب الإسلامية التى تشربها الشهيد من أخلاق والده، أما والدته فقد قام الشهيد بمرافقتها إلى مكة المكرمة لتؤدى فريضة الحج على نفقته الخاصة مع كثرة الأعباء التى يتحملها رحمه الله.

شارك الشهيد إخوانه من شباب المسجد الأعمال التطوعية التى كانوا يقومون بها، كما شارك فى الصيام والإفطارات الجماعية التى كانت تقام فى المسجد، والتحق بدار

القرآن. ويتعلم أحكام التجويد، فيقول عنه إمام المسجد: لقد حفظ الشهيد أثناء التحاقه بدار القرآن أكثر من أربعة أجزاء، فحفظ البقرة والسجدة وجزء عم وغيرها، وواظب الشهيد على قراءة القرآن بشكل كبير، وكان يرى أن القرآن منهاج حياة، ودستور أمة يجب أن يسود ويقود، ولذلك فقد حث أهله وإخوانه على الالتزام بالقرآن وأحكامه.

كان الشهيد مشاركًا لإخوانه فى أفراحهم وأتراحهم، بشوشًا، متواضعًا محبوبًا لدى شباب المسجد، وكان يحرص بشكل كبير على صلاة الجماعة وبخاصة الفجر، حتى إنه فى مرات كثيرة كان يصلى بالناس جماعة فى صلاة الفجر فى مسجد علىّ البكّاء وباب الزاوية.

حادثة الاستشهاد:

فى اليوم الموعود يوم الشهادة توضأ محمد وخرج من بيته مبكرًا كعادته، وَصَلَ إلى الأقصى ضُحَىً، وصلَّى صلاة الضُحى، ثم علم من الشباب المستنفر فى الأقصى بنية اليهود اقتحام المسجد، وتدنيسه برجسهم وكفرهم، فعزم على البقاء قائلاً: «إن شاء الله ما يدخلونه حتى ولو متنا هنا، وعندما بدأت رحى المعركة تطحن الجماجم والعظام، كان محمد هناك صامدًا ثابتًا كالطود حتى مَنَّ الله عليه بالشهادة.. ثلاثة رصاصات أصابت الشهيد واحدة فى القلب، وأخرى فى الخاصرة اليمنى وثالثة فى الجهاز التناسلى.

نقلت جثة الشهيد بأيدى الشباب إلى بيت خاله فى سلوان حيث كانت الخليل تخضع لحظر التجول، وودع الشهيد وداعًا يليق بمقامه عند الله تبارك وتعالى حيث خرجت الجموع تحمله على الأكتاف وهى تردد: «لا إله إلا الله، والله أكبر، والشهيد حبيب الله»، والتقت جنازة الشهيد محمد بجنازة الشهيد عبد الكريم زعاترة التى جاءت من جبل المكبر، وتجمع المشيعون فكانوا أكثر من ٦٠٠٠ مشيع... فالدماء واحدة، والمصاب واحد، فالناس اليوم لم يعودوا يفرقون بين شهيد وشهيد، بل هم جميعًا أبناء الشعب كل الشعب فى فلسطين كل فلسطين.

ردود أفعال حول استشهاده:

والدة الشهيد عندما سمعت بالخبر اختنق صوتها بالعبرات، فلم تستطع أن تتكلم، وبكت بهدوء وقالت: «هذا مرادك يا بنى»، أما شقيقاته فقد صبرن على فراق شقيقهن، وأصبحن يقلن للنساء: «لا تبكوا عليه إنه شهيد وليس الشهيد بميت».

وبعد رفع نظام منع التجول عن مدينة الخليل أقام أهل محمد بيتًا للتهنئة باستشهاد الشهيد، فتجمع المسلمون من كل أنحاء فلسطين ليهنئ بعضهم بعضًا.

وفى إحدى حارات الخليل الباسلة شوهد أكثر من ثلاثين شابًا يلبسون الزى الموحد، وقد توشحوا بوشاح كتب عليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، ودخلوا إلى بيت الشهيد، وألقوا كلمات للتهنئة والتبريك للشهيد وأهله، وبعد لحظات كانت مدينة خليل الرحمن تشتعل غضبًا ونارًا تحت أقدام المحتلين.

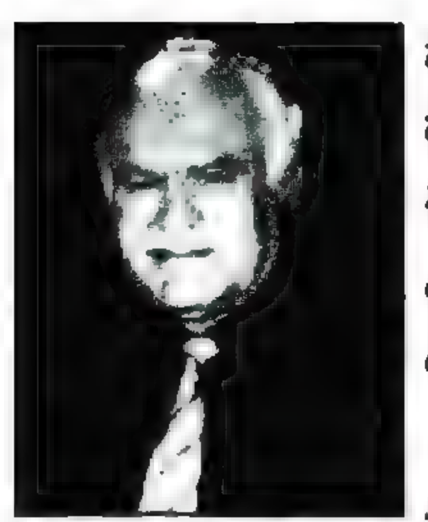


دبابات وأسلاك شائكة وقطع للأرزاق

الشهيد / ربحى حسن شحادة العمورى

١٩٩٠/١٠/٨

مولده ونشأته:



ولد الشهيد ربحى العمورى عام ١٩٢٩م فى البلدة القديمة من بيت المقدس، نشأ الشهيد وترعرع فى أسرة مسلمة فى شارع الواد، حيث تألفت الأسرة من ثمانية أشقاء استشهد أحدهم واسمه «سميح» عام ١٩٨٣م فى بلدة «شتورا»، وهكذا فإن دماء شعبنا تفرقت فى كل الأودية والسهول.

عاش سن حياته الأولى مرافقًا لوالده فى جهاده ضد الحكم الإنجليزى، حيث كان ينقل المؤن والمعونات لثوار فلسطين فى ذلك الحين. . . ثم التحق بعد ذلك بمنظمة الجهاد المقدس التى خاضت حربًا ضد المستعمر البريطانى، وضد الاستيطان اليهودى فى فلسطين، خاصة فى مدينة القدس. . . وكان الشهيد واحداً من بين الذين دفنتهم أنقاض فندق الملك داود بعد أن نسفته العصابات اليهودية. . . ونجا من الموت بأعجوبة. . . كان وقتها أبو خالد يعمل فى هذا الفندق. . .

تزوج أبو خالد شابًا، واستقر حوالى اثنى عشر عامًا فى البلدة القديمة. . . وبعد أن استقر به الحال، شيد بيتًا فى ضاحية البريد ـ شمال القدس ـ أوى إليه هو وأفراد عائلته البالغ عددهم عشرة أشخاص، ثلاثة أبناء، وسبع بنات، وهم:

خالد (٢٩عامًا)، وقد اعتقلته السلطات، وحكمت عليه بالسجن المؤبد بتهمة مقاومة المحتلين والقيام بعمليات عسكرية وقد أغلقت السلطات شقته فى أعقاب اعتقاله، ومحمد (٢٠ عاما)، وإبراهيم (١٥ عامًا).

أما بنات الشهيد فهن: حورية (٢٧ عاما)، لينا (٢٥ عاما)، غادة (٢١ عامًا)، هدى (٢٠ عامًا)، عالية (١٧ عامًا)، كفاح (١٣ عامًا) ونور (١٠ أعوام).

كانت حياته جهاداً متواصلاً . . . هادئ الطبع . . . نظيف يحب النظافة . . شديد الحنو على الأطفال . . وأذكر أنه حين اعتقل نجل ابنته، كان يقيم ساعات طويلة أمام معتقل المسكوبية ليرى حفيده . . . ولا ينقطع عنه فى الزيارة، ورث الجهاد والشهادة من إرث شعبه الكبير . . . ومن نضاله المستمر . . . وهو القائل دومًا : «نحن شعب خلق للتضحية . . . ولابد أن نتحمل».

حادثة الاستشهاد:

تروى «أم خالد» عن يوم استشهاد زوجها فتقول : فى ذلك اليوم توجه الشهيد إلى مسجد ضاحية البريد، حيث صلى صلاة الفجر . . ثم غادرنا بعد ذلك إلى القدس . . بهدف إنجاز معاملات السفر إلى الأردن، كما كان مقرراً فى ذلك اليوم . . . أنهينا المعاملات . . وأعطانى إياها، ثم أخبرنى بنيته الذهاب إلى المسجد الأقصى، وطلب منى الذهاب إلى شقيقى فى حارة السعدية لانتظاره هناك، حال عودته من المسجد، وقال : «واجبنا الدفاع عن الحرم . . . ولن أمنع أولادى من الذهاب إلى الأقصى».

وبالفعل توجه إلى الحرم . . وصلى هناك صلاة الضحى . . . ثم بدأت أحداث المجزرة . . . حين أطلق الجنود قنابل الغاز . . . شوهد «أبو خالد» يحمل التراب ويطمر به الدخان المتصاعد من تلك القنابل . . . ومع اشتداد إطلاق النار صعد أبو خالد الدرج المفضى إلى الصخرة المشرفة من ناحية المتوضأ . . عند آخر درجة أصيب بعيار نارى فى بطنه . . إلا أنه واصل السير باتجاه الشهيد إبراهيم غراب الذى أصيب بجروح فى صدره . . من كان معه نصحوه بالعودة . لأن إطلاق النار غزير واحتمال إصابته واردة، فرفض، وأصر على الذهاب باتجاه الشهيد غراب لإسعافه . . وما كاد يصل إلى حيث الشهيد غراب . . حتى أصيب بطلقات من الرصاص أطلقت عليه من الطائرة . حينذاك حضر الممرض محمد أبو ريالة من مستشفى المقاصد لإسعافه، إلا أنه أصيب بعيارات نارية فى كتفه، ولم يتمكن من علاجه . . بعد ذلك نقل «أبو خالد» إلى المستشفى . . ، وتضيف «أم خالد» قائلة : «أثناء أحداث المجزرة، كنت أسمع إطلاق النار من بيت شقيقى فى حارة السعدية . . خرجت إلى مستشفى المقاصد، وفتشنا غرف المستشفى غرفة غرفة . . إلا أننا لم نجده . . بعد ذلك توجهنا إلى مستشفى المطلع . . كان نجلى (محمد) قد سبقنا إليه . . وسمعنا صراخه وهو يبكى، ويقول : «أبى . . . أبى» لقد

تعرف على جثة والده التى وضعت مع جثث الشهداء الآخرين . . . كانت لحظات صعبة عشناها فى حينه . . ألقيت النظرة الأخيرة عليه، فكان الرصاص قد مزق جسده . . حمله شبّان وأحضروه إلى بيتنا فى ضاحية البريد . . ثم نقل خفية من سيارة إلى سيارة، خشية أن يستولى على جثته الجنود، وتم دفنه فى مقبرة باب الأسباط بالقدس .

فرحم الله شهداءنا . . فلقد خلّفوا وراءهم ذكريات مجد عريق أعرضوا عنه، وذكريات بلاء كريم أقبلوا عليه . . ابتغاء مرضاة الله ورسوله . . وجنة عرضها السموات والأرض . .



قنابل الغاز تحت أقدامنا

الشهيد /إبراهيم محمد على أدكيدك

١٩٩٠/١٠/٨

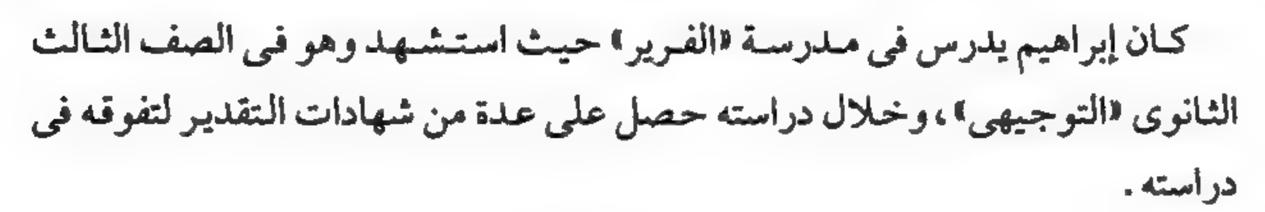
مولده ونشأته :

ولد الشهيد إبراهيم أدكيدك فى ١٩/ ٢/ ١٩٧٤م فى القدس وسكن فى حى شعفاط القريب من بيت المقدس، والشهيد وحيد والديه من الذكور وله أربع شقيقات، وباستشهاده فقدت العائلة عائلها الثانى بعد الأب .

والد الشهيد يعمل فى محل تجارى فى البلدة القديمة فى مدينة القدس، إضافة إلى منجرة صغيرة يتعيش منها، ولذلك فقد أخذ إبراهيم عن أبيه مهنة النجارة، وكذلك



فتح محلاً تجاريا صغيراً خلف بيته يبيع فيه فى أوقات فراغه ليساعد أباه فى إعالة الأسرة .



كان إبراهيم يدرس فى مدرسة «الفرير» حيث استشهد وهو فى الصف الثالث الثانوى «التوجيهى»، وخلال دراسته حصل على عدة من شهادات التقدير لتفوقه فى دراسته .

واظب شهيدنا على الصلاة والصوم، فكان يرتاد مسجد شعفاط لأداء الصلاة، أما أيام الجمع فكان ـ رحمه الله ـ يشد الرحال للصلاة فى المسجد الأقصى المبارك، وفى رحاب مسجده فى شعفاط وفى مسجد الإسراء تربى إبراهيم على الإيمان، فتشبعت روحه به، وسمت نفسه إلى السماء، ومن نبعهما رضع أخلاق الإسلام، فهو كريم ينفق على شقيقاته، وكذلك قام الشهيد بتوزيع الصدقات على الفقراء سراً دون أن يعلم به أحد، ولم يكن إبراهيم ممن يحبون المظاهر الفارغة بل كان جاداً، متواضعًا، هادئًا، يحمل مسؤولياته بكل جد ورجولة .

حادثة استشهاده:

فى فجر يوم الاثنين، يوم استشهاده، استيقظ إبراهيم مبكراً ثم أدى صلاة الفجر فى غرفة نومنا على غير عادته . . حيث كان يؤدى الصلاة فى غرفة نومه هو .

بعد أن طلعت الشمس غادر إبراهيم إلى المدرسة، إلا أن طلاب المدرسة لم ينتظموا في مدارسهم في هذا اليوم بل توجهوا إلى الأقصى للدفاع عنه، وكان من ضمنهم إبراهيم ـ رحمه الله ـ

بدأت جموع المستوطنين والجنود محاولاتهم باقتحام الأقصى، فتصدى لهم الشباب المؤمن بصدورهم وحجارتهم، وكان إبراهيم من المتقدمين البواسل، لقد كان الشباب ينتشرون في جميع أرجاء المسجد الأسير.

أما إبراهيم فقد أبلى بلاء حسنًا، فقد روى أحد إخوانه وكان بجواره لحظة استشهاده فقال: «أصيب إبراهيم بعيار ناري في قلبه فسقط على وجهه شمال المتوضأ قبالة المسجد الأقصى. . .».

وتقول والدة الشهيد إبراهيم: الشيء الوحيد الذي جعلني أصبر على فراق وحيدي، هو آية قرآنية كان قد علقها في غرفة الصالون قبل استشهاده بأسبوع. . . وكلما قرأت كلمات هذه الآية زدت إيمانًا بالله، وصبرًا على المصيبة، ونص هذه الآية الكريمة ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

لقد أنعم الله علينا باستشهاد إبراهيم. . . فكانت شهادته خيرًا لنا. . . كان إبراهيم قبل استشهاده يسألني دومًا: «متى سيصلي والدي يا أمي» وبعد أن استشهد إبراهيم، فتح الله قلب والده للإيمان فشرح صدره، وشرع يصلي لا يقطع فرضًا. .

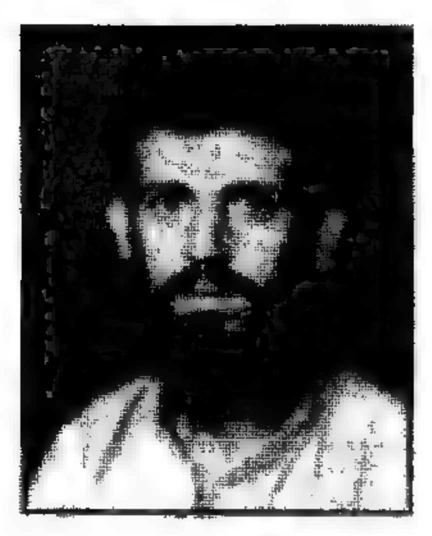
رحمك الله أيها الشهيد، وأسكنك فسيح جناته، وألحقنا بك شهداء إن شاء الله رب العالمين.

***

الشهيد / إبراهيم عبد الغفار إبراهيم غراب

١٩٩٠/١٠/٨

مولده ونشأته :



ولد الشهيد إبراهيم فى عام ١٩٥٨م فى حى واد الجوز من مدينة القدس، ونشأ وترعرع بين سهولها وجبالها المقدسة، تزوج عام ١٩٨٣م. وأنجبت له زوجته أربعة أطفال أكبرهم فى السادسة من عمره واسمه (حكم)، وأصغرهم عمره (١٠ أشهر) واسمه محمد. أما الآخران فهما (حبيب) وعمره ٥ سنوات، و(رنا) وعمرها ٤ سنوات، وقد صعدت روح الشهيد إلى الله تبارك وتعالى وزوجته حامل فى شهرها الخامس.

عمل الشهيد ابتداء فى محل للبقالة كان يملكه فى واد الجوز حيث يقطن هناك فى بيت متواضع مع والدته وشقيقيه نايف وسمير، ولكن بسبب الضرائب الباهظة التى تفرضها سلطات الاحتلال انتقاما لم يستطع الشهيد الاستمرار فى العمل فى محل البقالة فأغلقه وانتقل للعمل فى محل للبراويز والصور، وبقى فى هذه المهنة حتى استشهاده.

حادثة الاستشهاد:

يروى شقيق الشهيد منذ الساعات التى سبقت استشهاد إبراهيم فيقول: التقيت إبراهيم الأحد ليلاً، وتحادثنا كثيراً، ثم أطلعنى خلالها على رغبته فى المبيت فى الأقصى، ليؤدى صلاة الفجر هناك، غير أننى نصحته بأن شرطة الحرم سيمنعونه من الدخول، ثم اتفقنا أن نصلى الفجر جماعة فى المسجد الأقصى صباح يوم المجزرة (الاثنين)... ويضيف قائلاً: وبعد الصلاة عدنا إلى البيت وما هى إلا سويعات حتى بدأت سماعات المسجد الأقصى تبث نداءات الاستغاثة تدعو المسلمين للدفاع عن مسجد الإسراء، وهكذا خرج إبراهيم ملبيًا نداء الأقصى، تاركًا عمله... وهناك

حيث احتشد الآلاف من الشباب المؤمن، كان إبراهيم - رحمه الله -، وحين بدأت قوات البغى تطلق النار، عمل على تأمين الحماية للأطفال والفتية الصغار من هجمات قطاع الطرق، ومصاصى دماء البشر. . . من الرصاص الذى غطى الحرم وساحاته. . . وفى أثناء ذلك أصابت رصاصات غادرة قلب الشهيد فمزقته وسقط إبراهيم مضرجًا بدمه فى ساحة الصخرة المشرفة، على بعد حوالى ٢٠٠ متر من باب المغاربة، وارتسمت على شفتيه الفرحة بلقاء الله تبارك وتعالى. . . سقط إبراهيم. . . ولكن يديه بقيتا مصرتين على الإمساك بالحجارة التى التقطها للدفاع عن المسجد الطهور. . .

نقلت جثة الشهيد إلى بيته فى واد الجوز، هناك امتزجت الدماء بالدموع، دماء الشهيد مع دموع أمه التى أحبته، وزوجته التى فجعت به، وأبنائه الذين وقفوا حوله وهو ممدد على سريره، والدماء تغطى وجهه وجسده. . . وهم لا يدرون ما يدور حولهم.

تقول زوجة الشهيد : إن الشهيد كان يتمنى الشهادة فى المسجد الأقصى، وكنا قد تحدثنا عن نية المتطرفين اليهود فى الدخول إلى الأقصى لوضع حجر الأساس للهيكل المزعوم، ثم وجه كلامه إلىَّ قائلاً : أعرف أنك تحبين أولادى كثيراً. . . فإذا استشهدت فتولى أنت رعايتهم، واحرصى عليهم.

سارت فى جنازته أعداد قليلة من أشقائه وبعض أحبابه. . . ودفن سراً خوفًا من اللصوص الذين لا يكتفون بالقتل. . بل يسرقون حتى أجساد شهدائنا الأبرار.

وفى بيت المقدس. . . حيث تنتشر أشجار مفرعة الأغصان، وشجيرات الورد والرياحين هنا وهناك نام إبراهيم نومته الأبدية. . فإذا ما أقبل الربيع، واخضرت الأغصان، وتفتحت الأزهار ذات الأريج، ومر النسيم من بينها فإن رائحة المسك تفوح من جديد فى سماء بيت المقدس وأكناف البيت الذى فى أحضانه نام الشهداء.

***

الشهيد/فوزى سعيد إسماعيل الشيخ

١٩٩٠/١٠/٨

مولده ونشأته:



ولد الشهيد فوزى إسماعيل الشيخ فى قرية خربثا بنى حارث قرب رام الله عام ١٩٢٣م، ولقد رأى شيخنا الشهيد مراحل الضياع والتشتت لشعبه وأرضه، وعايش المصائب جميعها التى حلت بهذا الشعب منذ ثورة البراق عام ١٩٢٩ حتى استشهاده فى المجزرة الرهيبة التى وقعت فى ساحات الأقصى المبارك عام ١٩٩٠م.

رزق الشهيد من البنين ثلاثة، ومن البنات أربعًا، وعمل طيلة حياته مزارعًا، يغرس الأرض ويحرثها، ارتبط بالأرض، فأحبها وأحبته وغدت جزءًا من روحه ودمه، وعندما سقط الشهيد مضرجًا بدمه، بكته الأرض والجبال والتلال.

فهلا سمعتم أيا إخوتى حنين التراب وندب الرمال!؟

ونوح المآذن فى لوعة وآه الحصى... وأنين التلال

كان الشهيد محافظًا على عباداته، وصلاته غالبًا ما تكون فى المسجد، وتميز الشهيد بحياء جم، ولم تكن علاقاته بالآخرين قوية بل كان مهتمًا بشؤونه الخاصة، من حراثة وزراعة وما شابه. لقد ذاق الشهيد فى حياته مرارة السجن، فاعتقل على أيدى جنود الاحتلال، وسجن ثمانى سنوات ليخرج صلبًا شديد الإيمان بالحرية والفجر الموعود.

كان الشهيد واسع الثقافة والمعرفة. فكان يقرأ فى أمور العقيدة والتفسير، ووجدت له بعض الأبحاث الفقهية منها «حق الرجل والمرأة فى الإسلام» و «الشهادة عند النساء». و« تعظيم العمل وإكرام العامل» و «الغش فى المعاملة» و «فتوحات الإسلام» و«معركة أحد» و «فى سيرة الرسول ﷺ» و «الحضارة الغربية هى نتاج ثقافة عمياء» و «الإنسان والاستيلاء».

حادثة الاستشهاد:

شد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك وهو يؤثر الشهادة، وأبلغ أهله أنه ذاهب إلى الأقصى لنيل الشهادة . . وعندما بدأت رحى المعركة تَلَقَّىٰ الشهيد الرصاصات الأولى فى وجهه، فسقط على الأرض، فحمله الشبان إلى داخل المسجد الأقصى المبارك وبه نزيف فى الدماغ، شاهده أحد الأطباء فذكر أن حالته خطرة جداً وبعد صلاة الظهر فارق الحياة داخل المسجد الأقصى المبارك . . .

نقل جثمان الشهيد بعدما هدأت الأمور خلسة إلى قريته وفى الليل سار عدد قليل فى جنازة الشهيد ثم دفن فى مقبرة القرية قبل أن تختطفه قوات جيش الاحتلال. ولكن يكفيه تشييع ملائكة السماء .



***

الشهيد / نمر إبراهيم نمر الدويك

١٩٩٠/١٠/٨

مولده ونشأته:



ولد الشهيد نمر الدويك فى شهر آب (أغسطس) فى العام ١٩٦٥م فى مدينة القدس، له شقيق واحد وثلاث شقيقات، وكان الابن البكر لأبيه.

أنهى دراسته الابتدائية حتى الصف السادس، ثم عمل بعد ذلك فى مجالات مختلفة كان آخرها عمله فى فندق قريب من وادى الجوز حيث كان يقطن نمر وعائلته، أما والده فيعمل فى محل تجارى فى البلدة القديمة . . . ولكنه نظراً لكثرة الضرائب والركود السياحى لم يعد الوالد يستطيع إعالة أسرته، فأصبح الشهيد نمر المعيل الأساسى للعائلة، وبات يتحمل مسؤولياته تجاه إخوته بكل أمانة . . لم يكن يتأفف من هذا الوضع بل كان يؤثر أفراد عائلته على نفسه.

حادثة الاستشهاد:

عمل نمر فى الليلة التى سبقت استشهاده كالعادة . . . وفى مكان عمله استحم وتوضأ، ولم يذهب إلى عمله صبيحة يوم الاثنين -كما هو المعتاد- بل توجه نحو المسجد الأقصى . . . وبدأت المواجهة بين الشباب بصدورهم العارية إلا من الإيمان بالله وبين الجنود المدججين بجميع أنواع السلاح النارى الفتاك، وكان نمر ضمن هؤلاء الشباب فأصيب بثلاثة عيارات نارية فى الدماغ، والخاصرة، والصدر، وقد استشهد بالقرب من مكان المتوضأ المقابل لباب السلسلة.

رد فعل والديه حول استشهاده:

يقول والد الشهيد: حتى ساعات العصر لم يرد أى خبر عن نمر، فاعتقدت أنه ربما احتجز داخل المسجد . . وعند الساعة الرابعة جاء خبر استشهاده، فتوجهت إلى

مستشفى المقاصد، وكان الشباب قد حملوا جثته تمهيداً لدفنه، فطلبت منهم أن يحضروه إلى بيته لتلقى والدته نظرة الوداع الأخير عليه. . . فأحضرناه إلى البيت ثم قمنا بدفنه على عجل خشية أن يستولى الجنود على جثمانه.

أما والدته (فى الأربعين من عمرها) فقالت : لم يعد نمر صباح يوم الاثنين كما كان مقرراً. . . فى البداية ساورنى القلق على ولدى. . . وعند الساعة ١٢,٣٠ شعرت بإحساس غريب، وهيئ لى أن ولدى قد حدث له مكروه فذهبت إلى مستشفى المقاصد. . . وفى طريقى إلى المستشفى وجدت أحد أصدقاء نمر، فسألته عنه فقال : لقد تركته فى ساحات الحرم، وفى المستشفى لم أجد أثراً لنمر، وعند عودتى إلى البيت كانت جثته ممددة فى البيت فبكيت وتفجرت الدموع فى عينى. . . وتضيف والدته والدموع تنحدر من عينيها على وجنتيها : كان نمر على وشك الزواج، وقد أبدى رغبة فى ذلك. . . ولأجل هذا، فقد اشتريت له (أونصة من الذهب) لتكون مساهمة منى فى زواجه.

نعم لم يتزوج نمر فى الدنيا ولكن الله تبارك وتعالى أعد للشهداء من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. . إن الشهداء ومنهم نمر ـ إن شاء الله ـ تستقبلهم الآن الحور العين فى جنات النعيم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.



الشهيد /عز الدين جهاد محمود حميدة الياسينى

١٩٩٠/١٠/٨

مولده ونشأته:



ولد الشهيد عز الدين فى ٥/ ٩/ ١٩٧٥م فى بيت لحم من أسرة تنحدر من دير ياسين غربى القدس والتى تشرد أهلها بعد مذبحة بشعة ارتكبتها العصابات اليهودية عام ١٩٤٨م، وفى هذه المذبحة كانت جدة عز الدين (أم والده) من بين المصابين، حيث أصيبت بشظايا الرصاص فى أنحاء مختلفة من جسمها، وكانت حاملاً بجهاد الياسينى والد عز الدين، وماتت الجدة والرصاص فى جسدها.

لقد قدمت هذه العائلة خلال الانتفاضة شهيدين، الأول هو ابن عم عز الدين واسمه أكرم مصطفى الياسينى والذى استشهد بتاريخ ١/ ٤/ ١٩٨٩م أثناء مواجهات مع جيش الاحتلال فى قرية العيزية المجاورة للقدس، ولعل هذه الحادثة قد أحدثت الشىء الكثير فى نفس عز الدين فازداد حقداً وحنقاً على اليهود أعداء الله والإنسان.

أنهى عز الدين الصف السادس الابتدائى، وكان يتعلم قبل استشهاده فى مركز تابع للشئون الاجتماعية إضافة إلى دروس تقوية فى اللغة العربية، له شقيقان وأربع شقيقات، ويسكن مع العائلة فى شارع الواد على بعد مئة متر تقريبًا من المسجد الأقصى المبارك.

كان الشهيد ـ رحمه الله ـ خدومًا محبًا للناس، متفاعلاً مع الانتفاضة، وكان أكثر ما يؤثر فيه قصص شهداء الانتفاضة، كان يقرأ ويسمع عن هؤلاء فيتمنى أن يكون واحداً منهم. . و رغم صغر سنه، فقد كان رجلاً يتحمل مسؤولياته تجاه أسرته، يحرم نفسه ليعطى إخوته، فلا يبخل عليهم.

حادثة استشهاده:

في يوم الاثنين ٨/ ١٠/ ١٩٩٠م وعند الساعة التاسعة وعشرين دقيقة التقى الشهيد والده وكان عائداً من دائرة الشؤون الاجتماعية حيث يتلقى دروس التقوية في القراءة والكتابة - فطلب منه أن يعود إلى البيت إلا أنه سار إلى المسجد الأقصى، حيث التحق بالآلاف من الشباب المسلم الذين احتشدوا في ساحات الحرم دفاعًا عن أولى القبلتين، ومسرى رسول الله ﷺ.

يقول لنا والد الشهيد: لقد تغير عز الدين كثيراً في الأسبوع الأخير بعد انتشار الخبر عن نية اليهود اقتحام الأقصى وبناء حجر الأساس لهيكلهم، كان شارد الذهن مشغولاً بأمر عظيم. . يتغيب عن عمله. . لم يعد يأكل كعادته.

وعن اللحظات الأخيرة للشهيد يروي أحد أصدقائه الذين كانوا معه عند استشهاده فيقول: كان عز الدين بجواري في ساحة الصخرة المشرفة. . .

لقد رأى الشهيد أحد القناصة يصوب سلاحه اتجاهنا، فأمرنا بالاستلقاء أرضًا. . . وما كاد عز الدين ينهي حديثه حتى أصابته رصاصة غادرة في رأسه. . حاول النهوض فأصيب برصاصات في صدره، وفي رجليه، وظهره. . نعم سقط على الأرض بعد أن وقف بعزة، سقط ولسان حاله يقول:

أجل. . إنني أنحني

تحت سيف العناء.

ولكن صمتي هو الجلجلة

وذل انحنائي هو الكبرياء

لأني أبالغ في الانحناء

لكي أزرع القنبلة!

ويروي آخر فيقول: قبل أن ترتكب المجزرة، كان عز الدين من بين حشد كبير تحلق حول خطباء وعلماء الأقصى المبارك الذين كانوا يحثون على الجهاد والاستشهاد، ويبشرون الشهداء بالجنة. عندها صرخ عز الدين بأعلى صوته «سنكون إن شاء الله شهداء الأقصى».

أما ردود فعل أهله عندما سمعوا بنبأ استشهاده، فيروي والده قائلاً: عند الساعة الحادية عشرة، ومع ارتفاع صوت إطلاق النار، راودني هاجس بأن عز الدين قد استشهد. . . لم أتمكن من دخول الأقصى لمعرفة مصيره. . ومع بدء عملية إجلاء الجرحى توجهت إلى مستشفى المقاصد فلم أجده بين الجرحى، ثم ذهبت إلى غرفة الموتى، فرأيت عز الدين، وقد غطت الدماء جسده، فحمدت الله وقلت: «إنا لله وإنا إليه راجعون. . . وحسبي الله ونعم الوكيل. . والله يأخذ. . وهبتك لوجه الله تعالى». . ثم قبلته وأمسكتْ يداى برأسه حتى إن أصابع يدى اليمنى اخترقت رأسه المهشم فغطتها بالدماء، خرجت وقلت لمئات الشباب الذين احتشدوا في ساحة المستشفى: يا شباب، الشهيد الذى داخل الثلاجة اسمه عز الدين جهاد الياسينى وهو ابنى. . والذى يحب الشهيد يحبه الله. .

وبعد ذلك نقلنا جثة الشهيد بهدف دفنه، وأثناء التفتيش فى جيوب بنطاله وجدت رسالة كتبها بخط يده لم يكملها يقول فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الشهيد عز الدين جهاد حميدة الياسينى، أنا. . . «ولم يكمل» وبعد عمليات تمويه على جنود الاحتلال وصلنا إلى المقبرة، وقام الشباب بحراسة المقبرة خشية قدوم السلطات، وقمت أنا ومجموعة من الناس بدفنه فى الساعة السابعة مساء، لقد توافد إلى بيت الشهيد المهنئون من أبناء شعبنا، وكذلك مراسلو وكالات الأنباء، ويقول والد الشهيد: إنه رفض مقابلة مع تلفزيون أجنبى لأنه سأله: كم قتل على أرض الهيكل؟! فقال له: اسمه الأقصى وهو للإسلام وأهله.

وهكذا فكلما أفضت زمرة صافية إلى خالقها ودعتها القلوب وهى تردد:

إن كنتم ظعنًا فإن مدامعى تكفى مزادكم وتروى العيسا

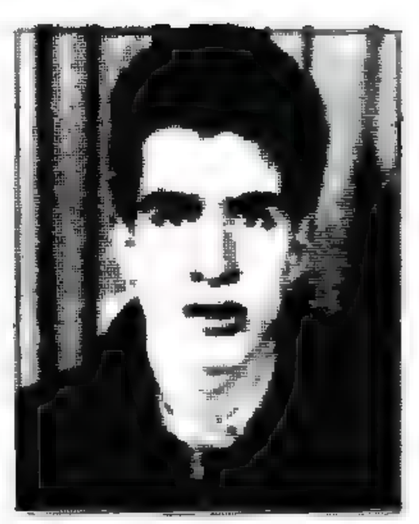
اللهم أحينا سعداء، وأمتنا شهداء واحشرنا فى زمرة المصطفى ﷺ.

***

الشهيد /أيمن محيى الدين على الشامى

١٩٩٠/١٠/٨

مولده ونشأته:



ولد الشهيد أيمن فى ٢٣/ ٨/ ١٩٧٢م فى زهرة المدائن (القدس) الشريف، وسكن فى حى واد الجوز، وقد أنهى الثانوية العامة فى الفرع الصناعى عام ١٩٩٠م وحصل على معدل ٧٩,٢٪ وكان ينوى قبل استشهاده السفر إلى العراق للدراسة والتدريب.

وللشهيد أيمن شقيقان وأربع شقيقات، ويعمل والده موظفًا فى مؤسسة إنقاذ الطفل.

والد الشهيد تحدث عن نجله بمزيد من الفخر والاعتزاز حيث قال: كان أيمن ألمعيًا فى دراسته، وفى كل مجال من مجالات المعرفة... أكمل دورة فى مهنة الكهرباء وحصل على إجازة من شركة الكهرباء محافظة القدس لمزاولة تلك المهنة... ويضيف والده: لقد سعى أيمن لإكمال تحصيله العلمى فى كلية الخليل للمهن الهندسية بعد أن أُغلقت أمامه سبل الدراسة فى الخارج، وكان من المفروض أن يذهب إلى التسجيل يوم ٨/ ١٠/ ١٩٩٠م لأنه آخر موعد لذلك، ولكنه آثر الذهاب إلى المسجد الأقصى للدفاع عنه.. فلقد كان حب الأقصى فى دمه وروحه فسال دمه وفاضت روحه فيه.

أخلاقه وعباداته:

عرف الشهيد بحبه الشديد للطاعات، وخاصة صلاة الجماعة فى المسجد الأقصى. فمنذ أن التزم بمسجد الحى تميز بأنه من السباقين إلى الطاعات، فكان يحرص دائمًا على أداء صلاة الفجر فى المسجد الأقصى المبارك برغم تعرضه لمضايقات حرس الحدود المجرمين الذين يقفون على باب المسجد كالكلاب المسعورة. كما داوم الشهيد على صيام الاثنين والخميس، واستشهد يوم الاثنين ٨/ ١٠/ ١٩٩٠م وكان صائمًا فأفطر على مائدة الرحمن مع الأنبياء والشهداء والأولياء.

وأيمن، ذاك الشاب الوسيم الهادئ الخجول، يحبه كل من رآه، يألف ويؤلف وهكذا المؤمن . . أحب إخوانه من شباب المسجد، وممن كانوا يخرجون معه فى مهمات جهادية لضرب المحتلين ونصب الكمائن لهم . . ؟ لقد أحبته القدس ومآذنها، وأقصاها، وقببها، وأشجارها. ومن لا يحبك أيها الشهيد. . . لقد روت دماؤك الزكية الأرض التى أحبتك فافتقدتك لأن سجداتك وتضرعاتك ملأت أرض بيت القدس . . فهنيئًا لك أيها الحبيب .

لقد أحب أيمن المساجد وخاصة المسجد الأقصى وكذلك مسجد حيه «مسجد عابدين» وفى ليلة استشهاده خرج ليقوم بدهن قبة المسجد فى حى واد الجوز باللون الأخضر .

حفظ أيمن جزءاً من القرآن الكريم، فكان القرآن قريبًا إلى نفسه حبيبًا إلى روحه، وأحب الكتب الإسلامية فانكب عليها قراءة وفهمًا وحفظًا .

دوره فى الانتفاضة :

منذ أن انتمى إلى حركة المقاومة الإسلامية «حماس» تفجرت طاقات أيمن الكامنة، فشارك فى الفاعليات المختلفة ولكن الذى ميزه . . شعاراته ورسوماته الجميلة التى خطها أيمن وخاصة على باب المسجد الأقصى المبارك من جهة باب الأسباط ومنها «حماس هى الأساس» ورسم بيديه سيفين يحيطان بمصحف كريم فيما كتب فى أسفل المصحف كلمة «وأعدوا» وغير ذلك من الشعارات الإسلامية المميزة بالخط الجميل والكلام المتناسق، والعبارات المميزة .

وهكذا أحبه المكان والزمان . . أحبته أوقات الصلوات الخمس وأحبه يوما الاثنين والخميس .

حادثة الاستشهاد :

كان أيمن على موعد مع الشهادة، يقول والده : فى ليلة استشهاده فى ساعة متأخرة دار حوار بينى وبين أيمن حول الصلاة، وعقوبة تاركها ويضيف قائلاً : لقد رجانى أيمن قبل نومه أن أوقظه ليؤدى صلاة الفجر فى المسجد الأقصى . . . استجبت لطلبه، وأيقظته، وقبل أن يتوجه إلى المسجد، أكدت له أن تحرير فلسطين من مسؤوليات الأمة العربية والإسلامية وأن الحجر لا يكفى . . . . أما الدفاع عن المسجد الأقصى . . . فهو من مسؤوليتنا نحن، وواجب علينا أن نصونه ونحميه . . .

وقد اقترب أيمن من والدته قبل يوم من استشهاده وقبل يدها، ونظر بعينيه العسليتين الواسعتين إلى أمه كأنه يودعها وقال لها، يا أمي ادعي لي. . فدعت له « الله يرضى عليك يا أيمن » قال: لا يا حجة، ادعي لي بالشهادة هناك في المسجد الأقصى المبارك، وذهب لزيارة أخته في بيت لحم لتوديعها كما ودع أهله وعمته، كما أعطى صديقًا له مبلغًا من المال (٢٠ شيكل) ليشتري به ملبسًا، ويوزعه عن روحه يوم شهادته، كما حث زوج أخته على الشهادة وقال له: تعال معي إلى الأقصى لنيل الشهادة، وجاء يوم ٨/ ١٠/ ١٩٩٠م، اليوم الذي أعلن فيه المجرمون عن نيتهم باقتحام المسجد الأقصى لوضع حجر الأساس فيه، فجمع الليوث من كل مكان منذ صلاة الفجر، ولقد رأيت الشباب في صلاة الفجر وهم يتدفقون بشكل كبير من جميع أبواب الحرم، تترقرق في عيونهم دماء الشهداء، شباب لا كالشباب، حملوا مصاحفهم وتوضؤا وطهروا أنفسهم بالصلاة والذكر وعزموا عزمة الرجال ألا يمر هؤلاء إلا على أجسادنا، ولن يدنسوا مسجدنا ما دام فينا عرق ينبض أو عين تطرف. وكعادته انطلق أيمن إلى المسجد منذ صلاة الفجر، وبعد الصلاة استمع إلى أحد دروس العلماء، وقرأ ما تيسر من كتاب الله حتى شروق الشمس ثم توضأ وصلى الضحى، ونظر إلى من حوله من إخوانه نظرة وداع وعانقهم بحرارة وظل مرابطًا.

ودارت المعركة بين مئات الجنود وأفراد الشرطة والمستوطنين المدججة، مع الشباب المؤمن الذي لا يملك إلا إيمانه ومصحفه وحجارته وصرخات (الله أكبر) تهز الأرض من تحت أقدام المجرمين، ومن بين الجموع ترى فتى طويل القامة ينتقل من ساحة إلى ساحة يضرب الحجارة، ويستميت في الدفاع عن أقصاه، لقد رجم أيمن جنود الاحتلال من السطح المجاور لقبة الصخرة. . . ومن بين زخات الرصاص المنهمرة أصابت إحداها رقبته فسقط على أثرها على الأرض والحجارة في يديه، ودمه يسيل على ثرى المسجد الأقصى المبارك، وقد أطلقت الرصاصة من أحد شبابيك المدرسة التنكزية حيث مقر جنود الاحتلال والمستوطنين.

يقول والد الشهيد: في الساعة الحادية عشرة والنصف أذاع راديو اليهود خبرًا جاء فيه: «إن أحداثًا كبيرة وقعت في الأقصى، وأن شبانًا استشهدوا داخل المسجد، فوقع في قلبي أن أيمن من بين الشهداء، ثم قلت لبعض المرافقين: أيمن من الشهداء، فلم يصدقوا قولي، وفي الساعة الثالثة والنصف وصلت إلى القدس، وأخبرني بعض

الجيران أن شابا من عائلة الشامى قد استشهد فقلت لهم« إنه ابنى أيمن»، قبل أن أعلم ذلك حقيقة. عدت إلى البيت فوجدت أم أيمن، وحولها نسوة من الحى، وقد وصل إليهن خبر أيمن فأنذرتها ألا تبكى، وألا تصدر أى صوت. . . عندما ناولتها العنب، وطلبت منها أن توزعه على روح أيمن. . . توجهت إلى أيمن حيث دفن فى باب الأسباط. كشفت عن وجهه، وألقيت النظرة الأخيرة عليه، ثم قبلته، وقرأت ما تيسر من القرآن على روحه الطاهرة. ويضيف والده : لقد أصيب أيمن بعيار نارى فى مؤخرة الرقبة اخترقتها، فخرجت من الناحية المقابلة، فاستشهد على الفور وغطت الدماء وجهه.

أما والدته فتقول: الحقيقة أنه إلهام من الله وتمالكت أعصابى، وذهبت إلى المستشفى، وأخرجته من الثلاجة بيدى، وحملته ووضعته فى السيارة مع زغرودة خرجت من فمى لأنه كان يطلب الشهادة، وربنا حقق له تلك الأمنية، وما كنت أتمنى أكثر من هذا، وأنا أفتخر أن يكون لى ابن شهيد. . . وعن أمنية أم أيمن تقول: أتمنى أمام هذه التضحيات أن تكون لنا دولة إسلامية لأن هذا طلب ابنى، وكان يتمنى ذلك، ثم تعود الأم فتقول: عندما شاهدته وهو مستشهد قبلته، ومسحت على وجهه وقلت له. . . يا أيمن هذا الذى طلبته. . . وها أنت نلته. . . والحمد لله على أنك حققته. . . وعلى خطى أيمن أدفع أبنائى الباقين حتى نحيا حياة حرة لا ينغصها احتلال اليهود.

لقد ذهبنا مهنئين إلى بيت الشهيد، دخلنا إلى البيت الذى كان يغص بالمهنئين، وكان والده يلبس أجمل ثيابه وكأنه فى عرس، وكانت المفاجأة عندما قدم لنا الشراب بدل القهوة السادة، وكانت الفرحة قد ارتسمت على الوجوه. وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أن شعبنا بدأ يسير بالطريق السليم لاسترداد حقه وانتزاع حريته وكرامته، وعند خروجنا كانت الشعارات تزين جدران بيت الشهيد، كان أحدها يقول: «تنعى حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ابنها الشهيد البطل أيمن الشامى متقدمة من أهله وذويه بأجمل التهانى وأطيب التبريكات». . خرجنا من البيت والمنظر ما زال ماثلاً فى أذهاننا، وملامح جيل الشهادة يرسم لنا مستقبلاً عزيزاً يبشر بالنصر المؤزر بإذن الله.

رحمك الله يا أيمن يا شهيد الأقصى، وهنيئًا لك ولإخوانك ولذويك ولدعوتك وإنا إن شاء الله على دربك سائرون.

***

الشهيد/ عدنان خلف شتيوى مواسى

١٩٩٠/١٠/٨

نبذة عن حياته:



تقول والدة الشهيد: لقد كان الشهيد متمسكًا بالإسلام عن قناعة وتيقن، فقبل يومين من استشهاده دار حديث بينه وبين والدته عن تربية الأولاد فى الإسلام فقال لأمه: إننى أريد أن أربى ابنتى على الإسلام الصحيح وليس على الإسلام التقليدى، تقول والدته: لقد كان كثير الغضب لله تعالى، ولقد كان شفوقًا على والديه بارًا بهما. تقول زوجته: كان يكثر من النوافل ويحب الصلاة فى المسجد وكان يحب قيادة الحركة الإسلامية لدرجة كبيرة حتى إنه كان يقول لها دائمًا (هؤلاء أولى بقيادة شعبنا من قياداتنا العربية).

قصة الاستشهاد:

أحد إخوانه يحكى قصة ذهابهم إلى الأقصى وقصة استشهاده قائلاً: عصر يوم الأحد التقيت أحد الإخوة فى المسجد، وبعد انتهاء الصلاة اتفقت معه على أن نسافر معًا إلى القدس لقضاء عمل ضرورى وكان عدنان بجانبنا، وبعد أن اتفقنا على السفر طلب إلينا الشهيد عدنان أن يسافر معنا إلى الأقصى الشريف لأداء الصلاة فيه، وقد كان الشهيد عدنان شغوفًا ومحبًا للأقصى ولا يكاد يمر عليه شهر كامل إلا ويسافر إليه أكثر من مرة وبالذات فى شهر رمضان المبارك. واتفقنا نحن الثلاثة على أن يكون موعد الانطلاق بعد صلاة الفجر مباشرة، وانطلقنا إلى القدس، وعند الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الاثنين بدأ الجيش المحتل بمحاصرة الأقصى، وكان عدنان ساعتئذ قد ذهب إلى مكان الوضوء ليهيئ نفسه لصلاة الظهر وبعد أن اشتد إطلاق الرصاص والقنابل الغازية بدأت والرفيق الآخر بالبحث عن عدنان ولكن أين نبحث عنه وكيف نبحث عنه والرصاص يتطاير بغزارة وقنابل الغاز أطلقت حتى فى داخل

الحرم الشريف والرصاص وصل إلى منبر صلاح الدين؟! . . وبعد ساعات بدأت الأخبار تتوارد أن مجموعة من المواطنين قد استشهدوا، ولقد رأيت بأم عينى شيخًا طاعنًا فى السن قد استُشهد فى داخل الحرم القدسى الشريف، وعندئذ قلت فى نفسى (هل يكون عدنان من جملة الشهداء) ؟ وعندما بدأت إحدى الطبيبات بقراءة أسماء الشهداء لم أنتبه جيدًا إن كانت قرأت اسم عدنان، فذهبت إلى مستشفى المقاصد لأسأل إن كان عدنان من بين الجرحى وعندما بحثت الطبيبة عن اسمه بين مجموعة الجرحى لم تجده، فاطمأن قلبى شيئًا ما . . حتى جاءت ممرضة أخرى فقالت: هل تسأل عن أحد شباب طمرة؟ فقلت لها نعم فقالت: لقد استشهد وأخذ جثته أحد الشباب من منطقة الجليل ورحل بها إلى بلد الشهيد . . فعدت إلى البيت وأنا أفكر كيف كنا صباحًا ثلاثة أنفار وها نحن نعود اثنين.

من كرامات الشهيد:

أجمع الحضور على أن الشهيد كان يتمنى أن يلاقى وجه ربه على أفضل ميتة وكان يتمنى الشهادة فى سبيل الله دائمًا ومن كثرة حبه للأقصى كان يتمنى الشهادة فى ساحات الأقصى الشريف.

* تقول زوجته: إن زوجها الشهيد خرج من بيته فى ساعة مبكرة وقبل خروجه أقبل على سرير ابنته فقبلها بين عينيها ووضع بجانب رأسها نسخة صغيرة الحجم من المصحف الشريف.

* لقد قام الشهيد عدنان مؤخرًا بزيارة معرض الكتاب الإسلامى فى كفر كنا، وقد اشترى من المعرض كتابا يتحدث عن الاستشهاد فى سبيل الله.

* تقول زوجته: لقد كان زوجى يردد ويقول: ليس لدى وقت كاف لقراءة الكتب، ولكن سأترك هذه الكتب المهمة لأولادى من بعدى، وإذا ما قدر لى العمر المديد فسأربى أولادى عليها وأنشئهم على التعاليم الواردة فيها.

* كل من رأى الشهيد بعد استشهاده أكد أنه كان كأنه يبتسم، يقول أحد إخوته: عندما أنزلناه من السيارة اقتربت منه وعندما قيل لى إنه استشهد لم أصدق إذ كانت ابتسامته العذبة ترتسم على شفتيه.

* قبل يوم واحد من استشهاده حدث الشهيد إخوانه أنه يتمنى الشهادة فى الأقصى.

* إن تعلق الشهيد بالأقصى كان كبيراً للغاية حتى إن أحد إخوانه يقول: بعد أن أعلن أخى توبته أخذ على عاتقه محاربة الأعراس الجاهلية، ومن شدة كراهيته هذه الأعراس قاطع الشهيد حفل زفاف أحد إخوته لأنه أقام عرسًا جاهليًا ولم يجد الشهيد مكانًا يلجأ إليه إلا الأقصى.

هذا وقد ترك الشهيد طفلة عمرها ٣ أشهر واسمها «فردوس»، فتركها ليذهب إلى فردوس أعلى مع الأنبياء والأولياء والشهداء... وفى الرياض الخالدات... سيحيون... لا لغو هناك ولا تأثيم بل تزفهم الملائكة فى أعالى السماء... سلام عليكم... سلام عليكم وطوبى لكم يوم الميعاد.



شباب يعيدون تعمير المساجد التى خربها اليهود

***

الشهيد/سليم أحمد الخالدى

١٩٩٠/١٠/٢٣

مولده ونشأته:



ولد الشهيد سليم الخالدى فى عام ١٩٦٦م فى باب السلسلة من مدينة القدس. أنهى دراسته حتى الصف الثانى الثانوى، عمل بعدها فى مختبر للأسنان أنشأه له والده خصيصًا، بعد أن تقاعد - والده - من العمل فى هذه المهنة التى ورثها عن والده الدكتور سليم الخالدى، له شقيق واحد اسمه عبد الرؤوف (١٧ عامًا)، وهو طالب فى الثانوية العامة. وله خمس شقيقات. وقد تزوج الشهيد مع دخوله سن العشرين.

يروى والده بعضًا من سيرة حياته: كان الشهيد رحمة الله عليه، شابًا هادئًا، مسالمًا، يؤدى الصلاة، والصوم، طيب القلب يحبه كل من عرفه... تميز بحسن معشره، ويحبه للناس، كان بارًا بوالديه عطوفًا على والدته، وإخوانه، يقضى معظم أوقاته عاملاً فى مختبر الأسنان الذى أنشأته له، ليتفرغ لبناء نفسه، وينهض بمسؤوليات البيت، بعد أن بلغت من الكبر عتيًا.. وجاوزت السبعين عامًا.

كان الشهيد يعانى من عجز فى كلتا رجليه... بسبب مرض ألمّ به وهو فى سن السادسة عشرة تقريبًا...

يوم استشهاده:

وعن يوم استشهاده يذكر والده، فيقول: فى ذلك اليوم، كنت برفقته فى منطقة باب الجديد فى البلدة القديمة... سمعنا أصوات إطلاق النيران فاستأذننى سليم بالذهاب إلى الأقصى للصلاة فيه، وكذلك للاطمئنان على أمه وأخواته اللواتى مكثن فى ذلك اليوم داخل بيتنا فى باب السلسلة الملاصق للحرم الشريف.

غادر سليم على عجل. . . وفى منطقة سوق الدباغة، بالقرب من كنيسة القيامة صادف في طريقه ثلاثة من المستوطنين، توقفوا فى منطقة السوق. . وحين رأوه يركض أطلق أحدهم عليه النار، فأصابه برصاصة قاتلة فى الجهة اليمنى من صدره، مزقت كامل رئته، فسقط على الأرض. . فهب كل من كان فى المنطقة لإسعاف سليم ونجدته. . . ولكن دون جدوى، فإصابته خطيرة للغاية، وقد نجم عنها تعطل الكبد عن العمل، وكذلك أعضاء أخرى داخل الجسم.

فى الساعة الثانية عشرة من منتصف ليلة الثالث والعشرين من شهر تشرين أول(أكتوبر) من العام ١٩٩٠، أسلم سليم الروح، وقد استدعيت إلى الشرطة التى أخبرتنى بأنها لن تسمح بدفن جثة سليم إلا ليلاً. . . توجهت إلى المستشفى مساء اليوم التالى أى فى الرابع والعشرين من نفس الشهر، وتسلمت الجثة، وكنا قلة من أقاربه، ودفناها فى مقبرة باب الأسباط عند الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً، وفى حضور مكثف لقوات حرس الحدود التى اعتلت سور القدس المطل على المقبرة. . .

ويروى والد الشهيد سليم الخالدى، أن الشرطة حاولت عبثًا تحويل جثة نجله الشهيد إلى التشريح، بدعوى معرفة أسباب الوفاة، إلا أنه رفض طلب الشرطة، فهددوه باتخاذ إجراءات ضده، إلا أنه أصرّ على موقفه، ورفض تشريح جثة ولده الذى قتل بالرصاص.

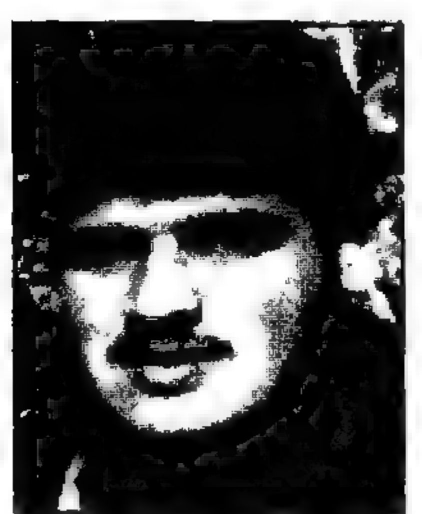
رحمك الله أيها الشهيد وأسكنك فسيح جناته. . مع الصديقين والشهداء والصالحين إنه نعم المولى ونعم المجيب.



الشهيد/هيثم شفيق جملة

١٩٩٠/١١/٣

مولده ونشأته:



ولد شهيدنا هيثم شفيق جملة عام ١٩٧٢ فى مدينة نابلس البطلة لأسرة متدينة، فوالده يحافظ على الصلوات فى المسجد جماعة، وشقيقته مسلمة ملتزمة بأخلاق الإسلام، وتلقى دروس العلم على النساء، أما هيثم فقد بدأ حياته كأى شاب لم يتعرف على الإسلام، عاش فى ضياع وضلال فاعتنق أفكاراً غريبة عن دينه وعقيدته وتراث شعبه، أفكاراً مبتورة مالها من قرار، ولكن الله تبارك وتعالى هداه فكان أحد الدعاة المجاهدين التابعين لحركة المقاومة الإسلامية «حماس».

حادثة الاستشهاد:

بعد مجزرة الأقصى المبارك، تفجر بركان الغضب العارم فى فلسطين المحتلة، وغلت الدماء فى العروق، وبدأت مرحلة وميلاد جديد للانتفاضة الجهادية المباركة، فلقد دعت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» فى ندائها رقم (٦٥) إلى استباحة دم كل يهودى ومستوطن، فبدأت ثورة السكاكين، ففى صباح يوم الأحد ٢١/ ١٠/ ١٩٩٠ قام المجاهد البطل عامر أبو سرحان بطعن ثلاثة من أفراد العدو حتى الموت، وجرح رابعًا . . . وفى صباح يوم الثلاثاء ٣٠/ ١٠/ ١٩٩٠ كان أحد المستوطنين اليهود يرافق شاحنة محملة بالوقود إلى إحدى محطات بنزين فى نابلس وعندما نزل من الشاحنة كان هيثم له بالمرصاد، فطعنه طعنات أودت به إلى نار جهنم. بينما استشهد وسقط مضرجًا بدمه برصاص الجنود الذين كانوا بالقرب من الشاحنة. فقد أصيب هيثم بثلاث رصاصات؛ واحدة بالبطن وأخرى فى العنق وثالثة فى الكتف.

ردود فعل والديه حول استشهاده:

توجهنا إلى أمه فقالت: إن هيثم أوصاها إن استشهد أن يدفن إلى جانب أخيه وصاحبه ابن حركة المقاومة الإسلامية «حماس» الشهيد «حسام أبو زنط» وقد سمى نفسه «أبا حسام» حبًا للشهيد «حسام».

وقالت إنه جاءها صباح اليوم الذى استشهد فيه وقبل يدها ونفس الشىء فعل مع شقيقاته من دون أن يشعرهن أنه مقدم على شىء.

وتوجهنا إلى والده وكان يضع على رقبته لفحة خضراء زينت بـ «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فقال: لقد استيقظ هيثم مبكرًا ونزلنا معًا إلى المسجد وصلينا الفجر وعدنا إلى البيت وكان طبيعيًا. ودخل فى هذه اللحظة وفد من مدرسته التى يقارب عدد طلابها ألف طالب ثانوى فتوجهت بالسؤال إلى أحدهم عن هيثم وتصرفاته داخل المدرسة، فقال: إنه من أكثر الناس عملاً ودعوة، كما أنه كان من أكثر الطلاب شدة فى الدفاع عن «حماس» لدرجة أنه كان يدعو الكثير للانضمام تحت راية «حماس» راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وكان يتصرف تصرف الذى لا يخشى العملاء، فهو مكشوف الاتجاه للجميع.

أثر استشهاده على أهالى مدينة نابلس:

حينما وصل الخبر إلى أهالى المدينة وبخاصة شباب «حماس» اشتعلت نابلس لهيبًا، وانتشرت المواجهات فى كل مكان وفرض نظام منع التجول فكان لهيثم رحمه الله دور كبير فى رفع معنوياتهم، حيث هذه هى المرة الأولى التى يقتل فيها يهودى مسلح بسكين فى مدينة نابلس، فأخذ الناس يقولون «هكذا العمل ولا بلاش. . . تسلم ايدك يا حماس» رغم إعلان الصهاينة بأن اليهودى قد أصيب بجروح متوسطة، إلا أن جميع من رأى الحادثة أجمعوا على أنه قد قتل. سلمت يمناك يا هيثم. . . رغم أنهم أخذوا جزءًا من جسمك فإننا ندعو الله بأن تكون أجزاؤك التى وضعت فى أجساد اليهود ثورة انتفاضة ورعبًا فى أجسامهم ولعنة عليهم.

وهكذا مضى هيثم. . مضى إلى أرض البقاء. . . آثر الحياة الخالدة على حياة الفناء، وأنشدت له كائنات السماء أناشيد الخلود ﴿أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

* * *

الشهيد/ محمد أحمد حسن أبو نقيرة (أبو أحمد)

١٩٩٠/١٢/١٣



الاسم الأول فى سلسلة قائمة الخلود التى اعتلت صهوة المجد مبكراً لتفتح للأمة بوابة الجهاد مجدداً. . . بوابة تحمل قسمات نورانية تعمق فى صخر التاريخ اسم قسام يعبد.

كانت الساعة تقترب من الساعة السابعة والنصف من مساء اليوم الثالث عشر من شهر ديسمبر من العام ١٩٩٠م. . . . . وقد أرخى الليل سدوله فى جو يحمل بصمات كانون الباردة على مخيم الشابورة القابع رمز اللجوء والقحط وسط رفح الباسلة. . . . . وكان الصباح على موعد مع الذكرى الثالثة لانطلاقة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) أبرز أسماء الانتفاضة الفلسطينية الماجدة، حين دوى صوت قنابل تبعه زخات من رصاص سلاح أوتوماتيكى من موقع البيارات الملاصقة رمزاً للصمود الفلسطينى غرب مخيم الشابورة. . . . . . قليلون هم الذين لفت انتباههم الصوت المدوى. فأغاريد الرصاص لحن تعودته أذان أبناء رفح الصمود منذ زمن الانطلاقة الأول قبل أعوام ثلاثة من تاريخ هذا اليوم. وبعد ساعات ثلاث من هذا الحدث شق صمت الليل صوت مجموعة سيارات عسكرية إسرائيلية تقدمت حيث يقبع منزل أحمد أبو نقيرة ذاك الرجل الصلب الذى هاجر من بلدته الأصلية (بئر السبع) التى تعلم منها فنون الصبر حيث حياة المكابدة. . . . طرق الباب عدة طرقات أطل بعدها (أبو محمد) وخلفه أم محمد تطل برأسها، وإذا بجنود الاحتلال يحيطون هذا الموقع الحصين وكلمات فجائية خرجت من فم الضابط بكل بساطة (ابنك محمد قتل الليلة وعليك الحضور بعد ساعة كى تواريه التراب).

(محمد أبو نقيرة) الاسم الأول فى سلسلة قائمة الخلود التى اعتلت صهوة المجد مبكراً لتفتح للأمة بوابة الجهاد مجدداً. . . بوابة تحمل قسمات نورانية تعمق فى صخر

التاريخ اسم قسام يعبد. . . إذن هى الانطلاقة مجدداً بعد أن رسخت الصبغة الأساسية لهذا الطريق الشاق الطويل، ومحمدنا الابن الأول لوالديه حيث أطل على الدنيا بعد طول انتظار فى اليوم الثانى من شهر أبريل من العام ١٩٦٥ ميلادية فى مدينة رفح وبعد خمس من البنات وتعلقت به العائلة الوادعة وخاصة والدته. . . وزاد تعلقها أنها رزقت بعده بأربع بنات.

شب الطفل الصغير على أعين والديه الذين يرقبان كل خطوة من خطوات حياته ويتمنيان له الخير والرشاد. . . حتى غدا فتى يافعًا طالبًا فى مدرسة بئر السبع الثانوية. . . وبدا النضج معلمًا بارزًا فى شخصية (محمد). . . وبرزت شخصيته المتمردة على الواقع المظلم لشعب يرزح تحت الاحتلال.

حيث كان (محمد) من أبرز نشيطى المظاهرات، وفى أحد أيام ١٩٨٢م حاصر الجيش المدرسة وأوقف الطلبة على الجدار الداخلى رافعى أيديهم، وكان (محمد) قد قفز وسط الجنود بكل الجرأة على الجدار محاولاً اجتيازه، فأطلق أحد الجنود عليه النار وأصابه برصاصة مطاطية فى يده، واعتقل حينها عدة أيام ثم خرج بكفالة، وفى هذه الأثناء برز (محمد) وسط أقرانه. وبدا للفتى الناضج فى تلك المرحلة توجه سياسى حيث كان أبرز أبناء الشبيبة الطلابية. . . انقضت المرحلة الثانوية وانتقل محمد للدراسة فى الجامعة الإسلامية بغزة. . وبدأ الفكر الإسلامى يملأ عليه حياته. . . ولم يستمر طويلاً فى دراسته حيث عاد للسوق وتكبد مشاق الحياة مع والده. وبدأ التاريخ يرسم خطًا بيانيًا تصاعديًا جديدًا فى حياة الشعب الفلسطينى ومسار الحركة الإسلامية بصفة خاصة حيث انطلقت شرارة الانتفاضة من شمال القطاع، حيث تقبع جباليا الثورة وامتدت إلى جنوبه حيث (محمد أبو نقيرة) الرجل شديد البأس يقبع فى سوق رفح ينتظر قدره ليرسم بدمه جزءًا كبيراً من هذا الخط البيانى التصاعدى كأحد نقباء (جماعة الإخوان المسلمين).

ومن اللحظة الأولى لانطلاقة الشرارة برز بطلنا كأبرز نشيطى حماس فى المواجهات وتنفيذ الإضرابات ومعه أخوه (بسام أبو عرادة) الذى استشهد فى المواجهات، وكان لهذا أكبر الأثر فى حياة محمد المجاهد. . . وفى شهر مايو ١٩٨٩ م كانت أذرع الأمن الإسرائيلية توجه ضربة واسعة ضد حركة المقاومة الإسلامية حماس وتطال حملة الاعتقالات رجل هذه السطور ليقضى محكوميته البالغة عامًا ونصف العام بتهمة

الانتماء إلى حماس وتنفيذ فعاليات الانتفاضة والمشاركة بأعمال ردع لعدد من العملاء حيث كان الشهيد متحمساً للعمل الجهادى . . . ويبغض العملاء وكان كلما مر بعميل ينشد بيت الشعر الذى طالما ردده :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار ما لم تزود

وطوال فترة محكوميته لم يهدأ (محمد) فلم يتعود حياة القيد، فكان يفكر دوماً كيف الخروج من هذا القيد فما لهذا خلقت . . . . فقد اعتاد (محمد) حياة الحرية، يفكر بعقله ويتحرك بإرادته حيث كان يملك قراراً مستقلاً، وشعوراً بالحرية يملأ عليه حياته . . .

هذه الطبيعة المنطلقة جعلت من السجن قيداً يثقل كاهله مما أثر فى روحه المعنوية فى داخل المعتقل وظل ينتظر بفارغ الصبر يوم الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٩٠م، يوم الحرية وكسر القيد الثقيل . . وما أشق الانتظار !!!

وأخيراً جاء يوم الحرية المنتظر . . وخرج (محمد) من قيده وهو يحمل روحاً وثابة منطلقة مقبلة على العمل وأى عمل . . . ؟؟ إنه الجهاد ذروة سنام الإسلام . انطلقت الروح الوثابة والهمة العالية دون كلل أو ملل أو تهاون أو تراجع، وشمر المجاهد الشهم عن ساعد الجد وخاض دروب الجهاد بكل بسالة وتفان، فألح فور خروجه من المعتقل كى ينضم إلى (الجناح العسكرى) لحماس فيما ألحَّ عليه والدته بالزواج كى تفرح وكان جوابه دوماً «سأتزوج لكن ليس من هنا وليس الآن» .

واسم القسام حينها لم يرسخ بعد وكان يتردد بشكل مقتضب فى مناطق متفاوتة أبرزها رفح الباسلة، حيث وُضع حجر الأساس لانطلاقة (كتائب الشهيد عز الدين القسام) . . . والتحق الشاب التواق بإحدى الخلايا القسامية فى رفح، وذلك بعد استجابة لإلحاح المجاهد العملاق، بعد الإصرار والتصميم اللذين أبداهما . . . . وكانت الكتائب فى رفح حينها قد أعدمت شخصين متهمين بالتعاون مع الاحتلال، وبعد خروجه من المعتقل لم ينم شهيدنا أكثر من خمسة أيام فى منزله حيث كان يخرج من بيته بعد المغرب ولا يرجع إلا صباح اليوم التالى، والغالب أن هذه الفترة كان يقضيها فى مهام عمله الجديد حيث لم تتوقف عمليات خطف المتعاونين والتحقيق معهم وقتل عدد منهم . . .

رفع المؤذن صوته بالنداء الخالد الراشد داعيًا الناس لصلاة المغرب. . واصطف الناس للصلاة وبينهم محمد يرفع يديه مكبراً يسجد لله عز وجل، وبعد انتهاء الصلاة عاد فوراً إلى منزله وأخبر أمه أنه لن يعود إلى منزله هذه الليلة. . . . وألح عليه القلب الحنون بالنداء للبقاء. . . . فأجابها: لا أحب السجن ولا أريده، وغداً انطلاقة حماس. . . وأعقب هاتفًا وهو يخرج « يا ستى لو استشهدت فافرحى » ومضى قافلاً نحو هدفه. . .

بدت الشوارع خالية إلا من بعض الذين اضطرهم ظرف للخروج. . حين انطلقت خلية قسامية وهى تحمل شخصًا بعد ورود معلومات تحمل الإدانة والاتهام له، ودخلت الخلية منطقة البيارات الواقعة غرب الشابورة، وباشرت التحقيق معه، وأثناء ذلك حضرت دورية عسكرية من الناحية الغربية، ولحظ المجاهدون ذلك وكان على أحد الأبطال إعاقة الدورية من موقع العمل، ورفع محمد يده هاتفًا: أنا لها. . . أنا لها.

وانطلقت الخلية ووقف محمد خلف إحدى الشجيرات، ولما اقتربت الدورية ألقى ثلاث قنابل من صنع محلى على الدورية. . . . وأعقبها زخات رصاص لاحقت المجاهد حيث استقرت إحداها فى فخذه الأيمن وتم اعتقاله. . .

وسارت به القوة وهو مصاب باتجاه معتقل أنصار فى خانيونس وهو موثق اليدين والقدمين واتجه به الجنود ناحية غرف التحقيق.

ولما كان محمد مميزاً بالجرأة والمواجهة والعناد، فقد أسلم روحه إلى بارئها دون أن يقول كلمة واحدة إلى ضابط التحقيق.

وفى الساعة الثانية عشرة ليلاً كان الوالد المحتسب يحيطه عدد كبير من جنود الاحتلال حيث يوارى جثمان ولده الشهيد التراب وهو يردد (إنا لله وإنا إليه راجعون). . . (حسبنا الله ونعم الوكيل)، يتلو آيات من كتاب الله عز وجل. . . فيما تقف والدته ذاهلة وهى غير مصدقة، فقد كان الخبر مفاجئًا وصاعقًا لأمه ولجميع من عرفه، فقد احتل فى قلوب الناس موقعًا متميزاً لتطوى صفحة أولى ناصعة من صفحات الجهاد القسامى المتنامى على أرض الرباط الإسلامية، ولتنطلق الشرارة المميزة فى العمل العسكرى الإسلامى استجابة لوعد الله تعالى على هذه الأرض المباركة.

الشهيد/ رائد محمود عوض البرغوثى

مولده ونشأته:



ولد الشهيد رائد فى قرية عابود فى ١٥/ ١/ ١٩٧٠م لأسرة فقيرة الحال، فوالده مزارع يقضى نهاره فى أرضه، يجد ويتعب ليطعم أسرته المكونة من خمسة ذكور وست إناث، يساعده فى ذلك ولده الأكبر فيتقاسمان آلام الحياة لإيواء وإطعام هذه الأسرة الكبيرة.

أما شهيدنا - رائد- فقد كان جوهرة البيت، قمحى اللون، أسود العينين على خلق حسن، يحترم الصغير ويوقر الكبير، أمينًا تقيًا، فقد حدث أنه وجد وهو صغير مبلغًا كبيراً من المال فسلمه إلى أبيه ليعلن عنه فى المسجد حتى ظهر صاحبه.

أنهى الشهيد الصف الثالث الإعدادى، ثم انكب بعد ذلك على حفظ آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ. وقد أحب رائد قراءة القصص الدينية والمجلات الثقافية. وكان محبًا للنشيد، ينظم الزجل الشعبى ويلعب كرة القدم بتفوق بارز.

لقد قاد الشهيد فرقة أشبال المسجد للأناشيد الإسلامية ليقف فى ذكرى مولد سيد الكونين محمد ﷺ، وذكرى الإسراء والمعراج، وسائر الذكريات الإسلامية مجلجلاً بصوته فى الآفاق منشداً:

يا هذه الدنيا أصيحى واشهدى ... إنا بغير محمد لا نقتدى

حادثة الاستشهاد:

داهمت قوات كبيرة من جنود ومستوطنى الاحتلال القرية لتأديبها، فانطلق الشباب يتصدون لقطع الطرق على بنى يهود، وانطلق وكأنه على موعد مع الشهادة، فقد وجدت له صورة وكتب على ظهرها:

المرء ضـيف فى الحـيـاة وإننى ضيف كـذلك تنقضى الأعـمـار

فـإذا أقـمت فـإننى ذا بينكم وإذا رحلت فـصـورتى تذكـار

انطلق رائد ليلتقى رفيق طفولته وصباه وشبابه أحمد الذى كان ورائد حبيبين صاحبين. وها هما يذهبان من هذه الدنيا شهيدين عند الله تبارك وتعالى، لقد تصدى الشهيدان الصاحبان لقوات المستوطنين، فقام أحد المستوطنين بالغدر- وتلك شيمتهم- بهما فالتف من حولهم وأطلق الرصاص فأصاب جبين الشهيد برصاصتين لينفجر الدم الأحمر القانى فيرسم فوق أرض عابود حكاية شعب، وجهاد أمة لن تموت بإذن الله.

وفى عالم آخر لا ينتهى اجتمع الحبيبان رائد وأحمد، عرفوا معنى الحياة تضحيةً وفداء لله ولرسوله.. لا شهوات وصغائر، فكانوا فى الأرض الأوفياء المجاهدين... وكانوا فى الآخرة الشهداء الخالدين...

***

الشهيـد /محمود محمد علاونة

مولده ونشأته:



ولد الشهيد محمود بتاريخ ٢٩/ ١/ ١٩٧١ ودرس في مدرسة برقين الثانوية، وأنهى الدراسة حتى الصف الثالث الإعدادى وتوجه بعدها لكى يتعلم صنعة الحدادة من أجل أن يقوم بالأعباء الاقتصادية الملقاة على عاتق والده، وبالفعل فقد أصبح الدخل الذى يتقاضاه المتنفس الوحيد للعائلة من الصعوبات التى كانت تواجهها فى الحياة.

قصة استشهاده:

كأى شاب فى المرحلة التى كان يعيشها محمد، فقد بدأ يعد نفسه من أجل الزواج، وبسبب البيت الضيق الذى تعيش فيه العائلة، فقد قرر أن يقوم ببناء عدة غرف بجانب البيت القديم ولم يكن يعلم شهيدنا أن القدر قد خبأ له ما يقطع عليه هذه الأحلام!!

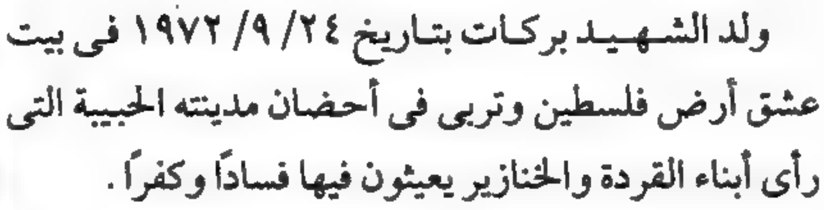
تقول والدته عن هذه اللحظات: بدأ محمد العمل منذ الصباح الباكر فى ذلك اليوم، ولم يتناول إفطاره، وبينما نحن فى صمت إذا هو يسألنى: ماذا يفعل أهل الشهيد عندما يستشهد ابنهم؟ فردت عليه والدته بقولها له: آخر الأمر فإن أهله سيصبرون! وكأن الشهيد رحمه الله كان يؤرقه رد فعل الأهل وربما شعر بدنو أجله، تقول والدته: إنه لم يسأل مثل هذه الأسئلة منذ بدء الانتفاضة. فى هذه الأثناء دخل جنود الاحتلال إلى القرية من أجل إجراء عملية اعتقالات لبعض المطلوبين، وعندما تنبه عدد من السكان إلى ذلك بدأوا يصرخون ويكبرون، وسمع محمد أصواتًا تقول بأن الجيش اقتحم القرية، فترك عمله وهب للدفاع عن كرامة شعبه وحرمة أرضه.. ولم يجد أمامه سوى الحجارة، وحدثت مواجهات عنيفة استمرت وقتًا طويلاً، وبينما كان شهيدنا ينشط فى رجم جنود الاحتلال، عن بعد ٣٠ مترًا، أطلق أحد الجنود النار باتجاه محمد ليصاب بالرأس وسقط على الأرض، تقول عمته: إنها شاهدت جزءًا من دماغه على الأرض!! بعدها نقل الشهيد إلى مستشفى جنين ومن ثَمَّ حُوِّل إلى مستشفى

رميم بحيفا حيث لفظ أنفاسه الأخيرة ليشيع فى جنازة كبيرة طافت شوارع القرية. عن وقع الحادث يقول والده: كنت أعمل فى حيفا وبينما أنا راجع إلى البيت أخبرنى أحد الأصدقاء بأن ابنى قد استشهد. أما والدته فتقول: عندما تم إطلاق النار وسمعت صراخًا حول إصابة أحد الشبان قلت: محمد أصيب!! وتعيش مع الأسرة اليوم عمة الشهيد حيث هدمت سلطات الاحتلال منزلها والأسرة بأكملها لا تجد مأوى لتعيش فيه!! فوامعتصماه!! نظرنا إلى نوافذ البيت كلها فكان معظمها مكسراً بسبب الزيارات المستمرة لجنود الاحتلال من أجل منع صورة الشهيد من تزيين جدران البيت. وكم يغتاظ جنود الاحتلال حين يرون صورة الشهيد معلقة على جدران القرية ويغتاظون أكثر إذا علموا أن صورة الشهيد ستبقى معلقة فى قلوبنا!!. فإلى الجنات أيها الشهيد.



الشهيد/بركات إبراهيم الفاخوري

مولده ونشأته:



ولد الشهيد بركات بتاريخ ٢٤/ ٩/ ١٩٧٢ في بيت عشق أرض فلسطين وتربى في أحضان مدينته الحبيبة التي رأى أبناء القردة والخنازير يعيثون فيها فساداً وكفراً.

شهيدنا هذه المرة من خليل الرحمن، البلد الذي أحب أهله الإسلام والحركة الإسلامية، فالخليل منذ القدم قلعة صامدة للإسلاميين، وكان من حظ الشهيد أن يكون بيته بجانب مسجد الحسين، الذي كان له الأثر الطيب في بعث الصحوة والنخوة في نفوس شباب الإسلام في مدينة الخليل، فرواد هذا المسجد من الشباب المثقف الواعي المتحمس لدعوة الإسلام الذين يؤمنون بهذا الدين عقيدة وشريعة ونظامًا شاملاً للحياة، وغالبًا ما يفد إلى هذا المسجد طلبة جامعة الخليل.

وبركات يتمتع بخلق رفيع، فكان هادئًا صلبًا محبوبًا من كافة إخوانه، وكان بطبعه لا يميل إلى المجادلة أو الثرثرة، وكان يتلقى الحكم الشرعي أو النصيحة بكل هدوء ورحابة صدر، وفي الفترة الأخيرة أكثر من الحديث والسؤال عن الانتفاضة والجهاد والاستشهاد، ويقول أحد إخوانه عنه: كان يأخذ الحكم الشرعي للتطبيق دون تردد أو تسويف، ولقد كان شجاعًا صلبًا قوي الجسم لا يعرف الخوف أو الخور أو التنازل عن حق ويقول: جاء بصور شهداء مدينة الخليل وقال: (يا الله أكون منهم) وكان في ليلة استشهاده يردد: يا أم الشهيد زغردي.

حادثة الاستشهاد:

حدثت مواجهة عنيفة مع سيارة كان يركبها مستوطنان (ابن تسيفا وحارسه الشخصي من حركة كاخ) فخرجا من السيارة وبدأ الاثنان بإطلاق النار باتجاه (سوبر ماركت) قريب، فاخترقت الرصاصة الأولى باب المحل، وأطلقا رصاصة أخرى باتجاه بركات فأصابته في بطنه، فوضع إحدى يديه على مكان الجرح ورفع يده الأخرى مشيراً

بعلامة النصر وهو يقول : الله أكبر . وهنا جن جنون أحد المستوطنين، فأفرغ بقية الرصاص في جسد الشهيد، وبقي يطلق النار فوق جثته الطاهرة ليفزع كل من يحاول إسعافه . . وبالرغم من استخدام السلاح وبشكل مكثف فقد هرع سكان الخليل القريبون من الحادث لنجدة الشهيد مما اضطر المستوطنين إلى الهرب، وحضر طبيبان لمعالجة بركات الذى كانت دماؤه تنزف فى هذه اللحظات وتم نقله إلى المستشفى وهو فى الرمق الأخير، لترتفع روحه إلى بارئها ويقضى فى الخالدين بإذن الله .

كرامات الشهيد:

بقى ينزف من جراحه لمدة نصف ساعة تقريبًا بغزارة، وكمية الدماء التى نزفت منه تجعل الإنسان يندهش عندما يزور موقع الاستشهاد .

بقى الدم رطبًا، لونه لون الدم ورائحته كالمسك، كما أن ثياب إخوانه أصبحت رائحتها طيبة وزكية .

إن شهيدنا بركات كان من سرايا المجاهدين التابعة لحركة المقاومة الإسلامية حماس، وقامت حماس بنعى شهيدها البطل وَودَّعت ليثًا آخر من ليوثها الذين وثبوا على أرض فلسطين ليرووها من دمائهم، وليعلنوا لكل العالم أن أرضهم إسلامية لا شرقية ولا غربية . إن دمك أيها الشهيد يلتقى مع دماء أيمن المحتسب، ومحمد زين الكركى، وغيرهم من الشهداء . . الذين التقت أرواحهم فى عليين ﴿ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

* * *

الشهيد / فايز ماهر يوسف

حياته ونشأته:



شهيدنا بلغ من العمر ١٨ سنة . . عرفته قريته جريئًا شجاعًا، كأن الموت والخوف قد مسحا من قاموسه . . يدفع بنفسه إلى المواجهات دفعًا.

حادثة الاستشهاد:

استيقظ مبكرًا واغتسل ولبس أجمل ثيابه، وقال لأمه: سأضطر إلى تأخير زواجي قليلاً فلدي أعمال ينبغي إنجازها قبل الزواج، وودع أمه وباقي أصدقائه، وطلب من أخيه الأكبر أن يقسم ما كان قد جمعه من مال بين إخوته . . وأن يسامحوه، ومضى مع ثلة من أفراد حماس، وإذا بقوة للعدو على مقربة من القرية، فما كان منهم إلا أن كمنوا لها، فباغتوهم بوابل من الحجارة أصابت معظم جنودهم إصابات بالغة، فوجّه أحد جنودهم رصاصاته إلى يد شهيدنا الذي ما إن رأى الدماء حتى خرج من مكمنه هاتفًا: الله أكبر . . الله أكبر . . ويهجم صارخًا: يا كفرة . . يا مجرمون « اضربوني . . مزقوني . . أغرقوني في دمائي، لن تعيشوا فوق أرضي لن تطيروا في سمائي» ويتجه نحو غريمه الذي أصابته الدهشة واستولى عليه الرعب لما يرى ويسمع، فيأخذ منه سلاحه ولكنها رصاصات الحقد تنطلق من دورية أخرى لتستقر في قلب الشهيد . . ويقف الجنود يرمقونه من بعيد لا يجرؤن على الاقتراب منه، وإذا بالسواعد الرامية يهرعون إليه ليحملوه إلى عيادة طبية في قرية (بورين) المجاورة، ولكن العدو حال دون ذلك لتنطلق السيارة التي أقلت شهيدنا إلى طبيب داخل القرية نفسها . . .

ويلتفت إليهم الطبيب والدموع تملأ عينيه قائلاً: إنها الجنة تبغي ثمنًا، فيكبرون وتكبر القرية معهم . . وتقف دوريات العدو على الطريق لتأخذ الجثة وتشرحها -كعادتهم- علهم يجدون في صدره وبين حناياه سر هذا الإقدام فيدخلونه إلى نفوس جنودهم المهزومة، ويقوم شبان بحمله والسير به بين الأشجار ليوصلوه إلى

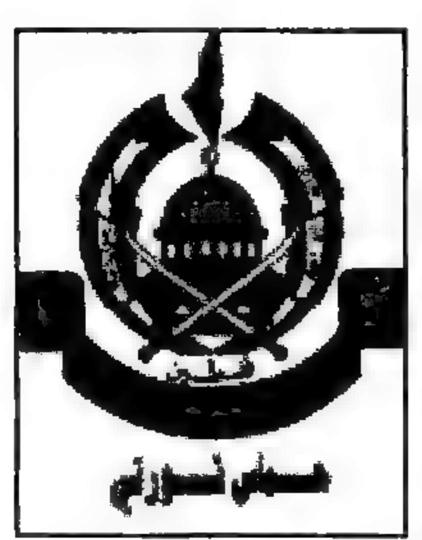
قريته التى تبعد حوالى ٢كم والدماء تنزف منه والرائحة كرائحة المسك وينادى مناديهم : يا أهل قرية مادما، شهيدكم بين أشجار الزيتون فادفنوه ولا تسلموه لجنود الاحتلال.

جنازة الشهيد:

اندفع الأهالى شبانًا وشيبًا . . نساء وأطفالاً إلى الطرقات والأزقة يغلقون مداخل القرية بالمتاريس ويضرمون النيران فى إطارات السيارات ويقفون كالليوث يذبون عن الحمى ويرجمون يهود ليحولوا بينهم وبين الوصول إلى الجثة، فى الوقت الذى كان كبار السن من الشيوخ يحفرون القبر والوفود من القرى المجاورة تتدافع متسللة من بين الأشجار لتعزز الموقف وتشارك فى تشييع الجنازة وينطلق الجمع بالشهيد إلى روضته، ودماؤه ما زالت تنزف وسط ثلاثة آلاف مشيع، والزغاريد قد ملأت الأجواء . . ويجبن اليهود أمام العرس الفلسطينى فيعودون أدراجهم يجرُّون أذيال الخيبة والذل والخوف . . ويعلن أهله وأقرباؤه الأفراح، فتفد الجموع من كل المناطق المجاورة مهنئة بالشهادة . إننا فى هذا اليوم نقف وقفة عزة وفخار أمام هذا العملاق وقد جرح بيده فثار مكبراً ودماء المجد تقطر من ساعده.

* * *

الشهيد/ عصام موسى حسن أنيس



لقد بنوا دين الله على أكتافهم، ومضوا من الدنيا وهم يحملون هموم أمة وأمل شعب مشرد، فأجرهم وقع عليك وحدك... يا من خلقت الأرض والسماء... لقد وعدتهم فأسرعوا إلى عهدك... ومن أوفى بالعهد منك؟.

هؤلاء أشبال الإسلام الذين استبقوا إلى الميدان وتنافسوا الشهادة... إنهم فتية آمنوا بربهم فزادهم إيمانًا... لقد أعادوا سيرة الفتية الأوائل الذين جاهدوا مع رسول الله ﷺ في بدر وأحد والخندق: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].

الشهيد عصام أنيس من أشبال الحركة المقاومة الإسلامية «حماس»، ولد في مخيم الشهداء (طولكرم). وعاش في بيت من بيوت المخيم في أسرة مهاجرة من الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م.

حادثة الاستشهاد:

كان الشهيد أحد نشطاء أشبال (حماس) يهاجم جنود الاحتلال مع مجموعة من أقرانه، وقد تركزت هجمات هذه المجموعة المجاهدة على شارع القادسية أمام نقطة موضوعة فوق منزل مهجور شرقي المخيم.

لقد تترس هؤلاء المحتلون فوق المنازل ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]، أما الأشبال فقد ركزوا هجماتهم على هذه المجموعة المختبئة فوق المنزل المهجور ليثبتوا لهؤلاء أن أسلحتهم لن تردع الفتية المؤمنين عن رجمهم بالحجارة... انطلقت رصاصات الحقد والجبن في كل اتجاه... فأصابت قلبًا امتلأ بالحب والإيمان.

ويُحمل الشهيد عصام على أيدي الشباب إلى عيادة الوكالة، ولكن قدر الله النافذ قد سبق في كتاب لا يتقدم فيه الأجل ولا يتأخر... وترتفع روح عصام في سماء

الخالدين قبل وصوله إلى العيادة فى حارة الشهداء لتضيف إلى رصيدها اسمًا جديداً . . .

وانتشر الخبر فى المخيم الصابر، وتسارعت الأحداث، وانفجر المخيم مرة أخرى غضبًا فى وجوه المحتلين، فخرج الناس عن بكرة أبيهم . . ومشوا على أقدامهم كباراً وصغاراً، شيوخًا وشبابا، يهتفون ويكبرون . . . وترتفع زغاريد النسوة، وتنطلق مسيرة حاشدة تجوب شوارع المخيم، والشهيد محمول على حمالة المصابين التابعة لحماس، ثم يلّف الشهيد بالعلم المزين بـ «لا إله إلا الله»، والمشاعر تنفجر غضبًا وحنقًا على القتلة المجرمين . .

ومرّ الفتيان على قبور الشهداء الذين سبقوهم إلى جنة الفردوس . . . فأشار بعضهم قائلاً: هنا مرتع الأبطال الميامين . . هنا درج طفولتهم، هنا كم ترددت أنفاس الفتية المجاهدين . . وأنصت الفتيان . . وهب النسيم نديًا . . وتردد نغم حزين: أين هم؟! . . أين هم؟!! . . فجاء الجواب ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢١ - ٢٤].



سلاحكم لن يرهبنا

الشهيد /محمد محمود يوسف جبر زلط

مولده ونشأته :



في مخيم الشهداء.. مخيم طولكرم ولد الشهيد في ٢٦/ ٢/ ١٩٦٧م.. وكان شهيدنا يرى الظلم الذي يعيشه أبناء شعبه وقد شردوا في البقاع، وعاشوا حياة ذليلة في مخيمات البؤس والفقر.. فرضع محمد مع حليب أمه الحقد على أعداء الله الذين احتلوا أرضه، وشردوا أهله وسلبوهم أعز ما يملكون.. العزة والكرامة.. عزم محمد على مقاومة المحتلين لأنه يريد أن يكون حيًا، والحياة في مقاومة المحتل وعدم الرضى بالضيم، فالحر لا يقبل الهزيمة ولا يستمرئ الذل.

كان شهيدنا في بداية الانتفاضة قد انتمى إلى تنظيمات مختلفة رغبة منه في مقارعة المحتلين، وفي ١٧/ ٣/ ١٩٨٨م، قامت سلطات الاحتلال بمداهمة المخيم واعتقال عدد من النشطاء، فكان محمد من بينهم ثم حول إلى الاعتقال الإداري لمدة ستة أشهر في معتقل أنصار، وهناك خلف القضبان منَّ الله تبارك وتعالى على محمد بالهداية، فبدأ وقفة مع النفس مراجعًا حساباته، مصححًا فكره وسلوكه.. وصمم الأخ محمد على أن يكون جنديًا مخلصًا من جنود الإسلام مهما كلفه هذا الأمر من عنت وشدة وطعن وهمز ولمز من رفاق دربه السابقين.. ويمنُّ الله تبارك وتعالى على محمد بالخروج من السجن في ١٦/ ٩/ ١٩٨٨م، فتخرَّج من السجن وكأنه ولد من جديد- يعمل للإسلام بحيوية كبيرة، جاهداً مجاهداً بكل ما أوتي من طاقة وعمل - حتى أحبه الناس.. كل الناس.

كانت دراسة الشهيد قبل استشهاده (التمريض) وقد درس هذه المهنة الإنسانية في مستشفى الاتحاد في نابلس، ثم أتم دراسته بعد خروجه من السجن ليصبح مسؤولاً عن الإسعاف الميداني التابع لحركة المقاومة الإسلامية (حماس).

إرهاصات الشهادة:

لقد كان الإخوة من أصحاب محمد يستغربون مسلكه الصارم ونشاطه العجيب وجرأته الكبيرة حتى إن بعضهم قالوا له: (سوف تستشهد بسرعة يا محمد).. لم يكن الشهيد يبالى بالمحتلين ولا بجنودهم.. فكم من مرة لاحقوه!!.. وكم من مرة أطلقوا عليه النار!!.. إلا أنه كان سريع الحركة.. مرهف الحس.. حاد الذكاء، وكان يأتى بعقب الرصاصة ويقول: بهذه كنت سأستشهد!.

كان دائم التفكير والتأمل.. خاصة عندما يكون مع إخوانه.. يسرح بنظره إلى السماء مرخيًا جسده. وكأنه تسليم الروح إلى بارئها فكان الشباب ينظرون إليه باستغراب.. ويسألونه بماذا تفكر؟.. فيلوذ بالصمت.

لقد رفض الشهيد طلب والده بإكمال تعليمه فى الخارج بعد إكمال جميع الأوراق قائلاً: أنا لن أغادر هذه الأرض.

قصة الاستشهاد:

فرضت سلطات الاحتلال نظام منع التجول، وهى الوسيلة الوحيدة التى يلجأ إليها المحتلون عند عجزهم عن السيطرة على الوضع إنقاذًا لجنودهم المنهارين.. إلا أن محمدًا كعادته كان مخترقًا للمنع.. يزور الشباب، ويطمئن على إخوانه.. وفى أحد البيوت اجتمع مع بعض إخوانه وبدأوا يتناقشون حول الشهادة والشهيد، وأقسام الشهداء، وقسم الأخوة الشهداء إلى ثلاثة أقسام: (أ) شهيد الدنيا (ب) شهيد الآخرة (ج) شهيد الدنيا والآخرة. وبعد انتهاء النقاش قام هو ومجموعة من إخوانه لزيارة بعض الإخوة الآخرين وقد أسرَّ فى نفسه أن يكون من رجال الآخرة.. شهيد الآخرة...

لقد كان محمد غريب الأطوار ذلك اليوم، فكلما وقف الشباب فى موقع، قال لهم: جنود الاحتلال، هيا بنا يجب أن نصل بسرعة، وكأنه على موعد مسبق مع الشهادة، وظل محمد ينتقل من مكان إلى مكان رغم حظر التجول.. وفجأة تشتعل الأرض لهبًا تحت أقدام المحتلين، فها هم أولاء الشباب من كل صوب يخترقون نظام منع التجول ويرجمون الأعداء بالحجارة.. ولم يستطع جنود الاحتلال مواصلة

التحدى فانهزموا إلى أطراف المخيم . . فأراد الشهيد إغاظة المحتلين ، فبدأ بإشعال الألعاب النارية وقذفها فى الهواء مع ترديد الهتافات الإسلامية . . وقبل إصابة محمد بضع دقائق . . ترك فجأة الميدان ، وانسحب إلى البيت فأدى صلاة العصر وهمَّ بالخروج إلا أن أمه حاولت منعه فقال لها : أنا لم أشارك إخوانى بالأمس فأريد أن أساعدهم اليوم . . وبالفعل خرج محمد لتنطلق رصاصات غادرة فتخترق القلب والرأس فيسقط الجسد . . لكن الروح ترتفع فى عليين تسبح فى الجنة مع الصديقين والشهداء . . ويحاول المجرمون الاقتراب منه لأخذ جثمانه الطاهر ، لكن الشباب المؤمن انتشلوه من بين أيديهم ، فحماه الله منهم حيًا وميتًا .

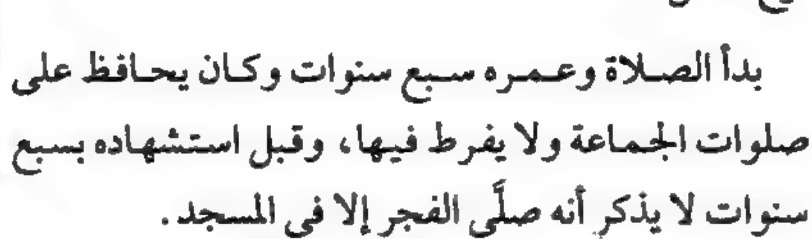
فرحم الله الشهيد محمد زلط ، وأسكنه فسيح جناته ، وجعل دماءه لعنة على المحتلين ، وذخراً لإخوانه المجاهدين يسيرون على هديه ، ويقتفون آثار دمائه حتى يثأروا لروحه . . إنه يوم قريب بإذن الله .



الشهيد/عماد عرقاوى



عماد.. طبعه هادئ، هادئ.. فى البيت، هادئ فى الشارع، عاش من السنين ما عاش ولكن كيوم واحد لم نر منه ما يغضب، كان يعد لدراسة الثانوية العامة، وكان مجتهداً فى دراسته، كان يأكل مما تيسر دون الانتباه إلى نوع الأكل.



بدأ الصلاة وعمره سبع سنوات وكان يحافظ على صلوات الجماعة ولا يفرط فيها، وقبل استشهاده بسبع سنوات لا يذكر أنه صلَّى الفجر إلا فى المسجد.

كان يلعب كرة القدم، وكان يلعب لفريق المسجد، وحصل على عدة كؤوس، وكان يقرأ القرآن ويرتله ترتيلاً حيث إنه كان يتعلم فى دار القرآن الكريم، وفى إحدى المرات زارهم عمه وكان يقرأ القرآن فاستغرب وسأل عن مصدر القراءة، فأُخبر بأنه عماد.. فشجعه كثيراً، كان صوته جميلاً فى الترتيل كطير يغرد تغريداً..

وتقول والدته: كان دوماً يتحدث عن وجوب الشهادة فى سبيل الله وكنت -وكأى أم- أقول له: ألا يكفيك أننا قدمنا شهيداً فى لبنان؟ فيجيب.. لا يكفى، يجب أن أضحى أنا بدمى.. كنت دائماً أتحدث معه خصوصاً عندما كان يلبس ويستعد للخروج إلى المظاهرات.

استشهاده:

تقول والدته: كان يبيت عند إخوانه قبل استشهاده بيوم أو أكثر؛ لم يأت إلى البيت، وليلة استشهاده غمرتنى رغبة جامحة فى مشاهدته، وفكرت كثيراً أن أذهب لرؤيته رغم البعد بين بيتنا والبيت الذى ينام فيه، ولقد حدثتنى صاحبة البيت الذى نام فيه تلك الليلة فقالت لى بأنه فى يوم استشهاده صلَّى الفجر فى المسجد وبعد أن رجع إلى البيت صلَّى ركعتين للشهادة واستعد لها، ولاقى الله وهو على وضوئه.. وكل كلامه كان يؤكد أنه سيكون شهيداً هذا اليوم.

كان يتحدث دائمًا عن الشهادة فكان يقول بعد استشهاد فؤاد العرابى : سأكون أنا الشهيد، ولقد تحققت هذه الرغبة، فقد كان الشهيد عماد أول شهيد بعد استشهاد فؤاد.

كيفية استشهاده:

كان يلقى حجارة ويقول الله أكبر . . فأصابت جنديًا فوقع على الأرض فأخذ عماد يضحك عليه، فقام زميله بتصويب البندقية وأطلق النار فأصابته فى صدره.

وداع الشهيد:

تقول والدته : لم أفعل شيئًا يغضب الله تعالى، وفى أثناء وداعى له اقتحم الجيش ونحن ندفن جثمانه، وأطلق النار بكثافة دون احترام لحرمة الميت، وكنت فى هذه الأثناء أطلب من الله أن أنال الشهادة لألحق بالركب . . ركب دعوة محمد وجنده.



الشهيـد/ عماد عبد العضو الزغير

نشأته:



الشهيد عماد من مواليد ١٩٧٢م، نشأ وترعرع فى ظل عائلة تمتاز بالحشمة والمحافظة على القيم والأخلاق الإسلامية، أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية بنجاح، ثم انتقل إلى المرحلة الثانوية، ومع دخول الانتفاضة كان أحد طلبة هذه المدرسة العظيمة، فكان أحد النوابغ الذين فازوا بشرف الشهادة فى سبيل الله، فأصبح مستقره فى سماء الخالدين فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، كان الأخ عماد أحد العناصر التى تساهم مساهمة فعالة فى صفوف حركة المقاومة الإسلامية «حماس» تحت راية لا إله إلا الله.. إلى أن توفاه الله على ذلك.

قصة استشهاده:

أما عن قصة استشهاده فقد نال شرف الشهادة عندما كانت سوائب المستوطنين تشن هجماتها على أهالى مدينة خليل الرحمن وتعيث فى الأرض الفساد.. فتحطم ما تناله أيديها من ممتلكات أهالى المدينة، ويعتدون على كل من يصادفهم من غير تمييز، ففى إحدى الليالى شن مستوطنو كريات أربع هجمة على المدينة وحطموا خلالها العديد من السيارات وزجاج المنازل واعتدوا على أصحاب السيارات بالضرب الوحشى، وذلك تحت حماية الجيش، وبينما هم يعيثون فى شوارع المدينة الخراب إذ بهم يقتربون من مسجد الحرس فى مدخل المدينة. فوقع اشتباك بين أولئك المستوطنين وأهالى الحى فحاول المستوطنون وقوات من الجيش أن تقتحم المسجد، فدوت صرخات التكبير والنجدة من كل أحياء المدينة، وكان شهيدنا من أوائل من أقدم على المسجد لنجدة المهددين فيه بالقتل أو الاعتقال، وبعد أن استطاع أهل الحى صد تلك الهجمة التى جرح فيها بعض المستوطنين عاد الشهيد إلى موقعه الذى تحصن فيه فى الحى، وبينما هم وقوف فى تلك الموقعة والظلام يسدل أستاره إذا بقوات من الجيش المشاة على مقربة منهم، فصوب أحدهم فوهة بندقيته تجاه الأخ عماد ليستقر الرصاص فى الدماغ،

فمكث فى حالة الإغماء وتحت العناية المكثفة مدة اثنى عشر يومًا . . إلى أن نال شرف الشهادة العظيم فى اليوم الثانى عشر من الإصابة، وتمت الصلاة عليه فى المسجد الأقصى، ودفن تحت أسوار القدس الشريف بعد أن تعذر نقله إلى مدينة الخليل حيث وضعت الحواجز على الطريق لمحاولة انتزاع الجثمان من أهله . . ولكن الله عز وجل اختاره ليرقد تحت أسوار القدس . . فإلى جنان الخلد .

ومن بشائر الشهادة أنه لوحظ عليه -كما تروى شقيقته- تغير ملموس وإقبال شديد على العبادة والتلاوة أثناء شهر رمضان وما تلاه من شهر شوال، فكان يحرص على صلوات الجماعة يقبل على كتاب الله محاولاً ختمه المرة بعد المرة وكأنه فى سباق مع الزمن . لقد رقد الشهيد تحت أسوار بيت المقدس لينضم إلى قافلة الشهداء الذين سقطوا تحت أسوار المدينة المقدسة دفاعًا عن شرفها من أن يتثلم، وهكذا يجدد شباب حماس العهد لتبقى الراية مرفوعة خفاقة على رُبى القدس . . فلا نامت أعين الجبناء .



الشهيد/ سامر مرعى



قصتنا قصة شهيد لقى وجه ربه صائمًا لم يتجاوز التاسعة من عمره، الشهيد سامر مرعى، كم كانت أمنيته أن يلقى الله بأكرم وأفضل لقاء بالشهادة لينال أعلى المراتب فى الفردوس الأعلى.

فى الأيام التى سبقت استشهاده كثر كلامه عن الشهادة والشهداء.. فها هو فى يوم إصابته قد استلقى على أريكة فى بيته وعصب رأسه بعصبة خضراء كتب عليها كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فيرخى أطرافه ويغمض جفنيه على دموع فيها حرارة الطلب والرجاء ويقول لأخيه الأصغر منه سنًا: هأنذا شهيد، فإن استشهدت فادفنونى عند صديقى وأخى السابق لى بالشهادة «على أبو شريفة».

ونعود للأحداث التى سبقت إصابة الشبل سامر ساعات معدودة، ففى يوم الأربعاء وبعد استشهاد الشبل عصام أنيس، ثارت العواطف فى مخيم طولكرم وتفجر الغضب بركانًا يتصاعد لهيبًا، ففرض حظر التجول فى المخيم.. ولكن لا حياة لمن تنادى، فالسواعد الرامية لا تتعب ولن تكل من قذف الحجارة والزجاجات الفارغة، الأسلحة المعتادة، وصيحات الله أكبر ولله الحمد قد طغت على صوت الرصاص الحى والمطاطى، والهتافات الإسلامية والوطنية باتت تزلزل الأرض تحت أقدام المحتلين قتلة الأطفال، فاختلط الحابل بالنابل، فلم يعد لقوات الاحتلال قدرة على السيطرة على الوضع المتفجر، بل إن ضرب الرصاص والغاز المسيل للدموع كان بمثابة وقود لنار التحدى والصمود، فأصيب من أصيب جراء مداهمات البيوت والغاز الخانق، وبينما شهيدنا سامر فوق سطح منزله يراقب الأحداث ويساهم بالهتافات وضرب الحجارة، إذا بجندى ينتهز فرصة رؤيته فيصوب بندقيته الغادرة نحوه ويطلق رصاص الغدر والاستبداد، فإذا هى تصيب عينه وتستقر بدماغه.. وها هو سامر فلذة أكباد إخوانه يشير بيده مودعًا بيت المقدس وأكناف بيت المقدس مودعًا ساحة الجهاد كأنى به يقول:

إخوتى هذه الشهادة قد نلتها..

فالحقونى وامشوا على أثرها..

هذى أرض الأنبياء فأرجعوا عزها . .

وأمة استنجدت بكم فاحموا عرضها . .

وعقيدة التوحيد ارفعوا رايتها . .

وأيادى كبلت بالحديد فكوا قيدها . .

فلما رآه شباب المخيم هبوا إليه مسرعين ونقلوه إلى مستشفى طولكرم، ولكن لسوء حالته حول إلى مستشفى المقاصد الخيرية فى القدس الشريف، فلم يمهله الأجل حتى ارتفع فى سماء الشهادة فى نهار ليلة القدر، فلك الله يا سامر فزت ورب الكعبة، لقيت الله صائمًا ولقيته فى خير بقعة وأحبها إلى الله فى بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، فهنيئًا لك الشهادة وهنيئًا لروحك التى صعدت لمولاها فى نهار ليلة القدر تشكو إلى الله ظلم المحتلين. هنيئًا لك يا شهيد الأقصى. وبعدها ينقل سامر ومن ثم يدفن فى المكان الذى أحب أن يدفن فيه، إذ قام شباب حماس بخرق الطوق والحصار وقاموا بدفنه قرب أخيه فى الإسلام والشهادة «على أبو شريفة» فعصبت رأسه بالعصبة الخضراء المكتوب عليها «لا إله إلا الله» ويلف بعلم الوطن العزيز. . وقد كتب على العلم أيضًا أعظم كلمة «لا إله إلا الله».



لم يخجلوا من ذبح شيخا لو مشى فى الريح طاح أو فتية كالزهر لم ينبت لهم ريش الجناح

الشهيد /غسان مصباح عبد الحميد أبو ندى

١٩٩١/٥/٣



وكان على أبناء الإسلام دفع مهر الجنة من بداية الطريق . . . حيث أريق دم غسان فى أول محاولة تطهيرية . . ليعلن هذا الدم الطاهر الزكى بداية الصعود القسامى الشامخ على أرض الرباط لتأخذ القضية الفلسطينية بُعدها العقائدى الحقيقى، ليس عبر شعارات بل عبر شلال دم نورانى لم يتوقف . . كان شهيدنا أحد روافده .

لا زالت الانتفاضة المباركة متأججة نارها على طول البلاد وعرضها وكل يوم يدفع شعبنا ثمن استمرارية الثورة من دمه وعرقه وجهده، فما من بيت فلسطينى إلا وزارته المحن والكروب ليدفع أهلنا ثمنًا غاليًا للحرية والكرامة ويطلنا اليوم أحد أولئك الذين أبوْا إلا العطاء، وأى عطاء . . . إنه الدم والشهادة .

كان اليوم الثالث من شهر مايو/ أيار من العام ١٩٩١م حيث أزهرت ورود الربيع الحالم، وحين داعبت نسمات المساء الرطبة وجوه الخلية القسامية الأولى فى منطقة غزة الرابضة بين الأحراش الواقعة شمال غزة تنتظر صيدها الأصعب فى باكورة أعمالها التطهيرية . . . والصيد ليس سهلاً بل لعله أخطر المطلوبين لمجموعات الانتفاضة نظراً لتسليحه الجيد وتحركه الدقيق . . .

لم يطل انتظار الخلية حتى تقدمت السيارة التى تحمل الهدف (مصطفى المشلوح) أخطر عملاء المنطقة الشمالية . . . وتوقفت السيارة بشكل طبيعى أمام الحاجز الحجرى الذى وضع لهذا الغرض . . . فانقضت الخلية القسامية على العميل الخطير وأحاطت بالسيارة وأطل بطلنا المقدام (غسان) من زجاج السيارة إلى حيث يجلس المشلوح خلف المقود آمراً إياه بالنزول الفورى . . . وفى لحظة أخرج المجرم مسدسه وأطلق الرصاص على رأس (غسان) الذى سقط فوراً على الأرض مدرجًا بدمائه الطاهرة . . . ولم يلبث إلا دقائق حتى صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها . . . كانت السيارة حينها تنطلق وسط

الحاجز فارة فيما بقى الأبطال القساميون فى ذهول شديد. . . أحاطوا بجثمان أخيهم الشهيد فى لحظة وداع أخيرة مؤثرة، أقسم حينها الأبطال بالله العظيم على الثأر والانتقام لدماء (غسان) الغالية من كل المجرمين.

هذه اللحظات الرهيبة كانت الدافع الأكبر لهذه الخلية القسامية للانطلاق الإبداعى لتمثل أبرز ما أنتجت خلايا القسام من إنجازات وليمثل كل واحد منهم علمًا بارزًا من أعلام الجهاد القسامى على أرض الرباط.

كان الحلم أكثر رسوخًا فى ذهن الابن الثالث (غسان) الذى ما كاد يشب عن الطوق فى بداية نوفمبر سنة ١٩٧٠م. . . حتى بدأت أسئلته تكثر حول بلدته الأصلية وموقعها وجمال الحياة فيها. . . وكان يجلس ساعات إلى جوار والدته العطوف وهو يستمع إلى الحكايات عن بيت جرجا الرطبة. . . وظل يردد: «يا ريح الصبا الوافى إن زرت الحمى سحرًا وأهلى نائمون اقرى الحمى منى السلام وقل له إنا وإن نأت الديار لعائدون».

وبذلك ارتبط (غسان) بوالدته ارتباطًا وثيقًا حتى لا يكاد يفارقها أو يبتعد عنها وما زال يُسقى من معين حنانها حتى غدا الهدوء والسكون معلمًا بارزًا من معالمه.

وارتقى (غسان) فى هذا الحضن الدافئ، وفى كل يوم يزداد الفتى شوقًا للديار. . وشوقًا لسماع قصص وأحاديث الأم الحنون عن هذه البلاد وخيرها.

وكان الفتى يتقدم فى دراسته، وما كاد ينهى الثانوية حتى انطلقت الشرارة الأولى للانتفاضة من مخيمه الحبيب حيث شاهد وشارك فى هذه الانطلاقة المباركة لشعب يأبى الضيم والقيد. . .

ظروف النشأة التى ترعرع فيها جعلت هذا الفتى الوسيم خجولاً. . . رغم ذلك فهو قوىٌ صلبٌ متين يمارس رياضة فن الدفاع عن النفس (الكاراتيه) لضرورته لشعب أعزل يواجه خطرًا داهمًا. . . إضافة لممارسته هوايات أخرى ككرة القدم هذا عدا الصداقة الدائمة للكتاب. . . فحيثما حل حمل كتابه، فنشأ متعلمًا مفكرًا فيما أطربته الأصوات الإسلامية ونشيدها العذب الرائع. . . وهو كشاب مسلم نشأ فى المسجد ورضع حليب الإسلام. منذ نعومة أظفاره أراد أن يكون رجلاً كاملاً. . . وتطبيقًا لمنهج الإسلام كان (غسان) حريصًا على الطاعة لأهله وإخوانه حتى غدت معلمًا بارزًا يميز (غسان) الهادئ الوديع. . .

ورغم الظروف المادية الصعبة التى تعيشها العائلة المتواضعة حيث والده العاطل عن العمل وشقيقه الأكبر يعمل كسائق سيارة، فيما شقيقه الثانى يواصل دراسته فى أمريكا. . . رغم ذلك أكمل الفتى المجتهد دراسته، فتعلم فن العلاج الطبيعى وهو علم بدأ ينتشر فى ظل الانتفاضة حيث المعاقون والجرحى المتعددون تضاعف عددهم وهم بحاجة إلى اليد الحانية التى تمسح عنهم عناء الإصابة. . . وعمل (غسان) بعد تخرجه فى المستشفى الأهلى العربى فى مدينة غزة. . . يخفف عن الناس آلام المصاب بالعلاج الطبيعى والتمارين التى يؤدونها بتوجيهات (غسان). . . وكان أكثر ما يغضب الشاب اليافع رؤيته لأحد أفراد شعبه وقد ترك الصلاة فيبادر إلى نصحه وتوجيهه.

فحرص على بناء نفسه بناءً إسلاميًا صلبًا ولم يقف عند هذا الحد حتى يبنى بيته بناءً إسلاميًا، فالتدرج فى البناء مسألة مهمة فى العمل الإسلامى بها نتج المجتمع المسلم الذى يمثل اللبنة الأساسية للدولة الإسلامية التى يسعى (غسان) مع إخوانه لبنائها، لذلك كان غسان الأسرع فى تلبية أى نداء استجابة لمفهوم الطاعة الذى تعلمه منذ نعومة أظفاره، واستجابة لمعنى التربية بالقدوة لذلك لما نادت حماس بتحريم البضائع الإسرائيلية حرّم غسان هذه البضائع على نفسه بشكل قاطع.

هذه الإرادة الصلبة كانت ناجمة عن الارتباط الكبير بالآخرة. . . هذا الارتباط المتواصل بالعبادة والالتزام التام فى بيت الله. . . كل هذا كان يدفعه دومًا باتجاه الشهادة والآخرة. . . لذلك تراه يخبر كل من يحبهم أنه يزهد فى الدنيا الزائلة. . . المليئة بالظلم والإجحاف. . . يريد أن يغادرها إلى الجنة للحياة مع الأنبياء والصديقين والشهداء وبجواره الحور العين استجابة لوعد الله للشهيد.

وكان على أبناء الإسلام دفع مهر الجنة من بداية الطريق حيث أريق دم (غسان) فى أول محاولة تطهيرية. . ليعلن هذا الدم الطاهر الزكى بداية الصعود القسامى الشامخ على أرض الرباط لتأخذ القضية الفلسطينية بعدها العقائدى الحقيقى ليس عبر شعارات بل عبر شلال دم نورانى لم يتوقف كان شهيدنا أحد روافده. . .

انتصبت أم غسان واقفة وهى تضع يدها على وجهها لما وصلها خبر استشهاد (غسان) وهى تردد: كنت أنتظره لتناول طعام الإفطار سويًا. . . هل حقًا لن تعود ثانية يا ولدى؟ وظلت هكذا تردد حتى عاد إليها رشدها وأخذت تردد: حسبنا الله ونعم الوكيل، فيما وقف الوالد أمام ولده المخضب بدمائه وهو يردد بشكل سريع «إنا لله وإنا إليه راجعون».

وانطلقت مسيرة حاشدة وهى تحمل جثمان رمز العطاء القسامى الأول (غسان) إلى حيث مثواه الأخير ليوارى الجسد الطاهر التراب. . .

وفى مقبرة جباليا ينتصب قبر الشهيد غسان مصباح عبد الحميد أبو ندى كالنجم اللامع يهدى الحيارى إلى الطريق الصحيح نحو الآخرة. . . نحو الفخار والحرية. . . وكانت الدماء الغزيرة التى دفعها غسان ثمنًا للجنة والحور العين تضع حاجزًا كبيرًا مع العملاء والخونة وخاصة أولئك الذين لم يتورعوا عن قتل أبناء شعبهم. . . وكانت ذات الدماء دافعًا أكبر للخلية القسامية للانطلاقة فى حرب التطهير من دنس العملاء ورجس أسيادهم اليهود. . .

وذات الدماء كانت أكبر دافع لعائلة غسان نحو مزيد من الالتزام الإسلامى القويم وهم يغشاهم طيف ابنهم وأخيهم يتقدم الطريق، ولا زالوا يذكرون تقواه وصلاته وصيامه وغيرته على دينه وعقيدته، ولا زالوا يذكرون حثه الدائم لهم على الالتزام وربطهم بالآخرة ويوم القيامة، وفوراً يرددون: إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا على فراقك يا (غسان) لمحزونون. . .

وقد نعت حماس على الجدران شهيد كتائب عز الدين القسام غسان أبو ندى، وكان هذا أول بروز جماهيرى لاسم كتائب القسام. . . الاسم الأكثر شهرة ووجودًا فى ضمير الشعب الفلسطينى فى العصر الحديث.



الشهيد /مروان فرج سلامة الزايغ

١٤/١١/١٩٩١



«غـادر (مـروان) دنيـانا إلى حـيث مـقـره الدائم فى الفردوس الأعلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء ليعلو فى رحاب الوجود، وعـاشت ذكراه خـالدة لأنه خـاض التحدى المفروض بكل قوة. . فنال رضوان الله».

فتح مروان عينيه منذ الصباح على نداءات التكبير تعلو منزله، خـرج حـيث الإطارات المشـتـعلة والطرق مسدودة، وأنبأه أحد إخوانه أن يهوديًا قتل سبعة من العمال فجر هذا اليوم ٢٠/ ٥/ ١٩٩٠م . اشتعلت النار فى صدر مروان وبدأت تتراءى أمامه خواطر تحمل معانى الثأر والغضب. . ما ذنب هؤلاء العمال ؟! ألا يكفى القتلى كل يوم فى غزة وجباليا وخان يونس ورام الله والخليل وبيت لحم، وكل أرجاء الوطن؟! ولكن أين يمكن إطفاء تلك النار المستعرة فى صدر مروان. . ؟!!

وفى مساء ٨/ ١٠ / ١٩٩٠م انطلق (مروان) نحو مسجده كعادته لأداء صلاة الظهر حين لاقاه أحد إخوانه يحمل إليه نبأ استشهاد عشرين فلسطينيًا فى المسجد الأقصى المبارك فى مجزرة رهيبة. .

ضاقت الدنيا فى عين (مروان). . شعر باختناق رهيب وأن ملك الموت يزوره وتراءت الأفكار فى ذهن (مـروان) فى لحظة الذهول هذه. . واختـمـرت فى ذهنه الفكرة، فمروان الذى يأبى القهر والظلم والتعسف لا يمكن أن يتجاوز واقع شعبه المرير، وبهذا الإباء يصنع واقعًا جديداً وبذلك التحدى الصعب الشرس يصنع المستحيل رغم تفاوت الإمكانات. . ضغط (مروان) على شفتيه وهو يردد :

وتُهـان من نسل القـرود	أرى بلادى تُبـتـلى
شـوك المذلة كالعبيد	و أغض أجفـانى على
أيراه مـزقنى القعـود	فى الأسـر تصرخ ويحنا

انطلق مروان ذاك الفتى اليافع الذى يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا فجر يوم ١٤/ ١٢/ ١٩٩٠م ليلقى رفيق دربه (أشرف البعلوجى) أحد أفراد المجموعة التى يرأسها مروان فى تنفيذ فاعليات الانتفاضة الحماسية. . التقت الأعين وتصافحت الأكف فى هذا اليوم الأغر حيث ذكرى انطلاقة حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وانطلقت الأقدام نحو مسجد (السدرة) بمدينة غزة لأداء صلاة الفجر. . وكان المسجد يمثل للرجلين المأوى والمحضن والانطلاقة. .

وخرجا بعد أداء الصلاة حيث سرى فيهما عشق الشهادة مسرى الدم من العروق. . وركب الأخوان سيارة مرسيدس محملة بالكادحين من أبناء شعبنا الذين فى شخوصهم يترسخ البؤس الفلسطينى من جراء الاحتلال، كانت نظرة (مروان) إليهم دافعًا نحو ذكرى (الأحد الأسود). . دافعًا نحو الاستمرار فى الطريق الذى قرره الفتى الثائر. وبدأ مروان بأدعية الصباح ودعاء السفر فيما غرق رفيق المهمة فى نظرة وداع أخيرة حانية. .

واجتازت السيارة بسلام حاجز(إيرز)رغم التشديد الأمنى الناجم عن الانتفاضة وعملياتها البطولية. . إنها المرة الأولى التى يدخل فيها (مروان) أرضه الطاهرة فلسطين (رغم أنه من مدينة غزة أصلاً إلا أن فلسطين. . كل فلسطين بلاده) حيث لم يسبق أن عمل فيها. . فيما كان أشرف يعمل فى مخزن ألومنيوم بمدينة(يافا) الساحلية وكان الهدف ينتظر مصيره هناك.

ولما وصلت السيارة قرب المكان استوقفها (أشرف) وترجل الأخوان. . كانت الساعة تقترب من السابعة حين وقف (مروان وأشرف) أمام المخزن. . وانتظرا حوالى الساعة حتى بدأ أصحاب المخزن والعمال اليهود فى القدوم. . وفتح باب المخزن ودخل أشرف وخلفه (مروان). . وكان أشرف قد جهز قطعة اسبست مكسور لاستدراج موشيه إلى نهاية المخزن، ولما حضر بينهما استل الرجلان خناجرهما تراقصت كل ذكريات شعبنا. . ذكريات التعس والشقاء واللجوء واغتصاب الحقوق والقتل والنهب. . و«عيون قارة» حيث العمال يقتلون و«الأقصى» حيث الراكعون الساجدون يذبحون. . ليستقر الخنجر فى جسد (موشيه).

ومع انطلاق صرخة (موشيه) التى أسلم فيها الروح. . لتطل السكرتيرة من مكتبها وتشاهد المنظر الذى ملأها رعبًا وتغلق الباب وتهجم على التليفون. . وينطلقا خلفها لتستقر الخناجر فى بطنها وتتراءى أمامهما صور أمهاتنا يقذفن بأحشائهن يقتلن فى ساحات الأقصى. . فى كفر قاسم ودير ياسين. . والهراوة الرابينية لتكسر عظامهن.

وعلى الصراخ والعويل جاء العامل من المصنع المجاور إلى قدره حيث عاجله (أشرف) بثلاث طعنات فى صدره ويكمل مروان معه مشوار الذبح، وفى إحدى الطعنات تصاب يد أشرف بجرح بالغ فتملأ الدماء المكان. . أحضر الماء يا أشرف طهر الأرض من نجسها حتى يأتى المزيد من الصيد ولكن اليد النازفة ألزمت بالخروج بعد أن خطت علبة الطلاء التى أحضراها معهما. . «حماس تعلن مسؤليتها عن عملية القتل بمناسبة الانطلاقة الرابعة لحركة -حماس-». .

واتجه الأخوان إلى موقف السيارات فى منطقة «أبو كبير» وافترقا للضرورة الأمنية مع الأمنيات القلبية باللقاء إن لم يكن فى الحياة الدنيا. . ففى جنة الرحمن، حيث ركب (مروان) إحدى سيارات المرسيدس وانطلقت به نحو كتلة الانتفاضة الملتهبة (قطاع غزة) وبحماية الله وعونه تمكن البطل القسامى من دخول غزة الحبيبة وتوجه فوراً إلى منزله ليلقى عليه نظرة الوداع الأخيرة حيث سمع خبر العملية الجريئة من إذاعة العدو فى نشرة أخبار العاشرة والنصف وكبر وهلل. . وانطلق لصلاة الجمعة فى مسجد فلسطين حيث لم يعد بعدها. . فقد بدأت رحلة المطاردة الطويلة والشاقة والممتعة. . وعلى أثر ذلك وجهت ضربة قوية لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، حيث اعتقل المئات وطورد (أشرف و مروان)، وقد اعتقل (أشرف) من الضفة الغربية ليقضى محكومية عالية فى السجن.

ويرحل مروان إلى الذكريات حيث الرجل الصلب الصبور فرج سلامة الزايغ بمدينة غزة فى منطقة التفاح حيث عمله الشاق المرهق (صناعة الطوب) وهو يستمع لمذياع صغير ويتابع حلقات حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م، ولكن ذهنه شارد هناك حيث زوجته التى تركها فى المنزل وهى تعانى مقدمات آلام الوضع، ويدعو الله فى سره أن يرزقه بغلامه الأول تقر به عينه ويعاونه فى تحمل أعباء الحياة الشاقة. .

ما كاد ينتهى نهار عمل الرجل حتى جاءه البشير يحمل إليها الخبر السار . . زوجتك وضعت (مروان)، ولم لا يكون (مروان) . . حيث يقبع اسم (مروان بن عبد الملك) كالنجم الساطع .

أطل بطلنا الجديد (مروان الزايغ) على دنيانا المعذبة (بيد الإنسان ذاته)، وفى أسرة متواضعة ملتزمة ومحافظة، وبين أخوين وأختين، وحيث الإمكانات المادية الضعيفة . . نشأ (مروان) على الخشونة، وما كاد يشب على الطوق حتى بدأ فى مساعدة والده فى عمله الشاق، إضافة إلى دوامة المدرسة، وبذلك حاز محبة والديه لهذه الرجولة المبكرة، إضافة إلى هدوئه والتزامه بالصلاة، إلى جانب الخلق الحسن القويم الذى تحلى به مروان، حيث لا يذكر أن الطفل الهادئ قد جلب إلى بيته مشكلة أو مشادة مع أحد من أبناء حيه . .

وانطلقت شرارة الانتفاضة المباركة، كان مروان يبلغ من العمر الرابعة عشر عامًا فقط، ورغم ذلك كان يتمتع بجسم قوى ربما بسبب عمله فى صناعة الطوب . .

كان مروان أصغر المنتمين رسميًا لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) فى حيه رغم ذلك فقد احتل موقعًا متميزًا بين أقرانه نظرًا لجرأته الفائقة وتحمله للأمانة والمسؤلية وعشقه للعمل الجهادى الحماسى الذى يؤديه . . وفى إحدى الجولات العملية لمجموعة (مروان) ظهرت الوحدات الخاصة، ففر جميع أفراد المجموعة ومنهم (مروان) إلى أحد المنازل، ولما زال الخطر أخذ مروان المشتاق للقاء الله تعالى يبكى ويضرب نفسه وهو يقول: لماذا فررت؟! كان ممكنًا إطلاق النار على وأستشهد . . هذا عدا جرأته فى المواجهات، خاصة فى (ميدان فلسطين) الذى يشهد له بالتألق الفدائى .

وفى أثناء هذه الحياة الحافلة تعرف (مروان) على بعض إخوانه المجاهدين الذين التحق بهم فى العمل العسكرى الذى كانوا يؤدونه فى تلك الفترة، ولم تكن قد بدأت حياة المطاردة بشكل واسع . . فالمطاردة لدى (كتائب القسام) مدرسة واسعة افتتحها (مروان) الشهيد . .

وكان جل العمل حينها يرتكز على التطهير من العملاء وأذناب الاحتلال، فشارك بطلنا المقدام بفاعلية واسعة فى هذا المجال، إضافة إلى تنفيذ هجمات ضد قوات

الاحتلال ومستوطنيه وأبرزها قتل (الحاخام دورون) قرب دير البلح بتاريخ ١/ ١/ ١٩٩٢م، وقتل (ديفيد كوهين) قرب بيت لاهيا بتاريخ ٢٠/ ٥/ ١٩٩٢م. كان (مروان) يدفع ثمن هذه المرحلة الحرجة من مضايقات هائلة لأهله حيث اعتقل حوالى خمسة عشر من أبناء عائلته، كما داهم الجيش منزله أكثر من مائة مرة. . هذا عدا إغلاق الاحتلال لمنزل أهله بعد الهجوم الجرىء فى قلب يافا، فأصبح كل من (مروان) وأهل بيته بلا مأوى، كل فى مكانه. و(مروان) يبدو أكثر تصميمًا على التحدى حتى الشهادة فوق أرضه الطاهرة، فيرفض بإصرار الخروج من أرضه الحنون، وفى أثناء ذلك كان (مروان) يغرق بالتفكير الجاد لتنفيذ هجوم استشهادى فى قلب الكيان حيث يريد لقاء الله تعالى مقبلاً غير مدبر. . يريد لقاء الله وقد أغاظ الأعداء ونال منهم مقتلاً، إلا أن هذه الخواطر الاستشهادية الرائعة لم تترجم على أرض الواقع لصعوبة الحركة خاصة لمطارد مثل (مروان).

كانت الليالى والأيام تسير متثاقلة فى قطاع غزة، حيث الكبت والاضطهاد والشعور بالظلم يجعل عقارب الزمن متوقفة. ولكن الحياة عند مروان كانت تسير بشكل وطعم ولون التحدى الإسلامى القسامى تصبغ الحياة بلون الصراع الممتع. . حيث يشعر (مروان) بكل كيانه بأنه يقاتل من أجل الحق، وهذا جعل لحياة مروان طعمًا لذيذًا. . فكان شهيدنا يتنقل بين مخيمات ومدن قطاع غزة مع إخوانه الذين التحقوا بركب المطاردة من بعده وكان فوج المطاردة الأول (لكتائب الشهيد عز الدين القسام). . حيث انتقلت مجموعة مروان بقيادة ياسر الحسنات إلى مدينة غزة، لأن التحرك فيها أوسع مجالاً وأكثر أمنًا، حيث البعد عن الحواجز المتكررة والاتصال السريع بين التقاطعات المتناثرة. .

كان العام ١٩٩٢ م العام الثانى لحياة المطاردة لمروان. . رغم ذلك كان الرجل سعيداً بحياة التحدى والصراع. . حيث داعبت نسمات ليل مايو أنفاس المجاهدين الطاهرة وهم يتناقشون فى واقعهم الصعب. . فيما يتذكرون أخاهم الشهيد الذى كان بالأمس بينهم. . ردد مروان المصاب بعيار نارى فى قدمه جراء رصاصة صدرت خطأ. . أجاب ياسر: اليوم يمضى على رحيل طارق إلى الرفيق الأعلى ما يزيد شهر ونصف، وأجمع المجاهدون على أنه محظوظ أكثر منهم، وتمنى كل واحد منهم الشهادة، وخرجت

مجموعة من المجاهدين تحمل قطعتي سلاح من نوع كارل غوستاف تحاول بها اصطياد أحد اليهود فيما بقى الأبرار الثلاثة ياسر الحسنات ومحمد قنديل و مروان وبحوزتهم مسدس وقنبلة يدوية فقط وتهامسوا فيما بينهم: لقد طال مقامنا فى هذا الموقع وعلينا الإسراع فى البحث عن موقع بديل حتى لا نثقل على أصحاب المنزل وحتى نأمن خفافيش الظلام التى تراقب حركات المجاهدين . . وانتقلوا جميعًا إلى غرفة مجاورة حيث أدوا صلاة قيام لله تعالى . . لجأ كل واحد منهم إلى قرآنه يتلو من آياته العطرة ما يتروح بها عناء يومه ويعيش معه فى جنة الرحمن . .

أثناء ذلك كانت قوات العدو الصهيونى تحكم حلقات الحصار حول المنزل . . وتنبه المجاهدون لذلك، فاستعدوا وأخذوا الأهبة الكاملة للمواجهة رغم ضعف الإمكانات وشحها، وأخذ كل واحد منهم موقعًا، فيما تحركت قوات الاحتلال أسفل المنزل لتهوى قنبلة (ياسر) تزلزل جمعهم . . وتحركت قوى الحقد اليهودى تقتحم المنزل من كافة الأنحاء وعلى الدرج يلتقى (مروان) بمسدسه مع ضابط حرس حدود برتبة (كولونيل) ويفرغ (مروان) رصاصاته فى صدر الضابط ليخر صريعًا، وقد اعترفت إذاعة العدو بذلك، ويسقط العمالقة الثلاثة الشهداء، ويلتحق مروان بركب الخالدين، وتتحقق أغلى أمانيه التى نام يحلم بها واستيقظ يذكرها . . ليسقط فدائى القسام الأول مدرجًا بدمه الطاهر يروى أرض الصبرة الطيب أهلها والتى تمثل جزءًا من بلده وموطنه الأصلى غزة هاشم الفداء . .

وقد كظم العدو غيظه من هذه النتيجة فى معركة غير متكافئة فخسر كولونيلاً وعددًا من الجرحى من ثلاثة لا يملكون من العتاد شيئًا. من أجل ذلك بدأ العدو يعيد حساباته فى كيفية مواجهة أمثال هؤلاء العظام، لذلك لجأ بعدها إلى قصف المنازل بالصواريخ حتى يأمن المواجهة مع رجال العقيدة.

تناقلت الأخبار نبأ استشهاد ثلاثة من أبناء القسام منهم منفذ أروع العمليات (مروان الزايغ) الذى تشفى اليهود بمقتله وأعلنوا أنه مسؤل عن مقتل ثلاثة يهود فى يافا قبل عام ونصف . .

وعم الغضب العارم شوارع القطاع، فالتهبت بالنار والثورة، وقذف أبناء الإسلام حمم غضبهم الجارف باتجاه دوريات العدو وآلياته ولبست شوارع القطاع السواد حدادًا

على أرواح الشهداء الأفذاذ، وعمت المواجهات العارمة كل المواقع، ولما سمع (والد مروان) خبر استشهاد ولده قال: الحمد لله هو الذى أعطى. وهو الذى أخذ الأهل ويذكرون (مروان) بدهشة.. هل حقًا هو (مروان) الهادئ الوديع الذى لم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره يطلق الدنيا ثلاثًا. ! فيما يردد أحد الجيران وهو يبكى كيف لا أبكى وقد بكى عليه الشجر والحجر والسماء ! فيما اشتهر المسجد الذى كان يؤمه (مروان) فما يكاد يلتقى شاب بآخر حتى يبادره الأول أنت من مسجد (مروان)..

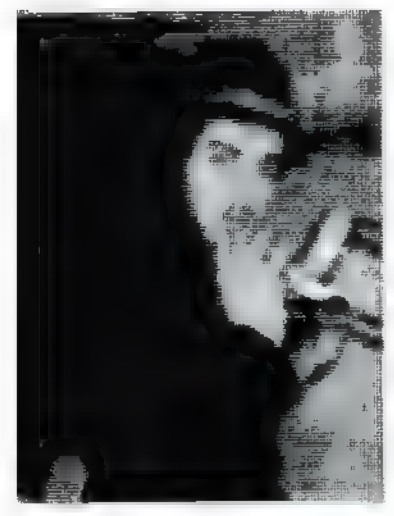
غادر (مروان) دنيانا إلى حيث مقره الدائم فى الفردوس الأعلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء ليعلو رحاب الوجود.. فهنيئًا للثرى الذى لف جسده الطاهر، وعاشت ذكراه خالدة لأنه خاض التحدى المفروض بكل قوة.. فنال الشهادة.



***

الشهيد / طارق عبد الفتاح حسن دخان (أبو حذيفة)

١٠/٤/١٩٩٢



بدأ طارق يعتلى سلم المجد بكل سرعة وقوة حتى القمة (الشهادة) ليشق اسمه فى صخور التاريخ، حيث تعلو نجوم كمعالم ترتبط أسماؤها بشكل جذرى بطريق تخطه لدينها وترسم معالمه بنفسها. . . وقليل هم أولئك الذين ترتبط أسماؤهم بالمجد الذى صنعوه، من هؤلاء القلائل كان طارق. . . فما إن تذكر طارقًا حتى يتبادر إلى الأذهان القسام. . فكان حقًا طارق القسام».

كانت الوالدة الحنون تحتضن ولدها الأول وهى تنظر إليه بإعجاب وحب عميق وتبتسم لشقرته الخشنة. . . وتتمنى من قلبها أن ينشأ نشأة إسلامية عميقة. . . فتحدثه قصص الأنبياء والصالحين. . . وقصص الجنة وما فيها من خيرات وثمار وفواكه. . . ويتساءل الطفل الذكى ببراءة: هل يوجد فى الجنة شاى ؟، فقد كان يحب الشاى كثيرًا، وتضحك الأم وتظل تضحك. . . وتواصل عملية التربية العميقة لولدها استجابة لأمر الله وتوصيات والده الشيخ (عبد الفتاح دخان).

وتعود بها الذكريات يوم تزوجها المربى الفاضل الأستاذ (أبو أسامة) وقبلت أن تكون زوجة لهذا الرجل المسلم الداعية. . . وتذكر يوم نقلها أبو أسامة من النصيرات إلى المستشفى المعمدانى فى غزة كى تضع وليدها الأول، فى اليوم الخامس من شهر أكتوبر فى عام ١٩٦٩م مسطرًا فى ذاكرة الأم بأرقام بيضاء وهو اليوم الذى أنعم الله عليها بغلام تقر به عينها. . .

وكم كانت فرحة (أبى أسامة) بهذا الغلام رغم وجود خمسة من الأبناء قبله من زوجته الأولى، إلا أن الوليد الجديد احتل موقعًا خاصًا فى قلب الوالد و ربما لمح الرجل صاحب البصيرة فى عينى ولده بريق العودة إلى (عراق سويدان). . . تلك القرية التى هاجر منها يوم داهمها التتار الجدد، وربما هذا المزيج من الشعور بالفرح والرغبة فى

العودة اللذين يلمع بريقهما من عينى (أبو أسامة) جعلاه يختار اسم (طارق) لولده الجديد حيث يقبع اسم (طارق بن زياد) الفاتح الإسلامى العظيم، ولعل الفتح يكون على يدى (طارق) الوليد الجديد.

نشأ طارق وترعرع فى هذه الحياة الإسلامية، فوالده من الرواد الأوائل فى (جماعة الإخوان المسلمين) فى قطاع غزة، وأحد مؤسسى (حركة المقاومة الإسلامية - حماس)، يغدق عليه العلم والمعرفة ويبث فيه روح المقاومة والجهاد، ووالدته تحوطه بحنانها وعطائها وحسن تربيتها، فنشأ طارق رقيق الإحساس، مرهف الشعور، يعشق سماع القصص، ساهم ذلك فى نشأة خيال واسع وعبقرية تصويرية بالغة... هذه النشأة الإسلامية الصافية خلقت من طارق ذاك الشبل الملتصق ببيت الله... شخصية قوية تمتلك قرارها، وتحدد مستقبلها، ويعتمد عليها فى كل موقف وحين، ويكتسب جرأة مبكرة جعلته ينطلق وهو فى الثالثة عشرة من عمره فى منتصف الليل بعد أن حمل عصا ليطارد قاذفى الحجارة على البيوت الآمنة فى منتصف الليل وهم فئة أرادت زرع الفتنة فى صفوف الشعب الفلسطينى غير عابئ بالمخاطر التى تواجهه، وكان ذلك قبل اندلاع الانتفاضة المباركة. فقد كان طارق مزيجًا غريبًا من المواهب، فحيثما التفت وجدت طارق كالسراج المنير.

ففى ميدان الرياضة لمع (طارق) فى ملعب (كرة القدم)... وفى لعبة (تنس الطاولة) كان أبرز لاعبى فريق الجمعية الإسلامية فى النصيرات... إضافة إلى ممارسة رياضة (ališنشاكو)، حيث كان من السباقين إلى ممارستها وإتقانها.

وفى ميدان الفن رأيت الفتى اليافع عضوًا فى الفرقة المسرحية التابعة للجمعية الإسلامية وأحد أعضاء فرقة النشيد الإسلامى.

وإذا تلفت إلى الأدب شاهدت (طارق) شاعرًا وكاتبًا للقصة، فتراه غارقًا فى كتابة الرسائل لإخوانه ويخرجها فى أجمل صورة... حتى غدا لطارق كتابات عدة... وكان أبرز وأجمل ما كتب طارق فى الأشهر القليلة التى طورد فيها لقوات الاحتلال الغاصب... وكان جل كتابته عن العطاء والفراق...

وكان من آخر كلماته.. «وقد حان الرحيل... وها هى ساعة الصفر تقترب شيئًا فشيئًا، ولكن هل سنقول وداعًا... أظن بأنه لا، ولكننا سنقول إلى اللقاء... أخى

انظر إلى هذه الحياة التعيسة، اليوم ألقاك وغداً أفارقك. . . اليوم أعرف أننى سأغادر ولا أملك البقاء. . . إن يوم الفراق أصعب يوم، ليتنى مت قبل يوم الفراق، وهكذا أيها الأحبة نفارقكم ولا ندرى متى نلقاكم». . هذا عدا الثقافة الواسعة والإلمام الكبير بقضايا المسلمين. . .

هذه المواهب لم تكن لتمر مر الكرام أمام نظرة (جماعة الإخوان المسلمين) فقبل أن ينهى طارق دراسته الثانوية أصبح عضواً عاملاً فى هذه الجماعة ليمثل استمراراً لوالده فى العطاء لدعوة السماء.

وما كاد طارق ينهى دراسته فى معهد الأزهر بغزة ويلتحق بكلية الآداب بالجامعة الإسلامية بغزة حتى انطلقت الانتفاضة الإسلامية المباركة حيث كان (أبو حذيفة) أبرز جند حركة المقاومة الإسلامية - حماس - منذ اليوم الأول لانطلاقها يعمل بكل جد واجتهاد على تنفيذ فعالياتها وتوزيع بياناتها. . . هذا عدا المواجهات التى كان طارق بارزاً فى أدائها، وكان اسم طارق يتردد بأنه من أمهر رماة الحجارة، وكانت ذكرى (الإسراء والمعراج) فى عام ١٩٨٨م الأبرز، حيث دعت حماس للمواجهة والتصعيد، وحدثت مواجهات عارمة حاصرت فيها قوات الاحتلال المسجد الجنوبى بالنصيرات، وكان طارق أحد المدافعين الأشاوس حتى انسحبت قوات الاحتلال.

والانتفاضة المباركة بلورت شخصية طارق بشكل جهادى متميز، حيث بدت الجرأة إحدى أبرز المعالم لشخصية طارق، إضافة إلى مزيد من الالتصاق بأرضه الحبيبة (أرض الإسراء) وحبه المطلق للدفاع عن الوطن السليب.

ولما انتشرت أعمال اللصوصية ومهاجمة البيوت الآمنة بدافع من يهود، قرر طارق وإخوانه تشكيل مجموعات الحراسة الليلية. . ويبقى هو وإخوانه يتبادلون السهر على حماية الجماهير. . . كل هذا النشاط المتصاعد جعل عيون سلطات الاحتلال تتفتح جيداً على طارق ليتم اعتقاله عدة مرات. فما يكاد يتحرر أبو حذيفة من قيده حتى يُعاد ثانية إليه، فأكسبته أيام المحنة هذه مزيداً من الصلابة والشدة، كما أكسبته المزيد من المعرفة الأخوية التى كان يسعى لها طارق بكل حيوية حتى غدا شخصية مشهورة على الصعيد الشبابى فى القطاع والضفة. . . كما أكسبته تلك الأيام المزيد من الكفاءة فى قرض الشعر فكتب:

من كتسعوت تحية ورسالة للأهل والأحباب والخلان

أوصيهموا فيها بقوة خالد وثبات عمار على الإيمان

أماه لن نرضى بحكم المعتدى وسيحكم السلطان بالقرآن

وسيحكم القرآن فى كل الدنا وسندخل الفردوس والرضوان

وقد أنكر استخدام الشعر للانحلال والمجون من قبل الكثيرين، فأنشد قائلاً :

ألا يا عيون الشعر نامى ودعى الكلام ودعى الأمانى

إنى رأيت الشعر أمسى للمجون وللخنوع وللتسالى والغوانى

إنا نريد الشعر يصرخ هاتفًا مثل القنابل والرصاص الغانى

إنا نريد قوافيًا شعرية نوراً وناراً تحرق الأوثان

ولما قررت الحركة تشكيل خلايا لجهازها العسكرى فى كافة المواقع واختارت لهذا الجهاز خيرة أبنائها . . . اختارت (أبا حذيفة) ليكون عضواً فى خلية كتائب الشهيد عز الدين القسام فى المنطقة الوسطى . . .

وتحركت الخلية القسامية الأولى فى النصيرات، وكان القسم الأول على قبر (الشهيد حسين أبو يوسف) لتقطف رؤوس العملاء وبشكل أذهل كافة أبناء القطاع، وذاع صيتها لما تميزت به من عمل راق وتحرك دقيق، حيث كان يتم خطف العميل والتحقيق معه وتسجيل كامل اعترافاته على شريط كاسيت، وإذا كان يستحق الإعدام ينفذ فيه الحكم بعد قرار الإفتاء فى جرائم العميل . . . وتم الإفراج عن عملاء فى أكثر من مرة دون إعدامهم مما جعل لكتائب القسام فى منطقة النصيرات اسمًا طاهراً ولا أحد يعلم فى ذلك الحين من تتبع هذه الخلية التى تتحرك بكل هذه الدقة، فلا يكاد يرى أهل النصيرات عناصر الخلية ولكنهم يسمعون كل يوم عن خطف . . . أو إعدام . . أو إفراج عن عميل بعد التحقيق معه واستتابته . . . وكأن من ينفذ كل هذه الأعمال خارج الكرة الأرضية، أو أنهم يلبسون طاقية الإخفاء، وقد كان (طارق القسام) يحمل فى قلبه، ولا تخفى ذلك فلتات لسانه، كراهته للخيانة ونبذه مرتكبيها، وقد وجه خطابه الأول إلى الذين باعوا ضمائرهم :

«يا خائنون قضيتي... وهويتي... وعقيدتي، نهدى إليكم والسلاح هو الدليل... رصاصات الوصول، ونعود كي (ترووا لنا) كيف السقوط... كيف العمالة... وعندها تتألمون... تبكون والدمعات تهمي من عيون الحقد... لكنه في حينها... يأتي الندم... لكنكم لن تفرحوا فتعقلوا إني ناصح لكم... قبل الوصول».

واستمر العمل سارى المفعول بكل دقة وثقة حتى اعتقلت سلطات الاحتلال الأخوين (مجدى حماد وصلاح العايدى) وهما يحاولان الخروج عبر الحدود المصرية، وتم الاعتراف على الخلية القسامية التى كان (طارق القسام) أحد جنودها...

ويصل الخبر (لأبى حذيفة) ويتخذ فوراً أخطر قرار فى حياته - المطاردة -، وتأكد هذا القرار حين اقتحمت قوات ضخمة من الجيش منزل (أبى أسامة دخان) الساعة الثالثة من فجر ١٢/ ١/ ١٩٩٢م وتمت حملة تفتيش واسعة النطاق بحثًا عن (طارق)...

ولكن أين...؟

أبو حذيفة يقرر عدم العودة إلى الذل، خاصة وهو يعلم أن أحكامًا عالية تنتظره هذه المرة... وتمنعه من مواصلة الكفاح بحرية، وبذلك بدأت مرحلة جديدة فى حياة طارق... وقد تركت هذه المرحلة بصماتها الواضحة فى طارق وشخصيته وكتاباته... فقال فيها:

لا يا أخى... لا تبتئس..

وارفع سلاحك عاليًا... حتى نسير إلى الجهاد...

واعلم أن (كتائب القسام) ما ماتت...

وإننا حتمًا إليكم عائدون...

لا يا أخى لاتخن...

قدّم حياتك منحة... حتى نسير إلى الجنان...

لا يا أخى... لا تركنن إلى الفراش...

لا تعشق النوم . . حان الصحو من تيه السنين

واعلم بأن مسيرة القسام قامت لتحيى روح أمتنا

قم يا أخى . . . فالحور تنتظر الشهيد . . .

قم يا أخى . . .

والقدس تبكى . . . قم جفف الدمع الهتون

حتى نضيف يدًا إلى أيدى الجهاد

قم يا أخى مسرى النبى يئن . . . من ينقذ المسرى الحزين .

وبذلت قوات الاحتلال جهدًا مضاعفًا فى البحث عن (طارق) خاصة وأن مسئول أمن المستوطنات قتل قرب مفرق دير البلح يوم ١/ ١/ ١٩٩٢م، وكانت أصابع الاتهام الإسرائيلية تشير إلى (طارق) حتى آخر لحظة فى تنفيذ هذا الهجوم القسامى الأول من نوعه فى مرحلة القسام الحديث، وترسخ هذا الاعتقاد لدى السلطات الإسرائيلية المحتلة بعد إعلان (كتائب القسام) مسئوليتها عن هذا الهجوم فى كافة أنحاء القطاع .

وكان طارق فى هذه الفترة يشعر بقرب اللقاء فى داخله، لذلك كان كل حديثه وكلماته حول الفراق، فيقول لإخوانه : « اليوم نلتقى وغدًا نفترق »، «حان الفراق وقد يكون إلى الأبد» .

وفى زياراته القليلة لمنزله أثناء المطاردة كان يقول لأمه : إن حدث لى شىء لا تحزنى فإن ما يحدث قدر الله وما كتب سلفًا . . .

وفى هذه الأثناء كان يعد للخروج مع مجموعة من المطاردين خارج الحدود بعيدًا عن الملاحقة اليومية . . . ولجلب السلاح من الخارج . . .

وما أن اقترب يوم الفراق حتى حلّ (شهر رمضان المبارك) حيث اعتكف طارق فى بداية الشهر الكريم للعبادة، وكان دومًا يقف بين يدى الله تعالى يسأله الشهادة عاجلة يرفع الله بها راية الإسلام ويذل راية الكفر . . . وفى ليلة ٨/ ٤/ ١٩٩٢م اتجه طارق مع أخويه ورفيقى دربه (جلال صقر وزياد أبو مساعد) إلى الحدود المصرية لمغادرة قطاع غزة برًا يتجه هناك حيث قدر الله ينتظره . . . قدر الله يحمل إليه الكرامة والمحبة . . .

لم يكن المجاهدون قد علموا حقًا طرق التعامل الآمن خاصة فى ظل وجود نفر باع نفسه للشيطان. . . وهذا الجهل أوقع المجاهدين فى فخ الغدر حيث يفاجأون فى طريق الهجرة بكمين عسكرى وتحيط بهم قوات الاحتلال من كل جانب وقد أطلقوا عليهم الرصاص فى محاولة لإرهابهم وإيقافهم. . . توقف المجاهدون الأبطال الذين لا يحملون سوى السلاح الأبيض ولكنها عزة المؤمن تنتفض فى عروق طارق الهمام. . فيأبى الاستسلام ويستل خنجره وينقض كالأسد الهصور على أحفاد القردة يريد منهم قصاصًا على جرائمهم، ويملأ قلب طارق الشعور بالظلم والاضطهاد، ومن خلف بريق خنجره يبرز وجه طارق الغاضب على أولئك الذين باعوا دينهم وأبناء جلدتهم بثمن بخس. . .

ولكن يعاجله الرصاص الحاقد ليسقط الجسد العظيم مدرجًا بدمائه. . . وليروى ظمأ الأرض الطاهرة إلى الدماء المسلمة الزكية. . . وصعدت الروح الوثابة إلى بارئها تشكو ظلم الظالمين وتقاعس المتخاذلين فيما يعتقل رفيقاه.

ويخفى الاحتلال نبأ استشهاد طارق لحاجة فى نفسه، وفى فجر الجمعة ١٠/ ٤/ ١٩٩٢م استيقظ سكان النصيرات على مكبرات صوت الاحتلال تنادى بفرض حظر التجول، وتساءل الناس فيما بينهم. . . ما السبب ؟؟ ماذا حدث ؟؟

وتقدمت قوة عسكرية من منزل الرجل الصلب (أبو أسامة دخان) واقتادوه مع اثنين من أبنائه إلى المقبرة وأمروهما بحفر قبر. . لمن ؟!! لا تسألوا. . .

ثم حضرت قوة ثانية ومعها جثمان طلبت من الوالد وأبنائه دفنه. . . رفع شقيق طارق الرداء عن الجثمان. . . (طارق) يا الله نحفر قبر طارق يا قتلة يا مجرمين، وبدأ الآخران بشتم بنى يهود ومهاجمتهم بدون وعى. . . فيما وقف الشيخ صامتًا مسلّمًا أمره لله تعالى وهو يردد (إنا لله وإنا إليه راجعون. . . الحمد لله. . . اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلفنى خيراً منها)، وأهال الإخوة التراب على شقيقهم الغالى بعد أن ألقوا عليه نظرة الوداع الأخيرة.

ولمّا علمت الوالدة الصابرة قالت كلمتى الحمد والصبر التى أوصى بها (طارق). . . (الحمد لله على نيله الشهادة)، وقالت: (كنت أحثه على الدراسة لكى يصبح

طبيبًا. . . إلا أن نيله الشهادة أحسن من أى شهادة أخرى)، وكانت العائلة تعيش أشد حالات التحفز والاستنفار. . .

وما أن انتشر الخبر الصاعق الذى ذُهل منه قطاع غزة بأسره ليلتهب بالنار والمواجهات والغضب الحقيقى، فما من موقع إلا وحطت فيه رحال (أبى حذيفة)، وما من منطقة إلا وتعرف (طارق دخان)، ذلك الشاب صاحب المواهب المتعددة، وما من شاب مسلم إلا وكان (أبو حذيفة) صديقه، فكانت أبرز معالم (طارق) كثرة التعرف على الإخوان.

وتحدت النصيرات منع التجول، وخرجت جماهيرها تعلن المواجهات العارمة ليصاب عدد كبير من شباب النصيرات بالأعيرة النارية.

وفى حفل العزاء تذكر الجميع طارقًا: الفتى الهادئ الوديع. . . طارقًا الصامت. . . طارقًا الرياضى. . . طارقًا الشاعر. . . طارقًا الأديب والفنان. . . طارقًا المجاهد الشهيد، فيما بقى شقيقه الأصغر (محمد) صامتًا ثم نطق كلماته المزلزلة «قسمًا لأثأرن لدم أخى»، ويبقى هذا القسم يتردد صداه فى نفس (محمد) حتى التحق (بكتائب القسام) وجندها البواسل ليبر بقسمه ويقتل جنديين برصاص القسام الهدّار؛ الجندى القتيل الأول كان فى خليل الرحمن بتاريخ ١٢/ ١٢/ ١٩٩٢م، وهذا الحادث الذى كان أحد الأسباب لقرار الإبعاد الرابينى لمئات من قيادى ومؤيدى الحركة الإسلامية، ومنهم الشيخ المربى (عبد الفتاح دخان) والد الشهيد والأسير، والثانى فى فجر ليلة القدر من رمضان ١٩٩٣م فى مخيم جباليا الثورة. . ثم يصاب (محمد) إصابة بليغة قرب مخيم النصيرات ويتم اعتقاله، ولا زال محمد خلف الأسلاك يسير على عكازين، ولكنه أطفأ نار قلبه بهذا الثأر العظيم من جند الاحتلال الذين أراقوا دم أخيه المغوار طارق القسام وأعلن لهم أن لحمنا مر وأن دماءَنا علقمٌ. . .

وقد كانت آخر كلمات الشهيد طارق تلك التى كتبها بتاريخ ٨/ ٤/ ١٩٩٢م والتى حرص فيها على خطاب الجيل الفلسطينى المسلم الجيد قائلاً:

«والآن يا شعب الحجارة، يا جيل الصمود، يا طفل ثورتنا العظيمة، يا أيها الأمل المجاهد فى قلوب التائهين يأتى رحيل الجبن عن وطنى لنطهر الوطن السليب. . .

نحتل صمتًا قادمًا منها. . . بلاد المستحيل، وفجأة يتحول الصوت المخيف. . . مشاعلَ. . . ويتحول الدمع الحزين قنابلَ. . . تبنى صروح المجد فى وقت الأصيل. . . تأتى رصاصات الصمود تعيد للأطفال بسمتهم. . . وتنشىء الشيخ الجليل. . . وكتائب القسام تعلى صوتها. . . بالذكر. . . بالآيات. . . . بالترتيل. . . تأتى إليهم عبر صوت الخوف. . . تقتلهم. . . تحتل فيهم جبنهم والخائنون سيعلمون. . . عند الوصول. . . بأنهم فوق الرصاص سيسقطون. . .

وقد كانت كلمته الأخيرة واضحة فى عمق الاختيار، حيث يقول فى إحدى رسائله: «أخى الحبيب. . . إنه الجهاد. . . إنه الموت فى سبيل الله عز وجل. . . وإنها الطريق التى اخترناها». وبعد أن كان (طارق) يكتب الشعر كُتب فيه الشعر. . .

«يا طارق القسام. . .

يا فرسًا توضئنا صهيله. . .

هيا تسرب فى مسامى الأرض. . .

وابدأ خطاك من النصيرات أزهر اللوز لتأتى خانيونس فى لياليها الجميلة. . .

بك يا ابن ذلك الليث تنتفض البلد. . .

بك يا شهيد القدس ضمخنا رقاب الساسة البلهاء حبلاً من مسد. . .

بك تستعيد الأرض جوهرها وتبقى للأبد. . .

هرب المناضل والزعيم وما تبقى من أحد إلاك يا ملح البلد. . .

إلاك يا ملح البلد. . »

***

الشهيد/ محمد حسن عبد القادر قنديل (أبو الحسن)

١٩٩٢/٥/٢٤



وسقط الجسد العملاق مدرجًا بدمائه الطاهرة . . سقط بعد أن قدم وقدم . . لم يتوان فى العطاء المتواصل لدعوة السماء حتي اختاره رب السماء ليكون هناك فى ظله، وليسطر بدمه الزكى شهادة جديدة على واقع التردى والتخلى، ويفتح بوابة جديدة دخلها الشبان الإسلاميون الفلسطينيون بكل قوة لتكتب على أرض الرباط ملحمة جديدة قديمة، هذه الملحمة رفرفت من جديد فوقها راية : (لا إله إلا الله . . محمد رسول الله).

انطلقت خطا المجاهدان (ياسر الحسنات ومحمد قنديل) بثبات وخفة ورشاقة رغم الخطورة البالغة التى تلف تحركهما لأنهما مطلوبان لقوات الاحتلال منذ ما يقرب من الخمسة شهور بعد المعلومات التى ملكتهما السلطات بحقيقة كونهما جنديين فى كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكرى لحركة المقاومة الإسلامية -حماس- قيامهما بتنفيذ عدة هجمات استهدفت قوات الاحتلال وعملائه . .

وتنقل المجاهدان من موقع لآخر فى منتهى السرية والأمن . . إلا أن واجبهما هذه المرة يلزمهما السرعة فى الإنجاز ولو أدى ذلك إلى درجة من المخاطرة، فأخوهما المجاهد (مروان الزايغ) بطل عملية الثأر فى يافا بتاريخ ١٤/ ١٢/ ١٩٩١م مصاب بعيار نارى فى قدمه وعليهما الإسراع لعلاجه، وأشار محمد على أميره ياسر بضرورة بقاء مروان فى منزل الشيخ حسن فى منطقة الصبرة لصعوبة تحركه وللضرورة الأمنية رغم الصعوبة البالغة التى تواجههم، وأومأ ياسر برأسه بالإيجاب . . وأخرج زفرة حارة . . وكان حينها أكثر ما يضايق المجاهدين ضعف الإمكانات وندرتها . . «وأردف ياسر لذلك علينا الإسراع فى إحضار من يعالج مروان فى المنزل»، و فعلاً تم ذلك .

وما كاد الليل يلف منطقة الصبرة بظلام دامس . . وقبل حلول منع التجول الليلى الذى كانت تفرضه سلطات الاحتلال كل ليلة من الساعة الثامنة مساءً إلى الساعة

الخامسة فجراً، وذلك بهدف حصار المجاهدين، وقمع الانتفاضة، غادرت مجموعة من المجاهدين منزل الشيخ حسن بعد زيارة عاجلة لمروان المصاب. . والتف الإخوة حول مروان بعد صلاة العشاء وهم يرددون أهازيج إسلامية:

يا بلادى، يا بلادى من أجلك صرت مقاتل. .

من أجلك يا بلادى صرت مناضل. .

وتمر قافلتى مع الأحرار من بين السنابل، ونصبر فى انتظار النصر،

والنصر دومًا للمقاتل، لنكون يا شعبى فداك، لنكون يا شعبى فداك،

إما النصر، وإما أن نكون الجسر فى درب القوافل. .

انتبه المجاهدون لصوت طائرة هليوكوبتر تحوم فى المنطقة. . ذهب العين أعلى السطح يستطلع، وإذا بقوات معززة من جند الاحتلال تزحف نحو الملاذ والمأوى، تزايدت حالة اليقظة. . وقف مروان على قدميه مع إخوانه رغم الإصابة. . فى إعلان واضح لقبول التحدى والاستعداد للمقاومة. .

كان (محمد) المجاهد ابن المغازى الثائر قد اختار الزاوية الأقرب للمواجهة مع قوات الاحتلال. . ولم يكن هذا الاختيار من قبيل المصادفة. . بل اختياراً مقصوداً حيث القرب من زاوية المقاومة. . والقرب من انتقاء البارئ عز وجل. .

وما أن فاجأ ياسر قوات الاحتلال بقنبلته اليدوية الوحيدة التى كانت بحوزتهم فشتت جمعهم وأسقطهم مدرجين بدمائهم. . فيما انطلقت رصاصات مسدس مروان باتجاه ضابط الوحدة وهو يعتلى الدرج ليسقط قتيلاً ليدفع جزءًا من بداية المواجهة مع جند القسام، و(محمد) يغلق الثغرة التى يحرسها.

فيما انطلق الرصاص اليهودى بشكل كثيف نحو المأوى، حيث كان محمد يعتلى السطح، هناك ينتظر رصاصة واحدة من آلاف الرصاصات بينه وبين الجنة. . وكانت تلك الرصاصة التى أصابت الجسد الطاهر فاعتلاها محمد منطلقًا نحو جنة عرضها السماوات والأرض. . نحو الحور العين وتاج الوقار والشفاعة وحواصل طير خضر. . والنجاة من العذاب نحو وعد الرحمن للشهيد ولن يخلف الله وعده. وسقط الجسد العملاق مدرجًا بدمائه الطاهرة. . سقط بعد أن قدم وقدم ولم يتوان فى العطاء

المتواصل لدعوة السماء حتى اختاره رب السماء ليكون هناك فى ظله، وليسطر بدمه الزكى شهادة جديدة على واقع التردى والتخلى، ويفتح بوابة جديدة دخلها الشبان الإسلاميون الفلسطينيون بكل قوة لتكتب على أرض الرباط ملحمة جديدة قديمة، هذه الملحمة رفرفت من جديد فوقها راية (لا إله إلا الله).

ولما انطلقت شرارة الانتفاضة، كان محمد يواصل دراسته الجامعية بقسم الكيمياء بكلية العلوم بالجامعة الإسلامية، بهذه الحياة الخشنة الشاقة، تعلم شهيدنا مواجهة الصعاب وتذليلها.. تعلم فن العطاء اللامحدود.. ودون أن يسأل عن المقابل.. تعلم ببيت الله تعالى الإسلام صافيًا، فعلم كيف يتبين الحق ويحميه ويدافع عنه بكل قوة، فكان مصرًا على رأيه، إذ اعتقد صوابه لا يخشى فى الله لومة لائم.. فيما حمل منذ نعومة أظافره قدرًا كافيًا من الذكاء والشجاعة.. إضافة إلى الجسم المتين الذى تحلى به (محمد) عدا ممارسته فن الدفاع عن النفس (الكاراتيه).

هذا المزيج الفريد من المواهب والصفات جعل محمدًا شخصية تفتح لها مغاليق القلوب، فكان محمد محور التفاف شباب الإسلام حوله، يحبهم ويحبونه.. يعطى فيتعلمون منه فن العطاء..

ترسخت هذه المعانى العظيمة فى شخصية (محمد) يوم انطلقت الانتفاضة حيث كان (محمد) ابن الحركة الإسلامية (رمز العنفوان و العطاء فى الانتفاضة) أبرز الوجوه اللامعة فى المغازى كشاب يافع يحمل هموم وآلام شعبه.. حيث انطلق محمد يمنح دون تردد كل ما يملك..

وفى الليالى الأولى للانتفاضة انطلق محمد ملثمًا يجوب أرجاء مخيمه مع إخوانه يضعون الحواجز ويشعلون الإطارات ويلهبون نار الانتفاضة الفتية بعطائهم المتدفق، ويطلقون صافرة البداية لمرحلة جديدة فى تاريخ فلسطين والحركة الإسلامية.. تطور عمل حركة المقاومة الإسلامية - حماس - وتفرع عبر أجهزة متعددة، وواصل الفتى المعطاء، مسيرته ليتولى مسئولية جهاز الأحداث فى المغازى..

وبينما كان يجهز مع إخوانه الأعلام الفلسطينية المزينة بشعار التوحيد وحولهم علب الطلاء فى منزل أحد إخوانه فى إحدى الليالى الانتفاضية، طرق الباب بشدة، خرج أهل المنزل حيث قوات الاحتلال تداهم المنزل وتعتقل صاحب المنزل دون رؤية (محمد)

وأعلامه تفترش أرض الغرفة !! وبينما (محمد) كان يوزع فى إحدى الليالى بيانًا للحركة مع أحد إخوانه فاجأتهم دورية عسكرية، إلا أن (محمد) تحرك بشكل طبيعى وسار فى طريقه دون أن تلتفت الدورية الراجلة إليه أو إلى أخيه المجاهد، مع أنه كان يلقى البيانات وهو يمر بجوارهم، كان يعلم يقينًا بأن الله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين. . لذلك ترى حقيقة التوكل المطلق على الله معلمًا بارزًا فى سلوك (محمد). .

ثم تولى المجاهد المعطاء مسئولية جهاز الأمن الحركة (مجد) فى المغازى، وبدأت رقعة المعلومات الأمنية تتزايد، فكان القرار بإيجاد خلايا قسامية تلاحق فلول العملاء فى كل المواقع، ووقع الاختيار على صاحب العطاء المتواصل (قنديل) ليؤسس خلية كتائب الشهيد عز الدين القسام فى المغازى ويتولى مسئوليتها. . حيث تحركت بفاعلية وقوة فى منطقة المغازى، وكافة المناطق الوسطى، وهاجمت أذناب الاحتلال ونفذت حكم الإعدام فى ما يقارب ثمانية عملاء. .

ولما اعتقل(الأخ حسن العايدى) على الحدود المصرية. . ووقع المحظور وتوالت الاعترافات حتى طالت خلية المغازى القسامية لينضم (محمد) فورًا إلى قافلة الأحرار. . قافلة المطاردة الأولى. . ويختفى مع إخوانه عن الأنظار يجوبون أنحاء القطاع فى كر وفر مع قوات الاحتلال على الأرض الطاهرة. . فيما رفض مرارًا الخروج مقسمًا على الشهادة على هذه الأرض، كان حب الله والوطن الدافع الأكبر لتواصل العطاء القنديلى حتى الشهادة التى كان محمد يعشقها ويذكرها ويكثر ذكرها وانتظارها. .

وفى زيارته القليلة لأهله كان يحثهم على الصبر والمصابرة إذا وصلهم خبر استشهاده، ولما سمع الأهل نبأ استشهاد ولدهم فى اليوم الرابع والعشرين من شهر مايو فى العام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين ميلادية من الإذاعة الإسرائيلية، وقفت صورة محمد بينهم كالطود الشامخ يذكرهم وصيته بالصبر والاحتساب، فتواصوا بالصبر وحمدوا الله تعالى ودعوا له بالخير وأن يشفع لهم يوم القيامة.

وما أن انتشر الخبر بين جماهير قطاع غزة حتى توافدت أفواج المهنئين (لآل قنديل) بشهيدهم الغالى حتى غدا موقع العزاء عرسًا ضخمًا يؤمه الآلاف من كافة الأرجاء، ويبقى النشيد الإسلامى يصدح موحيًا بالفرح الغامر الذى يملأ القلب، فيما طافت أكواب الشراب تؤكد هذا الشعور. . فجفت الدموع، وشعر الجميع بالغبطة حتى الأم الحنون لم تذرف دمعة واحدة، بل كانت أكثر النساء حثًا على الصبر واحتساب الأجر والدعاء.

وفى آخر أيام العزاء كان حفل تأبين ضخم للشهيد، حيث غصت شوارع المغازى بأهالى القطاع الذين توافدوا يستمعون مناقب القنديل القسامى (محمد)، وتحدث الجمع، ودقت الطبول، وفى هذه الغمرة الحافلة اقتحمت بيت العزاء قوات ضخمة من جيش الاحتلال وحرس الحدود ووقعت مواجهات ضارية، جرح فيها عدد كبير من الجماهير بالرصاص. . فيما تفرقت الجموع فى الأراضى الزراعية. .

وفى ظلام الليل الدامس بدأ أنفار قليل عددهم من عائلة الشهيد القنديل تحوطهم قوات كبيرة من جند الاحتلال يحملون جثمان الشهيد الغالى فيما رائحة المسك ملأت الموقع. . وألقى الجمع النظرة الأخيرة على الجسد الطاهر قبل أن يوارى التراب، وقد شاهد الجميع السبابه ليد محمد الشهيد يرفع شارة (الوحدانية)، وقد حاولوا مراراً ضم إصبعه دون جدوى. . وقد دفن الشهيد وهو يرفع هذه الشارة العظيمة، لينتقل محمد من العالم المحدود إلى عالم الخلود. . ومن دار الابتلاء إلى دار البقاء، وليثبت اسمه فى صحائف المجد، وفى جسور العودة كأبرز أسماء العطاء.

وصية الشهيد:

وقد ترك الشهيد وصيته المتزنة الشارحة لأصول الطريق قائلاً فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين. .

أما بعد. .

إلى إخوتى. . أحبتى. . أمل الجهاد المتأجج فى ناظرى إلى الأبد. . . عمالقة الالتزام الصادق. . إلى كل المتمسكين رغم كثرة المفرطين، ورغم سفههم. . إلى أبطال مستقبل هذا الدين. . إلى فرسان الحق والقوة والحرية. . وإلى أشبال حماس الأبطال. . إننى أكتب رسالتى وأنا فى خندقى بين الرصاص والقنابل، وبجانبى رشاشى ينتظر المعركة وهو مشتاق إلى تقبيل رؤوس اليهود وعملائهم. . من بين هذه الأحداث وهذه المخاطر تذكركم وأنتم تجلسون حولى فى أيام قد خلت، فقلت لنفسى. . من فيهم يحمل الرشاش بعدى. . ويلقى القنابل ؟؟. . من فيهم هانت الدنيا عليه وأشرقت روحه وتألقت لمعانقة الشهادة ؟؟ كى أخفى عنده سر الجهاد. . من فيهم

يا ترى سوف يرث (أحمد ياسين ويحيى السنوار وروحى وحازم العايدى وعيد مصلح؟؟) من فيهم سوف يذكرنى وأنا مطارد، فلا ينام الليل يحلم فى الجهاد ويظل يفكر كيف السبيل لقتل اليهود وأذنابهم الأوغاد ؟؟

من فيهم يرفع راية القسام عالية كما رفعناها فى زمن الذل والعار، لقد مهدنا لكم الطريق لكى تسيروا على درب البطولة والشهادة، وتعانقوا روح الجهاد، ولا تفرطوا، أقول لكم من قلب صادق وكلى أمل أن تسمعوا كلمتى . .

أحبتى . . إن أول خطوة فى طريق الجهاد المقدس هى الالتزام بتعاليم القرآن ونهج الرسول محمد ﷺ خير الأنام . . وثانى خطى الجهاد، أن لا تنام الليل إلا وأنت تنظر فى حال البلاد والعباد . . ومن بعد ذلك يبدأ الاستعداد ليوم اللقاء مع البنادق والزناد . . لتكون شهادة أو نصر ينزله رب العباد . . هذى خطانا فى خنادق القسام، فهل تكون لكم أمنيات وتقدموا كى تبدأوا الطريق إلى الجهاد وتستعدوا كى تلحقوا بإخوان لكم هانت عليهم الدنيا وباعوها بما فيها ليصلوا بثمنها إلى رضا الله وإلى جنات الخلد وعدن، وإلى حوض النبى ﷺ . .

أقولها لكم : إن جهادكم ونفوركم هو حياة الأمة، وأن بين أيديكم تشرق روح الخلافة فتنعم الأرض بالإسلام، وترفع راية التوحيد وما كنا نحن إلا حلقة من حلقات الجهاد الرهيبة المتواصلة بها يعز الإسلام وتنتعش راية التوحيد لتظل عالية لا تذل ولا تهفت ما دام سيل الدم يرويها، وزغاريد الرصاص تصاحبها، وشظايا القنابل تشق لها الطريق للعلو والشموخ . .

إخوتى . . إن الرسول ﷺ بشرنا بالرباط إلى يوم القيامة، وفضل الشام فى الجهاد عن باقى البلاد، وحبب إلينا الشهادة ورغبنا فيها لعظم درجة الشهيد ومنزلته بين الأنبياء والمرسلين يوم القيامة، وحبب إلينا الجنة وفردوسها الأعلى وعد الله للمجاهدين والشهداء، وندعو الله يقبلنا مع المجاهدين وأن يرزقنا الشهادة فى أرض الأقصى الحبيب وأن يلحقكم بنا مجاهدين وشهداء وأن يجعل النصر على أيديكم . . إنه المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أخوكم محمد حسن قنديل (القسام)

«أبو حسن»

٢١/٠٩/١٩٩٢

التفانى الصامت

الشهيد/ ياسر حماد عليان الحسنات (أبو طارق)

١٩٩٢/٥/٢٤



قبض ياسر بقوة على القنبلة اليدوية الوحيدة التى بحوزتهم وتجلت فى لحظة واحدة كل الصور أمامه، صورة الماضى العامر بالعطاء والتفانى للرسالة الخالدة . . . وصورة الحاضر الذى يحمل ملامح التحدى غير المتكافئ، لكنه الإيمان يملأ الصدور ويدفع لمواصلة الطريق مهما كان الثمن . . . وصورة المستقبل المشرق . . . حيث جنان الرحمن والفردوس الأعلى والشفاعة وعرش الرحمان يتجلى، وحيث الأنبياء والصديقون والشهداء بإذن الله.

كان على ياسر أن يسرع خطاه تاركًا منزله رغم غياب والده (الشيخ حماد الحسنات) خلف الأسلاك الشائكة بتهمة المشاركة فى تأسيس وقيادة حركة المقاومة الإسلامية حماس، والاعتقال الإدارى الذى لاحقه بعد ذلك.

كان عليه الإسراع استجابة للواجب الإسلامى الذى يستحث خطا الشاب الأسمر الهادئ صاحب العطاء الصامت لينطلق ناحية الجنوب من مخيمه (النصيرات) حيث دير البلح وقربها مزرعة الدواجن التى يعمل بها مع إخوانه . . .

لم تكن مزرعة الدواجن تلك سوى غطاء للعمل الجهادى القسامى الذى انطلق فى المنطقة الوسطى والتى كان ياسر أحد قادته . . . حيث فى أسفل المزرعة يقبع المبنى الذى اتخذته المجموعة القسامية كموقع تحقيق، حيث يخطف المتهم بالتعاون مع إحدى المخيمات الوسطى وينقل مقيداً ومعصوب العينين إلى الموقع، ويجرى معه تحقيق شامل وينفذ الحكم العادل فى المتهم حسب جرائمه أو يطلق سراحه إذا لم تكن جرائمه كافية لتنفيذ حكم الإعدام فيه . . .

كانت تلك الأعمال حينها تثير الإعجاب والدهشة والتساؤل . . . من يقف خلفها؟؟ وكيف تؤدى بهذه الدقة والمهارة ؟؟ (ياسر) يغذُ السير نحو الموقع المتقدم . . .

والخندق الجهادى الأمامى وتدور به ذكريات الأيام والليالى الخوالى. . . يتذكر والده وهو يحدثه عن الهجرة والشتات حيث انتقلت الأسرة من (بئر السبع) البلدة الأصلية مع مئات العائلات الفلسطينية حيث آوتهم خيام اللاجئين فى قطاع غزة. . . خيام اللجوء والضياع. . . وتحولت الخيام مع الأيام إلى بيوت مليئة، حيث يؤوى البيت عشرات الأفراد. . .

واستقرت عائلة الشيخ حماد فى النصيرات ورزقه الله بالأبناء تباعًا. . . وحدثه والده الشيخ عن يوم ولادته في اليوم الأول من عام ١٩٦٤م حيث لازالت العائلة تعيش فى ظل الحكم المصرى فى قطاع غزة على أمل العودة إلى بئر السبع. . . وكم كانت فرحة العائلة بقدوم ياسر ضيفًا جديداً كريمًا على هذه الحياة. . .

وكم كان حلم العودة لازال يراود (الشيخ حماد). . . ولكن الحلم سرعان ما تبخر واستيقظ أهل القطاع على تقدم القوات العسكرية الإسرائيلية لتسحق الحلم بمزيد من الاحتلال والمصادرة للأرض. ولكن أين نذهب الآن ؟! مالنا خيار سوى الصمود حيث نحن. . .

دار هذا الشريط بسرعة فى ذهن ياسر وهو يتقدم نحو الموقع المطلوب. . . كان يرى فى تقدمه نحو الموقع القسامى تقدمًا نحو قدره الذى رسمه له الله عز وجل. . . حاول للحظات قراءة قسمات المستقبل أو التنبؤ بجزء منه، لكنه لم يفلح فى ذلك فعاد أدراجه إلى الذكريات. . . عاد ليذكر نشاطه الإسلامى قبل الانتفاضة، جال فى أرجاء مسجده وتفقد زواياه بخاطره. . . وذهب إلى الجمعية الإسلامية فى النصيرات ليذكر فيها أيام العطاء الفنى، حيث برز كمتحدث ومقدم برامج رغم الخجل الشديد الذى كان ينتابه حين يقف متحدثًا أمام الجماهير. . . وكان يطرب لسماع النشيد الإسلامى من فرقة الجمعية، وكان يرى فى المسرحيات الهادفة التى تقدمها الجمعية بديلاً فنيًا حقيقيًا للهبوط الذى أغرق به الشعب باسم الفن والتقدم. . . وكان يمارس هوايته فى إلقاء الشعر وقرضه، وكان هذا يسهم فى إكساب ياسر جرأة حينًا بعد حين، ولما تولى إمارة الكتلة الإسلامية فى مدرسة الصناعة كانت الثقة بالنفس معلمًا فى شخصية (ياسر). . .

رحلت الذكريات مرة أخرى إلى الانتفاضة المباركة وتذكر بمزيد من الفخر دوره مع إخوانه فى إلهاب جذوتها وإيقاد نيرانها. . .

وكان ياسر بين أولئك الأبرار الأوائل الذين تقدموا يلبسون القناع تاجًا لرؤوسهم الطاهرة كي تتقد هذه الجمرة التي أحرقت اليد اليهودية . . .

وعين الاحتلال لم تكن غافلة عن ياسر وهو يتحرك كقائد وضّاء يحظى بحب واحترام إخوانه ويحتل مكانة مرموقة في صفوفهم، لذلك بادر الاحتلال إلى اعتقاله إداريًا وكان من الأوائل الذين افتتحت السلطات بهم معتقل كتسعوت (أنصار ٣) في صحراء النقب . . . ولم يكن هذا ليضعف عزيمة أبي طارق صاحب الإرادة القوية، بل تقدم في العطاء وازدادت حماسته وكان يبدي إعجابًا شديدًا بأبطال خطف الجنود (ساسبورتس وسعدون) من أبناء الحماس المجاهدين (نصار وشراتحة والمبحوح)، وكم كان يرغب أن يلتحق بصفوفهم.

ثم جال بخاطره يوم أسندت إليه الحركة مسئولية جهاز الأحداث في المعسكرات الوسطى، وكان هذا فخرًا إضافيًا، فكم كان ممتعًا أن يعطي المرء لإسلامه ووطنه كل ما يملك من وقت وجهد ومال ودم، ولما قدر الله تعالى تقدمت قوات الاحتلال لاعتقاله ومحاكمته بهذه التهمة ليقضي محكوميته البالغة عامين في معتقل أنصار ٣ الصحراوي، وما كاد ينعم (أبو طارق) بشمس الحرية في ربوع قطاع غزة وتحت شمسه الحانية حتى بادر إلى الاستجابة والموافقة على العمل في كتائب الشهيد عز الدين القسام الجناح العسكري للحركة، وكان من أوائل العاملين في المنطقة الوسطى . . . كان يعشق الجهاد ويهوى أداءه ويحب تنفيذه استجابة لأمر الله تعالى بالجهاد حتى يحققوا أبرز المبادئ التي يؤمن بها (الجهاد سبيلنا).

وصل ياسر إلى مدخل مزرعة الدواجن التي يرتادها بشكل شبه يومي كموقع عمل، حيث تفقد الدواجن وأمدها بالغذاء والماء، ثم دلف عبر فتحة غير بارزة في نهاية المزرعة بها سلم يؤدي إلى أسفل المزرعة، حيث إخوانه في انتظاره وقد جلبوا شخصًا متعاونًا مع الاحتلال، وظلت المحاولات مع الرجل كي يعترف بما لديه من معلومات حتى بادر إلى الحديث وياسر يستمع ويسجل كل ما يتلفظ به العميل . . . ثم طلب منه إعادة اعترافه وسجله على شريط كاسيت . . . طلب منهم العفو والمغفرة بعد الاعتراف . . . بادره ياسر : كان ذلك ممكنًا لو أنك لم تطلق النار على أبناء الشعب، ولم ترتد الزي العسكري الإسرائيلي، أما الآن فقد سبق السيف العذل، ولكن

بإمكانك التوبة الخالصة لله تعالى والصلاة والخشوع بين يديه طلبًا للمغفرة والرحمة . . . وأحضر له الماء وأرشده إلى طريق الوضوء والصلاة كإعلان للعودة إلى الله تعالى ولو فى اللحظات الأخيرة . . . ثم جلبوا له بعض الطعام الذى تناوله بتردد .

كان العمل الجهادى القسامى يسير بانتظام وهدوء ، ولا يعلم به أحد على الإطلاق سوى القائمين وعين الله ترعاهم . . . فالسرية والكتمان علامات بارزة فى شخصية ياسر ، ولكن قدر الله النافذ يتحرك لحكمة بالغة لإماطة اللثام وكشف خلايا القسام العاملة ، حيث حضر ياسر إلى والده يومًا بعد خروج الوالد من المعتقل ليخبره أنه باع نصيبه فى المزرعة لعدم جدواها . . . ولم يعط الوالد الخبر اهتمامًا كبيراً حتى علم بالقصة لما قدمت قوات الاحتلال فى بداية عام ١٩٩٢م لاعتقال ياسر . . . ورفض ياسر الاستسلام وأصبح ضمن المجموعة الأولى لمطاردى القسام . . . واختارته قيادة الجهاز العسكرى ليكون أميراً للمطاردين ، وقضى أبو طارق جل وقت المطاردة فى مدينة غزة مع إخوانه يتنقلون من موقع لآخر وهم يؤدون واجبهم فى الموجهة الجهادية على مختلف الجبهات ، كان يشعر ياسر بالمتعة فى حياة المطاردة لأنها تجسيد بقوة التحدى والصراع . . . وما أجملها من معان حين يحمل صاحبها الحق ويذود عن حمى الشرف والكرامة ، والمطاردة تعنى فى قاموس ياسر المقاومة حتى آخر الأنفاس . . .

وأضاف استشهاد طارق القسام مزيداً من التحدى والعنفوان على شخصية ياسر ، وكم كان طارق قريبًا من ياسر ، فهما أبناء النصيرات وأبناء الحماس والقسام وأبناء الجمعية الإسلامية ، كل ذلك معًا وسويًا ، وترى ذلك مجسداً فى تسمية ياسر نفسه بلقب (أبى طارق) نسبة إلى طارق الشهيد . . . وغدا بعده ياسر أكثر تصميمًا على مواصلة الطريق حتى نهايته ، وكم كان يتمنى النهاية بشهادة فى سبيل الله تقر بها عينه ويعز الله بها راية الإسلام ويذل راية يهود . . .

لم يطل انتظار ياسر ، فبعد أكثر من شهر من استشهاد طارق كان القدر يرسم لياسر الخطى نفسها ، ولكن بصورة جديدة . . .

ففى مساء الرابع والعشرين من شهر مايو من نفس عام المطاردة (١٩٩٢) ، تقدمت قوة عسكرية نحو منزل الشيخ حسن الديرى فى حى الصبرة بمدينة غزة لتحاصره ، حيث يقبع داخله الأبرار الشهداء (الزايغ . . . قنديل . . . الحسنات) ، وكان مروان

حينها يعانى من أثر الإصابة النارية بقدمه. . . قبض ياسر على القنبلة اليدوية الوحيدة التى بحوزتهم وتجلت فى لحظة واحدة كل الصور أمامه. . . صورة الماضى العامر بالعطاء والتفانى للرسالة الخالدة. . . وصورة الحاضر الذى يحمل ملامح التحدى غير المتكافئ، لكنه الإيمان يملأ الصدور ويدفع لمواصلة الطريق مهما كان الثمن. . . وصورة المستقبل المشرق. . . حيث جنان الرحمن والفردوس الأعلى والشفاعة وعرش الرحمن يتجلى، وحيث الأنبياء والصديقون والشهداء بإذن الله.

واعتلى ياسر سطح المنزل. . . ولما تقدمت القوة وأصبحت فى مرمى الإصابة انطلق الساعد القسامى بقنبلته وهو يهتف الله أكبر. . . الله أكبر. ليتشتت جمع يهود ويقعون مدرجين بدمائهم. . . ويصوب مروان رصاص مسدسه نحو ضابط الوحدة، فانطلق الرصاص الجبان من كل صوب وحدب نحو أجساد الأبرار ليتحقق الحلم لأبناء القسام بالشهادة والارتقاء إلى الجنان إلى الفردوس الأعلى. . . ويتحقق حلم يهود فى القضاء على إحدى الخلايا القسامية، ويهوى أحد ضباط الاحتلال إلى قعر جهنم، حيث تمكن رصاص القسام من قتله ليحقق الله دعوة ياسر لشهادة يذل بها يهود. . .

كانت وصية ياسر التى سمعها أهله عبر شريط الفيديو عالقة فى أذهانهم ـ عدم الصراخ ـ توزيع الحلوى ـ إقامة عرس الشهادة ـ تنفذ بحذافيرها، حيث ذرفت الدموع على الشهيد الغالى وانتصب عرس الشهيد فى قلب النصيرات أمه أبناء القطاع، يهتفون للشهيد وللإسلام وللحماس وللقسام. والتهبت أرجاء القطاع بالمواجهات العارمة غضبًا شعبيًا على فقدان أعزاء مقاتلين بررة من أبناء هذا الشعب المعطاء. . .

ومكث جثمان الشهيد أيامًا مع قوات الاحتلال، وبعد ليال ثلاث تقدمت قوة عسكرية تطلب من الشيخ حماد الخروج مع أفراد قلائل من العائلة لدفن الجسد الطاهر. . . جسد الشهيد ياسر. . . كانت نظرات الوداع الأخيرة بالغة التأثير، شعر الشيخ حماد بمرارة الفراق ولوعة الحرمان من رؤية ولده الحبيب الوادع، لكنه كان فى سعادة غامرة حيث ولده يكمل الطريق التى اختارها، برزت معانى التضحية والوفاء من أجل الله والوطن متجسدة فى شخص ولده لعودة الراية الخالدة. . . وورى الجسد الطاهر التراب لتضمه (مقبرة الزوايدة) التى تفخر بثلة من الشهداء الأبرار تقبع أجسادهم فى تربتها الطاهرة.

ولم يقف العطاء ولم تقف المسيرة، إذ استمر (زياد حماد الحسنات) شقيق ياسر فى طريق شقيقه ليطارد سلطات الاحتلال فترة من الزمن ثم يتمكن من مغادرة الأرض الحبيبة على أمل العودة القريبة بإذن الله . . . وقد ألقيت كلمات الرثاء والوفاء للشهيد الغالى فى عرسه الكبير ومما تضمنته هذه الكلمات . . .

«إننا نودع اليوم رجلاً شهمًا إلى جنات الفردوس بإذن الله . . . استشهد فى ميدان العز والشرف والكرامة فى سبيل الذود عن حياض الوطن المقدس . . . لقد أوقف شهيدنا حياته منذ نعومة أظافره لخدمة دعوته ووطنه . . . إن حماس لا ترثيه ولا تبكيه بل تتخذ من سيرته مثلاً أعلى ونبراسًا . . .

إن ما يبعث فينا الثقة والقوة، التاريخ القسامى الحافل بالأعمال المجيدة لشهيدنا الغالى، إن من عرف هذا البطل عرف أن الله قد أودع قلبه سرًا علويًا لم يودعه إلا فى قليل من عباده الصالحين، منهم ياسر الذى أخذ من الإيمان عقيدة، ومن الإخلاص وطنية، ومن الوفاء عشرة ومن العزيمة إقدامًا، ومن الثبات إرادة، ومن النبل طبعًا، ومن البطولة اتصالاً.

وقد أجمع الذين شاهدوا ياسر فى شهادته أنه كان كاليقظ ورائحة المسك تعبق المكان . . . نعم إنها الكرامة يمنحها الله لأوليائه المجاهدين الذين تقدموا فى زمن التراجع ليكتبوا بدمهم صفحة جديدة ويشقوا طريق الحرية . . . بجهادهم المتواصل وليدقوا أبوابها الحمراء بدمائهم المدرجة الزكية . . . فطوبى لهم وحسن مئاب .

***

الشهيد/ ياسر أحمد النمروطى

١٩٩٢/٧/١٥

وداعًا أيها القائد الشهيد ياسر أحمد يوسف النمروطى (أبو معاذ)



الشهيد النمروطى: جبل شامخ فى الآفاق ورجل عسكرى معطاء!!

من قال أوراق الشهادة... قد طوتها الريح فى زمن الخراب؟ من قال إن حكاية الشهداء قد صدئت وواراها التراب؟ من قال إن أشرعة البطولة قد طواها الموج فى بحر الغياب؟ من قال إن جحافل القسام قد فقدت صهيل خيولها فى يوم (يعبد) عندما نعق الغـــراب؟ من أين يأتى هؤلاء إذن... ومن أى المآذن يطلعون؟ فتحتفى بنشيدهم هذى الهضاب... ومع اشتعال دمائهم لا بد ينقشع الضباب....

جبل شامخ فى الآفاق:

جبل شامخ فى الآفاق... لا يمكنه أن يتوقف عن مد يديه للشمس نحو النجوم الساطعة فى السماء... تتلألأ النجوم وتزداد سطوعا ولمعانا من شعاعه الذى يمنحه للآخرين فى صمت.... فهو صخرة الأقدار التى تتحطم عليه صرخات الأحزان... وزند قوى أشع من وسط الظلام ليبدد عتمة الليل... ويجلى الصبح بالنهار.. إنه الشهيد ياسر أحمد يوسف النمروطى (أبو معاذ).

فى عرس شهادته:

فى ذكرى رحيلك العاشرة أيها الخالد فى ذاكرتنا للأبد... صورتك انتشرت على ثياب التلاميذ... وأحلامك تتجسد فى صباهم... وتقاطيع وجهك تلازمهم فى أحلامهم... ومقاطع شعرية يكتبونها لأجلك فى كراريسهم المدرسية... وريح روحك ترفرف على المكان وتزيح عنهم الظلام وتذر الرماد على العتبات....

اصطف أبو معاذ حذو الظل. . . واشتم السكون. . . ووهج عن ومض انحدر فى خلاء الكون. . . ورفرف فى السماء. . . وهيأ نفسه للأفق. . . وامتزج بدمائه. . . فكان امتدادا للفضاء. . . ونسج فينا ذاكرة وحلم. . . وكان على موعد مع الشهادة حين تقدمت قوات عسكرية بأعداد هائلة فى مساء الثلاثاء ١٤/ ٧/ ١٩٩٢م. . . وحاصرت المكان الموجود فيه وهو المنطقة الجنوبية من حى الزيتون. . . واستمرت حملة تفتيش واسعة النطاق حتى قرب ظهيرة اليوم التالى ١٥/ ٧/ ١٩٩٢م. . . حتى خرج أبو معاذ من موقعه وهو يحمل مسدسه الشخصى، أطلق منه رصاصات على قوات الاحتلال. . . وحاول القفز بين المنازل حيث كسرت (الزاوية) التى كان يستند عليها، فأطلق الجنود أكثر من ثلاثمائة رصاصة على جسده الطاهر ليرتقى إلى الله شهيداً ويجمع فى راحتيه وميض النجوم وتتذكره ضوء المصابيح فى طرقات المخيم وينفث أريجه عبر النوافذ منتشرا وأزقة المخيم ملء خطاه وبشموخ أبى معاذ كون بعض ملامح المخيم والتى لن تغيب ملامحه عنا أبدا. . . .

رمحًا مشرعًا فى وجه الأعداء:

يا رمحًا مشرعًا خلف الأسوار. . . يا شجرة من نار تكوى الأعداء. . . لم يتجرأ الجنود المدججون بأسلحتهم أن يتقدموا صوب جسدك المسجى. . . . ليتم نقله وسط إجراءاتهم فى البحث داخل الجسد حول أى أثر لمعنى المقاومة والصمود. . . وتعلن الإذاعة الإسرائيلية نبأ استشهاد ياسر النمروطى أخطر المطاردين فى قطاع غزة. . . . وأعلنت حركة المقاومة الإسلامية حماس عن يوم ١٥/ ٧/ ١٩٩٢م إضرابًا شاملاً حداداً على روح الشهيد الرقيب ياسر النمروطى قائد كتائب الشهيد عز الدين القسام فى قطاع غزة. . . . ولمع ضياء أبو معاذ على الشجر المتكاثف جنب الطرقات. . . . وظهر لمعانه فى السكون على عتبات البيوت. . . وأعمدة النور عندما امتزج البياض بحمرة الشفق. . . ونقش اسمه على قلوبنا. . . ونما فيها حين انشق عن صمت الوجود. . .

محطات المقاومة والصمود:

خطط أبو معاذ. . . وتأمل نحر الأعداء بصخر الشطآن. . . وقوى الأفق المفتوح على الظلمة. . . وجبال الطور المجدولة فى سدف الليل. . . وتلال غزة التى صادرها

المحتل. . وقرر أن يكون شوكة فى حلق المحتل. . . . . ويبدأ خطواته الأولى. . . .
ففى شهر مايو ١٩٨٩م كانت أجهزة، المخابرات الإسرائيلية فى قطاع غزة توجه ضربة شاملة (لحركة المقاومة الإسلامية - حماس) إثر قيامها باختطاف جنديين من قلب إسرائيل. . . . وطالت هذه الهجمة قيادات الحركة. . . وأجهزتها المختلفة. . . . وكان أبو معاذ أحد أولئك الأبرار الذين طالهم الاعتقال بتهمة ترؤس خلية من المجاهدين الفلسطينيين فى منطقة خان يونس. . . وقد حكم على أبو معاذ حينها بالسجن عامين. . . . وغرامة مالية قدرها (٧٠٠٠ شيكل). . . . وقد قضاها فى سراديب التحقيق فى سجن غزة المركزى. . . وفى معتقل النقب الصحراوى بين آيات الله عز وجل حافظًا وتاليًا. . .

ميلاد النور:

لك المعاطر التى توقدت فى التراب. . . . يا أول المجد. . . فلقد كانت اللحظات القليلة التى يخلو فيها أبو معاذ بنفسه تذهب به الذاكرة إلى الأيام الخوالى من حياته الحافلة حيث الطفولة وبراءتها. . . فقد حاز بذلك إضافة إلى جماله الرائق محبة والديه خاصة أنه قدم إلى الدنيا بعد وفاة شقيقه تيسير الذى يكبره مباشرة. . . مما دفع والدته إلى ضمه إلى حضنها تحدثه قصص بطولات الفرسان. . . . وأحاديث بلدته مسقط رأس والده (ياسر) والحياة الجميلة فيها وقصة الهجرة الكبيرة وأمانى العودة الملازمة للعائلة المتواضعة وكل أبناء فلسطين. . . . وتذكر له بشىء من السعادة يوم ولادته (السابع والعشرين من شهر سبتمبر من عام ١٩٦٤م) حيث كان قطاع غزة تحت الحكم المصرى. . . وأن قدومه فتح قلبها مجدداً إلى الدنيا رغم أن الله رزقها قبله بذرية كثيرة. . .

حياة خاصة:

[illegible] اد الفضاء. . . . وكونت أفقا. . . وشكلت التماعا للنجوم
[illegible] على تلال خان يونس. . . حيث تواصل البراءة
[illegible] وصيد العصافير، والرحلات الدائمة إلى شاطئ بحر خان يونس. . . . حيث يمكث ساعات بين مياه البحر وأمواجه ورماله دون كلل أو

ملل. . . . وأيام الدراسة، تحت سقف مدارس خان يونس للاجئين، وما بها من متعة وبراءة. . . . . . ومن تفوق وذكاء، (حيث كان ياسر من المتفوقين بين أقرانه)، والتزم صغيراً فى مسجد (الشافعى) حيث شعر ومنذ نعومة أظفاره بمعنى الولاء. . . وحقيقة الانتماء. . . ونهل من نبع الإسلام الصافى ما شاء الله. . . وكان أحب أيامه يوم ينطلق مع إخوانه إلى الخلاء يلعبون ويتسامرون. . . وفى هذا الموقع تعلم الشدة والبأس على كل ما يخالف منهج الله تعالى. . . . وباشر فى بناء جسده العملاق حيث مارس بشكل متواصل ألعاب القوى وفن الكاراتيه. . . وكان من الأوائل الذين حصلوا على الحزام الأسود. . . وكانت نعمة الله عليه عظيمة بجسد قوى على البلاء صابراً. . . وبالتأكيد كان التزاوج بين الإيمان النقى والجسد القوى مصدر إرهاب متواصل لأعداء الله. . .

التزام وتدين بصرخات من عمق الصدر وتجمع ملء يديه صراخ تخرجه من باطنها الأرض. . . . فأبصر نجمة داود على الخوذات. . . ورفض الذل. . . والتحق (بجماعة الإخوان المسلمين) ونما وصفا ذهنه وفق الإسلام ومنهجه، ومنح بيعة عالية لله تعالى، ثم تعود به الذاكرة حيث (الجامعة الإسلامية) فى غزة وأيام العمل الجميلة فيها، حيث الحراسة الدائمة لهذا الصرح من أى عبث. . كانت إحدى مهام ياسر الذى يملك كل المؤهلات البدنية والنفسية لهذا العمل. .

وبدأ يفكر الشاب الناضج فى الاستقرار الأسرى بعد اكتمال شخصيته والاعتماد المطلق على نفسه، تزوج ياسر ورزقه الله بمعاذ قرة عين له ولزوجه. .

عرف الطريق صوب رصاصك. . . إن الرصاص خلاصك. . . . ضمد جراحك. . . وأشهر صباحك. . . . وارفع على زحفهم سلاحك. . . . وكان أحب الأيام إليه ذاك اليوم الذى تقدم فيه المجاهد (يحى السنوار) مؤسس منظمة الجهاد والدعوة (مجد) (جهاز الأمن) التابع لحركة حماس كى يشكل خلية جهادية فى مدينة (خان يونس) تؤدى واجبها فى مواجهة الخارجين عن إطار الدين والوطن. . وتحركت الخلية قبل ومع بداية الانتفاضة ضد أهداف تشكل خطراً على مجتمعنا وقضيتنا، حيث شكلت هذه الأهداف مراكز لإسقاط أبناء شعبنا فى براثن المخابرات.

انتبه أبو معاذ الراقد فى خيمته على أثر سقوط مسبحته من يده، هذه المسبحة الغالية التى صنعها بيده من نوى حبات زيتون بلادنا كى يبقى من خلالها على اتصال دائم مع

الله تعالى فى هذه الخلوة الدائمة التى أراد منها العدو كيداً (لياسر) وإخوانه، فإذا هى نعمة عظيمة يشعر فيها بمدى قربه من الله تعالى.

ترسخت المفاهيم :

ولما كان ياسر بين أحضان إخوانه رفقاء المحنة والصبر يودعهم فى اليوم العشرين من شهر مايو ١٩٩١م، بعد قضاء محكوميته كاملة.. كأنه فى بريق أعينهم يلمح مضاء العزيمة فوق أكتافهم شارة النصر، وفى حنايا قلوبهم التى لامست قلبه دفء العطاء والنصيحة، فخرج ياسر وهو يعرف الطريق جيداً... وقد ثبتت به خطاه بشكل كبير... وترسخت لديه القناعات (أن الجهاد هو السبيل)... وبدا بريق الإصرار والمضاء أكثر لمعانًا فى عينى ياسر المقدام كى يمضى فى هذا الطريق الشائك... والتطور النوعى فى شخصية (أبى معاذ) بعد خوض هذه المدرسة المتكاملة وحفظ كتاب الله تعالى ونيته الصادقة على مواصلة الطريق كان كفيلاً بأن يصبح أحد الرقباء لحركة الإخوان المسلمين فى مدينة خان يونس. ما كاد (أبو معاذ) يحط الرحال بعد هذا السفر الطويل فى بحر الغربة عن الأهل والزوج والولد، وذلك استجابة للهيب المستعر فى قلبه الذى يدفعه للعمل والعطاء حتى بادر إلى تشكيل خلية عسكرية من خلايا كتائب الشهيد عز الدين القسام فى منطقة خان يونس، وقف على رأسها قائداً قسامياً ولما يبدأ العمل العسكرى، كان قد خطط لذلك حتى اعتقلت مجموعة قسامية فى شهر ديسمبر ١٩٩١م، وأثر ذلك، فى السابع من يناير من العام التالى، داهمت قوات عسكرية معززة منزل ياسر.. فما كان من المجاهد إلا اتخاذ قراره الحاسم وإعلان التحدى الصعب بقوله الصارم «لن أسلم نفسى لليهود وسأموت ألف مرة قبل أن ينالوا منى».. ليصبح بعدها (أبو معاذ) مطارداً لقوات الاحتلال والمستوطنين فى كافة الخنادق الأمامية للمواجهة، وليستعر لهيب المعركة بشكل أكثر بروزاً فى كافة أرجاء القطاع الصامد، وليكن أبو معاذ من أولئك النفر الأوائل القلائل الذين بهم ارتفعت راية الجهاد وأصبح اسم القسام رمزاً أصيلاً لكل جهاد صادق وتضحية كاملة..

كان رجل الساعة يفهم دوره جيداً وينفذ المطلوب منه بشكل كامل، فانطلق منذ اللحظة الأولى للمطاردة فى مدينة غزة وأحيائها (والتى لم يغادرها مطلقًا حتى

استشهاده) يرفع بنيان القسام ويثبت أركانه فى الأرض ليصبح كالشم الرواسى، حيث تولى (أبو معاذ) قيادة (كتائب الشهيد عز الدين القسام) فى قطاع غزة . . وهذه المهمة الثقيلة لم يكن ياسر ليضن بها أو يتقاعس فى أدائها رغم المشقة البالغة التعقيد . . حتى لم يتوقف المطارد البطل عن العمل من أجل توفير الإمكانات اللازمة للمجاهدين، حيث قام بشراء السلاح وإعداد مواقع الاختفاء، وبدأ يوسع قاعدة العمل العسكرى، فانضم إلى القافلة مجاهدون جدد وغدت الخلايا القسامية فى شتى المواقع . . وبدأت موجة من الهجمات التى شارك - بفاعلية - فى التخطيط لها أمير الكتائب (أبو معاذ) ومنها الهجوم على مركز الشرطة فى غزة، وعملية (مصنع كارلو) قرب ناحل العوز حيث قتل يهوديان، وعملية قتل المستوطن (كوهين) قرب بيت لاهيا .

إخلاص وتفان وكان الإصرار والتفانى والإخلاص معلمًا بارزًا فى شخصية القائد (أبى معاذ) حيث تراه فى كافة المواقع رجلاً إيمانيًا معطاءً لا يبخل على دينه وحركته بالجهد والوقت والمال والدم القانى الذى روى التراب الطهور الذى عشقه ياسر، كان أكبر شاهدًا على هذه الحقيقة الناصعة . . وفى كل هذه الأوقات الصعبة والتحدى العنيف كان دومًا يردد : «راية الجهاد ارتفعت ولن تخفض بإذن الله تعالى وسنظل نضرب اليهود فى كل مكان ما دام فينا عرق ينبض . . ؟

الشهادة عنوان :

ولم يكن ياسر التواق يضع نصب عينيه سوى نهاية واحدة (الشهادة، الجنان) فكان يرفض الخروج من الأرض المقدسة، كما يرفض تسليم نفسه لأيدى السجان القاهر، فكان يسعى للشهادة بكل قوة وعنفوان وينتظرها كأمنية غالية طالما رسخت فى عقله الباطن أن الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا، لذلك لم يدخر أبو معاذ جهدًا لتحقيق هذه الأمنية، لذلك كان دعاؤه الدائم : «اللهم ارزقنا الشهادة مقبلين غير مدبرين» .

لن ننساك:

وما كان لكتائب الرحمن من جند الحماس والقسام أن تنسى أحد أبرز خريجى مدرسة الجهاد والاستشهاد . . . حيث حضرت فى اليوم الثالث للعزاء خلية قسامية مسلحة . . . أطلقت الرصاص فى الهواء تحية لقائدهم القسامى . . . وهم يرفعون ولده

معاذ فوق أكتافهم. . . وفى حفل تأبين الشهيد الرقيب المهيب أثنى الجميع على أبى معاذ القائد الجندى، وقال الدكتور عبد العزيز الرنتيسى (نودع اليوم بطلاً لم أشهد له مثيلاً فى هذا الزمان)، ففعلا هذا زمان الرجال يا أبا معاذ. . . هذا الزمان التى تتهاوى فيه هامات الرجال. . . . وأنت مع الفجر تمضى. . . مضيت وتركتنا خلفك نلعق جراح الغربة. . . يا من تعاهدت على الشهادة. . . وانطلقت بسورة العصر. . . . لن تنساك الجدران التى بحناء الحماس خضبتها. . . . ولا الأعلام التى بلا إله إلا الله وشحتها. . . . ولن تنساك صلاة الفجر يا خير من ارتادها. . . . ستبقى الجندى الذى مضى على العهد حتى قضى. . . . هنيئا يا أبا معاذ اللقاء بالأحباب فى السماء. . . وستظل فى القلب مع العماد وأبو الهنود والعياش والباقين نجمًا فوق الجبين. . .



بسلاحه وعتاده ويتملكه الرعب.. حتى من النساء

الشهيد/ عبد القادر كميل

١٩٩٢/٨/١٣



جنين تستحق بحق أن تسمى بلد القساميين، فمنها كانت الشرارة الأولى لأولى مجموعات الكتائب فى الشمال، ومن خيرة أبنائها صنعت وقود الكتائب فى الانتفاضتين، وفى بيوتها أمضى العياش فترة من مطاردته، إنها قباطية، سلسلة طويلة من العطاء.. فمن ستة قساميين قدمتهم شهداء قبل اندلاع انتفاضة الأقصى، إلى ثلاثة شهداء قساميين آخرين قدمتهم فى ظل انتفاضة الأقصى، يضاف إليهم عشرات المعتقلين القساميين من أبناء البلدة على طول الانتفاضتين، لذا كان حقًا علينا أن نعيد إلى الذاكرة سيرة ثلة من أبناء هذه القرية من شهداء القسام بدءاً بالقائد المؤسس الشهيد عبد القادر كميل، مرورا برائد زكارنة وأحمد أبو الرب محمد أبو المعلا «الأناسى» وأمجد كميل، ومحمد صالح كميل، إلى شهدائها القساميين فى ظل انتفاضة الأقصى الشهيد: صالح كميل وظافر كميل ومحمد كميل، والحبل على الجرار.

(الجهاد والشهادة قدر الكثيرين منا فى فلسطين، أما الموت فهو بالتأكيد قدر الصهاينة الذين يعيشون فيها).. هكذا يقرأ القساميون المعادلة، وهكذا يتعاملون مع الواقع المر الذى تفرضه ممارسات الاحتلال الصهيونى فى بلادهم وعلى أرضهم، فلا عجب إذاً أن يكون المجاهد القسامى عنوان المرحلة ورافع لواء المقاومة ضد أبناء القردة والخنازير، فلقد أثبتت كتائب القسام دوما أن الحديد والنار هما الطريق الصحيح والوحيد لنيل الحقوق الضائعة والمغتصبة وما دون ذلك وهمٌ وضياع، وعبد القادر هو أحد هؤلاء القساميين الأوائل الذين رسموا لغيرهم الطريق ووضعوا اللبنات الأولى فى صرح القسام العظيم.

الميلاد والنشأة

ولد الشهيد البطل عبد القادر يوسف كميل بتاريخ ١٩٦٨م فى بلدة قباطية الواقعة بين أحضان جنين القسام، وتربى بين أفراد عائلته القروية المتدينة على حب قيم وتعاليم الإسلام العظيمة، تلقى الشهيد عبد القادر كميل تعليمه الأساسى والإعدادى والثانوى فى مدارس بلدته قباطية، وحصل فى سنة ١٩٨٧م على شهادة الثانوية العامة وبتقدير (٨٨,٥٪) مما أهله للدراسة فى الجامعة.

بعد حصول عبد القادر على الثانوية العامة بفترة قصيرة قرر السفر للخارج لإكمال دراسته الجامعية، وفعلا سافر للأردن والتحق هناك بالجامعة الأردنية حيث درس فى كلية الشريعة، وفى فترة مكوث عبد القادر فى الأردن تعرف على بعض الأخوة الناشطين فى صفوف حركة المقاومة الإسلامية - حماس - حيث جند هناك لصالح الحركة، ومع تطور عمل المقاومة الإسلامية فى فلسطين قررت قيادة الحركة فى الخارج تكوين جهاز عسكرى جديد لحركة حماس تحت مسمى (كتائب الشهيد عز الدين القسام) وانتدب عبد القادر لغرض هذه المهمة فى منطقة شمال الضفة الغربية، وبدأ فعلا قبل أن ينهى دراسته الجامعية بالتدرب على السلاح وصناعة المتفجرات. . وبقى فى هذه الوضعية حتى حان موعد العودة للوطن.

العودة للوطن

وفعلا عاد عبد القادر لفلسطين بتاريخ ١٩٩٢م، واستطاع بفضل ذكائه وحكمته العسكرية إخفاء تفاصيل مهمته عمن حوله من الأقارب والأصدقاء حتى أنه عمل فى مجال الزراعة وقص الحجر فى القرية كتمويه لنشاطه، وبعد فترة قصيرة من مكوثه فى منطقة جنين بدأ عبد القادر مع عدد من المجاهدين فى حركة حماس العمل لتكوين خلايا عسكرية صغيرة فى منطقة شمال الضفة الغربية تحت مسمى (كتائب القسام) الجناح العسكرى لحركة المقاومة الإسلامية.

الشهادة تنتظره

عمل الشهيد عبد القادر فى مجال صناعة المتفجرات والعبوات الناسفة، وقام بوضع العديد منها على طرق سير الدوريات العسكرية الصهيونية، وفى يوم ١٩٩٢م وفى

ساعات ما بعد العصر توجه الشهيد عبد القادر لزيارة أحد المجاهدين فى قرية اليامون القريبة من مدينة جنين وبعد اللقاء قام عبد القادر بزرع عبوة ناسفة على أحد الطرق الفرعية حول القرية وذلك ككمين لإحدى الدوريات، وفى أثناء زرع و تركيب العبوة حدث خطأ مما أدى لأنفجار العبوة واستشهاد القائد عبد القادر كميل على الفور، نقل بعدها جثمان الشهيد سرا من اليامون لقباطية حتى لا تعلم قوات الاحتلال بملابسات الحادث، وبالفعل تم دفن الشهيد عبد القادر سرا وحتى بدون علم والدة الشهيد بالموضوع حيث تم إبلاغها بالحادث بعد ساعات من الدفن، وهنا يظهر صبر المرأة الفلسطينية و قوة النفس المؤمنة بقضاء الله وقدره، فبعد علم والدة عبد القادر بخبر استشهاد ولدها اتجهت نحو مقبرة الشهداء بالقرية ووقفت على قبر ابنها وقالت: (الله يرضى عليك يا عبد القادر)

علمت قوات الاحتلال بالحادث بعد أيام، وطلبت من أحد إخوة الشهيد الحضور لمقر المخابرات فى البلدة، وهناك سأل الضابط شقيق الشهيد عبد القادر عن سبب الوفاة فأخبره بما حدث، حيث دهش الضابط جدا من نشاط عبد القادر العسكرى وتساءل: (كيف يتم كل هذا بلا أدنى علم لنا، ثم كيف لم يتم اعتقال عبد القادر عند عودته من الأردن).

هذا هو القائد القسامى عبد القادر كميل، ابن كتائب القسام الذى فهم وتدبر المعادلة الصعبة (جهاد ثم استشهاد) فكان بحق نموذجًا للمسلم المخلص الصادق الذى ترك متاع الدنيا وزخرفها، حتى أنه بعد استشهاده لم يترك سوى صورة واحدة له وهى صورة تخرجه من الجامعة لكثرة زهده، إن القسامى رجل كبير فى زمن الصغار والأقزام، أحب دينه وأمته ووطنه وقدم لهم جميعًا روحه وحياته.

هنيئا لك يا عبد القادر الشهادة، وهنيئًا لك صحبة رسول الله ﷺ فى جنة عرضها السماوات والأرض.

***

الشهيد/ هشام حسنى حسين عامر (أبو حمزة)

١٩٩٢/١٠/٢٨



«رحل أبو حمزة بعد أن أودع فى كل بيت وردة، مغروسة وسط الدار لا ترويها المياه، فقد سقاها أبو حمزة بدمه فما تذبل أبدًا. . . ينظر إليها الناس، يذكرون (هشامًا) الذى أودعهم هذه الأمانة. . . يقسمون (لن نقيل ولن نستقيل) حتى تنبت الوردة فى رحاب الأقصى الطاهرة، وحينها ينتصر (أبو حمزة) ويفوز ركب الشهداء الأحرار الذين تقدمهم (أبو حمزة)».

بدأ الليل يرخى سدوله فى مساء اليوم قبل الأخير من شهر (أكتوبر) من العام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين، حينما رفع (أبو حمزة) كفيه إلى السماء متمتمًا بدعاء خافت مبتهلاً إلى الله عز وجل أن يسدد رميته ويرزقه الشهادة فى سبيله مقبلاً غير مدبر.

فى أحد خنادق الجهاد الأولى كان يقبع (أبو حمزة) فى أيام مطاردته الأولى مع إخوانه المجاهدين فى كتائب الشهيد عز الدين القسام. غطى (هشام) وجهه بكفيه وغاب فى عالم الذكريات إلى ذلك اليوم القريب الذى طلق فيه الدنيا الزائلة وغاب عن زخرفها. . تاركًا المال والأهل والولد. . . بعد أن كان يخوض مجالات الجهاد والمقاومة فى كافة المواقع وهو ملثم لا يعرف الخصم له طريقًا.

كان ذلك اليوم مغروسًا فى ذاكرة (أبى حمزة). . . يوم أن حمل سلاح المقاومة وارتدى لثامه الحمساوى وطاف فى شوارع وأزقة المخيم يساند ساعده المسلح إيمانه العميق الذى يسكن قلبه، وكم ردد على مسامع إخوانه أن الحق لابد له من قوة تحميه وتسانده وإلا فإن الحق كلمة مجردة لا تستطيع الوقوف فى وجه الأعاصير المزلزلة التى تحاصر الحق فى كل مكان.

وبينما كان (أبو حمزة) يؤدى دوره الجهادى، ويقدم التحية إلى قائده (ياسر النمروطى) فى حفل تأبينه فى مخيمه الفدائى، وفى لحظة لم يدرك تفاعلاتها يسقط اللثام عن الوجه القسامى الذى يمثل طليعة العمل الجهادى العسكرى فى مخيم (خان يونس)، وتهامس الناس هذا (هشام عامر) الملثم المسلح. . يومها لم يعد (أبو حمزة) إلى أهله وأبنائه. . . كانوا هناك ينتظرونه.

على باب الدار وقفت زينب تمسك بيد شقيقها الأصغر (حمزة) ينتظران الوالد الحانى الذى رمق الدار عن بعد. . لم يستطع الاقتراب. . . كان يلمح بعين البصيرة خيوط الأخطبوط تنسج حوله شبكة محكمة متقنعة. . . كانوا حينها يبحثون عن طرف خيط أو دالة طريق نحو الجنود المجهولين من (كتائب القسام) الذين بدأوا برسم معالم الوطن وأخذوا يغرسون خنجراً فى خاصرة السرطان الاستيطانى الذى استولى على الأرض، وطارد الأبناء وقتل الأشقاء وترك الأطفال دون عائل.

كانوا يبحثون بكل قوة عن هذا الخيط الذى يقودهم إلى خنادق القسام الثائرة، ولكن (أبو حمزة) ليس جنديًا عاديًا يسهل اعتباره ثغرة يتم الدخول منها إلى خنادق التحدى الأولى.

(فأبو حمزة) رجل قوى الشكيمة، صلب العريكة، تربى منذ نعومة أظفاره على الإباء والتحدى، فمنذ ميلاده الذى أعقب حزيران النكبة بشهر واحد، فى أحد بيوت مخيم (خان يونس) القرميدية، بعد أن رحّل أهله من (بيت دراس) قريتهم الأصلية، ما وقف (أبو حمزة) يومًا مطأطأ الرأس أو حانى القامة، درج على العزة والكرامة والإباء، فما كنت تخاله طوال حياته فى مدرسته الابتدائية وبين أقرانه فى الحى إلا قائداً يجله الجميع حتى أولئك الذين يكبرونه دومًا كان كبيراً فى عيونهم، وطوال حياته الدراسية كان حاملاً للمسئولية التى عاشها منذ الصغر. وما أن أنهى دراسته الثانوية حى افتتح محلاً لبيع الدجاج يقتات منه وأهله، كانت الخصال الأصيلة فى شخصية (أبو حمزة) تجعل منه رجلاً محط الأنظار ومعقد الآمال، وقد كان لها، فما تخلف عن عطاء أو بذل ولم تشهده مواقع (خان يونس) إلا جوادًا كريمًا لدرجة أنه وهب معظم ماله للمجاهدين.

كان هشام فى كل ذلك مهتمًا بتربية ذاتية وفق قاعدة «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف». والتحق (بجماعة الإخوان المسلمين)، فى سن مبكرة حتى غدا نقيبًا فى صفوفها كل ذلك كان يهيئ (أبا حمزة) لقدره المرسوم.

فما أن انطلقت (الانتفاضة الفلسطينية) الماجدة حتى كان (أبو حمزة) أحد أبرز الرواد الأوائل لهذه الملحمة الفدائية الخالدة، فخاض صنوف المواجهة والتحدى الأبرز بدءًا برشق الدوريات العسكرية بالحجارة.. مرورًا بإقامة الحواجز والمتاريس.. إلى الكتابة على الجدران.. وانتهاءً بامتشاق السلاح، ليكون (أبو حمزة) فى الخندق الأمامى للمواجهة، ويمثل طليعة العمل العسكرى فى حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، ليعتقل فى عام ألف وتسعمائة وتسعة وثمانين حكم أثرها بالسجن عامًا ونصف، كان (أبو حمزة) خلالها نموذجًا رائعًا للجندى الملتزم، سمع وأطاع... تعلم وتدرب وغدا أستاذًا فى الأمن واليقظة، والتزم كتاب الله تبارك وتعالى يتعلم منه فنون الحياة وحقيقة المواجهة المقبلة.

وما أن انفلت القيد عن اليد الثائرة، حتى انطلق (أبو حمزة) يرسم دربه الجديد بعناية فائقة.

إن كانوا قبضوا علىّ وأودعونى السجن هذه المرة، فلن تتكرر مرة أخرى، وما أن خرج من أسره حتى قبض على بندقيته وضغط بأصبعه على الزناد، وأطلق رصاصة البدء إيذانًا بالسباق نحو الجنة. فمن يسبق (أبا حمزة) فى الرعيل القسامى الأول فى مدينة (خانيونس).

وفى زمن الالتحاق المباشر (بكتائب القسام) كان (أبو حمزة) الشعلة التى لا تنطفئ والعطاء الذى لا يتوقف.

يرصد وينفذ ويرشد ويحرس... يؤدى كافة مهام الخندق المتقدم فى معاقل الفدائية والجهاد. وحتى يأذن الله بالخاتمة الخالدة (لأبى حمزة) سقط اللثام.

وها هو فى موقعه ينتظر المساء لينطلق مع إخوانه نحو مركز الشرطة فى خانيونس، فهو الهدف المتفق عليه... انطلق المجاهدون الأبرار نحو هدفهم بجرأة وخفة وحذر.. وتقدموا رويدًا رويدًا والقلوب تضرع إلى الله تبارك وتعالى بالتوفيق والسداد، خاصة وأن السلاح الذى ملكه الرعيل القسامى الأول كان بسيطًا وشحيحًا.

وما أن أصبح الموقع على مرمى النيران حتى ضغطت الأصابع المجاهدة على الأزندة فى دفعة واحدة، أصابت الهدف بشكل مباشر، وتلتها رصاصات الرد على المجاهدين . . كانت من ضمنها الرصاصة التى سوف يستقلها (أبو حمزة) إلى الجنة، تسارعت الرصاصة بكل قوة لتؤدى دورها الذى طالما انتظره (أبو حمزة) وتغنى به، حتى استقرت رصاصة الدمدم فى كبد (أبى حمزة)، وتفجرت على الفور ومزقت أحشاء (هشام) وأحدثت نزيفًا داخليًا حادًا.

سارع المجاهدون إلى حمل رفيقهم على أكتافهم والإسراع به نحو (مستشفى ناصر)، حيث أجريت (لأبى حمزة) عملية جراحية عاجلة سرًا خوفًا من سلطة الاحتلال، إلا أنها لم تسمح بوقف النزيف الدموى الحاد . . . وصعدت الروح الشفافة المعطاءة إلى بارئها فى لحظة قدسية طالما انتظرها (هشام) بفارغ الصبر . . . كم ألح عليه إخوانه بالرحيل إلى (مصر)، وكان يصر دومًا، إنها الشهادة . . . أراها قريبة وترونها بعيدة. إنها أرض الإسراء والمعراج . . . أرض الرباط . . . ما الذى سوف أفعله فى الخارج، وحينما مازحه إخوانه قائلين:

«ها قد أصبحت مطاردًا يا أبا حمزة» . . قال لهم بكل عزم وتصميم: «إنها الشهادة».

وها هى الشهادة تطرق بابك يا (هشام) وتودعك قائمة الخلود وترحل بك إلى عليين . . إلى الملأ الأعلى فى رحلة ملائكية لا ينالها إلا أمثالك ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

نعم بقى (أبو حمزة) على العهد حتى النهاية وحتى النفس الأخير واللفظة النهائية.

فلما أُدخل غرفة العمليات . . . رفض تسليم سلاحه لأى إنسان حتى قدم أحد إخوانه المجاهدين، سلمه السلاح وأودعه إياه أمانة كى يكمل به الطريق، وحينما كان مبضع الطبيب يعمل فى جسده كان لسانه الطاهر يلهج بذكر الله وقراءة القرآن . . . حتى قال كلماته الأخيرة:

«لا إله إلا الله . . . عليها نحيا . . . وعليها نموت . . . وفى سبيلها نقاتل . . . وعليهما نلقى الله».

ثم أسلم الروح إلى بارئها . . . بعد أن أودع فى كل بيت أمانة . . . ولدى كل وليد عهدًا . . . أمانة أرض الإسراء . . والأقصى وعهد الجهاد والمقاومة حتى النهاية.

فتقدم إخوان هشام نحو جثمانه الطاهر وانسحبوا به بهدوء قبل أن تقدم قوات الاحتلال وحملوه إلى أحد البيوت حيث ألقى عليه أهله النظرة الأخيرة.

وهناك نظر إليه والداه، فإذا هو يفتح عينيه لينظر إليهما النظرة الأخيرة ثم يغمضهما بعد أن ألقى عليهما نظرة الوداع، وحينها أدخله المشيعون إلى مستقره، فتح عينيه مرة أخرى ثم أغمضها بعد أن أودع أمانته لجميع المشاركين أن هذا هو الطريق وهذا هو الخيار. (هشام)، ووری الثرى. . . حزن الجميع لهذا الفراق السريع وكان العزاء الأكبر أنه رحيلٌ مشرف شامخ. كان الوالد مكدوداً متعبًا حزينًا لهذا الرحيل، فكم أحب هشامًا ولكنه حمد الله واسترجع، وحزن لهذا الفراق جميع الذين ما فتئوا يذكرون (هشامًا) الذى كان طيفًا جميلاً يداعب قلوبهم فى كل حين. كانوا يذكرون ذلك الشاب الفذ الذى افتتح لهم طريق الاستشهاد فتبعه سيل جارف من القساميين الأحرار.

كانوا يرددون دومًا أن (هشام) أدى دوره بكل السبل والوسائل حتى سطر أخيراً ملحمة الدم المهراق. . . ونحن لازلنا نؤدى دورنا بكلمات قد لا تتجاوز اللسان. وشتان بين من يتكلم ومن يجود بدمه.

وفى (حى الأمل) حيث منزل (أبى حمزة) فكل من رزقه الله بمولود جديد أسماه (هشام) تيمنًا بالصقر المقاتل الذى أقض المضاجع ورحل مبكراً. وفى سرادق العزاء الضخم الذى أقامه آل الشهيد توافدت الجموع لتؤدى التحية العسكرية للقائد المقدام.

بينما قوات الاحتلال تقتحم سرادق العزاء كل يوم تهدم وتخرب وتدمر لإشفاء غيظ قلوبهم إثر رصاصات هشام التى استقرت فى صدورهم، حتى انقضت أيام العزاء، وأقيم حفل تأبين ضخم تكريمًا للشهيد الغالى، وقدمت فيه جند القسام تؤدى التحية العسكرية لأحد الجنود الأفذاذ الذين قدموا كل ما يملكون من أجل الله والوطن.

رحل (أبو حمزة) بعد أن أودع فى كل بيت وردة مغروسة فى وسط الدار لا ترويها المياه، فقد سقاها (أبو حمزة) بدمه فما تذبل أبداً.

ينظر إليها الناس فى كل حين يذكرون (هشامًا) الذى أودعهم هذه الأمانة، فيقسمون جميعًا «لن نقيل ولن نستقيل» حتى تنبت الوردة فى الأقصى ونغرس الأشتال فى الرحاب الطاهرة، وحينها ينتصر (أبو حمزة) ويفوز ركب الأحرار الذين تقدمهم (أبو حمزة).

الشهيد /شادى مصلح محمد عيسى (أبو حمزة)

١٩٩٣/٢/١٦



ولما سقط الشهيد.. ودوّى فى الوطن صوت البشير أن نبتًا جديدًا قد انغرس على الحد الشمالى لقطاع غزة الموجوع.. تقاطر الجمع.. فإذا هو شادى يرقد كعادته فى ثبات باسمًا.. هادئًا.. سافرًا.. وفى الليلة الظلماء.. قدموا إلى والديه وأهله أن هذا نبتكم الغالى قد ارتحل ليورق لكم فى جنات الخلد.

أمسك شادى بقلمه كى يخط فى لحظات الفراغ المحدودة بعض ملاحظات المراجعة على أوراق دراسته، فقد التحق فى (كلية الهندسة فى الجامعة الإسلامية)، وهذه الكلية كما يقول له الكثيرون تحتاج إلى دراسة مكثفة.

رغم ذلك فهو لا يكاد يجد الوقت الملائم لذلك، يقضى جل يومه عاملاً فى سبيل الله تبارك وتعالى، متنقلاً بين الإشراف على أنشطة طلبة المرحلة الإعدادية فى (مسجد الإيمان) القريب من مسكنه بمدينة غزة، وكم كان يشعر بثقل الأمانة فى هذا المجال.. إنها أمانة جيل كامل يجب أن ينشأ على منهج السماء حتى لا يكون قابلاً للاستخذاء أو الجفول، ورغم ثقل هذه المهمة فقد كان يؤديها بكل تفان وإيمان حتى غدا شادى مثالاً يحتذى وقدوة يسير على دربها الجيل الجديد.. إضافة إلى ذلك متابعة عمله فى جهاز الإعلام التابع لحركة المقاومة الإسلامية «حماس»، حيث كان يشرف على إصدار لوحات المسجد، بشكل أسبوعى، وكم كان هذا العمل ينال من شادى الجهد والوقت، ولكنه فى النهاية يغدو مسرورًا فرحًا حين ينظر إلى لوحات تنطق أمام ناظرى المصلين تدعوهم إلى منهج السماء وإلى ولوج درب الحق دون وجل أو تردد. وكذلك متابعة مهامه الجهادية المقدسة كعنصر رصد ومتابعة وخدمة لكتائب القسام وجندها الميامين.

بقى شادى قابضًا على قلمه بكل قوة وهو يغيب فى لحظات من المحاسبة الدقيقة لنفسه والمراجعة الكاملة..

عادت به الذكريات إلى كل أحبابه وما أكثرهم، فقد كان شادى من أولئك الذين يعتمدون قاعدة، (تعرّف على من تلقاه من إخوانك، فإن أساس دعوتنا الحب والتعارف).

حتى بلغت معارفه المئات، فكان يهتم بإخوانه ومعرفتهم ولو لم يره سوى مرة واحدة، ولا يقطع علاقته بأحد ولو فرقت بينهم المسافات يتخطاها بجسده ويرحل إلى أخيه وادًا وزائرًا.. وترحل معه قصائده الشعرية التى كان يكتبها.

ولكن رحيل (شادى) كان إلى أصحابه الذين مضوا وتركوه، فقد كان من أوائل الذين ساهموا فى العمل القسامى حين اختاره (بشير حماد) ليكون عينًا (لمجموعة الشهداء)، وها هى الأيام تتعاقب، فإخوانه ما بين شهيد ضمه الثرى وآوته رحمة الله تبارك وتعالى، فتذكر أخويه (أيمن عطا الله، وأشرف مهدى)، وما بين مطارد يأوى إلى الكهوف ويعانق النجوم، ويضم إلى سويداء قلبه معشوقته السمراء يذود بها عن حمى الوطن المنفى فى سراب الوحدة، المحاصر فى خنادق التيه والأنانية، وكم جال فى خاطره (عماد عقل) صديقه الذى يتردد عليه بين الحين والآخر، فلا زال يذكر (عماد) خدماته الأولى (لمجموعة الشهداء)، والتى كان (أبو حسين) أحد أعضائها.

وما بين معتقل أسير تضمه الأسلاك الشائكة لتنال منه محاكم التفتيش التعسفية قرارات بالحكم المؤبد مرات ومرات، وطاف بخياله (محمد أبو عطايا ومحمد أبو عايش).

آه.. ما أشقاها تلك الحياة، وما أشقها على الإخوان والأحباب !! إنها حقًا سجن المؤمن وجنة الكافر..!! لماذا رحل كل هؤلاء الأبطال وبقيت..؟! كلهم اصطفاهم الله تبارك وتعالى إلا أنا..!! كلهم رجال المرحلة إلا أنا..؟؟ بقيت لهذه الدنيا الملعونة. هكذا حاصرت شادى الأسئلة ولاحقته علامات الاستفهام. أيقف هكذا مكتوف الأيدى ولا يدرك ركب الراحلين إلى الأعالى.. نعم إنه يؤدى مهمة عظيمة وخالدة.. لكن الشهادة أكثر خلودًا.. إنها حلم حياته الذى يطمع فى كل لحظة أن يحققه..

وها هو الحلم العظيم يتأخر.. هل تراه يتلاشى وينتهى.. لا لن يدعه ينتهى أو يكون سرابًا.. لابد من الرحيل الأعظم فى قافلة الراحلين.. إنها ميتة واحدة فلتكن فى سبيل الله.

شدد (شادى) لفظته الأخيرة واستقرت فى جنبات روحه الفياضة كوامن الانطلاق الأسمى نحو العُلا . . وبات من يومه وهو يحمل قسمات الرحيل الأعظم فى قافلة الراحلين.

استشهاده:

وفى صبيحة السادس عشر من نوفمبر من العام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين، وقبل أيام من ذكرى استشهاد (الشيخ عز الدين القسام) انطلق (شادى) إلى مسجده، شد على أيدى إخوانه وكرر عليهم جميعًا . . سامحنى ولا تنسانى من دعائك . . ثم توجه إلى جامعته والتحق بقاعات الدراسة وكان يصافح جميع إخوانه ومدرسيه مخاطبًا إياهم بكل الود والحب . . لا تنسونى من دعائكم وسامحونى.

وقبل ظهيرة هذا اليوم تحرك (شادى) بعد أن ابتهل إلى الله تعالى بالدعاء . . وتوجه إليه بصلاة الحاجة راجيًا التوفيق والسداد.

ثم انطلق نحو الحد الشمالى لقطاع غزة المحاصر، وعلى (حاجز إيرز) الذى يمنع (شادى) الولوج إلى بلدته الأصلية (كوكبة) . . تقدم شادى نحو الحاجز . . لمح سريعًا ضابطًا إسرائيليًا . . كان هذا صيدًا ثمينًا لخنجر (شادى) المخبأ فى ملابسه . . . تقدم نحو الضابط . . استل خنجره . وأخذ يطعنه بكل قوة، هوى الضابط إلى الأرض دون حراك . .

تقدم نحو سيارة يقودها مستوطن كسر زجاجها وتناول المستوطن بخنجره طعنًا وضربًا . . جرى (شادى) خلف شاحنة (فولفو) ليتقدم من خلفه ثلاثة رجال شرطة، وأطلقوا عليه النار بغزارة، تقدم منهم (شادى) وهو مصاب يحاول طعنهم . . يبغى القضاء على أولئك الذين سمموا هواء الوطن وأقاموا فى كل شبر فيه قبرًا، وخلفوا من ورائهم فى كل بيت شهيدًا أو طريدًا أو معتقلاً.

يريد بخنجره أن يطوف على كل العنصريين مغتصبى الأرض ويقضى عليهم . . كم كان يحمل (شادى) الوطن بين جنباته وجوانحه . . كم اتسع فؤاده الصغير ليحمل كل الهموم والأوجاع . . هموم الوطن وأوجاع الأهل الذين رحل عنهم قرة عينهم تحت الثرى أو خلف القضبان أو قذفته أمواج البحر العاتية خلف الحدود الواهنة من عناء السفر ومشقة البعد.

وسقط الفارس باسمًا لا يلوى على شيء، فقد نال ما تمنى . . . سقط الفارس الأصيل مقبلاً غير مدبر . . . مواصلاً طريق الصعود القسامى ممهرًا درب الوطن بالدم . . سقط الفارس على بوابة الوطن المزعومة يبغى فتحها كى يأوى الحالمين إلى أعشاشهم الصغيرة التى سكنتها الغربان . . سقط الفارس المقدام محققًا هدفه الأول والأسمى . . هدفه الذى دفعه لتنفيذ هذا العمل البطولى الفدائى من أجل إعلاء راية لا إله إلا الله، والذود عن حياض الإسلام ورد المغتصبين عن حدود الوطن، فقد كان يؤمن دومًا أن أقصر طريق إلى الجنة وإلى الوطن الشهادة، فكان يردد دومًا :

من لم يمت بالسيف مات بغيره   تعددت الأسباب والموت واحد

لم يكن (شادى) سوى نموذجًا فذًا من أولئك الذين عبقت ذكراهم صفحات التاريخ وأنارت أسماؤهم قسمات الطريق نحو القدس، فقد عاش فتانا حياته لدينه ووطنه . . . كان عينًا لمجموعة الشهداء حتى اعتقل بتاريخ ٢٣/ ٣/ ١٩٩٢م قضى على إثرها ستة شهور على رمال النقب الثائر اللاهبة وخلف أسلاكه الشائكة . . وكان مثالاً للشاب المجاهد، وقد كانت له مع رجل المخابرات فى المعتقل قصص لا تنسى حيث مثل نموذجًا صلبًا للفتى المتوكل على الله تبارك وتعالى . وما إن خرج من السجن حتى عاد لنشاطه الإسلامى المتنوع، فقد كان لا يحب أن يكون من القاعدين .

وكانت سنوات حياته المحدودة زاخرة بالعطاء طافحة بالخير، فمنذ اليوم الأول لميلاده فى ديسمبر فى العام الخامس والسبعين بعد التسعمائة والألف فى مخيم البريج ثم انتقالهم للعيش فى حى المجاهدين (بالشيخ رضوان)، مع والديه المربيين الفاضلين، إضافة إلى أخواته الثلاث بينما أخواه فى (بريطانيا وألمانيا) للدراسة . . فكان (شادى) قرة عينهم ومعقد الخير فى خبايا قلوبهم يرونه بأعينهم يكبر وتكبر معه أحلامهم خاصة وهو مميز بفنونه المنوعة، فهو كاتب للشعر وقارئ مبدع له . . كما أنه مجيد للخط وفنونه، ومتفوق فى دراسته .

وكان أكثر ما يقرب الفتى الهادئ إلى والديه السمع والطاعة التامة دون تردد، فكان بمثابة الابن البار الخدوم، إضافة إلى ذلك حبه الكامل للعطاء دون انتظار الشكر من الناس، فلا يتوانى عن تقديم أى خدمة لدينه وشعبه وأهله وجيرانه مهما كلفه ذلك من جهد ووقت .

كان لا يتحرك إلى السوق إلا حمّله الجيران الأمانات، ما تثاقل أبدًا بحمل الأمانة وأداء الخدمة. وكان هادئًا صامتًا ودودًا، لم يعهده أحد افتعل مشكلة أو سوء تفاهم، بل سادت جميع علاقاته المحبة والأخوة، ولذلك تراه كثير الأصدقاء والمعارف... طيب الخلق.. لا يجلب أى مشكلة.. يقدم العمل للإسلام وخدمة المسلمين أولاً..

لقد كان بحق يسبق جيله قلبًا وفكرًا وجهدًا.. وقد كان أكثر ما يميز (شادى) الانفتاح، فتراه يجالس كل من يلقاه ويمارس دور الداعى الناصح الأمين حتى كان الجيران كالإخوة مع (شادى) حتى ولو اختلفوا فى فكرهم معه.. لكن الدعوة فن وأخلاق، وقد أكسبته هذه الطبيعة معرفة واسعة على طول قطاع غزة بمختلف الأعمار.

وقد حرص على التعرف على قيادات الحركة الإسلامية ورجالاتها حتى يتعرف عن قرب على الحركة ومواقفها وآرائها، ولكنه علَّم الجميع الثبات على المبدأ.. والرحيل الحر الأبى الكريم. ولما سقط الشهيد.. ودوى فى الوطن صوت البشير أن نبتًا جديداً قد انغرس على الحد الشمالى لقطاع غزة الموجوع.. تقاطر الجمع... فإذا هو (شادى) يرقد فى ثبات كعادته بسامًا.. هادئًا.. سافراً.

وفى الليلة الظلماء قدموا إلى والديه وأهله أن هذا نبتكم الغالى قد ارتحل ليورق لكم فى جنان الخلد.. فى حراسة البنادق والأسنة المشرعة يوارى جثمان الشاب الوضاء الوجه الطيب الرائحة الثرى فى لحظات عصيبة.. فما أشق الفراق خاصة فراق الرجال الأفذاذ كشادى.

وعلى باب بيت آل الشهيد نصب سرادق عظيم أمته جماهير عريضة من شتى أنحاء قطاع غزة تعلن انضواءها تحت قيادة (شادى عيسى) الفتى الذى لم يبلغ العشرين ربيعًا.

***

الشهيد / زكريا أحمد الشوربجى

١٩٩٣/٤/٢٠



«وهتف البشير أن الفارس قد ترجل والنجم العسكرى الفذ قد سطر اسمه فى الطليعة الاستشهادية بعد أن حفر اسمه فى سراديب التحقيق كعلم تضحية ورمز فداء، وها هو المنادى يهتف فى صحراء الغربة أن الروح التواقة إلى لقاء الله تبارك وتعالى قد وجدت مستقرها بعد أن سطرت ملحمة حى التفاح البطولية، وأن وجهه الوضاء قد أشرق فى عتمة الليل ونشر عبق ريح الشهادة».

بدأ الليل يرخى سدوله ويقترب نظام منع التجول الليلى من الحلول. . أنفاس طاهرة مجاهدة تركت بصماتها فى شتى ميادين الجهاد والمقاومة، كانت تعيش لحظات تفكير عميق ورحيل بعيد عن واقع مليء بالتناقض والجبن والخور. .

كان هذا فى اليوم العشرين من أبريل من العام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين، قد أتم (أسد المقاومة والفدائية) أربعين يومًا يطارد أعداء الله تبارك وتعالى فى شتى الميادين، يخرج لهم كابوسًا يوقظهم من أحلامهم المعسولة بالسيطرة على فلسطين وشعبها واستلابها لقمة سائغة. . لا لن يكون هذا طالما هناك عرق ينبض لأسد المقاومة وإخوانه المجاهدين.

كانت الأعين تترصد كثيراً هذا الأسد الهصور كى يرتاح يهود فى أحلامهم حتى قدمت إلى الموقع الفدائى المتقدم الذى تحصن فيه (أبو يحيى) ما يقارب ألفى جندى إسرائيلى مدججين بأسلحتهم، وحاصروا (حى التفاح) فى مدينة غزة بأكمله حيث التجأ الفدائى الأشم.

تلفت (أبو يحيى) حوله وهو يرقب هذا الحصار ومئات الجنود يتقاطرون نحو خندقه ويخشون التقدم، يرقب كل ذلك وهو يبتسم بسخرية فما يملك سوى مسدسه الشخصى فقط، ولكنه يقرر المواجهة.

فيقفز من بيت إلى آخر حتى التقى فى أحد البيوت بأربعة من مطاردى صقور فتح قرروا تسليم أنفسهم، طلب منهم منحه السلاح الخاص بهم، واحتضن الفارس ثلاث رشاشات كلاشنكوف ومسدسه وبدأت المعركة التى استمرت سبع عشرة ساعة كاملة أخرج (أبو يحيى) كل ما فى جعبته من فنون العسكرية والمواجهة التى شربها منذ لحظات الإشراق الأولى لحياته الحافلة بالجهاد والفدائية والتضحية، وخرج من هذه المعركة أكثر فوزًا من كل معاركه السابقة، فقد نال فوزه الأخير وحقق أمنيته الغالية باستشهاده العزيز بعد أن نال من أعداء الله والوطن والشعب.

فقد سقط صريعًا رجل المخابرات الإسرائيلية المدعو (أبو عدنان) إضافة إلى ثلاثة ضباط آخرين كما اعترف بذلك ضابط عسكرى زار (حى التفاح) بعد المعركة، والتقى مختار المنطقة الذى شكا له بشاعة القصف الإسرائيلى، فقال: «إن حى التفاح بكامله لا يعوض خسارتنا بفقدان (أبى عدنان) وثلاثة ضباط آخرين».

إن ما حدث فى (معركة التفاح) أشبه بالأسطورة التى يصعب تصورها، فالطائرات تقذف حمم صواريخها نحو البيوت التى يتنقل بينها (أبو يحيى) برشاشه الهدّار ومسدسه يخوض هذه المعركة، ويدافع دفاعًا مستميتًا، فيجرح منهم ويقتل، تلك كرامة عظيمة ينالها (أبو يحيى)، فيما بيوت حى التفاح بقيت شاهدة على بشاعة احتلال القرن العشرين حيث هدّمت ما يقرب من عشرين منزلاً قصفًا بالصواريخ، وقد أصاب أحدها الجسد الطاهر ليشطره فى لحظة أسطورية خالدة، لم يكن لينالها إلا أولئك الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

فقد كان أبو يحيى دومًا فى استباق نحو لحظة الخلود، يجهز أهله لهذا الرحيل الكريم، فطالما ردد على مسمع زوجه «إذا تنامى إليك نبأ استشهادى استعينى بالله»، مرددًا قوله الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]

ودائمًا يردد لإخوانه: «اسألوا الله تبارك وتعالى أن ترونى شهيدًا لحيتى مخضبة بالدماء»، وكم حث إخوانه ومعارفه على الدعاء له أن ينال الشهادة.

فها هى الشهادة تزحف نحوك وتتلقاها بكل الفخر والاعتزاز، وها هى لحيتك الطاهرة مخضبة بالدماء شاهدًا حيًا على فدائية (أسد المقاومة)، ومعلمًا بارزًا على أن

موازين القوى لا تحكمها معادلات مادية وحسب، وإنما أساس ذلك إرادة حرة فى القتال، وإخلاص نقى لله تبارك وتعالى فى المواجهة والتحدى، فلم يكن استشهاد (أبو يحيى) خبراً عاديًا، فهو رجل المرحلة الذى لا يشق له غبار، قد كان بحق أسطورة فن العطاء، لقد اشترى الآخرة وسعى لها سعيها وهو محسن، لذلك ما هادن أو جبن أو تراجع.

وفى سجن الاحتلال خلال محكوميته البالغة سبع سنوات أكمل تعليمه، فأتقن فنون الكتابة والقراءة والإعداد والإلقاء.

هذه الشخصية المقدامة دفعته دومًا إلى المبادرة واتخاذ القرار وفق الحدث، فنشأت فى ثنايا هذه الشخصية قائد متميز قادر على المواجهة والتحرك بشكل ميدانى فذ.

كان (أبو يحيى) طوال حياته عاشقًا للبندقية متمترسًا خلف رصاصات الجهاد والاستشهاد، كان يبحث ليله ونهاره عن الثورة والثوار كى يلتحق بركبهم.

ولما كان (أبو يحيى) صاحب عقيدة إسلامية، وفكر خالص فقد التحق بصفوف المجاهدين فى (حركة الجهاد الإسلامى)، وكان يرى أن الجهاد فرض عين، وحيثما سنحت الفرصة للعمل العسكرى، فلن يتردد فى اقتناصها. وإثر انتمائه للخلايا العسكرية لحركة الجهاد الإسلامى، فقد اعتقل ليقضى محكومية بلغت سبع سنوات، وكان ذلك قبيل الانتفاضة الفلسطينية الماجدة، وكانت خلالها قد تشكلت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وأودع أبناؤها فى السجون، وفى داخل غرف سرايا غزة المركزى التحق بصفوف حركة المقاومة الإسلامية (حماس) والتحق بصفوف (جماعة الإخوان المسلمين).

كان (أبو يحيى) يرنو فى كل ذلك إلى توحيد الجهود وبناء متكامل متين على أساس من العقيدة الإسلامية الصافية، ولم يكن يرى فى كل ذلك أى اختلاف بين وجهات نظر العمل الإسلامى، ولكن همه الأول الجهاد وإشراع البندقية فى وجه الغطرسة الإسرائيلية التى حجبت عنه وطن الآباء والأجداد. فكم حاول الرحيل إلى (زرنوقا) قريته الأصلية التابعة لقضاء الرملة، رحل إليها زائرًا كى يقف على أبوابها وتلالها وهضابها ومروجها.

وكم رحل من خلف القضبان ببصره النافذ نحو القدس (مدينة السلام) ودرة الوطن المسلوب. . . . ترى هل أرحل يومًا إلى رحابها الطاهرة كما عيوننا ترحل كل يوم، ترى هل يضمنى حضنها الدافئ. . آه كم أعشق الرحيل إلى (الأقصى)، كم أعشق أن يضم (الأقصى) رفاتى الأخير، وأن يخضب دمى ساحته الطيبة المباركة. كانت الليالى تذوب والأيام تنصهر لتغيب أيام المحنة فى الذاكرة ويبقى غرس الإيمان والجهاد ينمو ويشتد ويقوى على الاقتلاع.

وفى غمرة فرحة (آل الشوربجى) بالإفراج عن (أبى يحيى)، بادر المجاهد العملاق إلى البحث الجاد عن (كتائب الشهيد عز الدين القسام) الجناح العسكرى لحركة المقاومة الإسلامية (حماس). وفى الوقت ذاته كانت القيادة العسكرية للكتائب قد تحركت بخطوات جادة للاستفادة من الخبرات العسكرية للمجاهد المقدام الذى لا يُشق له غبار.

فقد كان (أبو يحيى) حقًا يملك كل مقومات الرجل العسكرى، فاحتل فوراً موقعه المتقدم فى خندق المواجهة الأمامى، فغدا من لحظته الأولى (رقيبًا) فى (كتائب الشهيد عز الدين القسام).

لم يكن (أبو يحيى) يرى ذلك إلا مرحلة لابد منها من أجل مواجهة قوى الظلم والظلام التى تحكم حصارها لخنق صوت الإسلام المتنامى، وكانت عقيدة قد رسخت فى كل قطرة دم أن الجهاد تكليف ربانى، وأن النكوص عنه تراجع وجبن وخور وتخل عن ركن من أركان الإسلام تمامًا كالتخلى عن الصلاة، هذا عدا عن التكليف الذاتى، فالجهاد فى سبيل الله سبيل لرفع الراية وإحقاق الحق، وإزهاق الباطل.

لم يكن (أبو يحيى) يرى أن هذا تكليف فردى، بل هو تكليف جماعى، ولابد من الاستعداد لخوض المرحلة الحرجة بمزيد من الصلابة والبأس والجهاد.

فتراه يخرج بعد صلاة الفجر التى ما انقطع عنها، ينطلق من المسجد مع الشباب المسلم عدواً على الأقدام حتى يصل مقبرة الشهداء على الخط الشرقى (حيث ووری جثمانه الطاهر هناك).

فكان فى ذلك يحقق العديد من الأهداف، بناء الجسد المسلم المتين، وزيارة المقابر التى تذكر بالآخرة والموت، ورصداً للأهداف العسكرية المتحركة والثابتة والتى غدت عرضة لرصاصات القسام فى كثير من الأحيان.

لم يكن المستعد للرحيل دومًا لينقطع عن الغذاء الروحى، فقد كان فى شوق دائم إلى لقاء الله تبارك وتعالى، فزيارة المقابر وتلقين الموتى ومتابعة الجنائز وزيارة المرضى ديدن (أبى يحيى) حتى غزا القلوب واستقر طيفه فى أذهان الناس، الذين عرفوا ذلك العملاق الأشم والبسمة الرائعة تقابلك فى شتى الدروب ترسم لك طريق الأم، وتمهد خطى العودة من خلال الأخوة والتعاضد والتكاتف.

واستكمالاً لنصف دينه لجأ (أبو يحيى) إلى الزواج، وقد رزقه الله تبارك وتعالى فى آخر أيام حياته بقرة عينه (يحيى) من هذا الزواج المبارك.

واستنادًا إلى منهج الإسلام فى كسب الرزق، عمل فوراً على تحقيق موارد مالية لأهله، فعمل بالتجارة وعمل سائقًا. واستغل كل لحظة فى حياته فى العمل لدين الله تبارك وتعالى، فسهر الليالى حارسًا لإخوانه المجاهدين موجهًا لهم مخططًا ومنفذاً لعمليات العز والفداء، وكان يردد فى آذان إخوانه «أن قوة الله هى التى تحركنا، نحن كتائب الرحمن نصنع العجائب بإمكانات متواضعة بقوة رب الإرادة ولا نعتمد على قوتنا إطلاقًا».

وكانت مرحلة عمله العسكرى الأخير يقضيها متنقلاً فى مدينة غزة بين المجاهدين الذين أحبوه واختارته عقولهم وقلوبهم قائداً فذًا مميزًا. فخطط ونفذ عدة أعمال فى الشجاعية وناحل عوز وغوش قطيف وجباليا والشاطئ والشيخ عجلين. ولم يكن (أبو يحيى) يرى فى نفسه أكثر من جندى مقاتل يأبى قيود النياشين مقتديًا بالرسول الأعظم القائد الذى تقدم جنوده دومًا.

فكان (أبو يحيى) قائداً مبادراً، فكان أول من بادر إلى إطلاق النار على الدوريات الراجلة، وساهم فى نصب الكمائن للدوريات المحمولة. كم ساهم فى التخطيط لعملية غوش قطيف وكذلك خطة قتل المستوطنين فى ناحل عوز والمساهمة فى عملية معسكر جباليا.

هذا عدا عن المساهمة الأمنية الفعّالة من خلال الكشف عن خلايا العملاء والتحقيق معهم وتنفيذ حكم الله فيهم، وإزالة اللثام عن الوحدات الخاصة الإسرائيلية التى مارست أبشع أعمال العنف ضد شعبنا ومجاهديه. كل ذلك من خلال عمله الدائب كضابط للوحدة الخاصة التابعة (لكتائب الشهيد عز الدين القسام).

ولما هتف البشير أن الفارس قد ترجل والنجم العسكرى الفذ قد سطر اسمه فى الطليعة الاستشهادية بعد أن حفر اسمه فى سراديب التحقيق، وفى السجون الإسرائيلية كعلم تضحية ورمز فداء. ها هو المنادى يهتف فى صحراء الغربة أن الروح التواقة إلى لقاء الله تبارك وتعالى قد وجدت مستقرها بعد أن سطرت (ملحمة حى التفاح) البطولية التى لا يزال صداها يتردد فى أذهان كل من عايش تلك المرحلة.

ولما تنامى إلى مسامع زوجه صدى صوت البشير أن (أبا يحيى) تلقته الحور العين، وزفته الملائكة قابلت ذلك بالحزن والألم لفراق رفيق الحياة، وقد امتزج هذا الحزن بفخر شديد واعتزاز عارم، فها هو الرجل الذى عرفته نموذجًا رائعًا للرجال الأفذاذ، كم تميز بالشجاعة والإقدام والقوة والسخاء والكرم والأخلاق الفاضلة، تذكر فيه النموذج الحى لرجل الحق، كم كان شديداً فى الحق غيوراً على الإسلام، محبًا للجهاد والمجاهدين والشهداء.

ها هو يرحل عن الدنيا، كما أراد، تخضبت لحيته بالدماء ويشطر جسده الطاهر فى سبيل الله، فما زادت زوجه عن قولها «الحمد لله الذى شرفنى باستشهاده»، أما إخوة الشهيد وأخواته فتم استقبال صوت البشير بالتهليل والتكبير والأغاريد، فرغم رحيل (أبى يحيى) المحزن لكن هذا ما أراده أن يسقط شهيداً فى سبيل الله ليروى ثرى الوطن المتعطش للدماء الطاهرة الزكية كى تضىء العتمة التى طال أمدها.

ويوم أن تردد صدى البشير فى أقبية سجن غزة المركزى، وغرف التحقيق حتى أجهش رفقاء القيد بالبكاء، فقد عرفوا فيه حسن الخلق والشجاعة والشهامة، وبفقدانه فقدوا أخًا مجاهداً عزيزاً، وردد بعض إخوانه: «اليوم سجنًا حقًا». ووقف جيران المجاهد العملاق غير مصدقين غياب النجم الذى أرشدهم طريق الهداية، وقفوا جميعًا باكين هذا الرجل النموذج.

لقد كان (أبو يحيى) حقًا رجلاً أحبه كل الأحرار الشرفاء، وهابه كل المنحرفين الساقطين. وأقيم أثر توارد النبأ سرادق عظيم للعزاء أمته الآلاف من جماهير قطاع غزة فى وداع أخير لأسد المقاومة.

وفى ليلة معتمة وحسب أوامر القائد العسكرى توجه آل الشهيد فقط نحو مقر القيادة العسكرية كى ينطلقوا من هناك لنقل جثمان ولدهم ومواراته الثرى فى لحظات الوداع الأخير. فى تلك اللحظات بكى كل شىء: الحجر والشجر والدواب، وأضاء وهج وجهه الوضّاء عتمة الليل البهيم، وانتشر فى أنحاء المعمورة ريح عطرة للدم الزكى المهراق تنسم عبيرها كل الأشياء، وتساءل الجميع: ما سر هذه الليلة الوضاءة العطرة، ما علموا أن نجمًا صعد وأن فارسًا ترجل وأن طريقًا جديدًا شق للمقاومة، افتتحه أسد المقاومة.

وفى المقبرة الشرقية، رقد الجسد الذى طالما دوخ الاحتلال بمعادلات الصمود والتحدى رغم ضعف الإمكانات وقلة الحيلة. رقد الجسد المسجى رقدته الأخيرة، وأغمض عينيه فى استراحة أبدية لتصعد روحه إلى الملأ الأعلى إلى جوار ذى الجلال والإكرام بإذن الله.

وفى ختام أيام العزاء أقيم احتفال تأبين ضخم للشهيد المقدام عُزفت فيه ألحان الجهاد والفداء والمقاومة، وهتفت الحناجر وداعًا للشهيد البطل.

وعلى صدى تلك الأنغام أفاق (زكريا) من رقدته فى سريره وتسامى وشمخ وغطى ما بين السماء والأرض وعلا فوق الجراح وأقسم يمين البيعة حتى تحرير الأقصى وفلسطين. وما زالت يد أم يحيى تهدهد ولدها كى يمضى وفاءً لهذا القسم الأبدى.

رحم الله أسد المقاومة ورمز الفداء.. وألف تحية إلى روحه المحلقة فى سماء الأقصى الحزين.

***

الشهيد/ حسن محمد حمودة (أبو أحمد)

١٩٩٣/٥/٨



« قذيفة صاروخية استقلها أسد النقب وهوى على الأرض يقبلها فى وداع أخير . . . ينطلق إلى السماء ليبنى سلمًا للمجد وطريقًا للخلود ودربًا للجهاد . . .

الجسد المتعب من وعثاء السفر ولياليه الحالكة يستريح بقذيفة تشطره، ويحترق الجسد فى ذات الله كى يغسل كل أدران الحياة النكدة، ويلقى الله ناصعًا أبيض، يصطف مع الخالدين يدخلون جنة ربهم بسلام بإذن الله» .

الشمس الحارقة تدك أرض النقب الثائر وتلفح بحرارتها وجوه الشبان الفلسطينيين الذين أبوا إلا التحدى وداسوا بكل قوة على مفردات التوازن الاستراتيجى والخضوع المبرر . . . الأسلاك الشائكة تلف المكان، وتحاصر كل شىء حتى الهواء . . وها هى أبراج الحراسة العالية ترقب كل متحرك . . . ورغم ذلك كان (حسن حمودة) الشاب الذى زج به ضمن العشرات فى حملة اعتقالات طالت جموع العاملين فى مقاومة الاحتلال ضمن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) فى العام ألف وتسعمائة وتسعة وثمانين، يبحث عن ثغرة نحو الوطن المسجى بالغربة، المحاصر كما معتقل كتسعوت فى النقب بالأسلاك الشائكة، لكن الحنين كان كبيراً والشوق أكيداً لمواصلة درب الجهاد فى سبيل الله، وها هى أفكار جديدة تتراود فى ذهن (أبى أحمد) يمكن أن تطبق ضمن فعاليات الانتفاضة المباركة . .

لم يكن (حسن) من أولئك الذين يخضعون للواقع وأحداثه . . بل دومًا تراه يسعى إلى صناعة الحياة وبناء المجد بيديه . .

همس لزميله المجاور . . هل تفكر فى قضاء محكوميتك ؟!!، نظر إليه بدهشة، وهل لديك حل آخر ؟! أجاب حسن نعم . . الهرب !! استغرب رفيق المحنة . . ولماذا؟! أحكامنا بسيطة، فحكمك ثلاث سنوات، هل تريد أن تلحق بك قضية جديدة . . ؟

لم يكن (أبو أحمد) يقتنع بما يعتقد أنه خضوع للاحتلال، فبقى يبحث عن ثغرة فى جدار النقب المخيف. . والأهم من ذلك أين يلتجئ فى هذه الصحراء المترامية الأطراف إذا قدر له الخروج من أسوار هذا القيد اللعين.

وبقى صديق حسن يقنعه ألا يفكر بهذا الطريق الخطر، ويقضى محكوميته فى السجن حتى يعود لأبنائه الأربعة الذين ينتظرون عودته على أحر من الجمر، كى يكمل بهم مسيرة الحياة يعلمهم ويربيهم على العلم والجهاد. . لم يكن يخطر ببال (حسن) هذا التفكير بشكل أساسى، كان يتجه بكليته إلى شىء آخر مختلف كليًا. . فقد كان (حسن) نجمًا فى هذه الصحراء القاحلة، وجده إخوانه حيث أرادوا كريمًا. . خدومًا. . معطاءً.

تراه يغدو مساهمًا فى إعداد الطعام وتقديمه إلى إخوانه، أول من يقدم الطعام وآخر من يتناوله. . . يشرف على نظافة الموقع الذى يؤوى المئات من المجاهدين، يوفر بذلك الجو الصحى الطيب، ثم تراه يعد المكان المناسب لإلقاء المحاضرات الثقافية والشرعية كى يتزود المجاهدون من علوم الدين بما يساعدهم على مواصلة درب المقاومة والجهاد.

وليلاً تراه حارسًا أمنيًا أمينًا، وكانت تلك الأيام المرحلة الأولى فى مواجهة أمنية ضروس بين المجاهدين وجهاز المخابرات الإسرائيلى (الشاباك)، حيث يحاول أذنابه اختراق صفوف المجاهدين، وكان على (حسن) أحد أبرز أعضاء الجهاز الأمنى لحركة المقاومة الإسلامية، أن يواجه خطط الشاباك الإسرائيلى، وكان (حسن) لها، يستيقظ طوال الليل أحيانًا يحفظ الأمن برصد الحركات المشبوهة والتى تكشف عن أذناب الاحتلال الذين زرعهم الاحتلال فى صفوف المجاهدين لنقل أخبارهم. ولم يكن ذلك كافيًا، فبعد أن تم ضبط أكثر من حالة، تحرك حسن بطريقة جادة جدًا، وبدأ بإجراء تحقيقات مكثفة كشفت خبايا معلومات خطيرة حول الدور الخطير الذى تؤديه الأذناب فى خدمة الأسياد. .

لم يكن قد صدر قرار بتصفية أى من أولئك الذين تم ضبطهم، انهمك (حسن) بهذه المهمة العسيرة ولم يعد يفكر فى الخروج، فهو يود ذلك كى يجاهد، وها هو يؤدى دوراً جهاديًا عظيمًا، وكم كان يود أن يكمل هذا الدور. . ولكن ذلك لم يكن متوفراً. هذا الجهد الخارق. . فى مواجهة مخطط كامل من دولة أعدت الكثير من جهدها ومالها للجانب الأمنى.

حتى غدا حسن معروفًا على نطاق واسع بأنه (أسد النقب) حيث ساهم بشكل كبير في المواجهة الأولى والمباشرة فى المجال الأمنى، ورغم ذلك لم يترك أبو أحمد الفرصة الذهبية فى خلوته التى أرادها الله له فى السجن، فكان دائم الاتصال بالله تبارك وتعالى، تجده يقف الساعات الطويلة مبتهلاً بين يدى الله تبارك وتعالى داعيًا أن يحفظ عليه دينه ويكتب له الأجر الجزيل وأن يكون نعم الخليفة فى الولد والأهل والمال. .

ولم يكن ينقطع عن كتاب الله تبارك وتعالى، يقتنص الوقت كى يلجأ إلى آيات كريمات يتزود بها لمواجهة تبعات الطريق والتضحيات الغالية اللازمة للسالكين درب التحدى.

كانت الأيام تمضى سريعًا وأسد النقب يؤدى دوره على أكمل وجه، فكان حقًا نجم النقب الحمساوى، فى كل مكان تجده. . أحبه جميع إخوانه لما يملك من قدرة عالية على مساعدة إخوانه، ولما يملك من قلب كبير وسعهم جميعًا. . . لا تجده قد حمل على إخوانه موقفًا أو قاطع أحدهم. . سامح الجميع دون استثناء فكان هذا القلب لا تجد فيه مكانًا للأحقاد والضغائن، لقد امتلأ بحب الله وحب الجهاد فى سبيله. .

وها هى أيام الحرية تقترب رويداً، وبدأ خاطر (أبو أحمد) يرحل إلى هناك. . إلى (جباليا البلد) حيث يقطن أهله ينتظرونه بفارغ الصبر، خاصة وأنه قضى الأعوام جميعًا دون زيارة واحدة من أهله، وكم رحل خاطره هذه الأيام إلى حيث أبنائه كيف أحوالهم. .؟ وما هى أخبار أحمد. .؟، بالتأكيد قد كبر، وشب عن الطوق، ورحل بخياله إلى والده الحاج الذى طالما كان الناصح الأمين لولده الحبيب (حسن)، كم نصحه أن يكمل تحصيله العلمى بعد أن حصل على شهادة الإعدادية، وقرر أن يتعلم مهنة (الطوبار)، ولكن (حسن) كان يرى فى قدراته المهنية أكثر بروزاً، خاصة وأن ظروف أهله الاقتصادية لم تكن تحتمل المزيد من الإنفاق. . رغم استعداد والده الكامل، ورغم ذلك فقد أتقن مهنته الجديدة، وغدا رجلاً مشهوراً بأمانته ومهارته، فقصده الكثيرون كى يبنى لهم بيوتهم.

ومنذ اليوم الأول الذى ملك فيه (أسد النقب) حريته، انطلق نحو مزيد من الشموخ ليؤدى دوره الجهادى الطليعى. . حيث التحق فوراً بصفوف مجموعات (الصاعقة الإسلامية) التى تم تشكيلها حديثًا من أجل مواجهة أفضل لعملاء الاحتلال. . .

ورويداً رويداً تحولت هذه المجموعات إلى الجهاز العسكرى (كتائب القسام)، وضع (أبو أحمد) خلالها نصب عينيه أن يطهر الأرض من أدران العملاء، فانطلق مستمداً فى دوره الذى انطلق به على أرض النقب الثائر، واستمر فى التحقيق مع العملاء، ولكن هذا الدور تصاعد الآن لينفذ (أبو أحمد) مجموعة من الإعدامات بحق أولئك الذين ثبت بحقهم ارتكاب أعمال خطيرة بحق الشعب الفلسطينى. بالإضافة إلى رصد تحركات قوات الاحتلال من أجل تنفيذ العمليات العسكرية القسامية، والدور المتميز فى جلب السلاح وتخزينه، وفى (ديسمبر) من العام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين ورجال القسام يستعدون لخوض ملحمة «حرب الأيام السبعة» حيث يشحذون طاقتهم فى ذكرى الانطلاقة الماجدة لحركة المقاومة الإسلامية (حماس).

وبدات حياة المطاردة

ورغم ذلك لم يكن (أبو أحمد) ليترك المهمة النبيلة، فلم يخضع للحصار المفروض فى كل مكان، فانطلق يحمل سلاحه يبحث عن صيد يشفى الله به غيظ المؤمنين الذين مسهم القرح، فيصيب حسن وإخوانه من جنود الاحتلال مقتلاً فى كل موقع يواجهونهم فيه. . ولكن الخناق يضيق حول المجاهدين، وحسن يلقى والده الذى يردد عليه بإلحاح: يا بنى ابحث عن طريق للخروج أو قم بتسليم نفسك إذا كان حكمك قصيراً، ويردد (أبو أحمد) بثقة: يا أبى لا أريد إلا شيئًا واحداً، الشهادة يا أبى، إنى أسير فى طريق الله عز وجل، وإن الله على نصرنا لقدير، فلا تحزن، ولكن الإلحاح لم يتوقف، وقيادة (كتائب القسام) ترى الضيق والضنك يسيطر على حركة المطاردين. . فقررت أن تخرج دفعة إلى الأراضى المصرية.

يرحل (أبو أحمد) وقلبه يتمزق حزنًا وكمداً، أيغادر الأهل والولد والأرض دفعة واحدة. . !! أيترك أرض الجهاد والمقاومة؟ وماذا سيبقى لنا إن نزعنا البندقية من أيدينا. . ؟ ورغم ذلك يرحل مع جموع الراحلين حلاً لمشكلة العمل القسامى بأسره، يرحل وذاته تذوب بكل ذرة تراب من أرض فلسطين الطهور، وفى رفح الباسلة قلعة الجنوب يقبع (النقيب حسن) وإخوانه من أجل إعداد الترتيبات الأخيرة للهجرة، فجر الثامن من مايو من العام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين ٨/ ٥/ ١٩٩٣ يبزغ والخطوات تتقدم رويداً رويداً باتجاه النفق المعد للخروج، أقدام (حسين وبسام وحسن أبو اللبن وأنور أبو اللبن وخالد وعماد) تتقدم تستكشف الموقع، وما فى أيديهم شيئًا يدافعون به

عن أنفسهم، فقد تركوا سلاحهم كى يستعين به إخوانهم المجاهدون فى أرض الرباط، وما تسلحوا إلا بالإيمان والتوكل على الله وبعض الأسلحة البيضاء الخفيفة. ولكن القصف الإسرائيلى يفاجئ الرهط الطاهر.. الصواريخ تنطلق بحقد نحو الأجساد الطاهرة تمزقها.. تشطرها.. تغرسها فى الأرض الحرام... والرصاص يتهاوى من كل مكان... قذيفة صاروخية استقلها أسد النقب وهوى على الأرض يقبلها فى وداع أخير... وينطلق إلى السماء يبنى سلمًا للمجد وطريقًا للخلود ودربًا للجهاد، الجسد المتعب من وعثاء السفر، ولياليه الحالكة يستريح بقذيفة تشطره ويحترق الجسد فى ذات الله كى يغسل كل أدران الحياة النكدة... ويلقى الله ناصعًا أبيض يصطف مع الخالدين يدخلون جنة ربهم بسلام بإذن الله.. يشيرون إلى أهلهم وأحبابهم يشفعون فيهم، بعد أن ارتوت الأرض، وسكنت باحتضانها هذه الأجساد الطاهرة وغسلت الدماء ما علق بالأرض من أوساخ قوم أصروا الخيانة، وامتلأ وجه هذه الأرض بحلة قشيبة من الحناء المزكى بالأرواح الطيبة التى أبت النكوص، وكانت التضحية علمها الأوحد والإيمان شعارها الأنقى..

أما زوجه الصابرة فقد تلقنت دروس التحدى من (أسد النقب) فقالت: (ليعلم الصهاينة أن حسن لن يموت وسأضع قريبًا ما فى بطنى وسيكون عليهم خمسين ألف حسن).

وفعلاً بعد أشهر بسيطة زار الدنيا الابن السادس (لحسن) وكان (حسن القسام) الوليد وريثًا شرعيًا (لحسن الشهيد)... أما إخوان (أسد النقب) الذين عايشوه المحن فما فتئوا يرددون عبارات الثناء على العلم الشامخ الذى ما عهدوه متراجعًا أو جبانًا أو بخيلاً على دينه وحركته، فألقوا إليه تحية الوداع وهم يذكرون أسد النقب وجزار العملاء....

وداعًا يا ابن الوطن وابن القسام..

واستكمالاً للتحية تحتشد الجموع فى حفل التأبين لتلقى تحية الرجال للشهداء الأحياء الذين ما هانوا أو خانوا.. بل سطروا أسطورة التحدى والجهاد استمرارًا لمنهج شيخهم عز الدين القسام..

هكذا ألقى (أسد النقب) كل ما فى جعبته وقام فى هدوء بعد أن أودع أمانة الدم فى الدم وأبر بقسم البيعة ويمين العهد.. فكان رمز الوفاء ونموذج العطاء...

الشهيـد /عماد منسى محمد نصار (أبو معاذ)

١٩٩٣/٥/٨



«عشرات الرصاصات تقتحم الأجسام الطاهرة، تستقر إحداها فى قلب (أبو معاذ) كى تودعه أمانة فى الأرض التى أبى هجرها . . . يرحل (أبو معاذ) ليبنى مجد الخالدين . . يمتطى صهوة الرصاص . . يهزأ بالجلاد . . يتقدم الموكب نحو الجنة . . يرحل وما ترك موقع قدم فى غزة وحى الزيتون ومواقع الأسر إلا وفيه علامة تذكرك (بأبى معاذ) . . . تلك الصخرة الصلبة التى تحطمت عليها سياط الجلاد فغدت أشد بأسًا وأكثر منعة . . وها هو يلثم الأرض بجبينه الوضاء . . . يزمجر كالأسد الهصور . . يتمنطق بخياره الأوحد . . فيما الناس على زخارف الدنيا يتكالبون »

امتلأت السماء بالغيوم واكفهر الجو فى صباح اليوم الثامن من مايو من العام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين . فى هذا اليوم وغزة تمد يدها لفصل الصيف، حيث يرحل الجميع نحو الساحل . . ولكن ما بال السماء اليوم تبكى بغزارة وتسقى الأرض المشتاقة للمطر . . تساءل الجميع ماذا يحدث فى هذا اليوم . . ؟!

لم يكن يعلم أهل الأرض أن ملائكة السماء قد ضجت وأن الله فى عليائه أذن للكون أن يعبر عن حزنه على رحيل كوكبة طاهرة من شهداء الأرض المقدسة، وكان (أبو معاذ) الرجل الذى استعصى على الاقتلاع ضمن هذه الثلة الطاهرة التى شرفت بها فلسطين الشهادة .

كان أهل قلعة الجنوب (رفح) كغيرهم من أهل القطاع، يستيقظون من نومهم قبل أن تستيقظ الطيور كى يرحلوا إلى بوابة قطاع غزة (السجن الكبير) الذى تغلقه قوات الاحتلال يوميًا، من أجل قوت عيالهم يتهافتون فى انتظار يوم الخلاص من هذه المهانة اليومية المؤلمة . . وفى ذات الوقت كانت الثلة الطاهرة من رجال القسام (عماد وحسين

وأنور وحسن وبسام وخالد)، يرحلون نحو الحد الجنوبى المغلق بأرتال من أسلاك شائكة وخطوط كهربائية وألغام أرضية تفصل بين فلسطين القداسة ومصر الكنانة. . فى هجرة جديدة أملاها الواقع المعقد والظروف الأمنية غير المواتية لهذا العدد من المطاردين.

ولم ينفك (عماد) عن البكاء المر، وهو يترك الأرض الحنون. . يترك الرباط والجهاد. . والجميع يهدئ من روع (صخرة فلسطين) الصلبة الذى ضرب أروع الأمثلة فى الصبر والجلد عنوانًا دائمًا للصمود والتصدى (أبو معاذ)، فمنذ أن تولى مسئولية (جهاز الأحداث) التابع لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) فى حى الزيتون بمدينة غزة، إضافة إلى مشاركته فى مواجهة الاحتلال عبر أفكاره الرائعة فى نصب الكمائن، كان يحفر الخنادق الرملية للسيارات العسكرية والتى أسفرت فى معظمها عن الكثير من الإصابات. . .

ولمّا اعتقل بتهمة مسئوليته عن جهاز الأحداث فى ضربة مايو ١٩٨٩م، لينتقل بين أقبية التحقيق وسراديب الاعتقال يقضى عامين بالتمام والكمال، يدرك الجميع أن (عماد) يستحق أن يكون عنوانًا للصبر والجلد، فكانوا يسمونه (أبو صخر)، وعلى أرض النقب الثائر باشر (أبو معاذ) نشاطه. . لم يكسر من عزيمته السجن ولا نازية السجان، حيث تولى العمل الأمنى فى فترة اعتقاله، فقام بإعداد التقارير وتنفيذ برامج الرصد والتحقيق مع عملاء الاحتلال.

ولم يخرج (أبو معاذ) من السجن فى العام ١٩٩٠ كى يبيت فى منزله، أو يأوى إلى أهله، فما زاده السجن إلا صبرًا وجلدًا وعزيمة على مواصلة الطريق المقدس نحو المجد. . فواصل عطاءه الجهادى المتميز ليتم اعتقاله إداريًا ثلاث مرات إضافية، رسخ خلالها (أبو معاذ) نموذجه الرائع فى الصبر والعطاء اللامحدود.

لم يكن الاعتقال النموذج الأوحد الذى كشف عن هذه الشخصية الفذة، فقد كان أبو معاذ درة حى الزيتون فى مواجهة الاحتلال. . هذا الحى الذى نقش ببطولاته أروع ملامح العزة والكرامة. . وهو الحى الذى كان مهدًا للرصاصة الإسلامية ومأوى طلاب الشهادة العظام الذين سطروا بدمائهم على أرضه أروع ملاحم البطولة أمثال (ياسر النمروطى وعماد عقل).

وفى (مسجد الشافعى) كان (أبو معاذ) علمًا بارزاً ساهم فى نشأة جيل إسلامى متميز ينادى بالإسلام ضرورة حتمية للمجتمع . . يشارك فى الدروس والمواعظ ويوجه جهده نحو التربية الفردية . . كما حرص على أن يكون مع إخوانه مسلمًا متكاملاً تحت شعار «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.. » . فكان أن ساهم فى تشكيل فرق رياضية للمسجد فى شتى ألعاب القوى : كمال الأجسام، التنشاكو، الكراتيه، والجمباز ، برز (عماد) قائدًا لفريق الجمباز، وفاز من خلال هذه اللعبة ببطولات وسباقات، تراه يقفز من وسط النيران، يصعد فى الهواء، يؤدى التشكيلات بمهارة وإتقان.

التحق (عماد) بركب (جماعة الإخوان المسلمين) فى العام ١٩٨٥ ، ليواصل عطاءه الإسلامى الصافى من خلال عمل منظم يشعر معه بالارتباط وتحقيق الأهداف، فكان (أبو معاذ) كعادته فى الطليعة يساهم فى تربية النشء وفق روح الإسلام الصافية وليبنى الأجسام كى تقوى على مواجهة الشدائد، كما ساهم فى بناء بيوت الله كى تحتضن أبناء فلسطين، تزرعهم أشتالاً كى تقوى الغراس ليوم التحرير المأمول.

كان يشعر (أبو صخر) بعظيم الانتماء لدين الإسلام، ومنهج السماء، ولذلك يعشق (مسجد الإمام الشافعى) . . فى حى الزيتون . . الذى درجت خطواته الأولى فيه، وهناك نشأ (عماد) صخرةً صلبة، كم كان يعشق (حى الزيتون) حيث أطل على الدنيا فى الرابع عشر من يونيو من العام ألف وتسعمائة وستة وستين، رغم حنينه الكبير أن يلتحف أرض (بيت دراس) موطن الآباء والأجداد.

كان يتذكر (بيت دراس) كلما زار مراكز التموين التابعة لوكالة الغوث . . وكلما أمطرت السماء على البيت القرميدى، فعزف صوت المطر لحنًا، أيقظ القلوب والهمم كى ترتقى نحو دروب المستحيل . . وكلما اتجه إلى مدرسته الابتدائية وشاهد الواقع البائس ثم ينهى دراسته الإعدادية والثانوية ، ويلتحق للدراسة فى الجامعة الإسلامية بغزة، إلا أنه قرر أن ينال (الشهادة العليا).

وما كان (لصخرة فلسطين) التى تتحطم على سرها الدفين أمواج المحنة العاتية، وتبقى هذه الصخرة شامخة أبية تنبت للعالم الحائر شجرة الحرية، أن يعيش بعيداً عن الجهاد، فالتحق (أبو صخر) فى العام ١٩٩٢م بعد خروجه الأخير من المعتقل (بكتائب الشهيد عز الدين القسام) كى يحقق حلم فؤاده فى الشهادة.

وكان يتبع مباشرة فى عمله الشهيد القائد (عماد عقل) (أسطورة الجهاد والمقاومة)، ونفذ خلال تلك الفترة مجموعة من المهام الحساسة حيث رصد مواقع تحرك الجيش الإسرائيلى من أجل تنفيذ العمليات الجهادية، حيث شارك فى الرصد لعمليات الشجاعية والتى أسفرت عن مقتل ثلاثة جنود فى ديسمبر ١٩٩٢م . . وعمل كراصد فى مدخل جباليا، حيث نفذت عملية ليلة القدر فى رمضان ١٩٩٣م، والتى أسفرت عن مقتل جندى، وإصابة العديد.

لم تتوقف خطوات(عماد) الجهادية عند هذه المرحلة، فأسس قواعد العمل العسكرى فى منطقة الزيتون التى غدت الحضن الدافئ للمجاهدين القساميين بفضل ما يوفره (أبو صخر) من دعم مادى ومعنوى لجموع الراحلين نحو المجد والخلود.

ولتوفير هذا الجو الآمن قام (أبو صخر) بملاحقة العملاء والساقطين خشية انكشاف أمر المجاهدين، فشارك مع الشهيد (ياسر النمروطى) فى تنفيذ عمليات التطهير.

ولمّا استشهد (ياسر النمروطى) . . أسس (عماد) مجموعته القسامية الإعدامية، وأطلق عليها اسم (مجموعة الشهيد ياسر النمروطى).

كم كان (عماد) يحب (أبا معاذ) ياسر . . يرى فيه القائد والقدوة والنموذج الأروع لرجل التضحية والفداء . . لم يكن عماد قد تعرف على (أبى معاذ) الآن، فقد عايشه أيامًا وليالى طويلة فى باستيلات العدو الصهيونى . . حيث شكلا معًا ثنائيًا رائعًا للتفانى المخلص . . يجلسان معًا يحفظان كتاب الله . . يتسامران . . يلعبان الرياضة القوية معًا . . ولمّا طورد (أبو معاذ) لم يجد أدفأ حضنًا من شقيق روحه (أبى صخر)، فالتجأ هناك، حيث وجد ما تقر به عينه من تضحية وعطاء وبذل وراحة، حتى قرر (أبو معاذ) الرحيل . . كان أن صعدت روح (أبى معاذ) فى حى الزيتون حيث سكن الجسد العملاق وتألق نجم جديد فى سماء فلسطين . . سماء الزيتون. وهنا قرر (عماد) أن يواصل ذات الدرب الممهورة بالدم المسيجة بالأشواك، فاختار أن يكون اسمه (أبا معاذ) كى يكون خير خلف لخير سلف - وهذا ما كان -.

كان (عماد) يشق طريقه وسط الصخر دون ضجيج أو فوضى أو حرص على الظهور، وفى أثناء هذا العطاء والتفانى ألح عليه أهله أن يتزوج . . لم يكن هذا خياره، فرفض بشدة. حتى شعر أهله أنه يخفى سراً، فقرر الموافقة وتزوج من ابنة عمه.

تزوج وهو يدرك أن لا شيء يمنعه من تحقيق حلمه الغالى بالاستشهاد خاصة بعد رحيل أخيه القسامى القائد (ياسر النمروطى). استمر (أبو معاذ) فى حملته التطهيرية ضد العملاء والساقطين فى (حى الزيتون) ثأراً لدماء الشهيد (ياسر النمروطى) حتى تقدمت قوات الاحتلال نحو بيت والده (المنسى نصار) تحاصره وتداهمه.. تحطم أثاثه، لم يكن هذا مشهداً غريباً على هذا البيت المجاهد الذى يتوزع أبناؤه بين السجن والنفى والمطاردة والاستشهاد..

(أشرف) يقبع على الحد الشمالى للوطن المسلوب مع إخوانه المبعدين فى مرج الزهور، و(نبيل) يعيش متنقلاً بين سجون الاحتلال يقضى محكوميته البالغة عشر سنوات بتهمة الانتماء إلى الجهاز العسكرى لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) وتنفيذ فعاليات المواجهة والتحدى.. ولكن اليوم كانت المداهمة الأعنف حيث قلب جنود الاحتلال المنزل رأساً على عقب، بحثوا فى كل زاوية عن الشبح الذى طاردهم وأحال حى الزيتون إلى بعبع لعملائهم ومصيدة لجنودهم وكمائن تنحدر فيها دورياتهم يمطرهم فيها (أبو صخر) أصناف العذاب ولكن أين هو الآن.. ألم يعلموا أنه قرر الرحيل قبل الرحيل..

ولم تتوقف إجراءاتهم عند هذا الحد، بل قامت سلطات الاحتلال بطرد (والد عماد) من وظيفته الحكومية.

كان كل ذلك يفرض على (أبى معاذ) المزيد من التحدى، فامتشق (أبو معاذ) سلاحه الهدّار وغدا فى مرحلة جديدة تحتاج إلى كل ألوان العطاء والتحدى والمقاومة والأمن.. و(صخرة فلسطين) لها، وبدأت المعركة مبكراً بين (أبى صخر) وقوات الاحتلال التى ما تركت حيلة ولا طريقة إلا اعتمدتها من أجل القبض عليه أوالتخلص منه.. حيث داهموا منزله ليلاً ونهاراً، بالزى العسكرى الرسمى ومتنكرين بأزياء متعددة، حضروا يومًا لإلقاء القبض عليه وجنود القوات الخاصة يتنكرون بزى نساء ولكن رعاية الله لعبده كانت لهم بالمرصاد، فما أفلحت كل محاولاتهم اليائسة، وكان (أبو معاذ) يلاحقهم ويحاصرهم عبر عمله الجهادى القسامى الموجه نحو عملاء الاحتلال وقواته المتحركة والذين دفعوا ثمنًا باهظًا حين التحق (صخرة فلسطين) بثلة المطاردين القساميين. كان الضغط يشتد على البطل القسامى المجاهد وإخوانه حتى

يصدر الأمر من الجهاز العسكرى بمغادرة قطاع غزة، وتكون الرحلة نحو الجنوب. . . ارتحل (أبو معاذ) رغمًا عنه ولم يكن شيئًا أشد عليه من خروجه من (حى الزيتون).

إنه يتمنى الشهادة على هذه الأرض، فلماذا الخروج. . كان يدرك كم هى تكاليف الخروج بعيداً عن الحضن الدافئ. . ولكن قدر الله أكبر ورحمته أوسع، ها هو يغادر مع إخوانه وقلوبهم تنشطر. . تنشد نحو الأرض الذابلة المشتاقة. . ها هو الموكب النورانى يتقدم. . يتقدم. . نحو الخيار الأوحد لأولئك الأطهار، وما أراد الله لهم عدا هذا. . فقد اطلع على سويداء القلوب وما تحوى من حب وكرامة الله تبارك وتعالى. .

فكانت الكرامة تسبقهم وحين تقدم الموكب نحو الحدود لاختراقها عبر نفق يربط فلسطين ومصر، ينطلق القصف الصاروخى والرصاص من كل مكان يغطى الأرض الصحراوية كى ينبت فيها الصبّار ويخط هناك طريق الملحمة الواجبة. . . وما تحتاج سوى الصبار. . كانت عشرات القذائف والرصاصات تقتحم الأجساد الطاهرة. . تستقر إحداها فى قلب (أبو معاذ) كى تودعه أمانة فى هذه الأرض التى أبى هجرتها، وكان المهاجر يردد «والله يا غزة إنك أحب بلاد الله إلى قلبى ولولا أنهم أخرجونى منك ما خرجت أبدًا».

وها هى (غزة) تأبى لهذا الوفاء أن يغادرها. . تأبى إلا أن تحتضن هذا القلب المتيم فداءً وتضحية وإباء. . يرحل أبو معاذ يبنى مجد الخالدين. . يمتطى صهوة الرصاص. . ويهزأ بالجلاد. . . ويرحل متقدمًا الموكب نحو الجنة. . . يرحل بعد أن سطر ملحمة المقاومة والجهاد فى كافة الميادين. . رحل وما ترك موقع قدم فى حى الزيتون وغزة، وفى مواقع الأسر إلا وبه علامة تذكرك (بأبى معاذ). . الصخرة الصلبة التى تحطمت عليها سياط الجلاد. . . فغدت أشد بأسًا وأكثر منعة، وها هو اليوم يلثم الأرض بجبينه الوضاء. . يزمجر كالأسد الهصور. . يتمنطق بخياره الأوحد. . فيما الناس يتكالبون على زخارف الدنيا. . . يرحل (أبو معاذ) ليسكن عليين حيث ينتظره (الشهداء) يتلقفونه بكل الحب. . يربتون على كتفه. . كما عهدناك يا (أبا صخر). . وفيًا مخلصًا مسرعًا.

يرحل الخبر سريعًا إلى غزة، يتلقاه آل الشهيد المظفر بكل الفخر والاعتزاز. . فقد غدا الصبر جزءاً من مسيرة هذه العائلة. . ها هى تتلقى خبر استشهاد أحد أبنائها ومازال ثلاثة من أبناء (المنسى) يتوزعون بين المنفى والسجن. يأتى نبأ الاستشهاد وزوج

(أبو معاذ) تحمل فى أحشائها (معاذًا) والذى أسموه (معاذًا) كما أوصى تكريمًا لأخيه الشهيد (ياسر النمروطى).

وفى قلب (حى الزيتون) ينصب سرادق عظيم يستقبل المهنئين بعرس الشهادة العظيم يلقون التحية (لأبى معاذ) الذى أبى إلا أن يكون عظيمًا خالدًا، كما كانوا دومًا يلقون التحية على المجاهد الفذ الذى غادر الدنيا وارتحل سريعًا نحو الخلود الذى بحث عنه وترك لهم الوصية، مصحفًا ورشاشًا وراية. . أبى الشهيد إلا أن تظل خفاقة عالية. .

وفى اليوم الثالث لعرس الشهادة أقامت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) حفل تأبين لم تشهد له مدينة غزة مثيلاً من قبل، وتوافدت إليه الآلاف من كل مكان. . تودع الشهيد. . تحمل الوصية. . تحفظ الراية من السقوط. . رحل الأبى على التراجع والاقتلاع من ساحة الجهاد والمقاومة. . . رحل عنوان الصبر والجلد وترك وصيته الخالدة. .



الشهيد/ حسين أحمد محمود أبو اللبن (أبو أحمد)

١٩٩٣/٥/٨



«طاف (الشيخ حسين) البلاد كلها، أمّ الناس فى بيوت الله.. وعظهم.. أرشدهم.. قادهم فى مسيرات الشوارع.. خاض معترك الحياة الاعتقالية شامخًا أبيًا.. لم يجد حلاوة المراغمة ومتعة الصراع كما هى الآن وهو يحتضن رشاشه الهدّار... ويمضى بكل كبرياء التحدى... واعتزاز المجاهد الصلب.. المتمترس خلف جدران إيمان خالص لله تبارك وتعالى... وعزم أثبت من الجبال الراسيات».

إذا ألمت بك الأيام الخوالى وترددت على أكثر من مسجد فى مدينة غزة، كان لابد أن يطالعك هذا الوجه الوضاء الذى ينضح بالنور واللحية الشقراء التى لا تغطى معظم ذقنه ولكنه يصر رغم ذلك على بقائها اقتداءً بسنة النبى ﷺ ، رغم أنه دفع ثمنًا غاليًا حين أخرجه والده من البيت طالبًا منه حلق لحيته، ومكث خارج المنزل وبقى مصرًا على اقتدائه بسنة النبى ﷺ.. تراه بعد الصلاة يقف واعظًا فى الناس، يتحدث عن الإسلام وتاريخه الناصع وشرعه العادل ومستقبله الأكيد بحكم البشرية بعد سنوات الظلم، يحمل البشارة دومًا للمستضعفين فى الأرض بالتمكين والاستخلاف، كم كان سعيداً وهو يؤدى هذه الرسالة الخالدة امتداداً لعهد النبوة، فهو واعظٌ ومرشدٌ على هذا الدرب الذى سلكه جل الأخيار من الدعاة والعلماء.. وكم كانت مواعظ (الشيخ المجاهد) تسكن فى قلوب المستمعين بشغف إلى أسلوبه الجذاب ودروسه الموثقة التى يعتمد فيها على تحصيله العلمى الوافر من دراسته الشرعية فى (كلية الشريعة) بالجامعة الإسلامية بغزة، ومن هناك انطلق.. ليؤدى رسالته الطاهرة ويكون إمامًا للناس وواعظًا، ويبقى الشيخ المجاهد قبلة لكل الظامئين لسيادة منهج السماء.

وإذا صادفتك الأيام وزرت (الجامعة الإسلامية) أثناء دراسة (الشيخ المجاهد) فيها، وكان هناك عرضٌ لألعاب القوى فى الجمباز والكاراتيه والننشاكو. سيطالعك ذو الوجه الوضاء وهو يؤدى مهارات استعراضية عالية المستوى، وتبحث عن أداة ربط بين هذه الشخصية وتلك فينبؤك العلم والبيان أن هذه شخصية الفارس المتكامل... راهب الليل وفارس النهار.. تلك شخصية من عهد الصحابة والتابعين.. لا من القرن العشرين.

وإذا حالفك الحظ وشاهدت عرساً إسلامياً فى إحدى شوارع قطاع غزة، وشاهدت ذات الوجه الوضاء وهو يؤدى دوراً مسرحياً.. يعجبك أداؤه ويستحثك دوره التمثيلى للتقدم والالتحاق بحظيرة الإسلام الواسعة المترامية... وتميل بوجهك إلى من يقف جوارك تبدى إعجابك بالمسرحية وقصتها... يجيبك على الفور.. نعم فهى بقلم (الشيخ المجاهد)...

وفى الأيام الأولى لانطلاق الانتفاضة وأنت تسير بسيارتك يعترضك حاجز يعده مجموعة من الشبان قائدهم ذو الوجه الوضاء.. وفجأة ينطلقون فى مسيرة يحملون على الأعناق صاحب اللحية الشقراء والوجه الوضاء يظل يهتف والجميع يردد.

ينطلق (الشيخ المجاهد) إلى أصحاب المحلات يأمرهم بالاستجابة للإضراب، وماذا فى يده.. إنها قنبلة.. تقترب قليلاً.. إنها قنبلة غير حقيقية مصنوعة من الطين بشكل دقيق متين.. صنعها الشيخ المجاهد بيديه ويستخدمها الآن فى تأجيج نار الانتفاضة.. تبتسم بصمت وتهم بالمغادرة ولكن حب الاستطلاع يمنعك، تميل إلى أحد المشاركين فى المسيرة.. من هذا الشيخ..؟؟

ينظر إليك بما يشبه الاستغراب.. ألا تعرفه..؟! إنه الشيخ (حسين أبو اللبن)... تومئ برأسك وأنت لا تعرف من هو المقصود... ولكن مساجد غزة وشوارعها وكافة الشباب المسلم هناك يستطيعون سرد تاريخ الرجل فهو أشهر من أن يُعرف.

فى جباليا الثورة كان ميلاد الشيخ المجاهد (حسين)، فى الثامن من فبراير من العام ألف وتسعمائة وواحد وستين، أطل الوليد الجديد على الدنيا بوجه ينضح بالنور ويشرق بالأمل لوالده (الحاج أحمد) الذى كان مع جموع الفلسطينيين الراحلين نحو الجنوب مغادراً قرية (سمسم) الفلسطينية بعد أن داهمتها الغربان، وأوجدت مكانها

الاستيطان، وفى خيام اللاجئين فى (مخيم جباليا) لم يكن هناك متسع، تكومت اللحوم البشرية وهى فى حالة انتظار للعودة السريعة، وطالت الأيام وتبدلت الأجيال، وقرر (الحاج أحمد) الرحيل إلى مدينة غزة ويستقر به المقام فى حى التفاح، وهناك كانت البدايات الأولى (للشيخ المجاهد) حيث درجت قدماه على بيوت الله تبارك وتعالى واستقر به المقام فى مسجد السيد هاشم (سُمِّى المسجد بهذا الاسم تيامنًا بجد الرسول ﷺ).

وفى بيت الله تبارك وتعالى رضع الفتى الوسيم الوضاء، حليب الإسلام نقيًا صافيًا، ويشعر فى قرارته بحلاوة الإيمان حين يرى بنور قلبه الله ورسوله أحب إليه من كل ما على الأرض، ويكره الكفر وأهله ويكره النار..

لم يتعلم (حسين) فى بيت الله الإسلام وحسب، بل تعلم فنون القتال وأبدع فى الكاراتيه حتى حصل على الحزام الأسود... وأتقن الجلوس ساعات طويلة خلف مكتبه يطالع الكتب الإسلامية والثقافات حتى غدا ملمًا بالكثير من العلوم والمعارف... وصقل كل ذلك يوم توجه للدراسة فى الجامعة الإسلامية والتحق (بكلية الشريعة) بها، حيث يرى (حسين) شخصيته، وشعر فى رحاب تلك الجامعة بالانتماء.

وكان حسين أحد أبناء (الكتلة الإسلامية) البارزين. . وجندى فى (جماعة الإخوان المسلمين) وتدرج فى سلمها الإدارى حتى غدا رقيبًا.

ما انشغل (حسين) عن العمل لدنياه، ورغم انشغاله فى الدراسة فقد أتقن مهن أعمال البناء وأجاد (القصارة) وكان كثيراً ما يقوم بالعمل فى هذه المهنة الشاقة من أجل المساهمة فى توفير لقمة العيش الكريمة لأهله وإخوانه...

كان (الشيخ المجاهد) فى كل ذلك رءوفًا بإخوانه رحيمًا بهم، عاش لأجلهم فى المسجد والمنزل حتى أحبوه حبًا جما... وكان دومًا يؤثر الجماعة على عمله الخاص، فكم أجّل من أعماله وربما تركها من أجل عمل الجماعة ومستقبل الإسلام. ويبقى الشهيد ملتصقًا ببيوت الله تبارك وتعالى ولما تخرّج من كلية الشريعة واصل عطاءه لدين الله حيث عمل خطيبًا فى مساجد مدينة غزة من خلال دائرة الأوقاف وأتم نصف دينه الآخر بالزواج.

وقبيل الانتفاضة شرعت قوات الاحتلال بإهانة الشبان فى شوارع غزة بأمرهم بالرقص أو سب الذات الإلهية أو الحديث معهم بألفاظ لا أخلاقية، وحدث ذلك مع (الشيخ حسين) الذى لم يتوان فى الدفاع عن نفسه، فقامت قوات الاحتلال بالاعتداء عليه وضربه وإصابته بجراح، لكن ذلك كان أهون عليه من إهانته على يد حفنة لا يقر لهم بالوجود على هذه الأرض الطاهرة.

كانت روح الجهاد والبذل تملأ على الشيخ حياته وكيانه ويرى فى امتشاق السلاح أمرًا لابد منه، وأن أى تهاون أو تخاذل عن هذه الطريق جريمة لا تغتفر . .

هذه الحماسة الملتهبة كانت تدفع الشيخ أحيانًا إلى الحديث عن تسويف الإخوان المسلمين امتشاق السلاح . . فكان يرى تسويفهم وكانوا يرون استعجاله . . حتى كانت الانتفاضة المباركة، ومنذ اللحظة الأولى كان الشيخ حسين التواق فى مقدمة الصفوف، وفى التاسع من ديسمبر من العام ألف وتسعمائة وسبعة وثمانين وبعد يوم واحد فقط على انطلاق الانتفاضة كان (الشيخ حسين) فى مقدمة الصفوف التى تواجه قوات الاحتلال فى منطقة مستشفى الشفاء، وفى هذا اليوم كان أول من ألقى الزجاجات الحارقة (مولوتوف) حيث أعدها وأطلقها نحو قوات الاحتلال، وقد تم اعتقاله على إثر ذلك مباشرة بتهم إلقاء زجاجات حارقة، قضى ما يقرب العام وكان أول من افتتح الاعتقال، وأول من حكم عليه بتهمة إلقاء زجاجات حارقة وأول من افتتحت قوات الاحتلال به وبإخوانه سجن النقب الصحراوى.

وما كاد يخرج من المعتقل حتى أعيد اعتقاله وقضى حكمًا جديداً لمدة عامين بتهمة المسئولية عن حركة حماس فى منطقتى التفاح والدرج.

كان (الشيخ المجاهد) فى حياة الاعتقال علمًا لا يشق له غبار يؤدى دوره الثقافى والإرشادى بكل عزم وأمانة وإخلاص، يعقد الجلسات ويوجه شبان الانتفاضة نحو مزيد من الجهاد والتضحية يخلق الحافز والتحريض وهو يروى لهم قصص الخالدين من الصحابة والتابعين الذين ضربوا أروع الأمثلة فى التضحية وكان يؤمن دومًا أن حالة التصاعد الإسلامية ليست محض صدفة، وإنما تقف خلفه عقول تفكر وأياد تنفذ، ولذلك كان يوصى إخوانه دائمًا : إذا انطلقت إلى الجهاد لا تستشر فى ذلك أحداً، بل تحرك دومًا نحو المقدمة فهذا أمر الله ولا يوقفه أمر بشر . . لذلك لما تحرك لإلقاء العبوات والزجاجات الحارقة كان تحركه ذاتيًا.

هذا الولاء الصافى والحماس المتدفق والحب الخالص لله تبارك وتعالى محاور تشكيل شخصية (الشيخ حسين) الذى ما كاد يخرج للمرة الثانية من الاعتقال حتى التحق بالعمل فى الجهاز العسكرى لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) وأضفى على شخصيته المزيد من السرية، حيث غدا يتردد على (مسجد الصحابة) فى مدينة غزة، ويخرج مع (جماعة التبليغ والدعوة).. يطوف المدن وبيوت الله تبارك وتعالى مبلغًا هذه الرسالة الخالدة بشتى الطرق.. وأثناء ذلك وإثر حملة اعتقالات فى صفوف حركة المقاومة الإسلامية (حماس) اعترف أحد المجاهدين بدور (الشيخ حسين) الذى بدا معتزلاً للحياة، ودوره فى (كتائب الشهيد عز الدين القسام)، وانتقل (الشيخ حسين) بذلك إلى حياة المطاردة، فخرج ولم يعد إلى منزله، رغم أنه كان طوال الفترة الماضية محتاطًا لا يبيت ليلاً فى منزله، بل كان يتجه إلى المنزل نهاراً فقط.

ومنذ اليوم الأول لإعلان المطاردة انطلق (الشيخ المجاهد) الذى يرى فى الشيخ عز الدين القسام قدوة خالصة له.. انطلق من أجل المزيد من الجهاد، ورغم أن الواقع الأمنى كان معقداً بشكل أكبر بكثير من السابق، حيث طورد (الشيخ المجاهد) فى أواخر شهر رمضان المبارك من العام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين. فقد ازدادت أيام منع التجول وإغلاق المناطق ومداهمة البيوت وملاحقة المجاهدين، خاصة فى ظل تصاعد العمل العسكرى، ووجود المبعدين فى مرج الزهور.

وقد مثل (الشيخ حسين) فى حينه الأب الحانى على جموع المطاردين من (كتائب القسام)، يشفق عليهم ويفتح معهم جسور الثقة والتعاون، فكان يُنظر إليه على مستوى واسع كأمير رغم أنه لم يكن أميراً رسميًا لمجموعة المجاهدين، ولم يخرج (الشيخ المجاهد) من مدينة غزة، فكان جل عمله فيها حيث كان مسئولاً إداريًا للمجموعات العسكرية فى منطقة غزة، فقام بإجراء تحقيقات واسعة مع عدد من العملاء وتنفيذ حكم الإعدام إذا اقتضى الأمر، كما ساهم (الشيخ المجاهد) بالتنفيذ العملى لمجموعة عمليات أربكت قوات الاحتلال، فقد هاجم (الشيخ حسين) ومجموعته دورية عسكرية فى شارع الوحدة بمدينة غزة، كما هاجم دورية عسكرية بالقرب من مدرسة يافا بمدينة غزة، وقد اعترف راديو إسرائيل بهذه العمليات لكنه لم يوضح خسائره فيها.

لم يكن (الشيخ المجاهد) لينقطع أثناء مرحلة المطاردة عن أهله وإخوانه، فكان دائم الاتصال بهم يوصيهم بتقوى الله عز وجل وسلوك درب الحق والجهاد وينادى فيهم أن الصبر والثبات عنوان مرحلة المطاردة والجهاد، يرسل لأمه دومًا «لا تقلقى. . إما نصر أو شهادة. . لا تحزنى فإنى مع الله تبارك وتعالى».

يوصى والده دومًا: «لا تفكر كثيرًا بى، بل ادعُ الله لى أن أموت شهيدًا»، يرسل رسائله لإخوانه أبناء دعوة الإسلام: «لا تغرنكم الدنيا وعليكم النظر إلى الآخرة».

الشيخ المجاهد فى رحلة مستمرة إلى الله تبارك وتعالى، يرى أن الرحلة ممهرة بالدم، ممزوجة بالحنظل، وعلى سالكها اجتراع الصبر، فأعد العدة وأخذ الأهبة ورحل إلى الله غير عابئ بالدنيا وزخرفها، فقد طلقها ثلاثًا لا رجعة فيها.

فكان يقبل على الآخرة بلا حدود، فقد أحسن النية وأعد الزاد وخفف الحمل، فتراه يقنت فى صلاة الفجر يوميًا يردد: «اللهم أحينى سعيدًا وأمتنى شهيدًا»، فقد أقسم (الشيخ حسين) على الله أن يلقاه شهيدًا. . . صدق الله فصدقه الله.

ويوم أن تزين الناس للدنيا وتزينت لهم. . كان الشيخ المجاهد يتزين للحور العين، يقبل على الموت بلا وجل. . يحتضن رشاشه الكلاشنكوف بكل قوة وعزم، يرى فيه ذاته، ويصنع منه مجده. . ويجعله مركبته إلى الدار الآخرة.

طاف (الشيخ حسين) البلاد كلها، أم الناس فى بيوت الله. . وعظهم. . أرشدهم. . قادهم فى مسيرات الشوارع. . خاض معترك الحياة الاعتقالية شامخًا أبيًا. . لم يجد حلاوة المراغمة ومتعة الصراع كما يراها الآن وهو يحتضن رشاشه الهدّار. . . ويمضى بكل كبرياء التحدى. . . واعتزاز المجاهد الصلب. . المتمترس خلف جدران إيمان خالص لله تبارك وتعالى. . . وعزم أثبت من الجبال الراسيات، كان (الشيخ المجاهد) يقسم كل يوم على الله أن يرى فى اليهود يومًا، وأن تروى دماؤه الأرض الظمأى لدم حر طهور. . . .

وفى كل يوم ترسل له قيادة العمل العسكرى أن عدد المطاردين فى تزايد وأن الملاجئ ضاقت بأهلها، وأن السلاح لا يكفى وعلى مجموعة (الشيخ حسين) أن تتنازل عن بقائها فى الأرض المقدسة وتهاجر على أمل العودة القريبة. . . ويرد عليهم بكل العزم

والإباء.. من كان يرغب الهجرة فليهاجر، أما أنا فسأموت هنا... وأدفن هنا... تأتيه الرسائل.. أن هذا أمر له مبرراته القوية، لا يستجيب (الشيخ المجاهد).. ويرد: ما على هذا بايعت ولا على ذلك تمت المطاردة، إن لى خياراً واحداً ألا وهو الشهادة، ولن أقبل غيرها.

ولمّا جد الأمر بكى حسين كما لم يبك من قبل... بكى حتى اخضلت لحيته وسقى الأرض من هذه الدموع.. حسين لا يبكى جبنًا أو خوفًا وخوراً.. بل يبكى حبًا وفداءً وتضحية.. يبكى عزة وكبرياء وشموخًا... ويردد.. أأترك الأرض..؟! أأترك فلسطين..؟! يخبر إخوانه بالأمر الذين قض مضاجعهم هذا النبأ... يخبرهم بالصعوبات وعدم توافر السلاح والمال.. يرددون بصوت واحد: سوف نحفر الصخر، وننبت زرعنا القسامى مهما كلف ذلك من ثمن.

وفى النهاية.. كانت الرحلة.. رحلة الهجرة عبر الحد الجنوبى للوطن المحاصر بين غربة الأبناء، والأسلاك الشائكة والدوريات التى تجوب المنطقة.

انتقل المجاهدون (حسين أبو اللبن، أنور أبو اللبن، حسن حمودة، بسام الكرد، عماد نصار، خالد العالم) إلى رفح، واستمر الموكب فى التقدم وأميرهم (الشيخ المجاهد) الذى كان يبكى دومًا على هذا الفراق.. كان الله تبارك وتعالى فى عليائه يصنع لهم القدر، قدر الكرامة والعز... عرف ما فى صدورهم من إيمان وإخلاص، فرزقهم الشهادة، وهناك على الحدود المصرية اصطادهم كمين غادر أسقط الجمع الطاهر مدرجًا بدمائه العزيزة... فى هذا اليوم الثامن من مايو من العام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين وبعد أقل من ثلاثة أشهر على المطاردة.. كان القدر يرسم (للشيخ المجاهد) طريق الجنة المعبّدة بالدماء الطاهرة الفياضة...

ولم تعهد (فلسطين) المطر فى شهر مايو.. ولكن ها هو المطر ينهمر كما الرصاص.. وكما الدماء الطاهرة.. كانت (دماء الشيخ المجاهد) وإخوانه تنزف على الأرض تغسل أدرانها وساكنيها من الجبن والخور والتراجع والخطيئة.

وكانت السماء تبكى الأحباب الذين صدقوا الله ما عاهدوه عليه، فكان حقًا على الله الاصطفاء والاختيار ليلحقوا بركب الخالدين، تنهمر الدماء من أجل فلسطين

والأقصى وترسم حداً جديداً للوطن المسلوب، بعد أن قطع هذا الدم الطاهر، أسلاك الوهم الحاجزة وأوقف دوريات التفتيش، يرسم حداً جديداً لا تقف معالمه عند حدود الادعاء الزائف . . بل تتجاوزه ليشمل خارطة العالم . . فينادى دم المجاهد فى الأمة : «الله أكبر فتحت كل الأرض أمام جحافل الإسلام . . . وها هو الدم عنوان الدرب . . . ها هو الدم لا سواه يبنى جسر العودة».

نقلت السماء رسالتها . . وتلقف الشعب الفلسطينى بأسره النبأ الفاجعة، ستة من الشهداء، وأى شهداء يسقطون دفعة واحدة، وتصل الرسالة إلى آل (أبى اللبن) الذين بدأ يصبّر بعضهم بعضًا من هول المصيبة، حيث سقط شهيدان من بيت واحد (حسين وأنور) . . ولمّا قذف الله سكينته على قلوب المؤمنين بدأوا يزفون الشهداء، والأغاريد تنطلق فى سماء غزة . . وتردد الأم بصوت عال . . «هنيئًا لك يا (حسين) . . هنيئًا لك يا (أنور)»، وهطلت العيون بالدموع بكاءً مراً من الجميع، فقد كان (الشيخ الشهيد) أستاذاً وأبًا وأخًا وخطيبًا وإمامًا . . . كان كما يسمونه شيخ الحارة.

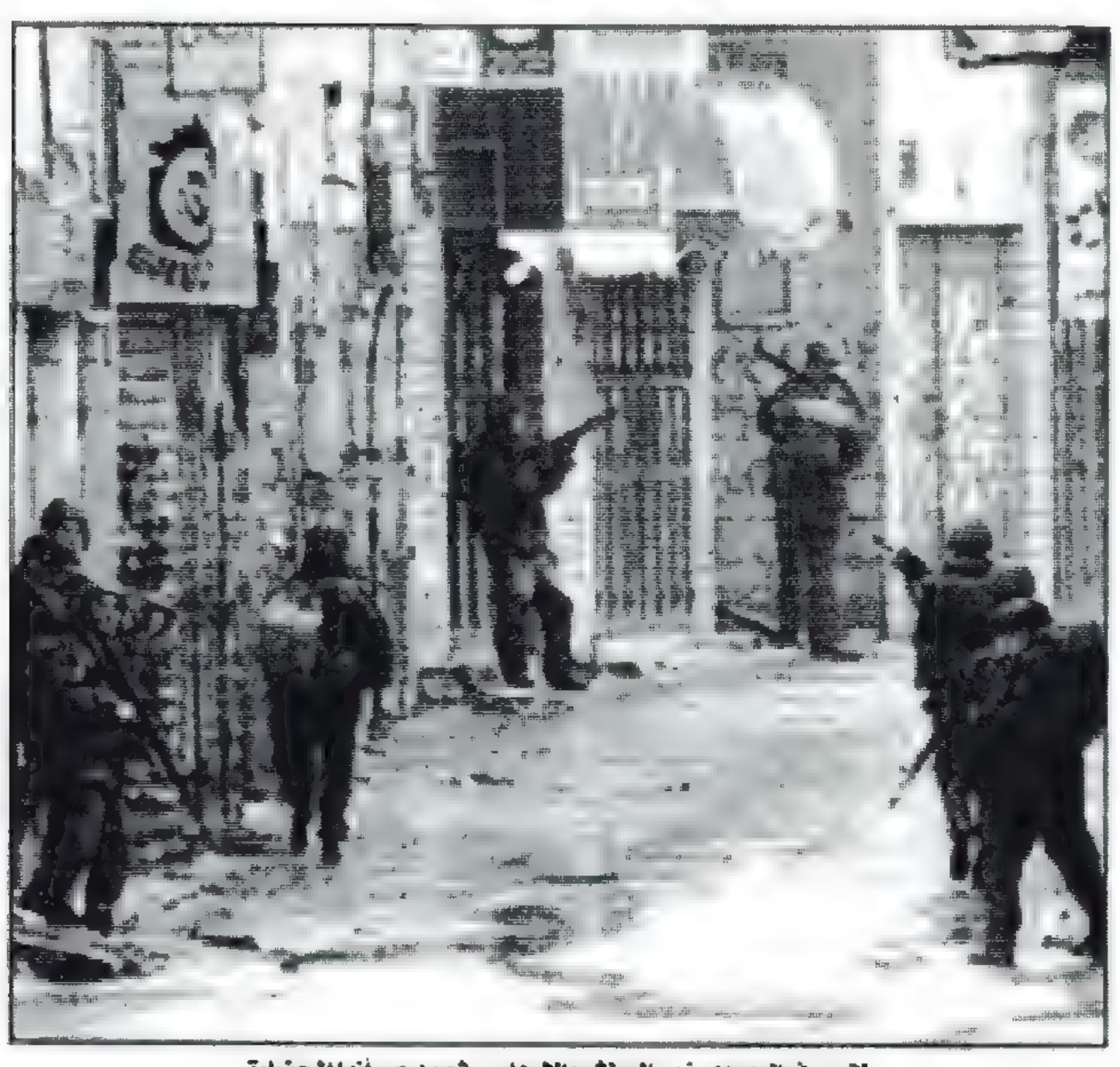
ولكن (الشيخ الشهيد) صمم على الرحيل بطريقته الخاصة . . صمم على أن يرسم بدمه كما رسم بكلماته معالم الطريق . . . وها هى معالم الطريق بيّنها للسالكين ولكن الثمن غال لأن السلعة غالية، فهل من مشترٍ ؟، وهل من دافعٍ للثمن كما فعل (الشيخ الشهيد) ؟

وفى حى التفاح حيث انطلق وهج الشمعة المضيئة ليمتد إلى جنوب الوطن المسربل بالدم . . هناك نصب سرادق ضخم للعزاء . . . والألوف تحتشد يوميًا تلقى تحية الاحترام والتقدير . . والإعزاز والإجلال (للشهيد) . . . الذى ما جهد أحداً . . وها هو باستشهاده يتسابق الجميع يلقون النظرة الأخيرة على الوجه الوضاء والثغر الباسم، وترحل بهم الذكريات أين سمعت الشيخ حسين يخطب لآخر مرة، وعن أى شىء تحدث . . هل شاهدت صورته وهو يمتشق الكلاشنكوف . . .

ها هو يرحل بعد أن ألقى كلمته الأخيرة فى الزحوف المحتشدة . . وكم كانت كلمته الأخيرة صادقة قوية صارمة . . فللحرية الحمراء باب بكل يد مدرجة يدق . . .

وبعد أيام أقيم حفل عرس الشهيد. . وأى عرس وقفت الخلائق تشرأب أعناقها لتسمع اللحن الأخير فى سمفونية خالدة امتدت من الشيخ الشهيد عز الدين القسام فى أحراش يعبد حتى الشيخ الشهيد حسين أبو اللبن فى صحراء سيناء. . . ولكن هذا اللحن الممتد جزء من مقطوعة موسيقية يطول عزفها، فالطريق يمتد والدرب يتواصل وفى الجنة متسع لكل الصادقين.

ألقى الجميع نظرة الوداع الأخيرة على الشهيد المقدس. . . الذى ما بخل أو استغنى ما قال أو استقال. . كان دومًا فى الطليعة. . وها هو اليوم يسقط على الأرض وترتفع الراية إلى عنان السماء. . ويبقى الشهيد الشيخ دومًا فى الطليعة.



لا يعرف اليهودى غير البطش والإرهاب.. ثم يدعى أنها الحضارة

الشهيد /أنور أحمد محمود أبو اللبن (أبو إسماعيل)

١٩٩٣/٥/٨



«هكذا تنقضى أيام أنور، يتنقل بين مواقع الجهاد مشرفًا على عمل لجان حماس فى منطقة الدرج، وعاملاً فى مجموعة الصاعقة الإسلامية، يكتب التقارير الأمنية ويرصد العملاء. . . يحاصرهم. . ينطلق إلى مدرسته يقود جموع شبان الكتلة الإسلامية. . . يعود إلى مسجده يتلقى العلوم الإسلامية. . وينضم إلى أسرته الإخوانية نهاية نهاره يعضد معانى الإخوة. . . لم يكن الفتى يعيش لذاته. . . أمضى حياته من أجل الله. . فكان الاختيار الإلهى عزيزاً. . سريعًا. . كريما».

انطلق البشير يهتف فى الدنا، ذاك الشبل الباسم الهادئ المتواضع الذى ما سمعه الكثيرون، لأن حديثه لا يكاد يسمعه إلا من يتعمد ذلك. . . انطلق البشير يدوى صوته، لقد استشهد القسامى الأصغر سنًا، استشهد الشبل الذى عجب الجميع من جرأة التحدى وقوة المواجهة التى يتمتع بها فى مواجهة العدو رغم سلاسته ورقته مع إخوانه. . .

دوى صوت البشير يبلّغ أهل الأرض أن القتال عزيمة. . وأن الرجال معادن. . وأن هذا المعدن الطيب الصلب هو من ذاك الأصل الذى جسده الشيخ المجاهد (حسين أبو اللبن).

لقد بدت ملامح الرجولة مبكرة على الفتى اليافع، فبعد إلحاح كبير تم ضمه إلى مجموعات فعاليات الانتفاضة عبر لجان حماس الفاعلة. لم يكن الشبل المجاهد قد بلغ من العمر خمسة عشر عامًا حين امتشق سلاح الانتفاضة. . . وكان حينها أصغر من يرتدى اللثام الفلسطينى الذى غدا معلم الفلسطينى المجاهد. وفى واحدة من الجولات الجهادية كان القدر يرسم مجدًا لهذا الفتى الهادئ، حين انطلق ضمن مجموعته الحمساوية، ويرتسم فى مخيلته الصحابى الجليل (أسامة بن زيد)، وهو يقود معسكر جيش المسلمين يفتح الله على يديه بلاد الروم. . .

كانت كل كوامن الفتى اليافع تنطلق ومحياه يبتسم وهو يرى بعين خياله كيف يمتطى خيل الجهاد . . . وقائد الركب القسامى يمسك بعنان فرسه يوجهه للانطلاق نحو الهدف وتحقيق المراد، من أجل بناء الدولة الإسلامية قوية الأركان. . يرحل (أنور) يوميًا. . إلى القدس، يتمنى استشهاده على تراب الأقصى الطهور. . ولكن، ها هو يرحل فى خياله إلى الماضى والمستقبل. . وها هى دورية من القوات الخاصة تنطلق نحو المجموعة الجهادية، ينادى رفيق الرحلة الميمونة بالحذر. . يطلق (أنور) لساقيه الريح ويسابق الهواء. . زخات من الرصاص تنطلق خلف الفتى المجاهد، تصيبه إحداها فى قدمه يسقط على الأرض لا يستطيع حراكًا، وتنقض عليه جموع الغربان تهوى عليه تمسكه كمن ضبط صيدًا ثمينًا ويرفعون اللثام عن وجهه البرىء، يعجبون !! أهذا الفتى الذى لم يتجاوز الخامسة عشرة هو الذى أقض مضاجعهم فى تلك المنطقة وهم يستيقظون يوميًا عشرات الشعارات الحمساوية والمتاريس المنتشرة تملأ الشوارع . . . هل هذا الفتى هو السبب المباشر لهذا الإزعاج ما أتفه هذا الجيش، وما أهون قواته الخاصة!!

يقتاد الجند الفتى الباسم نحو المعتقل حيث مئات الشبان الفلسطينيين، وفى زنازين النازية الجديدة أودع الفتى مصابًا بطلق نارى وأغلق الباب، تكوم أنور يشكو لله إصابته فى زاوية الزنزانة الباردة التى لا تملك أدنى مقومات الحياة، وبدأ يتلو آيات حفظها من كتاب الله تعالى ويتمتم بأدعية تدفع عنه الشر والمكروه، داعيًا الله أن يحفظ عليه قلبه ووجدانه، وأن يحمى إخوانه محنة السجن. . . غاب أنور قليلاً عن وعيه وأخذته سنة من النوم، وهى منحة إلهية فى هذا الظرف العصيب الذى يعيشه الفتى الهادئ. . . وغاب الفتى فى أحلام وردية أخرجته من ضنك الحياة التى يعيشها.

قضى لحظات جميلة مع شقيقه وأستاذه (الشيخ حسين) الذى تتلمذ على يديه وعشق الإسلام منهج السماء من دروسه، كم كان ينظر (الشيخ حسين) إلى شقيقه (أنور) نظرة خاصة.

احتضنه منذ لحظات الولادة الأولى حين أبصر الدنيا فى نوفمبر من العام ألف وتسعمائة وأربعة وسبعين فى حى الدرج بمدينة غزة حيث الأهل قد سكنوا منذ فترة وجيزة تلك المنطقة بعد أن غادروا مخيم جباليا الثورة إثر هجرتهم مع زحوف اللاجئين من قرية (سمسم) وكل أرجاء فلسطين. ودرج الطفل الصغير على بيت الله يؤدى حركات الصلاة كما علمها إياه الشيخ حسين، وعلى هذه الزيارات فطم الفتى على

عشق منهج السماء، لا يرى ذاته إلا بعلو هذه الراية الخضراء التى لا يشعر بالأمن إلا فى ظلالها الوارفة.

هذا الفتى أحبه كل من رآه. . . البسمة لا تفارق وجهه الذى تشع منه علامات الإيمان ومحياه الجميل ينبؤك بمعالم شخصية طيبة الأصل كريمة الخصال.

وإذا عاشرته عن قرب كانت الشجاعة معلمًا بارزًا لهذا الفتى الهادئ، وفى صلاة الفجر فى مسجد الشيخ الشهيد عز الدين القسام عليك أن تنظر إلى الصف الأول لترى الفتى لا ينقطع عن الصلاة، وإذا قدّر لك أن تعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان فى بيت الله. . ستجد الفتى الباسم لا ينقطع عن قيام أو تلاوة قرآن أو جلسة ذكر.

هكذا شب الفتى. . ينهل من معين الإسلام الصافى عبر (الشيخ حسين)، يواظب على الشعائر والعبادات، يؤدى دوره الجهادى مقتديًا (بأسامة بن زيد) رضى الله عنه. . وها هو يرقد فى زنزانته مصابًا بطلق نارى، وعلى رأسه كوفية الجهاد الحمساوى.

استيقظ الفتى من سنة النوم التى أكسبته سكينة وهدوءًا. . . وقذف الله فى قلبه معالم التحدى. . باب الزنزانة يفتح، تتناوله يد غليظة واقتادته إلى غرفة باردة بها مكتب قديم خلفه رجل لم يتبين ملامحه لشدة الإعياء. . خاطبه فورًا أهلاً بالبطل الفدائى. . كم عمرك؟ أربعة عشر عامًا. . ومنذ متى تلبس اللثام وتكتب على الجدران؟ لم ألبس لثامًا أو أكتب شيئًا على الجدران وأنا ولد صغير. . يضحك رجل التحقيق بكل قوة. . ومن علمك هذا الرد ؟ لم أتعلمه من أحد. . إذًا لماذا هذه الكوفية؟ كنت ألبسها لاتقاء البرد وأنا ذاهب لصلاة الفجر.

يشتد الرجل فى حصاره على الفتى. . ويشتد الفتى دفاعًا. . تقيّد يداه ويضغط على جرحه قبل أن يستقدم طبيب السجن لتضميده. . ولكن هيهات. . . هيهات. . هذا الشبل يزأر زأرته الأولى. . كيف ستكون الثانية وما يليها.

مكث (أنور) فى السجن أربعة شهور لم يعترف بالتهم المنسوبة إليه، رغم كل الأدلة التى تحاصره، خرج (أنور) دون أن يرضى غرور الجلاد. وما أن انقضت الشهور الأربعة وخرج (أنور) حتى عاد إلى حبه الكبير. . الجهاد. . المقاومة. . . اللثام. . . المسجد. . صلاة الفجر. .

واليوم أنور يعيش بفلسفة التحدى بصورة أكثر شموخًا وعزًا وإباءً يرسمه لنفسه منذ اللحظة طريقًا معمدةً بالدم وممهرة بالجهاد والاستشهاد.

لم يكن التدرب على السلاح متوفرًا، فالتحق متدربًا على فنون القتال، فأبدع مهارة القتال بالننشاكو (العقلة) وغدا من الأسماء اللامعة فى هذه اللعبة، واستمر فى تواصله الجهادى والعمل ضمن مجموعات ولجان حركة المقاومة الإسلامية (حماس) لينفذ برنامجها الجهادى بكل أمانة وحرص وإخلاص. هذا الولاء النقى والإخلاص المتفانى دافع كبير (لجماعة الإخوان المسلمين) كى تعرض على الفتى الذى لم يتجاوز الثامنة عشرة الالتحاق بصفوفها عضوًا عاملاً، خاصة وهو يقود النشاط الطلابى فى (مدرسة فلسطين الثانوية)، وهذا النوع من الأنشطة يحتاج إلى رجل فكر وعقيدة، يفهم المنهج ويدرك أبعاد الطريق، وقد كان أنور نعم الرجل الذى ينتظره مستقبلٌ واعدٌ فى العمل الإسلامى.

ويوم أن قررت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) تشكيل جهاز الصاعقة الإسلامية الخاص بملاحقة العملاء والساقطين والمنحرفين، حتى يتفرغ الجهاز العسكرى (كتائب القسام) للعمل ضد قوات الاحتلال والمستوطنين، تم اختيار الفتى المجاهد ضمن المجموعة الأولى للصاعقة الإسلامية فى منطقة (حى الدرج).

هكذا كانت تنقضى أيام (أنور)، يخرج من بيته إلى صلاة الفجر، يتنقل بين مواقع الجهاد مشرفًا على عمل لجان (حماس) فى منطقة الدرج، وعاملاً فى مجموعة الصاعقة الإسلامية، يكتب التقارير الأمنية ويرصد العملاء ويحاصرهم، وينطلق إلى مدرسته يقود جموع شبان (الكتلة الإسلامية)، ويعود إلى مسجده (عز الدين القسام) يتلقى العلوم الإسلامية، وينضم إلى أسرته الإخوانية نهاية اليوم ليعضد معانى الإخوة.. ولا يعود إلى منزله إلا ليلاً، ويسأله والده دومًا عن سبب التأخير ويأمره ألا يتأخر..

لم يكن الفتى يعيش لذاته.. أمضى حياته من أجل الله، فكان الاختيار الإلهى عزيزًا سريعًا كريمًا... ويوم أن اعتُقلت مجموعة من المجاهدين فى منطقة الدرج انقطع (أنور) عن التردد على منزله حذرًا واتقاءً حتى قدمت قوات الاحتلال تداهم المنزل الساكن بنور الإيمان الهانئ بنعمة الهداية... حاصروا المنزل فتشوا كل شىء وقلبوه رأسًا على عقب... عن أى شىء تبحثون ؟ عن السلاح واللثام والصاعقة وحماس والكتلة والمسجد والقسام.. نبحث عن (أنور)... أين ذهب ؟؟!!

اختفى (أنور) ليعلن التحدى الجديد وتبرز شخصية هذا الفتى الذى أنهى دراسته الثانوية هذا العام فقط . . ولكن رجولته وفروسيته تسبق عمره . .

وها هو يلتحق بصفوف المجاهدين المطاردين من (كتائب الشهيد عز الدين القسام)، ولم يكن قرار المطاردة خياراً سهلاً، خاصة فى هذا الوقت العصيب، حيث تحاصر قوات الاحتلال كل شيء بحثًا عن القساميين الاستشهاديين الذين دبوا الرعب فى قلب دولة العدو ردًا على إبعاد المئات من الإسلاميين إلى مرج الزهور . . .

وها هو الطوق الأمنى يلف قطاع غزة . . . ودوريات قوات الاحتلال على البحر، وفى البر تملأ كل مكان . . . وها هى الحدود مغلقة . . ومع ذلك روح الاستشهاد تهيمن على الفتى الهادئ الصلب الذى امتشق السلاح القسامى بكل عز وإباء، كم كان يحلم بهذا اليوم . . كم يعشق الخلود . . فانطلق يواصل عمله الجهادى القسامى فى أسلوب جديد . . . يمتشق السلاح ويخرج مع مجموعة من المجاهدين المدربين جيداً . . ينطلق نحو هدفه على الطريق الشرقى . . قرب مدرسة يافا فى غزة . . فى شارع الوحدة وعمر المختار . . . قرب نتساريم . . يصلون دوريات الاحتلال بوابل من رصاص العز لا يهابون المواجهة الدامية، بل هى حلمهم الذى لا ينتهى . . . أمل الفتى الباسم لا يمل تكراره والدعاء والتضرع إلى الله أن يرزقه الشهادة وأن يسطر بدمه ملحمة جديدة على الأرض الطاهرة .

ولم يكن (أنور) الفتى اليافع أن يعصى أمراً أو يرفض قراراً، فكيف إذا وجه إليه هذا الأمر شقيقه وأستاذه (الشيخ حسين) . فلمّا تقدم الشيخ نحو شقيقه طالبًا منه الاستعداد للمغادرة كانت عينا حسين تترقرق بالدمع، أما (أنور) فقد أخفى كل عواطفه ولم تكن إلا إجابة واحدة سمعًا وطاعة .

وما أن اختفى عن الأعين حتى انهمرت الدموع من عينى الفتى تغرق الأرض العطشى للدم . . يضرب بيديه الأرض يتمتم . . . ما على هذا تمت البيعة . . . لماذا أخرج؟ . . أين أذهب ؟ . . كل الدنيا سجن لنا . . فوزنا الوحيد الاستشهاد هنا . . لماذا لا نستشهد . . لماذا ندفن رأسنا فى الرمال . . نقبل الهوان . .

كان يدرك الفتى فى ذاته كل مبررات الخروج . . لكنها كانت فى نظره مبررات مادية واهية . . يردد . . يجب أن تظل هاماتنا عالية . . كالنجم . . يجب أن تبقى أرواحنا ذاتها تهتف للوطن وتحمل بشارة الحرية والخلاص . . . يجب أن نبيع الحياة ونشترى

الجنة. . نشترى فلسطين والأقصى. . ليأخذوا منا الدموع والدماء. . . المآقى والقلوب. . . يجب أن نستقبل شمس البطولة التى تأبى الغروب طالما دماؤنا مداد أشعتها الذهبية النضرة.

ورغم هذه المشاعر الفياضة لم يبد الفتى الطائع أى اعتراض. . ووجه رسائله الأخيرة إلى والده ووالدته راجيًا منهم المغفرة والمسامحة، وألا يحزنوا لفراقه وعليهم دومًا وفى كل سجود أن يدعوا له بالشهادة ولقاء الله تعالى، فهى أمله الوحيد، ويوصيهم بالصبر والثبات إن رزقه الله هذه الأمنية الغالية.

أرسل أهله له يذكرونه يا (أنور) ألم نقل لك يجب أن تبنى مستقبلك بعد انتهاء مرحلة الثانوية، لماذا تذهب إلى هذا الطريق الصعب الشاق ؟. . . تذكروا إجابته حين رددوا عليه هذه العبارة. . قال لهم بيقين الواثق: «إنى أعرف مستقبلى جيدًا».

ما هو المستقبل الذى تعد نفسك له ؟ سوف ترون قريبًا ما هو هذا المستقبل. . سوف تغارون منى، وأرجو أن تفعلوا ما أفعل وتسيروا على نفس المستقبل.

إذًا أيها الفتى تعرف إلى أين تتجه ؟ وما هى مشروعاتك المستقبلية. ، كان خيارك واحدًا وطريقك مستقيمًا. . سدد الله خطاك. امتطى الركب القسامى صهوة القلق وشد الرحال نحو الجنوب، حيث تقرر مغادرة أرض ذات الشوكة. . إلى أين ؟؟!!

إلى أين أيها الراحلون. . ؟ يردد أنور فى نفسه. . أى سماء سوف تظلكم. . وأى بلاد سوف تحتويكم. . ؟؟!! هل ستحفظكم على ظهرها أم فى باطنها ؟ أما فى مقابر الأحياء. . حيث لا حياة مع الحياة. . . لماذا تغامرون بمستقبلكم المشرق ؟. . لماذا تضحون بالشهادة بعد أن غدت قريبة تهيم الروح التواقة للخلود. . وما دريت أنها تسلك درب (طارق القسام). . الذى يمّم شطر الجنوب ولكن قبلة القلب كانت إلى الجنة والخلود. . . فكان له ما أراد. .

ها هو الركب يتقدم للخروج من أرض الرباط بعد أن تم إعداد العدة عبر نفق يربط بين جنوب فلسطين ومصر، وما كاد الركب يضع أقدامه الأولى فى طريق الخروج حتى انطلقت رصاصات كثيفة تمنع أصحاب القلوب المهاجرة إلى الله التى صدقت الله ما عاهدت عليه. . تمنعها الهجرة. . تصر على أن تبقى هذه القلوب المتيمة بالشهادة. . المتيمة بالأقصى ألا تغادر. . .

رائحة البارود تعبق المكان . . وعشرات منها تستقر فى جسد الفتى المجاهد، (أنور) يمتطى صهوة الخلود برصاصة تستقر فى رأسه تنقله إلى دار القرار، لقد رفض القرار فى ذاته، واختار الخيار الأوحد . . الشهادة . . طريق العائدين إلى درب المستحيل . . احتضن (أنور) الموت وصعد الشبل الباسم إلى عليين كما أراد . . كان يمضى قلبه راحلاً إلى الله . . وأراد الله ما أراد عبده فانتظرته الرصاصة على بوابة فلسطين.

تناسقت أرواح الراحلين . . وتمازجت . . تعانقت . . غطت أفق فلسطين الممتد كحدود الشهادة بلا نهاية . . تكاثفت الغيوم على ألحان أعذب سيمفونية يعزفها البشر على الأرض . . سيمفونية الشهادة والخلود . . . تقاطرت ماء السماء فى شهر مايو (فى مشهد نادر)، وانتشرت تروى الأرض الظمأى . . تقذف الرحمة فى قلوب أهل فلسطين، تحمل لهم البشارة . . اتقوا الله وجاهدوا فى سبيله تفتح عليكم بركات من السماء والأرض.

أى يوم هذا الثامن من مايو من العام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين، أى يوم تزف فيه كوكبة مطهرة وثلة كريمة من الشهداء إلى الحور العين فى عرس ملائكى عز نظيره . .

سرى الخبر كالنار فى الهشيم وانطلق الهتاف والتكبير والأغاريد تؤدى عرس الشهادة على الأرض . . والجمع المبارك تذكر بكل فخر واعتزاز الشبل الوسيم الوضاء . . أى يوم يرحل فيه أنور وحسين وحسن وعماد وبسام وخالد دفعة واحدة . . تذكر الجمع الإخلاص والتفانى حتى أحبه الله، فجعل محبته فى قلوب الناس . . .

وآل الفتى الباسم . . دعوا الله قبوله وأخايه الشيخ حسين شهيدين كما أوصاهم، وقد قذف الله فى قلوبهم الصبر، يذكرون الفتى الذى أصر على مواصلة الطريق رغم كل ما وجد من جهد ومشقة . . فقد كانت الجوارح تعبر عن حقيقة ما استقر فى هذا القلب الصغير من إيمان كبير بالله تبارك وتعالى وقداسة الطريق الذى سلك نحو جنة عرضها السموات والأرض، ودعوا الله أن يكون شفيعًا لهم يوم القيامة.

وفى ثالث أيام عرس الشهادة أقيم حفل عظيم وداعًا للشهيدين (أنور وحسين)، واحتشدت الألوف فى حفل الوداع تقدم التحية، للبطل المسافر سريعًا نحو الجنة بعد أن ركب المستحيل وامتشق العزيمة، فانتصر بهذا الفوز العظيم والاختيار الإلهى الكريم.

***

الشهيد/ حاتم يقين المحتسب

١٩٩٣/٥/١٩



نعرض شهادات حية لأسرى فلسطينيين يمضى بعضهم أكثر من مؤبد عسكرى فى سجون الاحتلال أغلبهم فى سجن نفحة الصحراوى الذى يفتقر إلى أدنى المقومات الإنسانية، وتتركز هذه الشهادات حول بطولات كتائب القسام والذين استحقوا وسام الشهادة لأجلها، وقد أطلقنا عليها اسم شهادات (حية)لأنها حدثت فعلا وأخذت مصداقيتها من المشاركة الفعلية مع هؤلاء الأبطال أو بالحديث مباشرة مع أهالى هؤلاء الأشاوس، وها نحن نتحدث عن شهادة جديدة حول بطل من أبطال القسام، وستشمل هذه الشهادة أبطالا من الضفة الغربية وقطاع غزة ممن توفرت حولهم هذه الشهادات.

إن سلعة الله غالية لا ينالها إلا من صدقت نيته وارتفعت همته واشتد عزمه. . إنها الجنة ؛ لأجلها بقر بطن حمزة، وأكلت كبده، وفى سبيلها قطعت يدا جعفر الطيار وسقط شهيدا بعد أن عقر حصانه، ولأجلها تفطرت أقدام العابدين وأظمأوا نهارهم وأسهروا ليلهم بعد ما عملوا ما أعد لهم من قصور وأنهار وجنان وحور عين، وفوق ذلك كله رؤية وجه الله رب العالمين، فهلم أخى فى الله يا من تتوق لنيل الجنان لتتعرف على شهيد جعل الجنة غايته ومنتهى أمله، نتعرف اليوم إلى الشهيد «حاتم يقين المحتسب» قائد المنطقة الجنوبية لخليل الرحمن، الداعية والقائد والمجاهد رحمه الله.
حيث يعتبر نموذجا فريدا وحالة نادرة قلما تجد مثله، فبالإضافة لبذله وتفانيه غير المتنهى لدعوته وإخوانه وتكريس وقته للدعوة فإنه يعتبر ويصدق مشروعًا جهاديًا سبق زمانه مستشرفًا مستقبل الدعوة وحتمية التوجيه للعمل الجهادى فى مواجهة المحتل، وقد كان متحرقا لتشكيل خلايا جهادية ضد المحتل وعملائه حتى قبل الانتفاضة بسنوات، ولعل فى نشأته قرب الحرم الإبراهيمى ورؤيته اعتداءات الصهاينة اليومية على الأهالى وتدنيسهم

للحرم ومصادرتهم البيوت وهدمها وسعيهم الدءوب لنشر الرذيلة وسط السكان المحيطين بالحرم، لعل كل هذه الأسباب كانت محفزا له للعمل الجهادى منذ بداية انتمائه للإخوان المسلمين أوائل الثمانينيات، فقد كان يركز على تربية الجيل الناشئ كعماد مستقبلى للعمل الجهادى ويزرع فى نفوسهم الغيرة على الإسلام والاعتزاز بتعاليمه وتاريخه من خلال ما كان يقصه عليهم من قصص أبطال وفرسان الإسلام، وكثيرا ما يدفع من جيبه لشراء كتيبات وقصص يعطيها للجيل الناشئ، لتشجيعهم على التوبة والالتحاق بالدعوة، وقد اهتم بتشكيل فرق رياضية عمل من خلالها على العناية بالخلق والقوة لأشبال المساجد من خلال الرحلات الجماعية والأسر المفتوحة والدروس والمواعظ فى كافة مساجد المنطقة خصوصًا طارق بن زياد وخالد بن الوليد وقيطون ومسجد عثمان بن عفان فى البلدة القديمة، وكان يشرف على بعض الأسر الإخوانية وتمتع بالحب والقبول بين أصدقائه وإخوانه وأهل المنطقة، فكانوا يطلقون عليه لقب «الشيخ»، وكثيرا ما عمل لحل مشاكلهم وإصلاح ذات البين بأسلوب يرضى جميع الأطراف ولو كلفه ذلك الإنفاق من ماله الخاص، وكان يدعو دائمًا للأهل بتكوين المؤمن القوى، وقد تدرب هو شخصيًا على فن الكاراتيه وحاز الحزام الأسود وفاز فى انتخابات نادى طارق بن زياد بحصوله على أعلى الأصوات، كان «ابو الحسن» رحمه الله معطاءً مقداماً لا يخشى فى الله لومة لائم، حمل الدعوة فى قلبه وجاب بها الآفاق وكانت له لمسات خاصة فى عمله ونشاطه الدعوى فى حياته الخاصة، فقد كان الأصغر بين إخوته وأخواته، وقد نشأ يتيما وتربى برعاية والدته التى أحبته وتعلقت به أكثر من سائر إخوته الآخرين، وارتبط منذ الصغر بالمسجد الإبراهيمى وتلقى دراسته فى مدرسة طارق بن زياد وتعلم مهنة دباغة الجلود، وكان يحرص على أخذ المقاولات فى الدباغة خشية أن يضطر إلى الارتباط بالمحل فيقيد نشاطه الدعوى. عرف عنه عشقه للشهادة التى ملكت عليه حياته ولطالما اجتهدت الوالدة والإخوة لتزويجه، فيرد عليهن بعد أن يشتروا له مستلزمات الزواج: «إن الحور العين لا تحتاج كل هذه المتاعب والمشتريات وما على الإنسان الراغب للحور العين سوى الموت مخلصًا لله وفى سبيل دعوته». ومع اندلاع الانتفاضة كان حاتم من أوائل المنتفضين، يقود المواجهات والفعاليات التى تمتد فى جميع أنحاء وأحياء المدينة. وكان همه الأكبر العمل وتوسيع ميادين المواجهة، مما دفع الصهاينة لاعتقاله أواخر الثمانينيات.. فكان قلبه يتفطر حزنًا بسبب غيابه عن الساحة

الجهادية وينتظر عودته لميدان الجهاد لحظة بلحظة، كما كان يردد فى رسائله لإخوانه خارج السجن.

وفى المدرسة اليوسفية تعرض أبو الحسن لأشد الابتلاءات ليحيد عن دعوته ويتخلى عن فكرته حيث كانت (فتح) تعتدى على الشباب المسلم بالضرب والتشويه والسخرية وتطلق عليهم صفة (المتفلشين) والخارجين عن الصف الوطنى، وتمنع الدرس الجماعى أيام الخميس والاثنين، وتحظر جلسات التلاوة، بل وصل الأمر إلى منع التفاعل والاحتكاك مع أى قادم جديد حتى لو كان من أبناء الحركة الإسلامية، وقد تعرض (أبو الحسن) إلى الكثير من الاعتداءات وتركزت حوله المؤامرات نظرا لصلابته وشخصيته القيادية لدرجة أنهم سكبوا إناءً مغليًا مليئًا بالشوربة على قدميه فى معتقل النقب، مما تسبب فى حرق الجزء الأسفل من قدميه وظل يعانى آثارها حتى لحظة استشهاده، وستبقى أيام وذكريات (مجدو الأسود) صفحات سوداء فى تاريخ جلاديها وصفحات مشرقة للشباب المسلم الذى صبر وقاوم ظلم ذوى القربى، عداك عن ظلم جلاديها الصهاينة المحترفين. . وهكذا خرج حاتم بعد عامين من سجنه أشد مضاءً وصلابة وعزمًا من ذى قبل، فى فترة كان العمل العسكرى فى مدينة الخليل يشهد مرحلة المخاض التى سبقت ميلاد «كتائب القسام» المظفرة كجناح عسكرى (لحماس) وتوالت عليه الضغوط من أهله لكى يتزوج، فكان يشغلهم بالبحث عن العروس دون أن تكون لديه نية فى الزواج خوفًا على زوجته فى حال سجنه أو استشهاده، علما أنه قد عاهد الله أن لا يعود للسجن أو يسلم نفسه مهما كانت الظروف، وتوجه إليه الإخوة ليتسلم قيادة الإخوان فى المنطقة الجنوبية أو قيادة (حماس) فرفض ذلك قائلا: « إذا لم تعطونى اتصالا بالجهاز العسكرى فسأشترى بندقية من مالى الخاص وأعمل منفردا» وفعلا التحق فى الجهاز العسكرى مع بدايات تكوينه ووصول عماد عقل ومن بعده محمد دخان إلى الخليل، وكان حاتم يصر على البدء بالعملاء أولا لشدة إفسادهم وتبجحهم بين السكان، ومن أجل التمويه وافق على خطبة فتاة، قال لها فى أول لقاء «إننى معرض للسجن أو الشهادة فى أية لحظة» واشترى غرفة نوم ليطمئن قلب والدته، ولم تمض شهور معدودة حتى تعرضت المجموعة للاعتقال، وعلم باعتراف بعض الإخوة عليه، فغادر البيت وبدأ رحلة المطاردة مع أخيه الشهيد « يعقوب مطاوع» وهرب من على أسطح بيوت البلدة القديمة وأثناء مطاردة جيش الاحتلال ركب سيارة وتعرضت

لإطلاق نار مكثف ونجا من رصاصهم بأعجوبة، وبعد عدة شهور تعرض لصدمة قاسية باستشهاد والدته جراء ضربها بأعقاب البنادق أثناء مداهمة ليلية للمنزل، فاحتسب ذلك كله عند الله معاهداً على الثأر من الصهاينة الأنجاس، وقد كانت مطاردته تسبب رعبًا فى أوساط المستوطنين والجيش، فكان يتعرض أقاربه للاعتداءات المتكررة والضغوط المتواصلة والاستدعاء للقاء المخابرات، فتصدمهم شدة محبة الناس لحاتم واستعدادهم لمساعدته فى كل شيء وافتخارهم بمعرفته وصداقته، ومن فى الخليل لا يعرف ولا يحب الشهيد والقائد أبو الحسن !! فقد كان يحرص على صلة الرحم مع إخوانه وأقاربه ويشرف على توزيع الأضاحى وأموال الزكاة على المحتاجين، ويملك قلوب الناس بتواضعه وابتسامته وبساطة كلماته ويحوز احترامهم بشخصيته القيادية التى امتاز بها منذ طفولته، وثقافته الواسعة التى فاقت بعض الجامعيين، ولم يخص نفسه بطعام أو شراب، ولديه مكتبة كبيرة للقراءة الذاتية فى منزله. ويروى أحد إخوانه أنه سأل حاتمًا يومًا: هل يمكن أن تعترف لدى المخابرات ؟ قال: لو غرزوا فى جسمى الإبر ما اعترفت، فنحن أصحاب عقيدة وأجدر بالصمود من فتح والشعبية).

وقد روى أحد أقاربه قصصًا رائعة عن الشهيد حاتم وقال بأن الشهيد كان يتخطى نقاط الجيش الصهيونى بطرق مختلفة، وكان قلبه معلق بالحرم الإبراهيمى الشريف وكان يصر أن يؤدى الصلاة فيه باستمرار متحديًا الثكنات العسكرية التى كانت موجودة على مدخله كى يتمكن من الصلاة فى الحرم الإبراهيمى الشريف، وفى إحدى المرات قام بحلاقة شعره نهائيًا وتخفى فى زى لم أشاهده عليه من قبل ثم وقف على باب الحرم الإبراهيمى فقام الجنود بالنظر إليه بسخرية . . ودخل إلى الحرم ثم أسند ظهره إلى جدار الحرم وكان يرفع يديه للسماء بالدعاء، ويقول قريبه: عندما شاهدت وجهه كان يشع بنور ربانى لم أشاهده من قبل وكان فى عينيه بريق ولمعان قوى كأنه حصل على أمنية كان يتمناها منذ زمن . . ومن تلك اللحظة عرفت أنه شهيد.

وفى موقف آخر يضيف نفس المواطن أن حاتمًا أرعب جنود الاحتلال وقادتهم حيًا وميتًا، فبعد استشهاده فى منطقة الحاووز الثانى جنوب الخليل تلقينا مكالمة هاتفية من أحد القادة الصهاينة وأخبرنا بأنه تم قتل مطلوبين ويجب أن نذهب للتعرف على جثتيهما وقال بأنه قتل حاتمًا، ويقول قريبه إننا توجهنا إلى مبنى العمارة الذى كان تحت السيادة

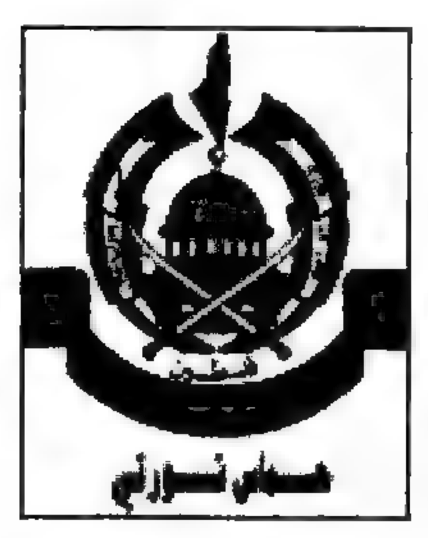
الصهيونية وأدخلونا إلى غرفة وضعت فيها جثتا الشهيدين يعقوب مطاوع وحاتم المحتسب، ويقول قريبه إننى: تعرفت إلى حاتم لحظة رفع الغطاء عن وجهه ولكن أحببت أن أتأكد بأن جثته لم يمثل بها فقلت للقائد الصهيونى لست متأكدا من الجثة ولكن يوجد علامة على جسده أريد أن أتأكد منها، ويقول فى تلك اللحظة: اعتلى الشحوب وجه القائد الصهيونى وقال لى بعصبية بالغة: ماذا تقول ليس هذا حاتم، فقلت: دعنى أتأكد، فسمح لى بأن أتفقد جسده، فقلت: حينها للقائد الصهيونى: هذا هو أخى حاتم فأجاب الضابط الصهيونى وكيف عرفت؟! فقلت: لقد رأيت ظهره خاليا من الرصاص وقد تلقى الرصاص فى صدره، نعم هذا هو حاتم الذى رفض أن يوليكم ظهره ويفر هاربًا، نعم هذا هو حاتم الذى أعرفه.. ووالله لقد شاهدت يديه مكبلتين بقضبان حديدية من النوع الغليظ وكأنهم يخشون فراره... وقد كان استشهاده بتاريخ (١٩/ ٥/ ٩٣) فى واقعة بطولية شهد عليها العدو والصديق، حيث حوصر الشهيدان حاتم ويعقوب بمئات الجنود.. فرفضوا تسليم نفسيهما وقاتلا حتى الشهادة. ومثل استشهاده القدوة للمطاردين من بعد، حيث استشهد أكثر من خمسة عشر مطاردًا قساميًا فى المدينة دون أن يقبل أى منهم بتسليم نفسه، ولو فعلها حاتم فمن كان يدرى كيف كان حال من سيأتى بعده، وقد استقبل نبأ استشهاده بفرح كبير لدى المستوطنين الذين هاجموا منزله بالحى مرددين: (محتسب مات) وما دروا أن استشهاده فيه الحياة والنماء والبعث لدعوته، وقد أعلنت المدينة الحداد ثلاثة أيام متواصلة، وكان الناس يقولون: لو طلب منا الحداد أسبوعًا كاملا لأغلقنا المحلات لأجل حاتم. وقد استقبل جسده الطاهر بالزغاريد كما أوصى وقال أحد ضباط المخابرات: «لقد قتلنا رجلا لو وزع عقله على الخليل لكفاها».

هذا هو حاتم الذى عرفناه وأحببناه وحزنا لفراقه، لا يقل عن سعادتنا باستشهاده رحم الله أبا الحسن. وجمعنا وإياه فى جنان الخلد عند مليك مقتدر.

***

الشهيد / محمد إسماعيل عبد القادر صيام (أبو إسماعيل)

١٩٩٣/٥/٢٩



«وقف الجمع يؤدى التحية العسكرية للشاب المجاهد الذى رحل على عجل بعد أن خط بجهاده قصة عطاء منقطع النظير، وبعد أن سطر بدمه ملحمة بطولية رائعة رسم خلالها قصة الصراع القادم، وجسد فيها نماذج الفدائية الأولى لتحكى الأجيال من بعده قصة فداء وتضحية تجاوزت حدود الزمن وتسامت فوق الأهواء وارتفعت الروح إلى عليين تزفها الملائكة وتستقبلها الحور العين فى يوم كريم».

كان الحجيج يكبرون ويهللون فى كل صعيد عند بيت الله الحرام ألحان الطاعة تنبعث من الأفئدة والقلوب. ومع هذه القلوب كانت السواعد الفتية المجاهدة تلهج بالطاعة والدعاء لله تبارك وتعالى على طريقتها الخاصة، حيث انطلق ستة من مجاهدى القسام (عماد عقل - إبراهيم عاشور - محمد صيام - عبد الرحمن حمدان - محمد الضيف - رائد الحلاق)، واستقل الجمع سيارتى (بيجو ٥٠٤) وكان اللقاء عند البيارة فى منطقة التوام بمدينة غزة، وبدأ المجاهدون بالنشيد «عند البيارة يللا نتجمع بعد ننزل على الغارة والمصحف نور الثورة».

وبجوار البيارة نصب المجاهدون الكمين المحكم لدورية عسكرية حيث احتل (محمد صيام ومحمد الضيف) الطرف الجنوبى للبيارة، وما أن ظهر الصيد الثمين حتى انهمرت الرصاصات من كل مكان حتى توقف عن الحركة تمامًا، وعلى عجل غادر المجاهدون الموقع بعد أن تركوا صورة للشهيد (حسين أبو اللبن) مكتوب عليها « هذه العملية من كتائب القسام انتقامًا لاستشهاد (حسين أبو اللبن) وإخوانه ».

وصلت السيارة التى تقل (محمد صيام وإبراهيم عاشور ورائد الحلاق) إلى موقع المبيت وهم يتمازحون حول العملية ومتعة الجهاد.. وتناولوا طعام العشاء، ثم خرجوا

إلى البيارة المجاورة يتسامرون فيها، ومكثوا هناك حتى الفجر حيث انصرفوا للنوم فى انتظار اليوم التالى (وقفة عرفة)، فقرروا الصيام تكفيراً عن ذنوبهم، وردد (إبراهيم ومحمد) فى وقفة عرفة نصوم، وما أروع أن ينال الواحد الشهادة فيه وهو صائم. . فقال (رائد) أنا أريد أن أستشهد ليلة القدر، فقال (إبراهيم) حسنًا. . سلم لى على (محمد دخان) كثير السلام، وكان (محمد) فى المعتقل.

وفى مساء هذا اليوم التاسع والعشرين من مايو من العام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين قدم (صاحب المنزل) وأخبر المجاهدين أن الجيش الإسرائيلى قد اعتلى سطح العمارة المجاورة، قرروا الخروج. . ولكنه طمأنهم أنه إجراء روتينى بمناسبة وقفة عرفة وعيد الأضحى المبارك.

وفى الساعة الرابعة فجر يوم عرفة أيقظ (إبراهيم) إخوانه لوجود طائرة مروحية عسكرية، وأن هناك حصاراً حول البيت، استيقظ (محمد صيام) واثقًا بالله تبارك وتعالى وقال لأخيه (رائد الحلاق) المجاور له. . لا تخف.

وقال (إبراهيم) لأهل البيت «لا تخافوا نحن خارجون»، وصعد أهل البيت السطح ليروا أين يتواجد الجنود. . فعادوا بالخبر اليقين «أنهم يحاصرون كل النواحى». . خرج المجاهدون وحاولوا اختراق الحصار من كل مكان.

وقد اصطدم «إبراهيم» مع الجنود فأطلق النار باتجاههم. . وكانت بداية المعركة وتمتم. . «لا مفر. . سنقاتل حتى الشهادة. . ومن يستشهد منا يشفع لإخوانه. . فما أجملها من موتة. . اليوم عرفة ونحن صائمون، عما قريب سنلقى الله ونرتاح فى الجنة».

وتمركز المجاهدون. . واحتل (محمد) مكانًا لا ساتر فيه. . نادى عليه (رائد) فهتف قائلاً: «لا تخف لن يصيبنى إلا ما كتب الله لى». لم يكن المجاهدون يملكون ذخيرة كافية لذلك كان إطلاق النار بحساب شديد، وفى حوالى الثامنة صباحًا استقرت رصاصات فى جسد إبراهيم ليسقط مدرجًا بدمائه.

وبقى (محمد ورائد) يقذفان النيران باتجاه الجنود، وتقدم (محمد) نحو جسد (إبراهيم) محاولاً جلب سلاحه للاستعانة به، فانطلقت نحوه رصاصات سقط إثرها

الجسد الطاهر النقى مدرجًا بدمه الزكى . . . وتصعد روحه إلى بارئها بعد أن سطرت ملاحم الفداء والجهاد فى كل المواقع. وقد استمرت (معركة اليرموك) حتى الثانية والنصف ظهرًا اعتقل فى نهايتها المجاهد (رائد الحلاق)، وفى اليوم التالى للمعركة حضر إلى أرضها قائد كبير فى الجيش الإسرائيلى أطلعه القائد الميدانى على التفاصيل قائلاً: لقد أطلقنا ما يقرب ٢ مليون رصاصة، و٢٠٠ صاروخ، و٣٠ قنبلة على المطلوبين، فقال القائد: إن تكرر الحدث كرروا الرد نفسه، وقد أوقع ذلك دمارًا هائلاً فى منطقة المعركة غدت على إثره مزارًا لسكان غزة وقطاعها شاهدوا بعيونهم الطغيان والظلم والجبروت، فالقصف لم يترك شيئًا حتى دواجن مزرعة مجاورة نالتها القذائف.

ونال إثرها (محمد) ما تمنى، فقد سلك طريقًا كان يقرأ نهايته منذ اللحظة الأولى للانطلاق، فقد كان حريصًا على الشهادة ودائمًا يردد فضل الشهيد وجزاءه عند ربه وأن الشهيد لا يشعر بألم القتل إلا كمثل القرصة، وأنه يتمنى أن يلقى الله تبارك وتعالى شهيدًا فى سبيله، فكان دائم الصمت يرحل بعيدًا إلى النهاية، وقد خطط كى يكون هذا الرحيل ميمونًا مباركًا، فقرر تنفيذ عملية استشهادية داخل الخط الأخضر، ولكن شاءت إرادة الله (لمحمد) هذه الكرامة العظيمة فى شهادة عزيزة فى يوم من أعظم أيام الله تبارك وتعالى.

وما إن تنامى خبر استشهاد (محمد) لأهله وأحبائه حتى حمدوا الله تبارك وتعالى: فطالما ابتهلوا إليه عز وجل ألا يسقط (محمد) أسيرًا فى أيدى الاحتلال وأن تقر عينهم باستشهاده، وردوا على الضابط العسكرى الذى نقل إليهم جثمان الشهيد لدفنه قائلين «لقد تشرفنا بشهادة محمد».

وتذكروا جميعًا محمد؛ الصفحة البيضاء النقية، وما طلب شيئًا فى حياته عدا الشهادة، تذكروا الفتى الخلوق الذكى الذى حاز خصال الخير ورفض جيرانه رفع حجر كبير فى الحى كان محمد يجلس عليه باستمرار وقالوا «سيبقى هذا الحجر يذكرنا بمحمد ولن نرفعه أبدًا».

كان كل شىء يرسم صورة (لمحمد) فى قلوب كل من عرفه منذ اليوم الأول لميلاده الميمون فى السادس عشر من أبريل من العام ألف وتسعمائة وثلاث وسبعين فى مخيم

(خانيونس) للاجئين بعد أن رحل والده إسماعيل عبد القادر صيام مع المهاجرين من قرية الجورة (عسقلان).

وفى كنف والديه وفى ظلال (مسجد الشافعى) بخانيونس تفتقت قريحة (محمد) وغدا عنوانًا للذكاء الخارق والنجابة مما أكسبه حبًا أكبر من إخوانه ومن مدرسيه فى كافة مراحل دراسته، وقد أقسم أحد المدرسين أنه ما رأى فى حياته طالبًا أذكى منه ولا أكثر أدبًا وأنه يحبه مثل ولده تمامًا. وفى أحد الأيام طلب منه مدرسه أن يساعده فى تصحيح أوراق امتحان، فغاب عن المنزل وتأخر حتى حل الظلام قدم المدرس معه ليعتذر عن تأخر (محمد) عن منزله.

أضفى على هذا الذكاء جاذبية خاصة.. الحياء الملازم للفتى الذكى، إضافة إلى هدوئه الدائم واتزانه المنقطع النظير، وكم اختلى (محمد) بذاته مستغرقًا فى التفكير والإبداع فى شتى المجالات، وفى أثناء عمله العسكرى كان يبتكر مركبات كيميائية عسكرية، وقد أعد ذات يوم كمية كبيرة من الذخيرة خلطها ووجهها نحو معسكر الجيش وأشعل فيها النار مما جعل الرصاصات تنطلق نحو الجيش ومعسكره لمدة (٢٠ دقيقة)، وقد رد الجيش بإطلاق النار على الرصاص الموجه بشكل علمى، كما كان أول من فكر بإعداد السيارات المفخخة وقدم لمسئوله فى جهاز الأمن مقترحًا كاملاً بإعداد السيارات المفخخة وطرق تفجيرها مما حدا بقوات الاحتلال البحث عنه بكل قوة فترة مطاردته.

هذا عدا عن موهبته العالية فى الخط العربى الجميل، وكم برزت هذه الموهبة واضحة جلية على جدران (مخيم خانيونس) من خلال شعارات الانتفاضة وحماس الممهرة بخاتم الأصابع الذهبية (لمحمد).

كان فنانًا متعدد المواهب مما جعله قبلة لكل أقرانه، فحيثما اتجهت وجدت (محمد) قبالتك عاملاً مجتهدًا لدين الله تبارك وتعالى، فهو محافظ منقطع النظير على عباداته خاصة صلاة الفجر - ما انقطع عنها - وملتزمٌ بأخلاق الإسلام وجلسات تعلُّمه المتعددة.

لم ينقطع يومًا عن مجلس علم؛ تراه ينهل بكل قوة حتى فاق أقرانه بل تجاوز أجيالاً سبقته، وكان هذا العلم دافعًا أكيدًا، (إضافة إلى غيرته الشديدة على إسلامه) كى ينطلق (محمد) فى ميدان الدعوة لدين الله تبارك وتعالى، فكنت تراه يقضى ساعات

طويلة فى إقناع أحد الضالين وتقديم النصح له لإعادته لحظيرة الإسلام. وفى الرياضة كنت تراه بارزًا فى لعبة كرة القدم فكان رياضيًا موهوبًا، هذا عدا عن مواهبه الأمنية، وكان أبرز ما يميزه السرية والكتمان. كانت هذه المواهب الجمة الدافع الأكيد كى يلتحق (محمد) مبكرًا بصفوف حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ليرسم بخطه الجميل وعلبة طلائه فى كل المواقع اسم (حماس) الذى عشقه منذ نعومة أظفاره.

وكان العناد صفة أساسية (لمحمد) فى مواجهته ليهود، فكان مواجهًا صلبًا عنيدًا رغم هدوئه الشديد واتزانه الكامل. وفى أحد أيام حظر التجول فى مخيم (خانيونس) كان يقبع (محمد) فوق سطح منزله حينما شاهدته دورية راجلة صعدت نحوه مصرين على إنزاله واعتقاله وهو يرفض بكل شدة ويقاوم، واستمر ذلك فترة من الزمن حتى أنزلوه من علٍ بكل قوة، وألقوه من السطح إلى الأرض، قضى أثرها ليلة واحدة فى مركز خانيونس تعرض فيها للضرب المبرح.. ولكنه عاد بنفسية صلبة متينة تهزأ بالجمع المحيط به.

وقد دفعته غيرته إلى مساعدة والده لمواجهة شئون الحياة العصيبة ونفقاتها إلى بيع الفلافل فى كشك مجاور لمنزلهم، وذات يوم بينما هو يؤدى عمله اندفعت مجموعة من الجنود داخل الكشك محاولة اعتقاله لكنه أمسك بكل عناد بعمود مجاور ولم تفلح كل محاولاتهم فى اقتياده على الرغم من تهديده بوضع المسدس فى رأسه، فتركوه راغمين بعد أن أخذوا بطاقته الشخصية.

كل ذلك كان دافعًا لأن يتولى محمد مواقع هامة فى العمل الحركى ونتيجة تميزه بقوة التحليل والتفكير العميق والكتمان الأكيد، فقد وقع عليه الاختيار ليكون مسئول الأمن فى مسجد الشافعى، ثم مسئول لجهاز الأمن (مجد) فى منطقة خانيونس.

وقد بادر فى مهمته هذه لأول مرة وبشكل اجتهادى فى جمع معلومات كاملة عن المستوطنات، فكان يرقبها الساعات الطوال لمعرفة كافة التحركات والتفاصيل عن هذه المستوطنات باعتبارها هدفًا مركزيًا للسواعد المجاهدة، وربما من خلال معلوماته الجمة عن تلك المواقع حدثت الكثير من العمليات العسكرية التى نفذها مجاهدو القسام فى قلب تجمع مستوطنات (غوش قطيف).

وعلى إثر استشهاد القائد (ياسر النمروطى) الذى كان يمثل (لمحمد) نموذج التضحية والفداء الأول، فهو معلمه وأستاذه فى مسجد الشافعى، تقدم (محمد) مع مجموعة من (كتائب القسام) ناحية إحدى المستوطنات وهاجمها بالأسلحة النارية ثأرًا لدماء الشهيد الغالى (أبى معاذ).

ولم يكن هذا النشاط والعزم الحركى بديلاً عن العمل الدعوى، فقد التحق محمد بركب جماعة (الإخوان المسلمين) ومارس من خلالها كافة الأنشطة الإسلامية.

ولما وقع القصف فى (حى الأمل) وتم اعتقال عدد من المجاهدين جاء الاعتراف أن (محمد صيام) هو مسئول الجهاز الأمنى فى منطقة خانيونس إضافة إلى تقديمه مقترحات عملية لفكرة السيارات المفخخة. ومن لحظتها غادر (محمد) البيت ولم يره أحد مطلقًا حتى سمعوا بنبأ استشهاده، فقد كان يحمل العتاد والعزم الكافى ليسد كل أبواب العاطفة ويدخل نحو هدفه بكل مضاء وكبرياء، وبعد تأكد نبأ استشهاده توافدت الحشود مهنأة بالشهيد الغالى، وأقيم سرادق عظيم.

وفى اليوم التالى لشهادته رأته أمه فى المنام فى الجنة وسط الحور العين ويسلم على بعض الشباب من إخوانه الذين ذكرتهم.

وفى أيام العزاء الثلاث داومت حمامتان بيضاوان على الوقوف على صورة الشهيد بشكل يومى، وفى زمن محدد، وقد لفتت هذه الظاهرة أنظار الجميع الذين وقفوا مندهشين لهذه الكرامة الغالية (لمحمد) ذلك الفتى الوديع الخلوق الألمعى، ما توقع أحد أن يكون ضمن صفوف العمل العسكرى وجنود الخندق الأمامى للمواجهة.

فوقفوا جميعًا يؤدون التحية العسكرية لهذا الشاب المجاهد الذى رحل على عجل إلى لقاء الله تبارك وتعالى. . . رحل بعد أن خط بجهده قصة عطاء منقطع النظير فى شتى مجالات العمل الإسلامى، وبعد أن سطر بدمه ملحمة بطولية رائعة ترسم خلالها قصة الصراع القادم وجسد فيها نماذج الفدائية الأولى لتحكى الأجيال من بعده قصة فداء وتضحية تجاوزت حدود الزمن وتسامت فوق الأهواء وارتفعت الروح إلى عليين تزفها الملائكة وتستقبلها الحور العين فى يوم كريم فى لحظة طاعة كاملة لله رب العالمين.

رحم الله شهيدنا وأسكنه الفردس الأعلى. .

الشهيد/ إبراهيم يونس عاشور

١٩٩٣/٥/٣٠



«هكذا كان قدر إبراهيم من البداية، فهو فى انتظار لاعتلاء مركب الشهادة من لحظة الولادة، ليضاعف اسم (إبراهيم عاشور) فى قائمة الخلود ولوحة الشرف التى تحمل فنون العطاء ونسائم الاستشهاد المعبقة بريح المسك والعنبر، ومكث إبراهيم أربعة وعشرين عامًا فى انتظار لحظة الخلود كان خلالها خير من حمل الأمانة، فأودع فيها كل خلجات فؤاده ونبضات قلبه التى تؤذن كل يوم للرحيل على درب التواصل الدامى من أجل فجر مشرق رغيد لأمةٍ طال عليها الهوان».

فى قلعة الجنوب الباسل (رفح) وفى مخيم لاجئيها (يبنا) حيث أشرقت شمس النصف من شهر ديسمبر من العام ألف وتسعمائة وتسعة وستين، وكان يونس عاشور على موعد مع مولوده الجديد، وما كاد الوليد يرى النور ليغمر قلب الوالد بهجة غريبة لا نظير لها، كان يرى فى مولوده الجديد الامتداد الطبيعى لجيل العطاء الأول، فأسماه (إبراهيم) نسبة إلى (إبراهيم عاشور) أحد مفاخر العائلة الذى كان عضواً فى (جماعة الإخوان المسلمين) فى أواخر الستينيات، والذى حاول رسم خارطة الوطن الإسلامى فى مرحلة التهاوى الكبير، فجمع السلاح لمواجهة الاحتلال اليهودى واعتقل ورحل إلى الحدود الشرقية للوطن الموجوع، والتحق هناك بقواعد الشيوخ، ثم أعد العدة لتنفيذ عملية عسكرية استشهادية وعلى حدود الوطن المحاصر بين غربة الوجع ومتاهات المستقبل وتخلى القريب والبعيد، سقط إبراهيم مدرجًا بدمه فى غور الأردن كى تبقى البوابة الشرقية مفتوحة على مصراعيها.

واليوم يأتى إبراهيم الوليد ليمضى على أثر قطرات الدم المهدورة على حدود الوطن المسلوب، ولا يخفى (يونس) رغبته فى هذا العطاء الجهادى فيقول: أتمنى أن يكون إبراهيم (المولود) مجاهداً مثل إبراهيم الكبير ويستشهد مثله.

. . . هكذا كان قدر (إبراهيم) من البداية، فهو على انتظار لاعتلاء مركب الشهادة من لحظة الميلاد ليضاف اسم إبراهيم عاشور فى قائمة الخلود ولوحة الشرف التى تحمل فنون العطاء ونسائم الاستشهاد المعبقة بريح المسك والعنبر.

ومكث إبراهيم أربعة وعشرين عامًا فى انتظار لحظة الخلود.. كان خلالها خير من حمل الأمانة، فأودع فيها كل خلجات فؤاده ونبضات قلبه التى تؤذّن كل يوم للرحيل على درب العطاء الدامى من أجل فجر مشرق رغيد لأمة طال عليها الهوان ومشى عليها ذل القيد وغدت ملكًا مشاعًا وحرمةً مستباحة... لولا الرهط الفدائى الكريم المتواصل من إبراهيم الكبير وحتى (إبراهيم) الوليد، وعلى مدار ذاك الزمن لازالت زلازل غور الأردن تلهج بالتكبير، ورفح الباسلة أخرجت أشتالها بوارق نصر تملأ الآفاق وترسم ملامح البواسل بين شقوق الغمام... إنهم قادمون يكبرون، فسلسلة الجهاد لن تتوقف لأنها قدر الله الذى لا يفنيه كيد عصابة حمقى من الصبيان. وفى هذا العمر الممتد الذى يعود إلى الجذور الأولى كتب (أبو البراء) ملاحم حياته ونقش اسمه على كل جدار.

فكان (مسجد الهدى) القابع فى مخيم (يبنا) للاجئين فى رفح الملاذ الأول (لإبراهيم)، فمنذ نعومة أظفاره التجأ إلى هذا الركن الحصين، يصلى بين جنباته ويرتشف من معينه رحيق الإسلام المختوم لينشأ الفتى صافيًا نقيًا، وخلال سنواته تلك أنهى (إبراهيم) دراسته الابتدائية والإعدادية والثانوية، وكان (أبو البراء) فى كل هذه المراحل مميزًا بطبعه الهادئ ومحبته لإخوانه وغيرته الشديدة على الإسلام والمسلمين لا يقبل أن يداس لهم طرف أو ينقص لهم حق، ورغم ذلك فقد كان مرحًا ذا مشاعر دفاقة وأحاسيس جياشة، لذا تراه يمسك قلمه ويكتب القصص القصيرة وبعض الأشعار والأدبيات، وقد نشط فى العمل المسرحى، فكان ممثلاً فى فرقة المجمع الإسلامى للفن وكان رياضيًا وثابًا يحسده الآخرون على همته العالية وحيويته الدائمة، فمارس لعبة كرة القدم.

وعلى منهج اللاجئين يرون العلم وسيلة الإصلاح ومركب العودة إلى (يبنا) مدينة الميلاد الأول ومحط خيام الآمال فى لقاء أكيد مهما تباعدت مسافات الاغتراب، فامتداد الأجيال معقد هذه الآمال. ورغم ضيق ذات اليد إلا أن مسيرة العلم مطلب ضرورى لمثل أولئك الطامحين إلى العلا المترنمين بلحن العودة. فالتحق (أبو البراء) ليدرس الصحافة والإعلام فى كلية المجتمع العصرية برام الله، حيث كان لوجود

إبراهيم هناك أثر كبير فى نشأة الكتلة الإسلامية والتى فازت بانتخابات مجلس الطلاب لأول مرة فى عهده وكان (أمين اللجنة الثقافية).

وقد التحق (إبراهيم) كذلك للدراسة فى معهد الأزهر الدينى بغزة حيث حصل على دبلوم لغة عربية. ورغم كل هذا النشاط الدائب لم يكن إبراهيم ليوقف نبض حياته المغموس بلحن الجهاد والراقص على أنغام رصاصات العز والفخار التى ستوقظ أمة من سبات وتحيى شعبًا من رقاد.

فتراه من أوائل الملتحقين بركب حركة المقاومة الإسلامية (حماس) يحمل روحه على كفه يطوف أزقة وشوارع رفح الباسلة ينتظر قدره الموعود، ونشط فى نقش شعارات الانتفاضة على الجدران، ونظرًا لتميزه بالجرأة اللامحدودة وإلحاحه المستمر للعمل ضمن مجموعات العمل العسكرى، فنشط فى عمليات الردع للمشتبه بهم فى رفح، وحين وجه الشاباك ضربته المشهورة فى العام ١٩٨٩ لحركة حماس كان (إبراهيم) من أولئك الذين طالتهم أيدى المخابرات الإسرائيلية ليقضى محكوميته البالغة عامًا ونصف العام بتهمة الانضمام إلى مجموعة تابعة لحركة حماس.

ولم يكن أبو البراء ليوقف هذا الزحف من النشاط والعمل الخالص لله تبارك وتعالى حيث شارك بفعالية فى العمل التنظيمى فى معتقل النقب الصحراوى وكان مسئول الأرشيف الأمنى لحماس فى النقب.

وإثر خروجه من السجن كان (أبو البراء) أكثر تصميمًا من ذى قبل لمواصلة طريق الجهاد حتى النصر أو الاستشهاد. . وكان يرى أن خط المقاومة هو الطريق الوحيد للعزة والكرامة، وصبر فى البحث عن ضالته كى يعمل ضمن (كتائب الشهيد عز الدين القسام)، وبدأ يبحث فى رام الله ونابلس عن ضالته المنشودة، ورفض كل العروض للعمل كمسئول اجتماعى أو دعوى، لأنه كان يلمح بعين البصيرة أقرب الطرق الموصلة إلى جنان الفردوس الأعلى فيسعى لها بكل عزم وقوة.

فكان له ما أراد. . والتحق بكتائب القسام فى العام ١٩٩١م، وحاول جاهدًا نقل العمل من الإطار الأمنى إلى الإطار العسكرى، ورغم ضآلة الإمكانات المتاحة للمجاهدين إلا أن (أبا البراء) كان يملك مع إخوانه العزم الكافى لبدء مشوار جهادى طويل، وعندما كثرت الإشاعات والأقاويل فى رفح حول رؤية (أبو البراء) يحمل

سلاحًا وملثمًا قرر الإقلال من حركته وظهوره فى المجتمع، حتى جاء عليه اعتراف من أحد إخوانه فى السجن بحقيقة عمله ضمن صفوف (القسام)، ولما قدم الجيش الإسرائيلى لاعتقاله لم يسلم نفسه.. وبدأ من لحظتها مرحلة جديدة فى حياته، (مرحلة المطاردة) بكل ما تحمل من عزم ورجولة وفدائية وتحد... ليتولى أبو البراء مسئولية الجهاز العسكرى فى المنطقة الجنوبية، ويبدأ نشاطه الجهادى فى هذه المرحلة فى مدينتى رفح وخانيونس، لينفذ عملية المطافئ فى رفح، حيث قام (أبو البراء) بإطلاق النار باتجاه دورية عسكرية فى مدينة رفح الساعة التاسعة مساءً وذلك فى شهر يناير من العام ١٩٩٣م، وفى ظل منع التجول الليلى الشامل، كما شارك فى مجموعة عمليات مع إخوانه المجاهدين فى منطقة خانيونس الفداء..

وفى غزة والشمال شارك بمجموعة عمليات فعّالة مع الشهيد الفذ (عماد عقل)، وكان أشهرها إطلاق النار من مقبرة جباليا باتجاه دورية عسكرية، وقتل جندى وإصابة آخر، وذلك فى ليلة القدر من شهر رمضان عام ١٩٩٣م.

وكان (أبو البراء) فى كل مراحل عمله زاهدًا يرغب فى الراحة فى ظل ذى الجلال والإكرام، فقد كان يرسم صفحة ناصعة مرسومة بألوان الإخلاص اللامحدود التى تكسو هذا الفدائى المغوار الذى قضى أغلب أيامه صائمًا ولا يكثر الظهور إلا لأداء مهامه الجهادية، وقد عرض عليه إخوانه مرارًا الخروج من فلسطين فرفض ذلك بإصرار غريب، فكان يرد عليهم (والله لن أخرج ولن ألقى السلاح)، ويقول بكل عزم ومضاء: لقد طوردت من أجل أن أتمتع بقتل يهود لا من أجل الهروب وكى أستشهد على أرض فلسطين. فقد التصقت فلسطين بقلب (أبو البراء) فكانت عشقه الدائم وشغله الشاغل، كيف نحميها وندافع عن مقدساتها وبرتقالها وزيتونها. وكان يردد دومًا لحن الوطن، من أجلك يا بلادى صرت مقاتلا، من أجلك يا بلادى صرت مناضلاً، أغنية من الثوار للوطن الحبيب أهديها، أغنية من الأحرار للوطن السليب أهديها، وتمر قافلتى مع الثوار من بين السنابل، ونصبر فى انتظار النصر والنصر دومًا للمقاتل، لنكون يا شعبى فدا، إما النصر.. وإما أن نكون الجسر فى درب القوافل.

كان اليوم الجمعة، الثامن والعشرين من مايو من عام ١٩٩٣م، حيث انطلق (أبو البراء) وإخوانه (رائد الحلاق، وعماد عقل، ومحمد ضيف) بعد قراءة القرآن والدعاء لله بالتوفيق والسداد، وفى الطريق اتجهوا حيث (محمد صيام، وعبد الرحمن

حمدان)، ليتجهوا جميعًا إلى البيارة حيث يقبع الهدف هناك، وظل طوال الطريق ينشد (أبو البراء) (عند البيارة يلا نتجمع . . ننزل على الغارة والمصحف نور الثورة . . والجميع يردد خلفه . .).

وعلى الطرف الجنوبى للبيارة كمن (إبراهيم ورائد)، وقد مكن (أبو البراء) بندقيته فوق كتفه وصوب باتجاه طريق الدورية . . . بعد أن نزع الجاكيت التى يرتديها وألقاها ووضع فوقها صورة الشهيد حسين أبو اللبن وكتب خلفها (هذه العملية من كتائب القسام انتقامًا لمقتل حسين أبو اللبن)، وما إن أصبح الهدف على مرمى النيران حتى انطلقت صليات من كلاشن (أبو البراء)، وينسحب المجاهدون فوراً، وصيحات التكبير تدوى فى المكان، و(أبو البراء) يهتف (الله أكبر . . كتائب القسام)، ولما عادوا إلى الموقع جلس أبو البراء فى قمة السعادة وهو يقول: (الواحد يحس حاله وهو يطلق النار كأنه يأكل فستق حلبى وقدامة مانجة ولوز).

وبعد هذه العملية الجريئة بيوم واحد كان المجد يقترب رويدًا رويدًا من الفتى العاشق لحلمه الدفين، ففى الثلاثين من شهر مايو من العام ألف وتسعمائة وثلاث وتسعين وفى يوم أغر من أيام الله تبارك وتعالى، حيث وقف حجاج بيت الله فى عرفات يؤدون مناسكهم، فيما بدأ شهيدنا يومه صائمًا لله تبارك وتعالى حيث زحف أكثر من ألف جندى إسرائيلى فى فجر هذا اليوم الأغر إلى منزل يقبع فى حى اليرموك بمدينة غزة حيث المجاهدون الأبرار (إبراهيم عاشور ومحمد صيام ورائد الحلاق).

فيما ثلاث طائرات مروحية عسكرية تحوم فوق المنطقة، وتقذف حممها على رؤوس المجاهدين، وأثناء ذلك ينطلق العهد والقسم من أفواه المجاهدين الصائمين على المواجهة حتى الاستشهاد على درب القسام رافعين شعار شيخهم عز الدين القسام (موتوا شهداء)، فقاتل الأبطال بذخيرتهم المحدودة وأسلحتهم المتواضعة واستمر القتال أكثر من اثنتى عشرة ساعة تساقطت خلالها القذائف الصاروخية من طراز (لاو) والقنابل و دفعات متواصلة من أسلحة رشاشة انصبت من طائرة مروحية ومن مجموعات راجلة فى وصف شهود عيان، حجم الجنود والقوة المستخدمة أنها تفوق حجم القوة الإسرائيلية التى احتلت مدينة غزة فى العام ١٩٦٧م.

فيما ارتقى المجاهدون إلى سطح المنازل يقاتلون حتى الطلقة الأخيرة ليسقط العديد من جنود الاحتلال قتلى ومصابين بينما يرتقى (إبراهيم ومحمد) مدرجين بدمائهما،

حيث مزقت قذيفة صاروخية جسد إبراهيم، بينما اعتقل المجاهد (رائد الحلاق) وهو مصاب والذى ما زال يقبع حتى اللحظة فى سجون الاحتلال.. وإلى جوار جثمان الشهيدين سقط كل شىء، فقد دمروا كل شىء أبنية تهاوت، ومزرعة دجاج أحرقت، وسيارات تحطمت وشجر بقى صامدًا شامخًا (كإبراهيم ومحمد) رغم الرصاصات التى مزقت كل شىء. استشهد (إبراهيم) فى هذا اليوم الأغر بعد أن طبع اسمه فى قلب فلسطين الدامى، استشهد وهو يحمل دليل الطريق مصحفًا وُجد ممزقًا من طلقة صاروخية يحتفظ به الأهل حتى اللحظة.. شاهد حى باق يشهد (لإبراهيم) عظيم ولائه وإخلاصه، وما أعظمه من شاهد وما أجله من شهيد. وخرجت رفح بأسرها تودع إبراهيم، خير خلف لخير سلف، ورغم منع التجوال خرجت الجماهير تودع (أبا البراء) وعلى أثر دمه الممتد من غزة إلى رفح نبت شهيد جديد يحمل نفس الحلم ويكتسى ذات الملامح الوردية؛ شهيد ينتظر دوره فى قائمة الخلود كى يعيد البسمة إلى الشفاة التى غابت عنها ملامح السعادة.

وفى قلب رفح نصب سرادق عزاء (أبى البراء)، انتصب آل الشهيد فخورين بابنهم البار الذى صدق الله ما عاهد عليه.. كانوا يوزعون الحلوى والشراب يرددون من أعماق قلوبهم: إبراهيم لم يمت.. إبراهيم حىٌ يرزق. فشمخ (آل عاشور) بولدهم وعلاهم الفخر أن كان (إبراهيم) ولدهم.

وحول سرادق العزاء اجتمع العشرات من صبية المخيم يبكون طيف (أبى البراء) الذى تربع فى قلوبهم وكلٌ يرقب بعيون ملؤها الدمع حزنًا على فراق إبراهيم، صوره التى تغطى حفل العزاء وهو يحمل سلاحه بعز وشموخ، فيما يتهامس الفتية ترى من يكون الامتداد الطبيعى لجيل العطاء الفدائى حتى تحين لحظة القطاف.

استشهد (أبو البراء) ليهب هؤلاء الفتية الحياة، والتضحية الغالية لا يمكن حصرها برصيف البلاغة وكلمات التدشين، لأن المجد الذى بناه إبراهيم لا يُضاهى ودفاعه المستميت عن الحلم الأول فلسطين الحاضر الغائب فى وجدان إبراهيم وكل الأحرار.. وتمامًا للشوط واصل إبراهيم طريقه المخضب بالدم حتى النهاية.. وما زال فى حلقات السلسلة الممتدة منذ سميه (إبراهيم الخليل) متسع لمزيد من الأسماء، التى اشترت ما باع الله وكان الثمن دمهم.

***

الشهيد جميل إبراهيم أحمد وادى (أبو إبراهيم)

١٩٩٣/٦/٢٧



«هكذا يرسم العظام طريق المجد ويمهدون طريق العودة، يجعلون من جماجمهم سلمًا ترتقى الأمة من خلاله لتصل إلى العلو السامق والمجد الرفيع. . هكذا تسلم جميل الراية، وهكذا سلمها. . . . خفاقة عالية عزيزة. . . هاهو ينظر عن بُعد إلى الراية التى فيها جزء منه ويومئ جميل بابتسامته الهادئة المعهودة. . ويغمض عينيه فى رضى وابتسام. . . . . .»

تنطلق السيارة القسامية يقودها السائق الماهر (جميل وادى) وإلى جواره المجاهد القسامى (عماد عقل)، وفى الخلف المجاهد (أحمد انصيو).

رياح الصباح الأولى تعبق المكان وعشرات السيارات تهاجر نحو الشمال بحثًا عن الرزق، يهمس السائق قائد المسيرة تأكيده للخطة المرسومة بالانطلاق إلى الخط الشرقى لمدينة غزة بعد اختراق الشجاعية، وعلى هذا الطريق يمر فجر كل يوم جيب دورية عسكرية للقيام بأعمال الحراسة اليومية تنطلق خلفه سيارة البيجو ثم تتجاوز الجيب العسكرى وتنطلق الحمم القسامية من بندقية كلاشنكوف يحتضنها المجاهد عماد عقل وبندقية M16 يتولى توجيهها المجاهد (أحمد انصيو). . . والقائد الماهر يتحرك وفق الخطة المناسبة. . .

وهاهو الجندى الإسرائيلى فى الخلف يترنح، وهاهى زخات الرصاص الهدار تصيب سائق الدورية الإسرائيلية والقائد المجاور له يهوى. . . وينطلق السائق الماهر نحو مدينة غزة وعبارات التهنئة تنطلق من كافة المجاهدين نحو بعضهم البعض. . ورياح كانون الأول الباردة تلفح الوجوه المجاهدة. وبعد أقل من ساعة تتواتر الأنباء بمقتل الجنود الثلاثة الذين استقلوا الجيب العسكرى. سعد الجميع بهذه الأنباء التى

أقضت مضاجع الصهاينة فهذا التحول النوعى باتجاه العمل العسكرى من قبل كتائب القسام كان نذير شؤم، فها هى الكتائب تتبلور لتشكل قوة عسكرية لا يستهان بها، و ربما لذلك تعجلت إسرائيل خطوتها الانتقامية لهذه العملية التى وقعت فى السابع من ديسمبر من العام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين، وبعد هذا العمل الجهادى النوعى الذى هز أركان القيادة العسكرية الإسرائيلية دفعها بعد أيام، وتحديداً فى الثالث عشر من ديسمبر إلى اتخاذ قرار الإبعاد الجماعى لكوادر وعناصر و أنصار حركة المقاومة الإسلامية حماس، والجهاد الإسلامى.

كان جميل وادى أكثر السعداء بهذا الإنجاز، فهو قائد المجموعة التى تحركت لهذا العمل الرائع وهو الذى يبدأ الآن مسيرة جديدة للكتائب القسامية. . . فقد تم اختياره قائداً لمجموعات المطاردين القسامية فى قطاع غزة. . بعد أن رحل الشهيد ياسر النمروطى الذى كان يرى فيه جميل القدوة فى الولاء والإخلاص والجهاد والفدائية، كما كان يرى فى المجاهد (يحيى السنوار) المعلم والأستاذ، ولا يملك جميل أمام هذا الفتح المبين إلا أن يخر ساجداً لله رب العالمين، يحمده على عظيم كرمه وهو يردد ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧].

عاش جميل هذه الليلة فى حلم جميل وقلبه الراقص على أنغام زخات الرصاص يجوب به كل الأرجاء، ومازال يبتهل إلى الله تعالى أن يحفظ المجاهدين خاصة وفى ظل منع التجول الذى فرض على مدينة غزة بأكملها.

يرحل جميل بخاطره إلى خان يونس. . مدينة الفداء التى عشقها حتى النخاع، وهناك اتجه إلى منطقة (مثلث الرعب) الحمساوى المجاور لمسجد الحبيب (عباد الرحمن). . هناك حيث ذاق اليهود أصنافًا من المواجهات الفدائية العارمة. . . طاف فى المسجد الحبيب إلى قلبه وتفقد كل جدار وعمود. . . توجه إلى المحراب. . كم يشعر بالانتماء. . . وهاهو مسجد (الإمام الشافعى) الذى درجت فيه خطواته الأولى حيث تعلم أبجديات العمل الإسلامى، وهاهو ينطلق الآن. . تذكر يوم احتضنته جماعة (الإخوان المسلمين) حتى غدا نقيباً يشرف على مجموعة من الأسر الإخوانية هناك. وتذكر بكل الفخر أستاذه (يحيى السنوار) «أبو إبراهيم» حيث مكث ما يقرب

الشهر ويحيى يجرى اختبارات أمنية لشخصية (جميل). . . . حتى نجح فيها وضمه إثر ذلك إلى جهاز الأمن والدعوة (مجد) فى حركة المقاومة الإسلامية(حماس)، وكان ذلك قبل انطلاق الانتفاضة المباركة.

وذكر يوم انطلقت الانتفاضة وأجج لهيبها شباب (الكتلة الإسلامية) والتى كان جميل أحد أبنائها فى(الجامعة الإسلامية)، حيث كان يدرس فى كلية أصول الدين، ويومها جاءت تعليمات صريحة من المجاهد (يحيى السنوار) بالخروج إلى الشوارع وإشعال الإطارات وتنظيم المظاهرات ورجم الحجارة و إدارة الفعاليات فى منطقته.

واستمر جميل بهذا الحجم من المبادرة والنشاط والسبق حتى قدمت قوات الاحتلال إلى منزله فى مطلع الانتفاضة، وكان ذلك بتاريخ ١٨ / ١/ ١٩٨٨ حيث اعتقل مع شقيقه الأصغر(زهدى)ومكث فى السجن ستة وثلاثين يومًا فى تحقيق متواصل، وكانت هذه من أطول فترات التحقيق الفعلية فى تلك الفترة. وبعد أقل من شهر من خروجه من السجن، اعتقل أثناء مواجهات لقوات الاحتلال، وفى محكمة عسكرية نال الحكم الأقصى على رجم الحجارة، حيث حكم بالسجن عامًا ونصف العام، وقد تم إعلان اسمه فى الإذاعة والتلفزيون الإسرائيلى وفى الصحف العبرية، حيث أصدر الأمر بالحكم الأول من نوعه (إسحق مردخاى) القائد العسكرى للمنطقة الجنوبية حينها.

ورحل (أبو إبراهيم) إلى سجن النقب الذى افتتحه وإخوانه، وكم عانوا مواجهة مشقات الحياة فى الشمس اللاهبة والمعاملة السيئة والمقومات البدائية.

وككل أبناء فلسطين لابد أن يساعد أهل بيته، فأتقن أعمال البناء خاصة الطوبار، وبدأ يعمل فى إجازته الصيفية ليساعد فى تحمل تبعات الحياة الثقيلة، كل هذه الحياة الحافلة بالكد والصبر والمجاهدة. . وهذه التجارب الصعبة خلف أسلاك النقب الثائر أظهرت المعدن النفيس لجميل وادى صاحب الانتماء الحديدى والتضحية الواثقة، فلم تكن الأيام القاسية والليالى الحالكة تفت فى عضده، بل زادته قوة وبأسًا وطمأنينة وعزمًا ومضاء لمواصلة طريق الحق والقوة والحرية، واختار ذات الشوكة. . فساهم بشكل فعال فى تأسيس كتائب القسام فى منطقة خانيونس. وانطلق يؤدى دوره الطليعى الجهادى من خلال إعداد وتجهيز وشراء وتدريب الكوادر الفاعلة، واستمر

يؤدى هذا الدور الريادى حتى جاء قدر الله ليرسم للمتوثب نوراً وناراً مسلكًا جديداً ودربًا متميزاً للطليعة الفذة من الكتائب القسامية ورجالها الأوائل، وذلك حين محاولته شراء سلاح لكتائب القسام، وتم كشف شخصيته لتاجر الأسلحة، ومن يومها غدا جميل مطارداً وقرر ألا يقوم بتسليم نفسه لقوات الاحتلال، وكان عليه إذًا أن يخوض مرحلة التحدى بكل العزم و البذل والمضاء.

لم يكن هذا العطاء جديداً على رجل عركته الأيام وخلقت منه هذه الشخصية القيادية الصابرة المتقدمة. . . فخاض الغمار بكل عزم وثبات، وكان جميل يوم أعلن قبوله دخول المرحلة مسئول الجناح العسكرى لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) فى منطقة خانيونس.

كان هَمّ و(أبى إبراهيم) الأول فى تلك المرحلة ثبات تلك النبتة التى تم غرسها، مما خلق الحرص الكامل واللازم، فلا ينام جميل أو يصحو إلا وتراوده أحلامه ببناء الجهاز العسكرى واستقرار قاعدة العمل، وقد كانت تلك الأثناء قاعدة العمل لازالت محدودة بعدد ضئيل ممن حملوا أرواحهم على أكفهم وطاردوا الموت فى كل مكان. . . حتى لاحقوه فى عقر داره. فترى جميل فى كل مكان يخطط للعمل العسكرى ويراقب وينفذ ويقيم ويشجع، وكل جوارحه تتحفز من أجل البناء الشامخ للعز التليد والمجد المفقود، فلا عجب حين تراه مشاركًا وجنديًا متقدمًا فى عملية قتل تاجرى الخضراوات فى غرب خانيونس والتى نفذتها كتائب القسام بالاشتراك مع (صقور فتح)، وفى إطلاق الرصاص على دوريات عسكرية قرب (القرارة) مرتين متتاليتين.

ويتقدم مع إخوانه فى سيارة تحمل لوحة تسجيل صفراء، ويتمكنوا من خطف الجندى (ألون كرفانى) وتجريده من سلاحه وبطاقته الشخصية ويتم طعنه فى رقبته وتركه قرب شجرة على الخط الشرقى لمدينة غزة.

وفى عملية (جانى طال) الرائعة الشهيرة يشرف جميل على التخطيط الدقيق والكامل كى تتم هذه العملية بالشكل الأفضل من حيث القوة والدقة والمهارة، ولم يكن يخفى على أبناء الدرب هذا الجهد المتواصل والحرص الدائم والعقل المفكر الذى يتمتع

به جميل، ولما قدر للشهيد القائد (أبى معاذ) أن يلقى الله تبارك وتعالى. . كان وقع الاختيار على (جميل) ليكون قائداً لكتائب القسام فى قطاع غزة، وكم حزن جميل لفراق رفيق الدرب (ياسر النمروطى) وبقى طوال وقته يذكر (أبا معاذ). . . إخلاص وولاء وطاعة . . ويدعو الله أن يلحقه به شهيداً، و هاهو جميل ينتقل لمدينة غزة ليتمثل القائد الميدانى الفذ، يعايش الحدث ويدير حرباً حقيقية بين شبان لا يملكون إلا عتاداً بسيطاً محدوداً ضد جيش مجهز بشكل كامل. . .

وهاهو جيش الفرسان القساميين يزداد صلابة بقدوم الجندى الفذ (عماد عقل) من منطقة الخليل ليكون جندياً تحت قيادة (جميل وادى)، وهاهم ينفذون عملية الشجاعية الرائعة فى نقلة نوعية للعمل العسكرى فى عهد (جميل وادى). .

كان عطاء الله عظيماً حين تقدم العمل العسكرى هذه النقلة النوعية فى العتاد والعدة وفى نوعية العمليات فى وقت قصير تولى فيه جميل زمام العمل، وربما كان ذلك جزءاً من الكرامة لهذا الرجل الذى أعطى دمه لله ولم يسأل يوماً عن ذاته وشخصه، وبقى مرابطاً متمسكاً بطريق ذات الشوكة يحترق شوقاً للقاء الله تبارك وتعالى ويرى أن كل ما يعمل إنما هو مهر بسيط لجنة عرضها السماوات والأرض، فكان حقاً راهباً بالليل، فارساً بالنهار، يقف الساعات الطويلة متهجداً لله تبارك وتعالى، يدعوه ويتضرع إليه أن يكتب له التوفيق والسداد، وأن يحقق على يديه الفلاح والنصر، وأن يقبله شهيداً فى صفوف الخالدين.

كان الله يسمع دعاء عبده الذى ما تكاسل أو تهاون أو تراجع فى طريق الحق والجهاد. . . لم يكن يرغب (أبو إبراهيم) بهذه الأمانة الثقيلة والتركة العظيمة، فاعتذر عن استمراره فى أداء دور القائد الميدانى لمطاردى كتائب الشهيد عز الدين القسام، وعاد سريعاً إلى حضنه الدافئ فى خانيونس، يقود حملة جديدة من العمل العسكرى القسامى، وفى السابع والعشرين من يونيو من العام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين كان جميل يعد العدة لعملية عسكرية نوعية، حيث تحركت الوحدة المختارة رقم (٧) التى يقودها جميل وادى، حيث انقسمت المجموعة قسمين واتجها إلى منطقة دير البلح من الغرب والشرق، وقرب جدار المستوطنات حيث دوريات عسكرية تقوم بالحراسة، وحدث هناك اشتباك كبير استمر أكثر من ساعة بين المجاهدين بقيادة المجاهد العملاق

(جميل) وبين جنود الدوريات الإسرائيلية، وباستمرار الاشتباك تقاطرت قوات الاحتلال من كل مكان وتفرق المجاهدون فى أكثر من طريق للانسحاب.

وكانت السماء تتزين هذا المساء الندى حين تقدم (جميل) بسيارته قرب (القرارة) فى طريق العودة، حيث أوقفته دورية عسكرية مفاجئة طلب منه الضابط بطاقة هويته.

وتناول جميل مسدسه الشخصى وفرغ فى رأس الضابط ثلاث رصاصات أردته قتيلاً ولم يمهله جنود الدورية، فأصابوه بوابل من بنادقهم الرشاشة كانت جواز السفر الذى انتظره جميل بفارغ الصبر ليستقر هادئ النفس، قرير العين، فقد أدى الرسالة فأحسن وأتم الواجب المقدس فأبدع، كانت الحور العين تستعد لاستقبال البطل الذى ألقى الدنيا عن كاهله وسطر ملحمة الخلود، فما أرهبته رعشات الالتصاق بأديم الأرض وتخفف من كل الأحمال، وحث الخطى لله الواحد القهار، بعد أن رفع الراية عالية إلى عنان السماء وأدى الأمانة على خير وجه.

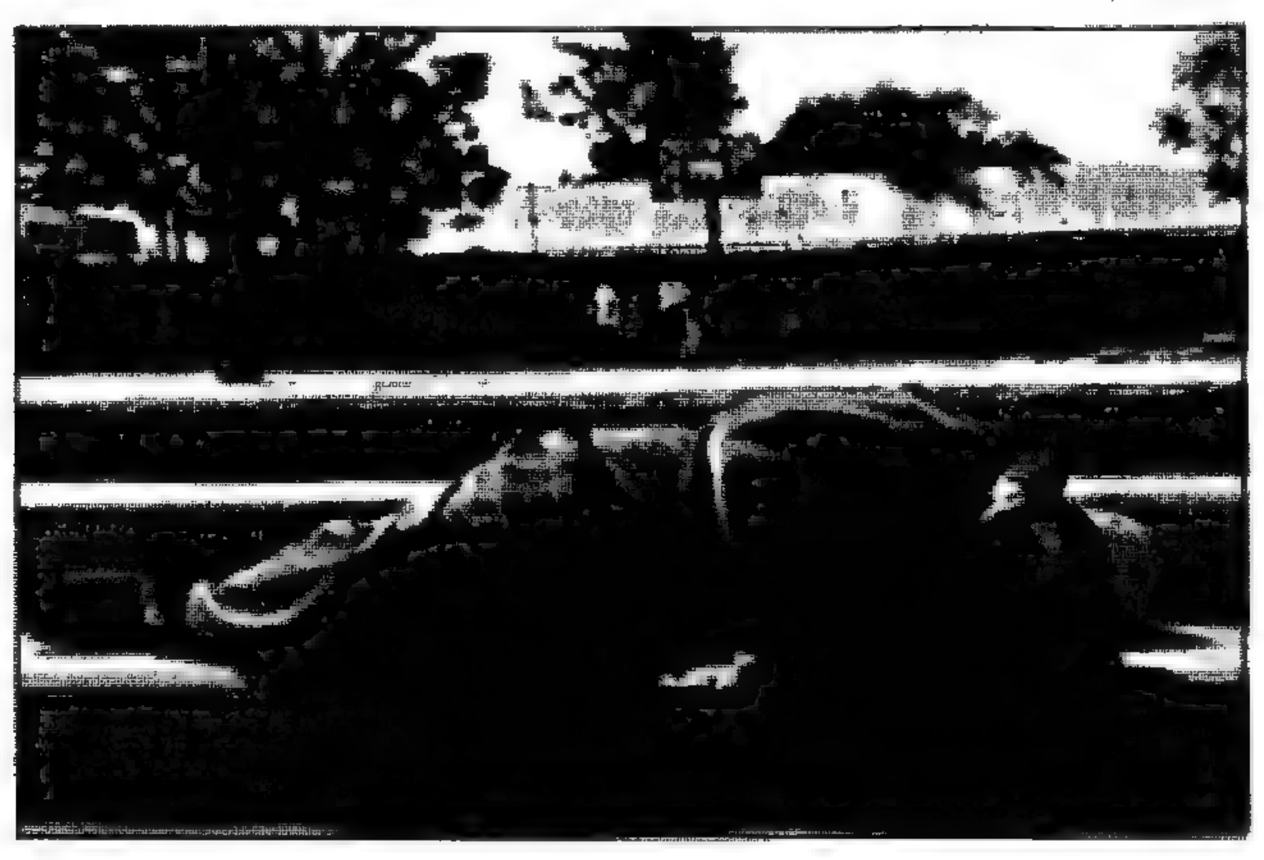
وطار الخبر فى أجواء خانيونس، الفتى الذى أطربكم زخات رصاصه الهدار، وحلق فى فضائكم وبنى لكم فى كل موقع شعاراً للعزة ورمزاً للكرامة، قد استعجل الرحيل. . . وزخات الرصاص التى انطلقت لم تكن صادرة عنه، بل ضده، تنقذه من وحل الأرض، ورأسه يلامس السماء. . . والحق وهج عينيه والورع ديدنه. .

ذرفت الدموع وتضرعت الأكف إلى الله تبارك وتعالى. . تدعو للشهيد الذى لن ينسوه بالرحمة والمغفرة. . والجميع يتمتم بصفات الشهيد التى عهدوها عليه. . . فالشجاعة معلمه والإقدام شعاره والفطنة والذكاء والتخطيط الجيد منهجه. . . تذكروا جميعًا يوم كان يجوب شوارع خانيونس ويعتقد الكثيرون أنه لا علاقة له بشيء حتى تكشفت الأيام أنه مسؤول الأمن فى خانيونس. . ويردد الجميع : من سيأتى فى عزائك يا جميل، يطلق لك زخات التحية العسكرية إجلالاً لروحك المقدامة، كما كنت دومًا تتقدم لتلقى التحية العسكرية (لأبى معاذ وهشام عامر) والشهداء الذين سبقوك على هذا الدرب الممهور بالدم المعبق برائحة المسك. . .

ولم يخف الإعلام الإسرائيلى فرحته باستشهاد الجنرال والمطارد الأكبر فى صحيفة (معاريف). . وقد عبرت جريدة (يديعوت أحرنوت) عن سعادتها بقولها «وقف شلال الدم فى المنطقة الجنوبية». . .

أما كتائب الشهيد عز الدين القسام فقد نعت قائدها جميل وادى قائد الوحدة المختارة رقم (٧)، وفى خانيونس أقيم سرادق العزاء ولم يرق ذلك لقوات الاحتلال التى أصاب منها جميل مقتلاً عظيمًا، فداهمت موقع العزاء أكثر من مرة وهدمته. . . ورغم ذلك لما أذنت القيادة العسكرية لقوات الاحتلال باستسلام جثمان الشهيد وحضر آل الشهيد إلى المركز، رفع كافة الجند أسلحتهم إلى أعلى تحية للشهيد المسجى. . . وورى جثمان (جميل) وشعاع نور وجهه الوهاج يضىء عتمة الليل الذى تستر به المعتدون ولكن الشهيد أحال ليلهم نهاراً بشعاع الشهادة الساطع من وجهة الوضاء. . وأحل نهارهم ليلاً يوم تكومت جنود دورية الشجاعية قتلى، ويوم طعن كرفانى، وفى موقعة جنى طال، وفى موقعة الاستشهاد فى دير البلح.

«هكذا يرسم العظام طريق المجد ويمهدون طريق العودة، يجعلون من جماجمهم سلمًا ترتقى الأمة من خلاله لتصل إلى العلو السامق والمجد الرفيع. . . هكذا تسلم (جميل) الراية وهكذا سلمها. . . خفاقة عالية عزيزة. . . ها هو ينظر عن بُعد إلى الراية التى فيها جزء منه ويومئ (جميل) ابتسامته الهادئة المعهودة. . . ويغمض عينيه فى رضى وابتسام. . . يفهمه كل من حقق النصر فى زمن الهزيمة. . . أغمض جميل عينيه ونام. . ».



اصبروا... وصابروا ورابطوا

الشهيد/ ماهر أبو سرور

١٩٩٣/٧/١



ولد ماهر سنة ١٩٧١م وسط أسرة عرفت بحميد الأخلاق وحسن السيرة فى مخيم عايدة فى بيت لحم، وقد تميزت أسرته بالتدين، التزم بدعوة الإخوان المسلمين وهو ما يزال صغيراً يافعًا لا يزيد عمره عن خمسة عشر عامًا.

بدأ مسيرته مع شباب مسجد أبو بكر الصديق «مخيم عايدة» يبنى ثقافته الإسلامية ويساهم فى نشر الدعوة الإسلامية بين أهله وأصدقائه وأقرانه، وكان ظهوره متميزاً بين شباب المسجد بعظمته الجادة الدؤوب، فأينما تنظر كنت تجده شعلة من النشاط، ففى أيام العمل الطبى التابع للجنة الإغاثة الطبية الإسلامية كنت تجده مسجلاً للحالات المرضية ومساعداً للطبيب، وممرضًا فى وقت واحد، وعند إقامة المعارض الإسلامية للكتاب وللاستهلاك المنزلى كنت تجده فى جهة من جنبات المعرض.

كانت معالم شخصيته تدل على شخصية قيادية كلها المقدرة على التأثير على الآخرين لما فيها من البساطة فى التعامل ومن محبة فى الله ومن تفان فى العمل، وإخلاص فى التوجه والتنفيذ.

وقد شارك منذ بدايات العمل الإسلامى على المستوى الفنى فى الفرقة الإسلامية التابعة لفرقة الإنشاد فى مسجد أبو بكر «مخيم عايدة» والتى أحيت العديد من الأعراس فى المنطقة.

نشاطه فى الانتفاضة: مع انطلاقة شرارة الانتفاضة المباركة أخذت ملامح شخصية ماهر تبرز وتأخذ ملامح القيادة فيها فهو أول من أعطى البيعة لحركة حماس، وللعمل فى طريق الجهاد، إلى أن يحقق الله فيه إحدى الحسنيين، النصر أو الشهادة.. فكانت الثانية من نصيبه.

كان واضحًا للجميع شجاعة ماهر وإقدامه وذلك فى المصادمات اليومية التى كانت تقودها حماس بشبابها الطلائعى المجاهد، وكان يظهر حسن تبريره وتخطيطه للكمائن والأشراك التى تنصب لعربات العدو وجنوده، كان قائدًا ميدانيًا بكل ما يحمل هذا اللقب من تفسير ومعنى، لقد كان يقع تحت إمارته ثلة من الشباب المجاهد يقودهم بعقلية عسكرية حكيمة أقضت مضاجع اليهود، وكان لبروزه ولكثرة عمله الجهادى سبب فى ملاحقته من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلى، وقد بقى مطلوبًا لسلطات الاحتلال خمسة أشهر متتالية، وكان مما ساعده على ذلك أن له اسمًا معروفًا هو «حمزة» أما ماهر فلم يعرف عنه الناس ذلك، وهم قلة حتى إخوانه فى المساجد إلا بعد اعتقاله الأول بتاريخ ٢٦/ ٦/ ١٩٨٩م، وقد بقى الجيش يبحث عن حمزة، وأكثر من عشر مرات يلتقى به جنود الاحتلال فيطلبون هويته ومن ثم يخلون سبيله، فهو فى الهوية ماهر أبو سرور وهم يرون حمزة أبو سرور والشخص واحد، وهم لا يعقلون، ولكن فيما بعد كشف الأمر فأودع السجن أربعة أشهر قضاها فى كيتسعوت حيث جامعة يوسف عليه السلام، وتخرج البطل ضرغام من تلك الجامعة، وهو أكثر تصميمًا على بذل الجهد والمال والدم لتكون راية الإسلام عالية خفاقة، فأخذ يعمل ليلاً ونهارًا موزعًا نفسه فى أكثر من اتجاه، أخذ يجمع الأشبال وطلاب المدارس الإعدادية والثانوية على مائدة القرآن متخذًا الرياضة وتكريم الطلبة وأوائلهم ومكتبة الزهراء العامة فى مسجد الصديق «مخيم عايدة». . سبيلاً وطريقًا لغرس مفاهيم الإسلام فى أعماق النشء الجديد.

فهو أول من سعى لإقامة مكتبة فى المسجد يستفيد منها الصغار والكبار وتقام بها الدورات والحلقات، فوقف على أبواب المساجد يجمع القرش على القرش حتى كانت المكتبة وأصبح الحلم حقيقة، فأثثها أحسن تأثيث وملأها بالكتب والمجلدات.

ولقد كان ماهر عضوًا فى اللجنة الثقافية المنبثقة عن لجنة التوعية الإسلامية فى مسجد مخيم عايدة، فكان مسؤولا عن مجلة الحائط فى المسجد والتى كانت تسمى صوت الأقصى. وكذلك عن ترتيب الاحتفالات الخاصة بالمناسبات الدينية كإحضار المحاضرين والمنشدين، وقد كان فى طور إنشاء فرقة نشيد للأشبال والتى أدت أناشيد قليلة ولكنها كانت البداية.

هذا ولا تزال نار الانتفاضة مشتعلة، وأخذت الضربات تكال لأعداء الله بشدة وعنف عبر الحجارة وقنابل الصوت والمولوتوف، فأخذوا يتخبطون، وغلبت عليهم العشوائية فى كل شىء، غير أن أحداثًا جسامًا ألمت بالمخيم. . وبدأت نار فتنة تظهر، وأخذت بعض الأيادى الخبيثة تلعب فى الخفاء. . فكانت فتنة عظيمة بين حماس وفتح، كشفت وجوهًا وأظهرت كثيراً مما خفى، إصابات هناك، وظهر لكل من له عقل أن المخابرات وراء الأحداث، وحاولت الأيادى الملطخة بالسواد الإساءة للشباب المسلم، وكان ممن ابتلى ابتلاءً عظيمًا هو الأخ ماهر أبو سرور، لكنه كان صخراً لا يلين، تتفتت عليه المؤامرات والمكائد، وأخذت المخابرات تعتقل الشباب المسلم الواحد تلو الآخر حيث أقبية التحقيق والعذاب والآلام، وخرج الجميع بحمد الله ظافرين منصورين، وكان ماهر أحدهم والذى استمر معتقلاً رهن التحقيق شهراً كاملاً ثم خرج، ينطوى على نفسه ويخرج من المخيم ويسكن مخيم العزة بعد أن فتح محلاً للحلاقة، وهو ممن يشهد له فى هذه المهنة، فمعظم الأخوة كان يقص لهم شعرهم مجانًا محتسبًا ذلك عند الله وتدعيمًا للدعوة الإسلامية وتجسيدا للأخوة فى الله.

ويأتى الإبعاد وقتل الضابط نسيم توليدانو من حرس الحدود، ليجد ماهر إخوانه وقد زج بهم فى أقبية السجون وفى زنازين التحقيق، وكانت الضربة الموجعة المؤلمة (الإبعاد) التى سارعت فى تعجيل ضربة ماهر للعدو، فكان التخطيط والترتيب ليكون الرد الحماسى بقوة ضربة رابين للحركة الإسلامية. . فكان مقتل ضابط المخابرات الإسرائيلى حايم خمانى الملقب «عفيف» والذى كان لمقتله عظيم الأثر على اليهود عامة وعلى جهاز المخابرات الإسرائيلى «الشين بيت» خاصة، فقد كان مقتل ضابط المخابرات يعنى القدرة العجيبة والمحكمة فى اختراق حماس لجهاز المخابرات الإسرائيلى وتوجيه ضربة موجعة ومؤلمة جعلت رؤساء هذا الجهاز ورئيس حكومة العدو «رابين» والذى يشغل منصب وزير الدفاع، يطالبون بإعادة ترتيب الأوراق للجهاز والتعامل مع الفلسطينيين بطريقة تضمن سلامة أفراد جهاز المخابرات، وكانت غنيمة «ماهر» مسدس نحمانى وحقيبته قيل إنها تمتلئ بمعلومات أمنية وبأسماء العديد من عملاء المنطقة.

وينسحب ماهر من مكان العملية سالمًا غانمًا، لتتبنى كتائب الشهيد عبد الله عزام مسئوليتها عن الحادث، ويطارد «ماهر» ليصبح المطلوب رقم واحد لدى المخابرات

والجيش الإسرائيلى فى فلسطين كاملة، وتمر الأيام تلو الأيام وماهر القسامى يصول ويجول. . ويأتى صباح الخميس الموفق ١/ ٧/ ١٩٩٣م ينطلق ماهر القسامى مع إخوانه محمد الهندى وصلاح عثمان، مخترقين قلب العاصمة المقدسة، قلب القدس، وقد تسلموا بسلاح الإيمان وبالقرآن يحفظونه فى صدورهم لينفذوا عملهم المقدس:

اختطاف باص رقم (٢٥) والذى يشكل باصين جمعا ببعضهما البعض والسفر به نحو الشمال والمطالبة بالتالى:

- إطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين.

- إطلاق سراح الشيخ عبد الكريم عبيد.

- إطلاق العشرات من القساميين ومن أصحاب المؤبدات من كل التنظيمات، من فتح ومن الجبهة الشعبية والديمقراطية والجهاد.

وتجرى الرياح بما لا تشتهى السفن، فيطلق الأخوة النار على شذاذ الآفاق أبناء القردة والخنازير، ويخرجا مسرعين بعد أن انحرف الباص عن مكانه، وخرجت الأمور عن مخططها، وهناك يوقفان سيارة «رينو» صغيرة بها امرأة يهودية، فيجدان فى ذلك مخرجًا للحدث بعد أن تعقد، وتسير السيارة لتصل مفترق جيلو (منطقة اللطرون) وهناك تحاول اليهودية لفت نظر جنود الحاجز فيفطن المجاهدان لذلك فيقذفان جنود العدو بلهيب نار أسلحتهما وبالقنابل، فلا تنفجر القنابل، وتشاء إرادة الله أن يصيب رصاص العدو بعض القذائف الموجودة فى السيارة لتنفجر السيارة وتحترق وتقتل اليهودية ويستشهد مجاهدانا القساميان وترتفع أرواحهما عاليًا فى عليين، مع الشهداء والأنبياء والصالحين، ويسطرا بدمائهما ملحمة البطولة والفداء.

***

الشهيد/محمد أحمد حسن الهندى (أبو محمد)

١٩٩٣/٧/١



«كان محمد يحمل فى خفقات قلبه وفلتات لسانه روح العطاء والجهاد، فقد نشأ فى أحضان الحجر الفلسطينى الثائر... ودرج خلف الأسلاك الشائكة... وأقسم ولاء البيعة والاستشهاد فى خيام الرباط على أرض النقب الثائر... وسقط شهيداً فى ملحمة بطولية عز نظيرها على ثرى بيت المقدس الطهور».

كان الفتى اليافع الوسيم ابن العشرين ربيعًا يقفز من موقع لآخر لوضع اللمسات الأخيرة لحفل الفتوحات الإسلامية، الذى تقيمه (الكتلة الإسلامية) فى (جامعة الأزهر) إذ كان أحد طلاب قسم الرياضيات فى الجامعة. كان (محمد) شعلة الكتلة الإسلامية التى لا تخبو، والمحرك الذى لا يهدأ... لا يصيبه الكلل أو الملل أو التقاعس... ترمقه نظرات الإعجاب ونظرات الغيرة بين الفينة والأخرى، فحيثما اتجهت كان قبالتك بعزمه المضاء وحيويته الدائبة يمارس ألوان النشاط وصنوف الفكر.

ففى حقل الرياضة تجد رياضيًا بارزًا خاصة فى كرة القدم وألعاب القوى والميدان، وفى حقل الفن تجد عضواً بارزًا فى فريق الفن الإسلامى سواءً فى النشيد أو المسرح. وها هو يعد العدة لاحتفال ضخم فى (جامعة الأزهر) فى ذكرى أمجاد الفتح الإسلامى التى تعيد للإسلام رونقه البهى ومفاخره الوضاءة.

وبعد قليل ترى الشاب يعلو خشبة المسرح ليمثل دور البطولة فى مسرحية (مقتل حاييم نحمانى)، ويجسد شخصية البطل (ماهر سرور) الذى استدرج ضابط المخابرات الإسرائيلى (نحمانى) وقتله فى القدس منذ فترة وجيزة..

لم يكن يعرف (محمد) حينها (ماهر أبو سرور) أو التقاه.. لكن قدر الله الغلاب يرسم خطواته بعناية ليقود (محمد) وماهر إلى نهاية مشتركة عزيزة شامخة.. فبعد أيام من المشهد التمثيلى الذى مثّل فيه (محمد) دور ماهر... يشارك (محمد وماهر وصلاح عثمان) فى مشهد حقيقى رائع.

فقد انطلق المجاهدون الثلاثة إلى بيت المقدس . . إلى الأقصى (أرض الإسراء والمعراج) ومهبط النبوات وكفن الشهداء العظام . . . انطلقوا بعد قسم البيعة والعهد على التواصل الدامى حتى الرمق الأخير من أنفاسهم المعبقة بأنسام الماضى التليد عبر زفرات (أبى عبيدة عامر بن الجراح، وخالد بن الوليد) وصولات (سيف الدين قطز، وصلاح الدين الأيوبى) والتواصل الحى (لعز الدين القسام وعبد الله عزام) وسلسلة الخلود التى لا تنتهى بانقضاء الحياة الفانية .

فمع مشرق شمس الأول من يوليو من العام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين، وعلى بوابة الباص رقم (٢٥) فى (التلة الفرنسية بالقدس)، استقل الفدائيون الثلاثة الباص - تزينهم بزاتهم العسكرية المهيبة وأسلحتهم العزيزة - والذى يقل ما يزيد على السبعين راكبًا، ويتكون من طابقين وصدرت الأوامر للسائق بالتوجه شمالاً نحو الحدود اللبنانية . . وأصدر المجاهدون بيانًا معلنين شروطهم للإفراج عن الركاب والمتمثلة فى الإفراج عن (الشيخ أحمد ياسين)، و(الشيخ عبد الكريم عبيد)، والإفراج عن خمسين معتقلاً من (كتائب القسام وحماس)، وعن عشرة معتقلين من (فتح)، وعشرة من (الجهاد الإسلامى)، وعشرة من (الجبهة الشعبية)، وعشرة من (القيادة العامة) .

كان هذا الهجوم المباغت فى قلب زهرة المدائن، التحدى الأكثر جرأة والأخطر لحكومة رابين العسكرية، ففى عقر دارهم المزعومة تنبت ألوية القسام بأذرعها المهولة تخطف الرهائن وتساوم وهم رهن حدودهم الوهمية وأسلاكهم التى جزأت الوطن السليب، كانت تلك إهانة قاسية ولطمة شديدة أصابت إسرائيل وجيشها المتغطرس فى قلب ادعاءاته الزائفة بوهم (الجيش الذى لا يقهر) .

فإسرائيل لم تعهد مثل هذا التحدى الكبير، فلم تقبل بخطف رهائنها فى (عنتيبى) بأوغندا وأطلقت سراحهم فى عملية عسكرية . . فهل تقبل اليوم بهذا التحدى المجنون؟!

وبينما كان الهوس العسكرى لجيش رابين وجنرالاته يتفاعل لمواجهة التحدى القسامى المخيف والذى يحمل بصمة عز وفخار جديدة ذات لون متميز ومذاق آخر . . حدث ما يشبه الارتباك داخل الباص المختطف نتيجة للعدد الكبير المتكدس فى الباص وتفرق المقاتلون فى جنباته استعدادًا لأى طارئ .

وسادت حالة الفوضى وانطلقت رصاصات من أسلحة المجاهدين أصابت رأس البطل القسامى (صلاح عثمان) إصابة بالغة الخطورة رقد على إثرها فى المستشفى فى حالة موت سريرى وينقل إلى غزة بعد اليأس من شفائه ليبدأ بعدها فيما يشبه المعجزة الإلهية مع بقاء إصابته بشلل فى أطرافه السفلية.

وتنطلق رصاصات (ماهر ومحمد) لتهدئة الوضع وتصيب بعض الإسرائيليين ولكن كان قد فلت الزمام، فغادر الفدائيان (ماهر ومحمد) الباص على عجل واستقلا سيارة تقودها إحدى المستوطنات..

وقرب مفرق (جيلو) العسكرى الملاصق للقدس تنطلق قذيفة اسرائيلية باتجاه السيارة لتحرقها تمامًا وتقتل قوات جيش الدفاع المستوطنة الإسرائيلية.. ويرقى الشهيدان (محمد وماهر) إلى الفردوس الأعلى فى ملحمة بطولية حقيقية خالدة دونت بأحرف من دم ونار ونور فى تاريخ المقاومة الفلسطينية الحديثة.

كان (محمد) يحمل فى خفقات قلبه وفلتات لسانه روح العطاء والجهاد، فقد نشأ فى أحضان الحجر، ودرج خلف الأسلاك الشائكة.. وأقسم ولاء البيعة والاستشهاد فى خيام الرباط على أرض النقب الثائر... وسقط فى ملحمة بطولية عز نظيرها وعلى ثرى بيت المقدس الطهور... فقد كان من أولئك الذين تذوقوا حلاوة المواجهة وعذوبة التحدى منذ نعومة أظفاره حيث انطلقت شرارة الانتفاضة المباركة، وكان (محمد) فى الخامسة عشرة ربيعًا من عمره ورغم ذلك فقد كان بحق أحد جنرالات الحجارة وأحد مفجرى الثورة فى (مخيم الثورة) حتى أنه فى كل مرة يعود فيها إلى البيت يحمد الأهل الله على سلامته فالرصاصات تمر إلى جواره والجنود يعتقلون أمثاله من أطفال الحجارة، وذات يوم سقط إلى جواره الشهيد شاهر أبو حية، وفى مواجهة أخرى أصابته رصاصة (مطاط) فى رأسه رقد على أثرها أيامًا فى المستشفى.

وفى محاولة جادة لإعادة صياغة حروف التاريخ مجدداً اعتقل شهيدنا ثلاث مرات كانت الأولى عام ١٩٨٩م حيث قضى محكوميته البالغة (خمسة عشر شهراً) بتهمة الانتماء لحركة المقاومة الإسلامية «حماس»، وهناك فى جو النقب الثائر وعلى رماله الساخنة المتقدة التهب قلب الفتى ابن السبعة عشرة ربيعًا لينشأ أصلب عوداً وأقوى

شكيمة وأعمق أصالة ويرسخ فى ذهنه الشعار الذى بايع الله عليه (الجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا)، وكان لتلك الأيام المتقدة بالحيوية والعطاء والتربية والتمحيص الأثر البالغ فى حياة فتانا خاصة تلك الأيام والليالى التى عاشها مع الشهيد القائد (ياسر النمروطى - أبو معاذ) النموذج الحى والمثل الأعلى والقدوة الأولى على طريق المقاومة والاستشهاد، وكم جلس الفتى إلى أستاذه يستمع منه دروس القرآن والتفسير وفنون القتال والبندقية، فذابت الأرواح وتآلفت، فروى (محمد) لأبى معاذ قصة الرحيل الأول من (المجدل) إلى (معسكر جباليا)، وحديث الحسرة والأسى المسكوب فى قلب الوالد والوالدة فى ذكرى البلاد المضيعة بين الجبن والخور وبين الخيانة والتراجع وبين قرارات الأمم المتحدة والتمييز الظالم، وكم كانت قلوب الوالدين الذين بلغا من العمر عتيًا تحن إلى التراب المهجور.

ويحدثه عن تفوقه فى المدرسة ومحبة أهله وأصدقائه وجيرانه له وكم كانوا يسعون للحديث معه من أجل التعليق على لسانه ويكررون عليه طلبهم بنطق حرف الراء مرارًا، وكيف كان يمازح عمه ويصارعه ويغلبه فى كل مرة، ويروى الاشتياق إلى مخيم جباليا الذى ولد فيه فى السادس من مارس من العام ألف وتسعمائة واثنين وسبعين... وإن أكثر شوقه إلى رجم الحجارة وملاحقة فلول الفارين يرجمهم بحجارته..

كانت أنوار القمر تنسرب بين شقوق الخيمة تحنو على الفتى وتواسيه وتربت على قلبه الصغير وترحل مؤذنة ببزوغ فجر جديد... فجر يكبر فيه محمد ليغطى الوطن بسحابة كبيرة وحلة بيضاء ليغدو علمًا يرفرف فى سماء القدس، وفلسطين ولن يطول الانتظار، ولمّا ارتقى (أبو معاذ) ورحل فى قوافل الخالدين أقسم (محمد) على الثأر للدماء الغالية وللأنفاس الطاهرة التى أحبها..

فقد كان (محمد) ومنذ الانطلاق الأول لقوافل العز القسامية العاشق لفرسان الرجولة الذين أعادوا للتاريخ وجهته وللشعب حيويته وأيقظوا العالم من سبات سطوة الظلم والظلام وأنبأهم أن مرحلة الصعود الإسرائيلى قد توقفت وها هى مرحلة الهبوط قد بدأت وأن البشارة الأولى لها فرسان القسام وألويته الماجدة وأن المستقبل المشرق الواعد لجيل الإسلام العتيد وزحفه المنطلق نحو وعد الله الذى لا يتبدل.

كان هذا العشق المتنامى لفرسان القسام مستمداً من عشق الجهاد والشهادة ومن معرفته القريبة بفرسان الغر الميامين وغرتهم (ياسر النمروطى).

وخرج (محمد) من تجربته الغنية فى أتون صحراء النقب بكل العزم والإصرار على مواصلة الطريق حتى النهاية التى كان يلمحها بكل عز وشموخ وكبرياء.

وكان يشهد على ذلك الانضباط التام والجندية الكاملة التى أبداها شهيدنا فى (مسجد النور) الذى كان أبرز رواده ما انقطع عن منهل العلم والإيمان حتى أعطى البيعة مجدداً لله فى عام ألف وتسعمائة وتسعين والتحق بركب جماعة الإخوان المسلمين، وقد كان مثالاً نموذجيًا للرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

فكان فى تلك المرحلة يمارس دوراً هامًا فى مسئولية النشاط الطلابى التابع (للكتلة الإسلامية)، وقد كان (محمد) خير من يؤدى هذا الدور نظراً لما يتمتع به من جهد دعوى عظيم ومن ابتسامة عذبة لا تفارق محياه الوضاء، كانت مصدر جذب خاص لعموم الطلاب والفتيان وذلك عدا عن الكلمة الطيبة الحانية الخارجة من القلب تلامس أفئدة إخوانه وتدفعهم للالتحاق بالكتلة الإسلامية، وكم هم أولئك الذى التحقوا بالكتلة لإيمانهم بشخصية (محمد)، وكان يؤكد هذا القبول الدائم (لمحمد) ويضيف عليه جو التبعية والاقتناع، ذلك التفوق الدائم فى كل شىء... فى دراسته، وفى كافة الأنشطة الدعوية والثقافية والرياضية التى كان يمارسها حتى غدا (محمد) علمًا بارزاً ونموذجًا فذاً راقيًا، فأعادت قوات الاحتلال اعتقاله مرة أخرى لمدة أسبوع واحد قضاها فى زنازين التحقيق فى معتقل أنصار (٢).

وفى عام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين وفى حملة الاعتقالات التى طالت الآلاف إثر اختطاف وقتل الجندى توليدانو... مكث (محمد) فى معتقل أنصار (٢) لمدة ثمانية عشر يومًا، كانت تمثل انقلابًا حقيقيًا فى تفكير (محمد) الذى أقام تلك الليالى لا يكاد يذكر سوى الشهادة والشهداء وخاصة (الشهيد ياسر النمروطى)، ولم تنقطع هذه الحالة بعد خروجه من المعتقل، فقد كان يقوم الليل دون انقطاع، وإذا أراد النوم كان الكاسيت إلى جواره يقرأ عليه دومًا آيات عذبة لفنون الجهاد ونواميس المقاومة من سورة الأنفال.

والشهيد فى تلك الفترة وما قبلها كان على علاقة وطيدة بالشهيد (عماد عقل) رفيق دربه، فقد اعتقل وإياه فى القضية الأولى وهما أبناء جيل واحد ومسجد واحد، ففى

مرحلة المطاردة (للشهيد عماد) انضم (محمد) إلى إحدى خلايا القسام العاملة فى المنطقة الشمالية بالإضافة إلى مسئوليته عن جهاز الأحداث فى مخيم جباليا.

كان (محمد) يمارس دوره الكبير والعظيم بكل سرية وكتمان واتقان ولم يشعر به أحد، وفى السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك، والموافق للعشرين من مارس من عام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين كانت رصاصات العز القسامي تنطلق فى (مخيم جباليا) قرب المقبرة فى عملية (ليلة القدر) الشهيرة ليسقط جنود الاحتلال صرعى..

انطلق بعدها (محمد) مغادراً منزله ومخيمه وكعادته دون أن يشعر به أحد يُتوقع أنه كان أحد المخططين لهذه العملية الجريئة.. رحل عن أهله دون أن يخاطب أحداً ولم يروه بعد ذلك إلا فى حلة الشهادة البهية رغم أنه كان يخاطب أمه عن المطاردة والمطاردين والجهاد والمجاهدين وكتائب القسام وفرسانها الميامين الذين لقنوا العالم دروس الشجاعة والإقدام.

ورغم ذلك فإن والدته لم ترمقه قبل المغادرة... كان يخشى أن يمنعه ضغط العاطفة مواصلة الطريق التى أحب، خاصة وأن والدته مصابة بمرض فى القلب ويخشى وقوع مكروه لها، فآثر الخروج الصامت.. وربما كان أثر ذلك واضحاً إضافة إلى التميز الكامل بالسرية فى قرار (محمد) بالمغادرة إلى الضفة الغربية فوراً دون المكوث فى قطاع غزة.. لذلك لم يتردد اسمه فى قائمة المطاردين من (كتائب الشهيد عز الدين القسام).

وفى الضفة الغربية صال وجال البطل المقدام ومارس هوايته التى يعشقها وخاصة فنون الجهاد والمقاومة المسلحة، فشارك فى قتل اثنين أو ثلاثة من المستوطنين وإطلاق النار على أهداف اسرائيلية ثابتة ومتحركة والمشاركة فى قتل عدد من عملاء منطقة الخليل.

ولكن عاشق القدس والأقصى كان يرحل كل يوم إلى ثرى المقدس يتمنى أن يرويه بدمه ويعطره بعبق الشهادة على أرضه... وكان لحوحًا فى كل مرة أن ينفذ عملية استشهادية، فى بيت المقدس، وكان له ما أراد حين سقط شهيداً عزيزاً مدرجًا بدمائه فى ملحمة الباص (٢٥) البطولية على ثرى القدس الطهور.

وفى تلك الأشهر المحددة كان آل الشهيد فى قلق دائم نتيجة غياب ولدهم المتواصل.. فقد كان يمثل (محمد) الابن الحانى الحبيب والصدر الدافئ لأهله جميعًا وإخوانه الثلاثة وأخواته السبع..

ولما تناقلت الأخبار استشهاد قرة عيونهم ومحط آمالهم ما زاد قولهم عن (إنا لله وإنا إليه راجعون. . . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم). مع أنه كان ينتابهم شعور أكيد أن (محمدًا) لابد أن يصل إلى هذه النهاية، فقد كان صادقًا مع الله فى طلب الشهادة ولابد أن يصدقه الله، فنال محمد أسمى ما تمنى.

وتذكر الأهل الفخر والشموخ الذى أسبغهم به ولدهم، فقد قُتل رجلاً عزيزًا كريمًا فى ميادين المقاومة والفداء. . . لم يعش لحظة لنفسه بل عاش حياته لدينه ووطنه وشعبه.

لذلك فإن محمدًا اسمه ورسمه منقوش فى صدورهم ومحفورٌ فى خفقات قلوبهم، ذكرى تمنحهم الإباء والكرامة والعز والشموخ وتعلمهم الصبر والثبات وحسن البلاء وصدق العهد مع الله.

وتنادى أهل جباليا ومخيمها الثائر أن المخيم فقد أحد رجاله الأبرار. . . كان شهمًا مقاتلاً عنيدًا جسورًا، فقد قاتل بشموخ وكبرياء لم يحن رأسًا إلا لله رب العالمين، وقد أقيم سرادق عظيم لاستقبال المهنئين، وقامت قوات الاحتلال بهدمه أكثر من مرة ثم أحرقته ردًا على ضربات (محمد) الموجعة، ورغم ذلك فقد تقاطر الناس على بيت العزاء، وشارك أهل المخيم دون استثناء فى وقفة واحدة تضامنية، وقد حرص أبناء المخيم بكافة انتماءاتهم على اقتناء صور الشهيد، ورفعها فوق الرؤوس فى بيوتهم ومحلاتهم، وعند إحضار جثمانه بعد ثمانٍ وأربعين ساعة من استشهاده لم يسمح إلا لعدد محدود من أفراد عائلته بدفنه.

ولما أطل الجمع المحدود على جسد الشهيد المسجى كان وجهه يطفح بالنور ورائحته الزكية تعبق المكان وكأنه نائم لم يمت بعد، رغم أن جسده كان مشوهًا بشكل كبير نتيجة الانفجار. . .

ووُرى الجثمان الثرى فى لحظة وداع مؤثرة، ولكن ما يقذف فى القلب السكينة أنهم يوارون جثمان شهيد مقدام كان مميزًا فى كل شىء فى حياته وفى صموده، وفى شهادته على أرض القدس الطيب، وفى عزائه الذى حوى كل القلوب.

رحم الله شهيدنا المقدام؛ الشمعة التى أضاءت زاوية فى طريق الجهاد والمقاومة حتى غدت هذه الطريق مدرسة كاملة عبّدهــا (محمد وإخوانه) بدمائهم الزكية فى مرحلة تهاو وتراجع لم تعرف لها المنطقة مثيلاً.

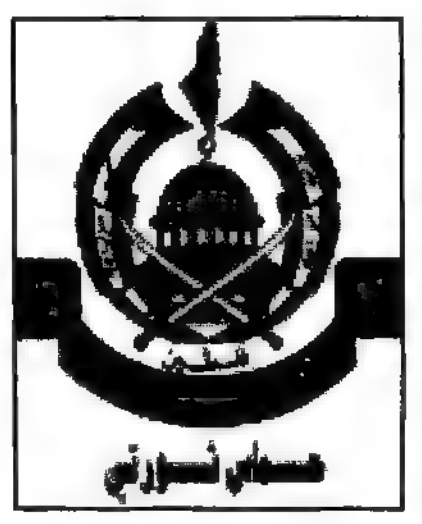
رحم الله الشهيد الغالى، فقد بكاه كل من عرفه، بكاه الحجر والشجر. . وبكاه مسجد النور وإخوانه الذين عاشوا معه فى هذا المسجد، ولكنها الطريق تعبّدها الدماء ولا بد من ضريبة للعز والكرامة.



هنيئا لكم الشهادة

الشهيد / بهاء الدين عوض إسماعيل النجار

١٩٩٣/٩/١٣



«تحرك (بهاء الدين) وبدأ بإعداد قنبلته التي ستفجر الصمت المهزوم . . . وقد ترسخ في ذهنه أن الصمت موت ولا بد من رسم (خارطة فلسطين) بالدم، وعلى الأمة أن تسمع الصوت المدوى . . . وقد آن للدم القانى أن يغسل ما علق من أوحال الذل والهوان».

في الثالث عشر من شهر سبتمبر من عام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين، وقف (بهاء الدين) أمام شاشة التلفاز حيث نقلت كل وكالات الأنباء مراسيم توقيع اتفاق أوسلو في حديقة البيت الأبيض، وكان بهاء الفتى اليافع ابن التاسعة عشرة ربيعًا ذا التربية الإسلامية الخالصة منذ نعومة أظفاره ينظر إلى هذه الصورة وأقدامه ترتعش، وشعر أن روحه تقفز من صدره غضبًا وكمداً . . . وقد فهم ما يخطط لشعبنا وقضيتنا من مؤامرات وكأنها تعرض الآن في سوق النخاسة . . .

تذكر حينها المسيرات الجماهيرية الحاشدة التي انطلقت في مخيمه الحبيب (الشاطئ) رفضًا لمؤتمر (مدريد) في مشاهد متضاربة أبرزت حال التضاد في الشارع الفلسطيني، ورفع الجمهور الأقصى مجسمًا على النعش، وسارت جنازة رمزية تهتف «باعوا الأقصى في مدريد» . . . ولكن كل كوامن نفسه تتحفز للانطلاق، وإعلان الرفض الكامل وبشكل عملي قوى لحالة التردى والخنوع التي تسيطر على المنطقة العربية بأكملها . . . كيف لا يشعر ذلك وهو الذي تربى على موائد القرآن . . . وعاش حياته متقشفًا زاهداً . . . كيف لا يتحرك وقد غدا اليوم أحد مقاتلي (كتائب الشهيد عز الدين القسام).

كان يشعر بهاء بضرورة الخطوة التي تنغرس في خاطره . . . ومن اللحظة تحرك بهاء الدين وبدأ بإعداد قنبلته التي ستفجر الصمت المهزوم . . . وقد ترسخ في ذهنه أن

الصمت موت ولابد من رسم (خارطة فلسطين بالدم) وعلى الأمة أن تسمع الصوت المدوّى. . . وقد آن للدم القانى أن يغسل ما علق من أوحال الذل والهوان.

ما كادت ساعات النهار تنقضى حتى كان اللغم العظيم قد تزين ليرسم قدراً جديداً. . . فى هذه المدة الزمنية اليسيرة بدأ كل شىء ناضجًا فى ذهن الفتى الأسمر المقدام. . . وانطلق يقضى ما بقى من ساعات ليلته الأخيرة فى صلاة وابتهال خالص إلى الله تعالى راجيًا منه أن يقبل القربان العزيز وأن يكتب له القبول والتوفيق. . .

ثم انطلق من ثم لأداء صلاة الفجر فى مسجده الحبيب (الشمالى) وقد تراءت الشهادة أمام ناظريه، فبادر ابن عمه بالقول: حينما يعود أبوك من مرج الزهور فقل له ابن عمى بهاء قبل ما يستشهد قال لى «سلم على أبيك»، وكان حينها عمه (إسماعيل النجار) مبعداً فى مرج الزهور. وعقب صلاة الفجر قال لأحد إخوانه «اليوم سوف تسمع عن عمليات المجاهدين».

وانطلق (بهاء الدين) فى هذا اليوم الأغر أى بعد ساعات فقط على توقيع (اتفاق أوسلو) ليمثل بجسده أول الرد العملى على حال التهاوى العربى الكامل على أعتاب النظام العالمى الجديد. . .

كان العزم الوثّاب والمضاء الأكيد والإصرار المتناهى صفات تلازم شهيد الرفض المقدام. .

وانطلق فتانا الأسمر يحمل فى قلبه الإرادة الفولاذية والإيمان الراسخ بعظيم الجزاء، وحول خاصرته حزامه الناسف الذى أعده بعناية. . . وانطلق بعد أن أمضى الساعات الأولى من نهاره الأخير أمام باب مسجده الحبيب. . . انطلق نحو هدفه. . حيث مركز شرطة الرمال (العباس) الذى كانت تتمركز فيه قوات الاحتلال الإسرائيلى.

وفى الطريق الممتد بين مخيم الشاطئ ومركز الرمال جالت كل الصور فى خاطر بهاء. . . صور الماضى بكل قسوته وآلامه. . . بكل سعادته وآماله. . . ووقف على كل الأبواب فى نظرة أخيرة، وصافح بيده كل الأيدى التى لامسته وتشابكت مع يده وشدت عليها تمنحه العزيمة والمضاء. . . ولامس كل القلوب الدافئة التى مسحت عنه

غبار الأيام والأحزان . . . ترقرقت الدموع فى عينيه والوجوه تتراءى أمام ناظريه . . . تودعه . . . تدفعه . . تدعو له ووهبته مزيجًا من العنفوان والتحدى .

انطلق يحمل ذكريات حياته . . . هذه الحياة التى دخلها لأول مرة حين وهبه الله تعالى لوالديه فى شهر نوفمبر من عام ألف وتسعمائة وأربعة وسبعين . . . نما الفتى الأسمر وما عرف فى دنياه إلا أسرته الصغيرة الفقيرة المكونة من شقيقين آخرين وتسع شقيقات ويحتويهم منزل قرميدى فى أطراف (مخيم الشاطئ)، وأسرته الأكبر قليلاً أبناء (المسجد الشمالى) حيث داوم على الصلاة وقراءة القرآن منذ نعومة أظفاره، ومارس مع أسرته هذه كافة الأنشطة والهوايات، فقد كان ضمن مجموعات حفظ القرآن الكريم، ووفقه الله تعالى حيث حفظ أجزاء من كتاب الله تعالى، ومارس كرة القدم كحارس مرمى لفريق المسجد الشمالى، كما التحق بفرقة (مرج الزهور للنشيد الإسلامى).

كان كل شيء يبدو هادئًا وادعًا فى مسيرة حياة (بهاء الدين) المقدام، إلى أن أطلت الانتفاضة الفلسطينية المباركة . . . وكان (مخيم الشاطئ) من أقطاب المواجهة والتحدى لقوى الاحتلال على امتداد الوطن المحتل . . .

توقفت الذاكرة طويلاً عند هذا الحدث الجلل فى تاريخ الشعب الفلسطينى، ومكث شريط الذكريات عند كل زاوية وزقاق فى المخيم . . . وكلها كانت شواهد صامتة على إقدام الفتى اليافع، تذكر ساحة الشمالى، والسوق والمشتل وشارع البحر وشارع النصر . . . وكيف كان يمارس هوايته المفضلة فى رجم الحجارة من زاوية إلى زقاق، ومن ساحة إلى ميدان، ومن شارع إلى مسجد . . .

تذكر ذاك اليوم المشهود من شهر نوفمير يوم استشهد (خالد الأستاذ وأحمد الحصرى) فى (حى الشيخ رضوان) . . . كاد بهاء حينها يفقد صوابه، خرج إلى شارع النصر وافتتح بوابة المواجهات فى جبهة جديدة أرهقت القوى العسكرية المحمولة . . . كان بهاء يتمنى أن يذيقهم طعم الموت ألف مرة، كيف لا . . . وقد خطفت رصاصاتهم الغادرة أحب من رأت العيون من هذا الشباب الفلسطينى المسلم . . . الغض الطرى القائم لله والساجد بين يدى مولاه .

وتلمس على يديه أثر الحرارة التى تركها دم الشهيد (أحمد صبح) الذى فارق الحياة بين يديه إثر إصابته برصاص الجيش النازى، وتذكر (بهاء) حينها على الفور مواقع إصاباته، فقد أصيب مرتين بالرصاص، مكث على إثرها الليالى الطوال تنقلاً بين المستشفيات والعيادات. . . وأخيراً يتحسس موقع الرصاص ويقول لو تحركت الرصاصة إلى أعلى أو إلى اليسار قليلاً لكنت الآن من الشهداء. . . ويصحو من أحلام اليقظة على المهمة الاستشهادية الجليلة التى يسعى لها. . . ويردد فى نفسه ربما قدّر الله لى شهادة أقوى وأفضل.

هذا النشاط الانتفاضى الدائب، والإقدام الجرىء لم يكن بعيداً عن العيون التى حرصت على تحديد مراكز القوة فى أزقة المخيم، فتناقلت الألسنة اسم (بهاء الدين النجار) المواجه العنيد الذى امتاز بالكر المفاجئ والفر المراوغ، فاعتقلته قوات الجيش الإسرائيلى وأودع خلف القضبان فى اعتقال إدارى مرتين متتاليتين. . .

وفى هذه التجربة الجديدة اكتشف (بهاء) ذاته مجدداً وعرف فى شخصيته مواصفات لم يكن على اطلاع بها. . . الحيوية والنشاط والعطف على الإخوان.

فكان يستيقظ لصلاة الفجر قبل الجميع، ويقوم بتسخين المياه وإعداداها ليتوضأ جمهور المصلين ويرفع الأذان لصلاة الفجر ويوقظ إخوانه للصلاة.

كل ذلك كان يدور فى ذهن الفتى كشريط سينمائى مسجل بأدق تفصيلاته وهو يسير لقطع المسافة القصيرة بين (مخيم الشاطئ) و(مركز العباس) على الطرف الجنوبى من المخيم. لم يكن يحلم (بهاء) بأكثر من الشهادة فى سبيل الله، ولم يكن ليكتم أحلامه تلك، فقد زهد فى الدنيا وطلقها وارتحل إلى الله تعالى، وقد تخفف من العبء وأكثر من زاد التقوى.

وتجسد أحلامه بالشهادة يوم أن التحق بركب حركة المقاومة الإسلامية (حماس) فكان أحد جنودها فى (جهاز الأحداث) فى (المسجد الشمالى)، وكان انضمامه إلى (كتائب الشهيد عز الدين القسام) الجناح العسكرى لحركة (حماس) حلم حياته الذى تحقق متزامنًا مع حلمه الأكبر: الشهادة والموت فى سبيل الله تعالى.

وكان دومًا يردد أن الجهاد فى سبيل الله فرض عين من أجل تحرير الأقصى الأسير، وكلما ألمت بالشعب الفلسطينى مصيبة أو نفذ أحد المجاهدين هجومًا كانت تتحرك

المسيرات فى مخيمه الحبيب، وكان بهاء علمًا فى كل هذه المسيرات تحمله الأعناق ويظل يهتف «عَ النار بنهجم عَ النار . .»، والجميع يردد خلفه . .

كان صدى صوت الجمهور المشارك فى المسيرات يتردد صداه فى آذان (بهاء) . . . «عَ النار بنهجم عَ النار»، «وباعوا الأقصى فى مدريد»، «وما بيعيد الدار إلا رجالها». ويدفعه ذلك دفعًا إلى مركز شرطة العباس ليحاصر المجرمين بدمه ويقتلهم بلحمه وعظمه، ويشل أيديهم التى طالما آذته وشعبه المضطهد.

ورحل بهاء بخياله إلى بعد عمليته الاستشهادية وظل ينظر إلى مخيمه تعمه المسيرات التى تهتف بهاء شهيداً بعد أن كانت تحمله على الأعناق يهتف لها، وكيف سيكون سرادق العزاء . . وكيف ستغطى صوره كل زقاق فى المخيم الذى أحبه وعشق كل ذرة رمل فيه . . . كان (بهاء الدين) يقترب كثيراً من مركز العباس وذهنه يرحل فى كل الدروب ليدرك فى آخر لحظات حياته كل شيء . . . ولن يدرك . . . تيقظت كل حواس الفتى الأسمر وهو يقترب بشكل كبير من (مسجد العباس) الملاصق تمامًا لمركز شرطة الرمال . .

تقدمت يمين بهاء (الدين) وهو يبتهل إلى الله تعالى أن يسدد رميته وأن يلحقه بركب الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا . . .

كانت قدمه تقتحم البوابة الخارجية لمركز الشرطة حين أشار عليه الشرطى بالتوقف للمعاينة . . أخرج (بهاء) من جيبه ما يشبه الورقة موهمًا الشرطى الحارس أنه قد حصل على الإذن اللازم للدخول . . . واقتحم بحركة سريعة الباب الداخلى . . . أدركه الشرطى الحارس وفجأة انفجر كل شيء . . . غطى الدخان المنطقة . . . وانطلقت رصاصات هوجاء من سلاح جبان أرعبه المشهد المتفجر . . . تناثرت أشلاء (بهاء الدين) غطت المكان . . . بل غطت كل فلسطين . . . وفتحت كل الأبواب الموصدة . . . أبواب القلوب والأبصار . . . وأبواب الجهاد والاستشهاد.

تناثر لحم (بهاء) . . . وتكسرت عظامه لتمثل سلاحًا يطعن الغاصبين . . . تناثر بهاء كما كان يحلم، فتناثرت معه أشلاء مغتصبى أرضه، ومنتهكى إرادته . . .

وأصاب المكان العسكرى الحصين حالة من الهلع والفوضى. . . ودب الرعب فى قلوب رجال الشرطة الإسرائيلية وهم يستيقظون على هذا المشهد الذى يمزق قلوبهم رعبًا وخوفًا. . .

تناقلت وكالات الأنباء الحادث الجديد الذى يكشف عن مدى الاستعداد الفلسطينى للتضحية حتى آخر قطرة دم من أجل فلسطين والأقصى. وأعلنت الإذاعة الإسرائيلية أن خسائرها محصورة فى إصابات طفيفة، بينما أصدرت (كتائب الشهيد عز الدين القسام) بيانًا عسكريًا نعت فيه شهيدها (بهاء الدين النجار) وأعلنت عن إصابة أربعة جنود إسرائيليين.

وتناقل الناس الخبر. . لم يصدق أهل المخيم ما حدث. . . (بهاء الدين) كان بالأمس. . . بل صباح هذا اليوم بينهم يغدو ويروح. . واليوم تمزقت أشلاؤه فى كل طرق وروابى وجبال وسهول فلسطين، ولما وصل الخبر إلى أهله ووالده قال: الحمد لله الذى شرفنا باستشهاده، وندعو الله أن يجمعنا به فى مستقر رحمته. . . فيما انطلقت المسيرات فى المساء تعلن رحيل الشهيد وتعاهد على مواصلة الطريق.

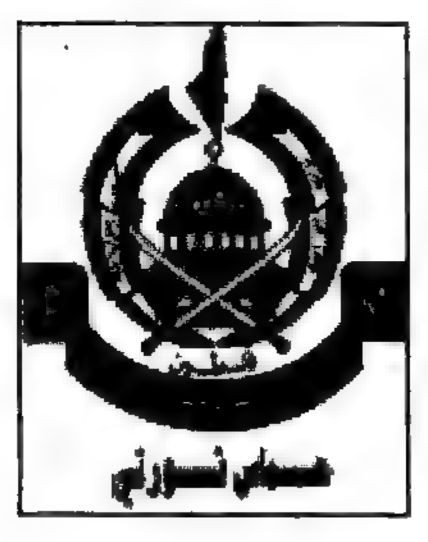
ونصب للشهيد سرادق عزاء واسع أمه أهالى قطاع غزة لأيام عدة. . . فيما حضرت قوات ملثمة من (كتائب عز الدين القسام) إلى سرادق العزاء وأطلقت النار فى الهواء تحية لروح الشهيد المقدام، وبعد أيام أحضرت قوات كبيرة من الجيش الاسرائيلى ما تبقى من جثمان الشهيد وسمحت لعدد محدود جداً من أهله باستلام الجثمان فى منتصف الليل ودفنه. . . ليوارى الجسد الطاهر المعطاء بتفان وصمت، ويلقى عليه الأهل والأحباب نظرة الوداع الأخيرة عبر صوره التى غطت جدران المخيم.

وبعد انتهاء العزاء أقامت (حركة المقاومة الإسلامية - حماس) حفل تأبين فى ساحة (مسجد الشمالى) التى طالما شهدت (لبهاء) الدين صولاته وجولاته العديدة فى كافة صور العطاء اللامحدود. وهكذا تحقق (لبهاء الدين) ما أراد، تناثرت أشلاؤه فى كل الميادين وانغرست عظامه فى شتى الدروب لتنبت شجراً للحرية وأكاليلَ للغار يروى دمه المهراق فى وسط مراكز الاحتلال هذا الشجر لينبت فى كل صعيد عزمًا جديداً وإرادة صادقة خالصة للعطاء. . من أجل التحرير والبقاء.

***

الشهيد/أيمن صلاح سلامة عطا الله (أبو مصعب)

١٩٩٣/٩/١٢



«انفجر (أيمن).. لينفجر معه كل شيء.. انفجر بعد أن تراءت أمام ناظريه صورة الفدائي المقاتل (أبو يحيى) يقفز من بيت لآخر وصواريخ الاحتلال تدك المنازل تحيلها ركامًا وأطلالاً، ثم ترمى جسد (الشيخ زكريا) نموذجه الفذ الحي بقذيفة الظلم و الجبروت... وتراءى أمامه قسمه بالثأر (لأبى يحيى) وها هو يدفع ضريبة الوفاء لدماء المجاهدين من دمه».

فى حى الدرج الصابر المرابط وبجوار (مسجد عز الدين القسام) علم الجهاد والاستشهاد فى فلسطين، كان القدر يرسم خطوطه بعناية حيث أطلت شمس الثامن عشر من مايو من عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين.. ومعها أطلت شمس (أيمن).. وهذا الوليد الميمون كان الوالد (صلاح عطا الله) متفائلاً بهذا الوليد الجديد، فأسماه (أيمن).

نما (أيمن) فى أحضان والديه ونشأ على كل خصال الخير، فوالداه يحملان الحرص الكامل والكافى لهذه التربية العميقة وإلى جواره (مسجد القسام) يرتاده فى كل الصلوات يؤدى فريضة ربه ويحفظ من كتاب الله تبارك وتعالى ويتفقه علوم الفقه والتشريع والأصول والتفسير والحديث حتى نشأ فتىً عالمًا جادًا، ومارس إضافة إلى ذلك كافة الأنشطة الرياضية وتخصص فى ألعاب القوى والننشاكو والكاراتيه حتى اكتملت فيه عناصر القوة.. قوة الإيمان وقوة الساعد. فكان هذا الأيمن منذ طفولته الناعمة الهادئة راغبًا فى منهج القوة والعسكرية حيث كانت جميع ألعاب طفولته.. الملابس العسكرية.. وقطع السلاح البلاستيكية.

وإلى جانب كل ذلك كان الفتى مجتهدًا فى دراسته، فالطلبة المتفوقون (أيمن) لهم عنوان، وارتقى فى مراحل دراسته حتى الثانوية العامة؛ أنهاها بنجاح من (مدرسة

فلسطين الثانوية) . . ولم يشغله هذا التفوق المتنوع من أن يمارس نشاطه الدعوى فى كافة ميادين الدعوة ومجالاتها .

فقد مثل (أيمن) أمام أقرانه القدوة الإسلامية الصادقة عبر قيادته الكفؤ لنشاط (الكتلة الإسلامية) فى مدرسة فلسطين الثانوية ، فحيثما جال بصرك فى مدرسة فلسطين وجدت (الأمير أيمن) فى مواقع العمل والدعوة والدراسة يؤم طلاب المدرسة فى الصلوات . ويعقد حلقات الدعوة إلى دين الله تبارك وتعالى ، فترى عشرات الفتيان يلتفون فى صعيد واحد يستمعون إلى كلمات (أيمن) الموجهة نحو الارتقاء بمعانى الخير والفوز والعطاء . . ونحو تربية المثل العليا فى أذهان الجيل الثائر المنتفض . إضافة إلى نشاط أيمن الملموس فى مسجده (عز الدين القسام) ومن ثم (مسجد فلسطين) بعد انتقال سكنه إلى الرمال .

فقد كان يعقد أيمن الجلسات التعليمية للأشبال والفتيان فى المسجد ، يلقنهم أبجديات العقيدة الإسلامية وأسس التوحيد السليم ، إضافة إلى الفكر الحركى النير المتزن .

كان كل هذا النشاط الدائب مولدًا أساسيًا لفضل الشهداء وأجر الشهادة ، لذلك لا ترى (أيمن) إلا متحدثًا عن الشهيد وما أعد الله له من الأجر الجزيل أو عن الشهادة والاستشهاد ودورها فى رفع الظلم والعدوان عن المسلمين .

وكم حدّث والدته عن الشهادة وكم أنه يتمناها . . وعن (كتائب القسام) ودورهم المحورى فى العمل الجهادى العسكرى ، وفى تفعيل ساحة فلسطين بالنار والبارود ، وإغراق المحتل بالدماء . . وأنه يتمنى أن يلقى الله شهيداً وهو فى صفوف (كتائب القسام) .

والدافع لكل ذلك هو رفع راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) خفاقة عالية ، لا تعلوها راية . . ولا تدانيها فكرة . . ولا تقف أمام جحافلها قوة من قوى الأرض الظالمة المستبدة . كم كان يحلم بتحرير الأرض من دنس الاحتلال الصهيونى الجاثم على هذه الأرض الطهور .

كانت الأم الحنون تستمع إلى الابن العزيز بكل شغف وحب وحنان ، فهى ترى فى (أيمن) مهجة القلب وقرة العين ، فما رد لها كلمة وما تأخر فى تلبية طلب لها . . عدا

عن مساعدته لوالده من خلال ممارسته لأعمال الدهان والطراشة . . كل ذلك كان دافعًا لأن يكون (أيمن) قريبًا جداً من قلب والديه . . كل هذا الحب وهذا العطاء كان كافيًا لأن يلتحق بجماعة الإخوان المسلمين .

وقد سبق ذلك مواكبته الفعاليات المتنوعة التى أداها (أيمن) بوجوده فى صفوف حركة المقاومة الإسلامية (حماس) شعلة الانتفاضة الفلسطينية ليمثل أيمن وقودًا إضافيًا لحرب التحرير الشعبية التى خاضتها الجماهير الفلسطينية بكل قوة وعنفوان فى تحد واضح لجبروت إسرائيل وظلمها المتغطرس . فمارس كافة الأنشطة الميدانية بدءاً برجمٍ الحجارة وملاحقة جنود الفرار أمام جنرالات الحجارة وأطفالها الميامين إلى تنفيذ فعاليات الإضراب بنصب المتاريس وإشعال النيران فى الإطارات . . إلى أن يخط بعلبة طلائه شعارات الانتفاضة والجهاد والمقاومة .

ولكن التخصص المتميز (لأيمن) كان فى إعداد (الزجاجات الحارقة والعبوات الناسفة)، وقد تتلمذ فى ذلك على يد القساميين (بشير حماد، وعماد عقل) حيث كان (أيمن) ساعدًا أيمنَ لهما ينقل السلاح ويرصد أمن الطريق .

وفى أبريل من عام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين وبينما كان يخوض عدد من شباب حركة حماس ومجاهدوها حربًا حقيقية داخل أقبية التحقيق فى سرايا غزة، كان (أيمن) يترقب . . فأخبر أهله برغبته فى وداع أحد إخوانه وغاب عن البيت عشرة أيام كاملة دون أن يعلم عنه أحد شيئًا . . خلالها حضرت قوات معززة من جنود الاحتلال داهمت بيت (أيمن) بكل عنف وقوة وبحثوا عن (أيمن) فى كل مكان .

كان قد اختفى . . قذفوا كل شىء . . حطموا كل ما وقع تحت أيديهم وهددوا (آل عطا الله) أنهم سينسفوا المنزل كاملاً إذا لم يقوموا بتسليم (أيمن) .

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة فى حياة (أبى مصعب) وخطوة جريئة نحو المواجهة والتصعيد والتحدى . . وزادت هذه المرحلة ضراوة بعد استشهاد البطل القسامى (زكريا الشوربجى) . . حينها أعلن (أيمن) أنه جندى من (كتائب الشهيد عز الدين القسام) وعلى درب (أبى يحيى) الشهيد العملاق، حيث أشهر (أيمن) مسدسه وأقسم على الثأر لدم (أبى يحيى) الغالى . . وفى أشهر المطاردة الأربعة (لأبى مصعب)، لم تكف

قوات الاحتلال عن ملاحقته ومداهمة منزله ليلاً ونهاراً، يأتون ليلاً يطرقون البيت ويدّعون أن أيمن قادم لزيارة أهله ويأتون ليلة أخرى يدعون أن (أكرم) شقيق (أيمن) المبعد فى (مرج الزهور) قد حضر.

كانت هذه مرحلة نوعية جديدة فى حياة (أيمن) محدودة فى عمرها الزمنى، عظيمة فى جزيل الأجر من الله تبارك وتعالى فيها للصابرين المجاهدين، كان (أبو مصعب) يتمنى فى كل صباح جديد أن يكون هذا آخر أيامه، على هذه الأرض وأولها إلى جوار الملك العادل ذى الجلال والإكرام.

وكم أرسل لوالدته يطلب منها أن تكثر له من الدعاء ويرجوها المسامحة، كما يرجو والده وكل من يلقاه أن يسامحه.. فقد كان على سفر قريب.

وأرسل لأهله أن يرسلوا من يؤدى فريضة الحج إلى بيت الله الحرام نيابة عنه وأن يزور قبر الرسول الأعظم ﷺ - نيابة عنه - وأن يدعو له هناك أن يقبله الله شهيداً..

كل ذلك كان يثبت بشكل قاطع كم كان يرحل (أبو مصعب) إلى جوار ربه فى خلواته.. فى أهازيج قلبه الآزف للرحيل كل حين، ولم يكن يغفل (أبو مصعب) على حداثة سنه أن استشهاد إخوانه واستشهاده كذلك ما هو إلا مرحلة محدودة فى طريق الصعود للعملاق الإسلامى، وأن الخطوات لابد أن تتكامل وتتواصل عبر شلالات الدم المهراق وعبر تواصل أجيال المسلمين الناشئة على مائدة القرآن العظيم، لأن ذلك هو الضمان الأكيد لتحقيق الهدف الأعظم ببناء دولة الخلافة الراشدة. وكان فى كل هذا الوقت لا يغفل عن تواصل الجهاد القسامى على أرض الرباط، كان يحلم بذاك اليوم الذى يرتقى فيه إلى عليين فى جوار (زكريا وياسر ومروان) بإذن الله تبارك وتعالى.

فساهم فى هذه المرحلة بفاعلية فى إعداد العبوات وتجهيز المقاتلين بالعتاد، والتخطيط الدائم لملاحقة أعداء الله تبارك وتعالى.

وكان من ضمن العمليات التى شارك فى التخطيط لها (عملية مسجد مصعب بن عمير) فى (حى الزيتون) الشهيرة والتى قتل فيها جنديان.

ولما نشطت خطوات عقد اتفاقية بين إسرائيل والفلسطينيين كان أيمن له رأى آخر.. فلا يريد عيش تلك المرحلة ولا رؤية هذا التعايش غير المتوازن بين مغتصبى الأرض

ينهبون كل شيء وبين شعب مظلوم مضطهد تتقاذفه الفتن وتمضى به الأحداث بعيداً عن حقيقة الصراع.

وما كاد يقترب الثالث عشر من سبتمبر من العام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين، حيث يسود الضجيج الإعلامى بالمؤتمر المنشود لتوقيع اتفاقية أوسلو فى البيت الأبيض الأمريكى، وقبل الاحتفال بيوم واحد كان (أيمن) يختار طريقه ويرحل.

استقل سيارته (٥٠٤) وجهزها، وعلى طريق الشيخ عجلين انطلق أيمن يبحث عن فريسته المنشودة، وما أن ظهرت سيارة إسرائيلية عسكرية تتبع مصلحة السجون، إضافة إلى سيارة عسكرية أخرى، تقدم أيمن منهما بكل عزم وثبات، وملاصقة بهما انفجر أيمن لينفجر معه كل شيء.. انفجر بعد أن تراءت أمام ناظريه صورة الفدائى المقاتل (أبو يحيى) يقفز مطارداً من بيت إلى آخر.. وصواريخ الاحتلال تدك المنازل وتقصف البيوت الآمنة لتحيلها ركاماً وأطلالاً.. ثم تقذف جسد (الشيخ زكريا) نموذجه الفذ الحى بقذيفة تحمل كل الظلم والجبروت.

وتراءى أمامه قسم الثأر (لأبى يحيى).. وها هو يدفع ضريبة الوفاء لدماء المجاهدين من دمه ويذيقهم بعض ما أصاب المسلمين من كمدٍ ومشقة.

انفجر (أيمن) لتهوى معه فتات بنى يهود يمزقها أشلاء ويقذف فيهم الرعب لتهوى جنودهم المدججة المغرورة صاغرة أمام عمالقة مجاهدى القسام، وما أن تناقلت أنباء استشهاد أيمن عطا الله، وتفجير سيارتين إسرائيليتين حتى سادت صورة جديدة أطفأت جزءاً من أهازيج الإعلام المزيف، بحلول السلام على أرض السلام، وسادت أجواء المنطقة غمامة تصاعدت من نيران (أبى مصعب) الثائرة وانفجاره المدوى.. غمامة حجبت أكاذيب الإعلام وأزاحت غيوم الكذب والنفاق لتبرز حقيقة الواقع المر الذى يعيشه شعب فلسطين.

وفى رحيله الحر الأبى الكريم كتب (أبو مصعب) لأهله آخر هذه الكلمات أوصاهم فيها بتقوى الله تبارك وتعالى وسلوك درب المرابطين، وما أن وصل الخبر إلى آل الشهيد حتى حمدوا الله تبارك وتعالى، وفرحوا لزفاف ولدهم إلى الحور العين، فقد كان يرغب بهذا الزفاف الميمون وأنه كان راغباً فى الشهادة محباً لدرب الشهداء العظام.

وقامت والدته بأداء ركعتى شكر لله تبارك وتعالى، أن قر عينها برؤية ولدها شهيداً ثم رددت مراراً قول « إنا لله وإنا إليه راجعون».

لم يفاجأ أحد باستشهاد (أبى مصعب)، فقد كان قراره مصيريًا راسخًا بالشهادة، وكان التنفيذ مسألة وقت، وكل من علم باستشهاده أيقن أن القطاع فقد شابًا خلوقًا يذكرونه بالخير العميم والصفات الحميدة . . . فقد كان مثالاً للمعاملة الطيبة يقابل كل من يلقاه بابتسامة وبشاشة وود .

أما إخوانه فى (مسجدى القسام وفلسطين) فقد انهمرت الدموع من عيونهم حزنًا على فراق (أيمن) الغالى وفرحًا باستشهاده، فقد كان يحدثهم دومًا عن حبه للقاء الله تبارك وتعالى وحبه للقاء الصحابة الأجلاء فى جنات النعيم . . ثم دعوا له بالمغفرة والرضوان . .

ونصب سرادق كبير عزاء للشهيد الذى زاره الشبان من كافة أرجاء القطاع تقديراً للشهيد العزيز، وقد أقامت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) احتفال تأبين للشهيد أمه الآلاف إكرامًا للشهيد الغالى، وحضرت إلى الاحتفال خلية قسامية أطلقت الرصاص فى الهواء تحية للشهيد القسامى (أيمن عطا الله).

وفى ليالى سبتمبر قدمت قوات معززة من جيش الاحتلال تصطحب أشلاء الشهيد الغالى وبرفقة عدد محدود من أبناء العائلة وورى (أبو مصعب) الثرى ليرقد رقدته الأخيرة هانئًا . . باسمًا . . فقد حقق ما يريد . . ونال ما تمنى بإذن الله تعالى .

* * *

الشهيد /محمد عزيز رشدى

١٩٩٣/٩/١٣

نعرض شهادات حية لأسرى فلسطينيين يمضى بعضهم أكثر من مؤبد عسكرى فى سجون الاحتلال أغلبهم فى سجن نفحة الصحراوى الذى يفتقر إلى أدنى المقومات الإنسانية، وتتركز هذه الشهادات حول بطولات كتائب القسام والتى استحقت وسام الشهادة لأجلها، وقد أطلقنا عليها اسم شهادات(حية) لأنها حدثت فعلا وأخذت مصداقيتها من المشاركة الفعلية مع هؤلاء الأبطال أو بالحديث مباشرة مع أهالى هؤلاء الأشاوس، وها نحن نتحدث عن شهادة جديدة حول بطل من أبطال القسام، وستشمل هذه الشهادة أبطالا من الضفة الغربية وقطاع غزة ممن توفرت حولهم هذه الشهادات. .

الحمد لله الذى جعل الشهادة وسامًا يزين به أولياءه ممن باعوه المال والنفس وجعل الشهادة اصطفاءً واختيارا يختار بها الشهداء من بين المجاهدين ويتخذه لنفسه كما يقول صاحب الظلال الشهيد قطب: «فما هى خسارة أن يستشهد فى سبيل الله من يستشهد، إنما هو انتقاء واختيار، وتكريم واختصاص، إن هؤلاء هم الذين اختصهم الله ورزقهم الشهادة ليستخلصهم لنفسه سبحانه ويخصهم بقربه».

ونعيش وإياكم مع شهيد من هؤلاء الرجال الذين أعادوا بعث الحياة فى جسد الأمة الذى ظن أعداؤها أنه هامد لا حراك فيه، مع مجاهد لطالما طرق أبواب الجنة يستفتحها بمفاتيح الشهادة وجماجم الصهاينة القتلة.

ميلاد الشهيد وأخلاقه

الشهيد البطل محمد عزيز رشدى، من مواليد مخيم العروب قرب الخليل عام (١٩٦٩م) حيث نشأ فى أسرة محافظة نشأة مباركة، فارتبط بالمسجد منذ نعومة أظفاره، وامتاز بذكائه وتفوقه فى دراسته، فدرس المرحلة الابتدائية والإعدادية فى

مخيمه، ثم انتقل إلى مدرسة الحسين بالخليل لإكمال دراسته فى الفرع العلمى، ومن ثم أكمل تعليمه فى معهد المعلمين فى رام الله فى الرياضيات، وترأس العمل الإسلامى، فكان رئيسًا لمجلس الطلبة وأميرا للكتلة الإسلامية، وعرف بين إخوانه بشجاعته وقوة عزيمته وعلو همته وعزة نفسه لدرجة أنه كان يرفض أخذ أية مساعدة من الدعوة رغم شدة حاجته وفقره، فقد رهن حياته لدعوته ودافع عنها فى كل موقع حيث ترأس قيادة حماس فى المخيم لفترة طويلة وتحمل فى سبيل ذلك الكثير والكثير، وعانت معه أسرته، حيث تعرض «محمد» للضرب عدة مرات فى المخيم وفى سجن مجدو فى سبيل مواقفه الدعوية الصادقة، ومع ذلك رفض الانتقام لنفسه عندما أصبح بإمكانه أن ينتقم، وفى إحدى مشاكله مع أحد العملاء فى المخيم، قام العميل بمساعدة الجيش بإحراق محل ملابس لأسرة شهيدنا فكانت الخسارة فظيعة خصوصًا أن مبلغا من المال كان فى المحل فاحترق مع البضاعة . . وهكذا عاشت الأسرة حياة فقر شديدة امتدت فترة من الزمن لدرجة أن بيته كان يخلو أحيانا من ثمن الخبز أو الشاى، وكان قياديًا فى بيته رغم أنه الثانى فى الترتيب بين إخوته، غير أن قوة شخصيته جعلته صاحب القرار بعد والده بالطبع، فقد كان بارا بوالديه مطيعًا لهم أشد طاعة محبًا لإخوانه الذين كان لهم شرف الانتماء للدعوة من طريقه فكان يدرسهم ويعلمهم الأخلاق النبيلة ويغرس فيهم حب الجهاد والتضحية.

تعرضه للاعتقال

وقد تعرض للاعتقال عدة مرات لثنيه عن طريق الجهاد والدعوة، فقد كان له شرف قيادة مسيرات ومواجهات ونشاطات الانتفاضة فى المخيم، ولم تكن فعاليات الانتفاضة العادية ترضى طموح واندفاع شهيدنا (محمد عزيز رشدى) الذى كان يحمل فى صدره ثورة بركان وفى قلبه بحر إيمان وفى خياله تتزاحم صور فرسان الإسلام أمثال خالد والمثنى والقعقاع . . وهكذا مضى محمد يطور قدراته وإمكاناته حتى استطاع الانتماء إلى كتائب الشهيد عز الدين القسام التى رفعت البندقية والمصحف طريقًا للتحرير.

وبدأت المطاردة

وفى ٥/ ٥/ ٩٣ بدأت رحلة المطاردة للاحتلال، بعد أن انكشف نشاطه العسكرى وعلاقته بالشهيد ماهر أبو سرور الذى كان مطاردا بعد قتله ضابط الاستخبارات الحقير

(نحماني) في القدس، ونفذ (محمد عزيز) خلال مطاردته سلسلة عمليات أولها قتل الكولونيل الصهيوني قرب مستوطنة تقع في منطقة بيت لحم بصحبة الإخوة خالد الزير رحمه الله ومحمد طقاطقة، وبعد مجيء إخوة مطاردين من غزة نفذ بمشاركة الشهيدين (إبراهيم سلامة) و (عبد الرحمن حمدان) عملية قرب معسكر الفوار حيث أطلقوا خلالها النار على سيارة عسكرية فقتلوا سائقها وأصابوا آخر بجرح، وقد شارك خالد الزير في هذه العملية، كما قامت مجموعة القدس القسامية بناء على أوامره باختطاف الجندي الصهيوني (يرون حين) وخطف سلاحه بعد أن اضطروا لقتله جراء انكشاف العملية أمام جندي آخر كان يقف في محطة الباص، غير أن فشل هذه العملية للإفراج عن الأسرى والمطالبة بإعادة مئات المبعدين الذين طردتهم إسرائيل إلى مرج الزهور بتهمة قيادة الانتفاضة، حيث أرسل المجاهدين (ماهر أبو سرور ومحمد الهندي -رحمهما الله- والمجاهد صلاح عثمان) لاختطاف باص مزدوج من التلة الفرنسية في القدس ولم يقدر النجاح للعملية، حيث أصيب صلاح عثمان بجراح خطيرة واستشهد (أبو سرور والهندي) أثناء انسحابهما بسيارة قرب حاجز جيلو مصطحبين معهم رهينة صهيونية، حيث قام الجيش بقصف السيارة بالصواريخ.

عناء العائلة

وقد تعرض والده وأخوة الشهيد للأذى الشديد من اليهود. فتعرضوا للاعتقال، وقد حكمت سلطات الاحتلال على شقيقه رفعت بالسجن لمدة ١٥ عامًا بتهمة الانتماء لكتائب القسام، والمعتقل المذكور هو طالب في السنة الرابعة في جامعة الخليل وقد اعتقل قبل عامين أثناء استعداده للزواج بالقرب من مخيم الفوار حيث تسكن خطيبته الصابرة وحطم منزلهم في كل عملية تنفذها بنادق المجاهدين، وكان صبرهم عظيمًا ومضربًا للمثل والقدوة، وكثيرا ما كان (محمد) يقول لوالده: اصبر يا أبتاه فإن عمر المختار جاهد الطليان وهو ابن سبعين عامًا ولا تنس الشهيد عز الدين القسام، وكان يلقى من والديه كل الدعم والمساندة.

وأما عن قصة استشهاده، فقد توجه يوم (١٣/ ٩/ ١٩٩٣م) بصحبة إخوانه محمد طقاطقة وخالد الزير وإبراهيم سلامة وعبد الرحمن حمدان، لتنفيذ عملية عسكرية في وادي سعير، حيث نصبوا كمينًا لباص ودورية عسكرية وأطلقوا النار فأصابوه إصابات مباشرة، ثم انسحبوا بعدها بسيارتهم وكان يقودها خالد الزير، وأثناء انسحابهم وفي

أسفل الوادى، فوجئوا بدورية راجلة تسير على جانبى الطريق، فأطلقوا نيرانهم نحو الجنود الذين ظنوهم من أنصار أوسلو لأنهم كانوا يضعون صورة عرفات وأعلامًا فلسطينية على سيارتهم، فأصيب الجنود المشاة إصابات مباشرة برصاص المجاهدين، واعترف العدو بإصابة اثنين منهم بجراح خطرة، واثنين بجراح متوسطة، وعندما أمر (محمد عزيز) السائق أن ينطلق بالسيارة وكانت تقف على حافة الطريق انقلبت وخرج الإخوة منها بسرعة خشية وصول الجيش للمكان وكان آخرهم محمد عزيز ومحمد طقاطقة، حيث أصيب محمد عزيز إصابة بالغة فى رأسه ويده، فربط طقاطقة يده بعنقه وأسنده لصعود الجبل للانسحاب من المكان. . وفى منتصف الجبل جلس شهيدنا وقال لأخيه لا أستطيع المسير أعطنى مخازن الذخيرة وانصرف فى الحال، فرفض طقاطقة أن يتركه وحيدا فأصر على ذلك وصرخ غاضبًا كإشارة أننا لن نموت معًا ما دام هناك مجال لنجاة أحدنا، وكانت حكمته فى ذلك والتى كان يرددها كثيرا (لا تضع البيض فى سلة واحدة)، وتمترس محمد خلف صخرة ومعه بندقية جاليلى وقنبلة يدوية حيث تصدى لقوات الاحتلال التى أضاءت المنطقة بقنابل الإنارة وشاركت طائرة مروحية فى الاشتباك وأطلقت نيرانها نحو محمد فأصيب برأسه إصابة مباشرة شطرته إلى نصفين بعد قرابة ساعة من المواجهة مع الصهاينة وفاضت روحه إلى بارئها تلعن أولئك الذين تخاذلوا وتنازلوا ودنسوا تاريخ نضالهم بمصافحة المجرم رابين صاحب سياسة تكسير العظام لأطفال الانتفاضة، وفى لحظات الاشتباك كان إبراهيم سلامة يختبئ على شجرة قريبًا تحميه عين الرحمن حين مر الجنود من تحته دون اكتشافه رغم إصابته، أما عبد الرحمن حمدان فقد اختبأ فى منزل قريب فيما اختبأ خالد الزير فى المستوطنة المجاورة للموقع. . وهكذا ضحى (محمد) بروحه لإنقاذ إخوانه، فكانت حياته مثل شهادته فداء لإخوانه ودعوته.

رحمك الله يا (محمد) وهنيئًا لك كرامة الشهادة وشرف الجهاد وعلياء الجنة وفردوسها، كأنى بك ذلك الرجل الذى حدث عنه الرسول ﷺ فقال: «**عجب ربنا تبارك وتعالى من رجل غزا فى سبيل الله فانهزم أصحابه، فعلم ما عليه فرجع حتى أريق دمه فيقول الله للملائكة، انظروا إلى عبدى رجع رغبة فيما عندى وشغفا فيما عندى حتى أريق دمه، أشهدكم أنى قد غفرت له**» رواه أبو داود. هنيئا لك يا محمد الشهادة. . والسلام على روحك الطاهرة وذكراك العطرة.

الشهيد /أشرف بشير محمد مهدى (أبو محمد)

١٩٩٣/٩/٢٦

«أشلاء أشرف الممزقة تحمل قسمات البيعة والولاء الصادق.. وتحمل ريح المسك والعنبر والدم والشهادة، ويُوارَى أشرف التراب ليعلن نهاية رحلته فى دنياهم على عجل للقاء الله تبارك وتعالى ليطوى صفحات حياته المحدودة بسنى عمره الزاخرة بالعطاء والجهاد والتضحية والفدائية».

فى الثانى عشر من سبتمبر من عام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين كان العالم يتأهب من أجل الاحتفال بتوقيع اتفاقية أوسلو.. كان البريق الإعلامى والضجيج الدولى يغطى كل شىء.. وغزة تغفو على أنغام الوعودات البراقة بشرق أوسط جديد.. وإن غزة سنغافورة الشرق.. فعليها أن تتأهب وترتدى حلتها البهية المزركشة..

كان وهم أوسلو يقتحم كل البيوت والضجيج يفتح كل القلوب، وتشرئب الأعناق لتجاوز الهموم اليومية للمواطن الفلسطينى ليغفو قليلاً على موسيقى أحلام السلام الموعودة، فئة قليلة محدودة كانت تضع أمام ناظريها خياراً وحيداً، حيث التصقت بذكر الأولين وأنساهم الشهداء القساميون الذين أودعوا المرحلة عصارة قلبهم..

فى هذا اليوم كان الضجيج الإعلامى يقتحم كل المواقع فى غزة، بينما تقتحم قوات الجيش الإسرائيلى (مسجد الرضوان) فى حى الشيخ رضوان بمدينة غزة، وفيه عدد محدود من الشباب المتواجدين، فانطلقوا يدافعون عنه باستبسال وفدائية متناهية.. وكان من أولئك الشبان الشهيد (أشرف).. الذى هاجم عدداً من الجنود بيديه.. إلا أنهم تكاثروا عليه وألقوه أرضًا وانهالوا عليه ضربًا لينهمر منه الدم يغطى أرض مسجده الحبيب شاهداً على دفاع الفتى عن بيت الله حتى الرمق الأخير.. واقتاد الجنود كافة الشبان بعد أن شدوا وثاقهم بينما تركوا أشرف يغطى دمه الأرض ظنًا منهم أنه فارق

الحياة أو فى حال الخطر الشديد. . لينقل إلى المستشفى لا يقوى على الحراك، وفى اليوم التالى مباشرة وبعد أن أفاق أشرف وصلته الكلمات الأولى من أخيه (أيمن عطا الله) الذى استشهد صباح هذا اليوم فى سيارته المفخخة، يهديه السلام والتهنئة بالسلامة والشفاء وتحية الفخر والاعتزاز على شجاعته فى مواجهة جنود الاحتلال. . كان لهذه التحية أثر خاص فى نفسية (أشرف) الحساس الرقيق. . . وبعد أيام يستشهد (بهاء الدين النجار) فى عملية تفجيرية جديدة ويتقدم (أشرف) إلى (كتائب القسام) راجيًا تجهيزه لتنفيذ عملية استشهادية جديدة. . . وتأتى الموافقة.

الموافقة التى تحمل إلى (أبى محمد) قدره الكريم العزيز الذى طالما حلم به، فقد كانت حقًا الشهادة أسمى أمانى (أشرف). . هتف بذلك من سويداء قلبه، كيف لا تكون أمنيته العظمى وحلمه الأكبر وهو الحافظ لكتاب الله تبارك وتعالى، فقد كان (أشرف) من أولئك الذين تربوا منذ نعومة أظفارهم على مائدة القرآن، وحينما أتم السابعة عشرة من عمره كان يحفظ سبعة عشر جزءًا من كتاب الله تبارك وتعالى. . وحينما جاءت الموافقة كان يحفظ ثلاثة وعشرين جزءًا. . وكان يجتهد لحفظ كتاب الله بأكمله.

ولم يكن حفظ القرآن منعزلاً فى حياة أشرف، بل كان القرآن يشغل عليه حياته. . كيف يطبق آيات الله ويلتزم حدوده فى السلوك والأخلاق والعلاقات مع ربه ونفسه ومجتمعه.

فكان لا ينقطع عن صلاة الفجر فى بيت الله تبارك وتعالى، وكان يحرص على صلاة الضحى والتى (ما حافظ عليها إلا مؤمن)، وكان دومًا على يقين بنصر دين الله تبارك وتعالى، ورفع رايته شامخة خفاقة، ولكن هذه الراية لن ترتفع دون الجهد والعرق والدم والدمع. . فكان يردد دومًا لأهله وإخوانه. . هذا الدين يحتاج إلى جهد وبذل وعطاء، ولن تكون لنا عزة دون جهاد، وقد كان لذلك جل حديثه عن الشهادة والشهداء. . .

ولم تكن تلك ألفاظًا فقط تخرج من لسان (أشرف) بل واقعًا حيًا ينبض بالجهاد والمقاومة والفدائية، فمنذ اليوم الأول لولادته فى الخامس والعشرين من يناير من عام ألف وتسعمائة وخمسة وسبعين فى (حى الزيتون) بمدينة غزة. . ليكون الابن السادس لوالده وشقيقًا لأربع أخوات. ورغم ذلك كان يرى والده فى محياه الجميل وطلعته

البهية وإشراقته النضرةَ مكنونـات ذاته ورحيق بلاده المجدل القابعة خلف حدود النسيان التى هجرها مع والديه رغمًا عنهم.

ومـا أن شبت خطى أشرف حتى بدا لوالده أنه على صواب، فقد كـان من أولئك الأبناء الطائعين الملتزمين إضافة إلى تفوقه المدرسى حيث أنهى دراسة الثانوية العامة، إضافة إلى مساعدة والده فى أعمال القص والتفصيل والحياكة.

ومع بدء مسيرة الانتفاضة المباركة كان (أشرف) قد بلغ الثالثة عشرة من عمره، رغم ذلك فقد شارك كل أطفال فلسطين الذين حلموا بمستقبل مشرق واعد، ليستيقظ على زخات الرصاص لا تفرق بين صغير أو كبير. وفى أجواء المواجهة والتحدى بدأت روح المقاومة تكبر فى صدر الفتى الصغير، تنقل من شارع إلى شارع فى حى الشيخ رضوان حاملاً سلاحه - حجارته المتواضعة - يقذف جنود البغى والعدوان..

كانت جرأة (أشرف) غير مألوفة لدرجة أنه اقتحم فى الأول من سبتمبر من العام ألف وتسعمائة وثمانية وثمانين، ولم يكن قد تجاوز أشرف حينها الرابعة عشرة من عمره، بناية يعتليها الجيش، فأطلق عليه الجنود النار فأصيب إصابة خطرة فى رأسه، نقل على إثرها إلى مستشفى تل هشمير، وقد وصف الأطباء حالته أنه ميئوس منها.

إلا أن قدر الله لايأس معه ولا قنوط، حيث أحاطته قدرة الله ورعايته ليحيا (أشرف) من رقاد ويعاود نشاطه ويلتحق بصفوف (جهاز الأحداث) التابع لحماس عدا عن نشاطه الدعوى الدائب فى (مسجد الرضوان) ومحيطه الواسع، إضافة إلى بصماته الملموسة فى نشاط الكتلة الإسلامية بمدرسة فلسطين الثانوية، فكان المجاهد الصغير العملاق يهب كل حياته ووقته وروحه فى سبيل الله تبارك وتعالى «كان يبشر دومًا بالإسلام الصاعد» متمثلاً فى هذا الجيل النموذج للعمل الفدائى المتفانى. وبينما كان يرسم بخطه الجميل بشائر المقاومة على جدران حيه المجاهد انقضت عليه فرقة من القوات الخاصة المتخفية بلباس مدنى، إلا أن أشرف قاوم كعادته بكل فدائية، وانهال عليه عشرات الجنود بالضرب المبرح وخاصة مكان إصابته مما أدى إلى اتساع جرحه الذى لم يلتئم تمامًا بعد.

حاولوا جاهدين انتزاع اعتراف منه لكنه صدمهم بإصراره اللامحدود رغم جراحه الغائرة التى دخل على إثرها مرة ثانية إلى المستشفى، ليخرج بكفالة مالية بعد يأسهم من اعترافه.

كانت هذه الحادثة القاسية درسًا جديدًا عميقًا من دروس المقاومة والجهاد يكتسب (أشرف) منها الصلابة ليخرج الفارس الذى لم يتوان عن أداء واجبه عاقدًا النية على مواصلة درب الحرية والخلاص. . . خرج منها بروح وثّابة جديدة، فقرر أن يمارس الرياضة بكل قوة ويتعلم فنون الكاراتيه والدفاع عن النفس إضافة إلى ممارسة هوايته المفضلة (السباحة)، فقد كان (أشرف) يرتاد البحر بشكل شبه يومى، واستمر فى مشاركته الفعالة فى مواجهات الانتفاضة الملتهبة ليصاب بالرصاص الإسرائيلى ثلاث مرات، ويستمر رغم ذلك مسلسل الجهاد فى سنى عمر (أشرف) المحدودة ليعتقل مرة ثانية بعد اعتقال أفراد مجموعته، ويزج به فى معتقل النقب الصحراوى يقضى هناك أربعة شهور طبع خلالها بصمات إخلاصه وتدينه، فقد أحبه كل من عرفه حيث شارك فى كافة الأنشطة، وكان يؤم رغم صغر سنه الشباب والشيوخ الذين وصفوه بالطاهر والمتفانى، وكان أشرف فى كل مرة يخرج من المعتقل لا يتوانى فى مواصلة طريق العطاء والتضحية، بل كان دومًا فى مقدمة الصفوف المجاهدة.

كانت كل قطرات الدم التى تنزف من جسده الطاهر الشريف ومراحل الصبر والثبات والصمود تحت أيدى الجلادين، وفى زنازين القمع وتحت الضرب المبرح، تشهد لهذا الفتى بعظيم ولائه لدين الله تبارك وتعالى وحجم إخلاصه وتفانيه لرفع الراية المقدسة ونشر الإسلام بشتى السبل المشروعة وفى مختلف الميادين.

والآن ها هو أشرف يستعد للرحيل الأعظم الأكرم إلى جوار الله تبارك وتعالى. ها هو الفتى الوسيم الذى لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره تفتح الدنيا ذراعيها لاستقباله بينما يفتح ذراعيه لاستقبال قدر الله العزيز الكريم. . يفتح ذراعيه لاستقبال جوار الله والجنة والحور العين. إنها الجنة تبغى ثمنًا، وها هو أشرف يقدم الثمن من جهده وجهاده ووقته وحياته ودموعه ودمه هاتفًا من سويداء قلبه، يا ربّ إن كنت تعرض جنة للبيع؛ بالنفس اشتريت.

يلتصق الفتى بدينه؛ يصوم النهار ويقوم الليل ويودع أهله وأصدقاءه وإخوانه ومسجده بنظرات الحزن على فراقهم، والأمل بلقاء الله تبارك وتعالى، ويخرج (أشرف) فى صبيحة السادس والعشرين من سبتمبر من العام ألف وتسعمائة وثلاث وتسعين بعد أن قضى ليلته قائمًا وأعلن نهاره صائمًا.

وها هو يخرج فارسًا مترجلاً ليركب سيارته المفخخة وينطلق بها إلى الفردوس الأعلى إلى النبى وصحبه. . وفى طريق الشيخ عجلين بغزة ينفجر الفتى مسرعًا إلى لقاء الله وغرز المخيط لا يزال برأسه من أثر الضرب الذى تعرض له فى مسجد الرضوان قبل أيام معدودة. وفى الليلة الأخيرة كتب (أشرف) رسالته الأخيرة ودع فيها أهله وحثهم على الصبر والثبات وتحمل نبأ استشهاده، مذكرًا إياهم بالموت إذًا فليحسن موتته، ثم دعاهم إلى صلاة ركعتين وأن يدعو له قائلين (اللهم إن عبدك أشرف كان يصدقك طلب الشهادة، اللهم فاصدقه، اللهم آمين).

ولمّا تناقلت الأنباء استشهاد (أبى محمد) استرجع آله أقواله، فحمدوا الله تبارك وتعالى وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، واحتسبوه عند الله شهيدًا، وجلس الجمع يستذكر (أشرف) الراحل الكبير إلى دار الخلد، ذلك الفتى الذى لم يخطئ فى حق أهله وإخوانه، تذكروا عطفه وبره بوالديه ومحبته لإخوانه. . كان يرى إخوانه أنه قرآن يمشى على الأرض، حفظ كتاب الله فى سويداء قلبه وطبقه واقعًا حيًا ومدرسة كاملة، فلم تصدر منه أى إساءة أو خلق ردىء ولم يحدث أنه قامت بينه وبين أحد مشكلة. وردد الجميع أن الشهيد قد ارتحل بعد أن مثل بحق واقعًا عمليًا أن (حفظة القرآن للتضحية عنوان).

وقد أقيم للشهيد سرادق عظيم يعلن فيه زفافه إلى الحور العين، وتقاطرت الجماهير من شتى أنحاء القطاع احتفاءً بالشهيد، وتقيم حركة المقاومة الإسلامية (حماس) حفل تأبين ضخم فى ميدان الشهداء بحى الشيخ رضوان، وتهتف آلاف الحناجر ألحان الوفاء والبيعة والوداع لفدائى التضحية. وخلال أيام العزاء تقدم قوات الاحتلال ليلاً وهى تحمل أشلاء أشرف الممزقة ليقوم آل مهدى بدفن أشلاء ولدهم الممزقة فى سبيل الله تبارك وتعالى. .

أشلاء (أشرف) التى تحمل قسمات البيعة والولاء الصادق، وتحمل ريح المسك والعنبر والدم والشهادة. ويوارى أشرف التراب ليعلن نهاية رحلته فى الدنيا على عجل للقاء الله تبارك وتعالى ليطوى صفحات حياته المحدودة بسنى عمره الزاخرة بالعطاء والجهاد والتضحية والفدائية.

الشهيد / موسى جاسر محمود السيد (أبو البراء)

١٩٩٣/١٠/٢



«ها هو صاروخ الخلود ينطلق بعد عشر ساعات من القتال الملحمي يمتطيه أبو البراء بكل الكبرياء والشموخ . . يتناثر جسده الطاهر في كل موقع، يرسم معلمًا في درب المستحيل من التحدي الجريء، وها هي الدماء الطاهرة تروي أشتال الأمل . . تغدو أشجاراً عظيمة . . يتفيأ ظلالها اليائسون من الاختراق لجدار الأمن الواهم للأخطبوط السرطاني الجاثم فوق الثرى الفلسطيني».

فجر الثاني من أكتوبر من العام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين أشرق على مخيم البريج الصامد، والحصار يشتد حول الدار التي تحصن بها المجاهد حامد القريناوي (المطارد القسامي)، الناس نيام وعينا المجاهد موسى ترصد كل حركة لقوات الاحتلال التي تتقدم بشكل منظم نحو الحصن، واستمر الجدل الدائر بين حامد وموسى، وحامد يقسم على أخيه أن لا يبقى داخل الدار ويتركه يواجه قدره وحيداً حيث إن موسى لم يكن مطلوبًا لقوات الاحتلال، وموسى لا يرى أمامه إلا خياراً واحداً . . خيار المواجهة كتفًا بكتف مع أخيه وتوأم روحه (حامد القريناوي)، وهو يردد عليه: لم نفترق في الدنيا ولن نفترق إن شاء الله، فإني أريد لنفسي ما تريد لنفسك.

اشتد الحصار، وتمكن الغاصبون من الدار، وخرج جميع الأهالي، وبقي عملاقا القسام يواجهان جيشًا جراراً، وارتفع لواء المعركة، وأطلق (أبو البراء) رصاصته الأولى دفاعًا عن الكرامة والوطن معلنًا روح الوفاء القسامي في الذود عن الحياض والعطاء اللامحدود.

استمرت الحرب الطاهرة . . . رصاصات القسام معدودة، ولكن الإرادة فولاذية، فكانت المعركة مشتعلة تحاول قوات الاحتلال اقتحام المنزل، ثم ترتد على أدبارها خائبة

خاسرة، ولمّا اقتربت مجموعة من جنود الاحتلال بجوار جدار المنزل كانت عين الراصد ترمقهم والساعد القسامى يقبض بقوة على قنبلة يدوية ينزع صمام أمانها وتسقط مدوية وسط جمع المعتدين ليسقطوا بين قتيل وجريح. يشتد القصف الصاروخى الهمجى ردًا على هذه الخسارة الفادحة، ولكن المعركة مازالت مستمرة، السواعد القسامية المتوضئة تواجه بكل إيمان وعزم وقوة الغطرسة الصهيونية والاستبداد الإسرائيلى، والأفواه الطاهرة فى البريج وكل فلسطين تلهج بالدعاء، أن يسدد الله رمى المجاهدين.

كان عشق الشهادة حلم (أبى البراء) الذى لا ينقضى، وها هى الشهادة والخلود تطل فى ثنايا قذيفة تنفجر إلى جواره أو صلية رشاش تصم الآذان تصنع بحرًا من الركام تحت قدميه. بقى الشوق الباسم للانتظام فى موكب الخالدين الذى تراصت صفوفه يجول فى خاطر (أبى البراء). هل يقدّر الله له أن يكون عضوًا فى هذا الركب المقدس، هل تتزين السماء بنجمه الذى يهوى فوق البريج الصامدة التى رسمت عبر تاريخها الوضاء معالم الجهاد والاستشهاد منذ العصر الأول للبيعة، فحفرت بأظافرها خندق المواجهة والتحدى وأنشبت مخالبها فى عنق الجلاد، تهزأ بالموت وتلحق بالمستحيل تجره إليها صاغرًا ليغدو الأمل قريبًا... قريبًا. أقرب من قذيفة تفتك بجدار مجاور (لأبى البراء)، أو أقرب من صلية رشاش تغرس أشتال الأمل بين قدميه الطاهرتين... ها هو صاروخ الخلود ينطلق بعد عشر ساعات من القتال الملحمى، يمتطيه أبو البراء بكل الكبرياء والشموخ، يتناثر جسده الطاهر فى كل موقع، يرسم معلمًا فى درب المستحيل من التحدى اللامعقول... وهاهى الدماء الطاهرة تروى أشتال الأمل.. تغدو أشجارًا عظيمة يتفيأ ظلالها اليائسون من الاختراق لجدار الأمن الواهم الأخطبوط السرطانى الجاثم فوق الثرى الفلسطينى... يدعم بقاؤها أباطرة العالم، وثلة من المجاهدين تمثل تهديدًا حقيقيًا لبرنامج السقوط فى براثن النظام العالمى الجديد والتسليم المطلق بالوجود والبقاء والتوسع فوق الذرا الفلسطينية المقدسة.

يرحل أبو البراء.. يحدد معالم الوفاء.. معايشة وصبر واحتمال وتضحية وبذل وفداء.. بقاء فى خندق الجهاد حتى الاستشهاد.. يأبى الخروج سالمًا.. يصمم على خياره الأوحد يقذف فى وجه القصف وفاءه اللا محدود.. ويستقبل فى صدره صاروخ التحدى يشطر قلبه المفعم وفاءً وإخلاصًا.. تهتف ملائكة السماء (ربح البيع أبا البراء)..


صفحة مفقودة


صفحة مفقودة

ولما انطلقت الانتفاضة المباركة أذن الله أن يخرج العملاق من قمقمه ليصنع مجداً عظيماً من الجهاد والفدائية والاستشهاد، كان موسى وقود هذه الثورة اللاهبة، فمنذ اليوم الأول للانتفاضة انطلق موسى جندياً مخلصاً فى صفوف (جهاز الأحداث) التابع لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) حتى غدا موسى علماً من أعلام المقاومة فى مخيم البريج.

كانت الثورة الكامنة فى نفس موسى تتصاعد وتخرج إلى حيز الوجود، انتقاماً للواقع المرير الذى يحياه شعب الأقصى الأسير والحرم الباكى وأرض الزيتون تنادى أبا البراء كى يبقى دوماً فى الطليعة ناهلاً من موائد القرآن الكريم ملتحقاً بسفينة الحماس وصولاً إلى إحدى الحسنيين.

درب المحنة يقود إلى الجنة كى يمحص الله قلوب عباده، فالتحق أبو البراء فى عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعين بمجموع المجاهدين الذى يضمهم سجن النقب الصحراوى، وما كاد يخرج من المعتقل حتى أعيد اعتقاله مرة ثانية فى مطلع عام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين يقضى محكومية جديدة بلغت ثمانية شهور قضاها خلف الأسلاك الشائكة والجدران السوداء المظلمة ولكنها كانت مدرسة جديدة تعلم خلالها موسى فنوناً إبداعية فى المقاومة والفدائية، كما أضاف إلى رصيده ثقافة إسلامية حركية ناضجة حول مفاهيم العمل الحركى والبناء التنظيمى المتين، فاشتاق كثيراً إلى تطبيق هذه المفاهيم على أرض الواقع بالعودة إلى ميدان الجهاد والتحدى. ليخرج من قلاع المقاومة فى أكتوبر من العام نفسه، أصلب عوداً وأقوى شكيمة ليتابع عمله الجهادى وعبر معالم جديدة.

ربح البيع أبا البراء وأنت تهاجر مجدداً إلى الله ورسوله تركل الدنيا خلفك وتنضم إلى كتيبة الراحلين نحو الخلود.. تنظر فى كتاب الله يحرضك على الفناء فى درب الاستشهاد.. فالجنة تنتظرك.. والحور العين تتزين لاستقبالك.. فلمَ التراجع.. فالتحقت فوراً بركب كتائب الشهيد عز الدين القسام (الجناح العسكرى لحركة المقاومة الإسلامية «حماس») تعمل بصمت وإخلاص وتضحية وتفان عز نظيره. (حامد القريناوى)، المطارد القسامى فى مخيم البريج، فكنت خير عون فى وقت جفت فيه منابع العون، فكنت السماء تظلل المجاهد القسامى وتسقيه ماء الوفاء تحجب عنه ظلام

الاغتراب، تبيع كل ما تملك وتصر على البقاء في الخندق الأمامي للمواجهة المقبلة فتكون رأس حربة وطليعة متقدمة لهذا الجهاد.

ربح البيع أبا البراء وأنت تصوب بندقيتك الرشاشة التي اشتريتها بمالك الخاص نحو دورية عسكرية تجوب مخيم البريج، وتساهم دومًا في خطف العملاء والتحقيق معهم وتنفيذ حكم الشرع في الخارجين منهم عن الدين والوطن. وها أنت اليوم تسطر ملحمة الوفاء الخالد وتصر أن تكون مع ركب الراحلين إلى الخلود المسطرين معالم التضحية والخلود والفداء.

هاجر جمع المجاهدين إلى الله، فوجب أجرهم على الله، فمنهم من مات ومنهم من لم يأكل من أجره شيئًا، كان أبو البراء أحدهم، أصابته القذيفة؛ تناثر جسده يزرع في كل بستان وردة للاستشهاد، ويتناول الظالمون جسده، وما علموا أنه استقر هناك ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]

فكانت ملحمة البريج مصدراً للوفاء والتفاني؛ سكنت فيها معاني الصدق والثبات والإيمان.. وكان (أبو البراء) معلم ذلك الفداء.

ولمّا كان الرحيل... رحيل الأساتذة.. أبى (أبى البراء) إلا أن يحقق هدفه وأن يربح بيعه، بُنى دين الله على أكتافه وإخوانه، ومضى قبل أن تقبل الدنيا فأجره على الله... وعده الله فأسرع بالوفاء.. فكان تمام البيع. ولمّا قدمت القافلة العسكرية تقل أشلاء جثمان (أبي البراء) وتمنع جل أحبابه من رؤيته أستاذا عملاقًا.. هبت مع قدوم أشلائه رائحة المسك التي غطت المكان.. وسكنت الروح التواقة للقاء في أرض البريج التي أحبت وفي ظل شجرة مورقة الأغصان، كان السكون الأخير لمعلم الوفاء.. وما تزال تلك الشجرة غضة نضرة وأوراقها خضرة.

طوال العام يرويها أبو البراء بدمه ويمدها بالغذاء.. وأغصان شجرة الشهادة التي غذى (أبو البراء) أحد أغصانها تتسامى وتكبر في مواجهة السرطان الذي يغزو الأرض الحرام على الدخلاء وأشلاء (أبي البراء) دواء هذا الداء السرطاني اللعين.

وانطلق الفتيان الذين نشأوا في كنف موسى ينهلون منه مفاهيم الإسلام، قالها بلسانه وها هو يخطها بدمه، وها هم على ذات الدرب يتحرقون شوقًا للحسنيين

يخطون بعلب الطلاء في كل المواقع عبارات التحية لقائدهم العظيم يودعونه على أمل اللقاء في الجنان.

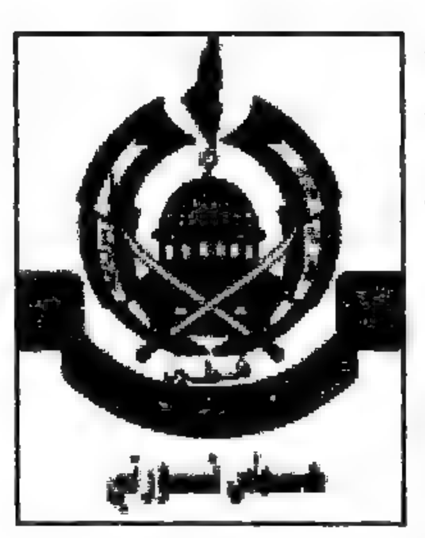
وحفل مهيب تكريمًا للشهيد تقيمه حركة المقاومة الإسلامية (حماس) يبرق الجمع الهدار بالتهنئة الغالية لأستاذ الوفاء والعطاء..

وها هو أبو (البراء) يرقب من بعيد ثمار غرسه الناشئ.. يبتسم راضيًا ويشد على يد (أبي جعفر) مهنئًا.. ويغمضا أعينهما ويناما...



الشهيـد/ حامد هزاع القريناوى

١٩٩٣/١٠/٢



نعرض ولأول مرة شهادات حية لأسرى فلسطينيين يمضى بعضهم أكثر من مؤبد عسكرى فى سجون الاحتلال أغلبهم فى سجن نفحة الصحراوى الذى يفتقر إلى أدنى المقومات الإنسانية، وتتركز هذه الشهادات حول بطولات كتائب القسام والتى استحقت وسام الشهادة لأجلها، وقد أطلقنا عليها اسم شهادات حية)لأنها حدثت فعلا وأخذت مصداقيتها من المشاركة الفعلية مع هؤلاء الأبطال أو بالحديث مباشرة مع أهالى هؤلاء الأشاوس، وها نحن نتحدث عن شهادة جديدة حول بطل من أبطال القسام، وستشمل هذه الشهادة أبطالا من الضفة الغربية وقطاع غزة ممن توفرت حولهم هذه الشهادات.

إن أحدًا من البشر لم يخلق عبثًا على وجه المعمورة، ومن ظن غير ذلك وجب عليه مراجعة نفسه قبل أن تلفظه الحياة لأنها لا تقبل ولا تحمل على ظهرها غير الأحياء، فإن كان لك دور تؤديه فأنت تستحق الحياة وإن كنت مؤمنًا بدورك وهدفك فليس أقل من أن تنذر حياتك لأجله وأن تطلب أن تدفع عمرك ثمنًا لتأدية دورك، فلا تتردد لأنك بهذا تؤدى شهادتك وتستحق أن تدعى شهيدا، وما أجمل الحياة مع الشهداء، وما أجمل ذكراهم وأحبها إلى النفس، ونلتقى وإياكم مع رجل نذر حياته للدفاع عن دينه ووطنه وبذل لأجله الغالى والنفيس، واستحق فى النهاية أن يكون شهيدا، نتعرف إلى الشهيد «حامد هزاع القريناوى» الذى ولد لأسرة متدينة محافظة انتهى بها التشريد إلى مخيم البريج فى قطاع غزة، ورزقت العائلة بطفلها حامد عام (١٩٦٩م) بعد عامين من النكسة التى ألمت بشعبنا الفلسطينى، ونشأ شهيدنا فى أسرة يغلب عليها العلم والثقافة والالتزام الشرعى، وأحاطوه بعطفهم ورعايتهم ومحبتهم، وتلقى دراسته الابتدائية والإعدادية فى مدارس المخيم، وأنهى دراسته الثانوية فى مدرسة خالد بن الوليد فى مخيم النصيرات

ودفعه حبه للعلم للالتحاق بالجامعة الإسلامية التى كان نصيبها الإغلاق مع بداية الانتفاضة نظرا لدورها الطليعى فى قيادة نشاطات الانتفاضة، وعرف حامد بالتزامه بمسجد البريج الكبير، وكان من أوائل المشاركين فى الانتفاضة وفعالياتها الجماهيرية، لا يعرف الكلل أو الملل، يصل ليله بنهاره فى جهاد بغير هوادة مما عرضه للاعتقال لأكثر من سنة إضافة لإغلاق غرفته من قبل قوات الاحتلال، فكان السجن محطة جهادية فى حياة شهيدنا أكسبه تجربة اعتقالية وصقل شخصيته الجهادية فكان بمثابة التهيئة لمابعد السجن من جهاد ومطاردة، فاعتنى شهيدنا بكل لحظة يستغلها فى تنمية قدراته الذاتية، وظلت تراوده أفكار العودة إلى الحرية وتجدد الجهاد من جديد، وقد تزامن خروجه من السجن فى النقب مع تشكيل أول مجموعة مسلحة لكتائب القسام فى مخيم البريج عام (١٩٩١م) فاجتمعت الآراء على اختيار حامد ضمن المجموعة لما عرف عنه من إلحاح على تطوير العمل العسكرى ونشاط متواصل ضمن السواعد الرامية وتميزه بحسن الخلق والصراحة والتواضع والوفاء ومحبة إخوانه له كما أنه من رواد المسجد وحفظة القرآن المعروفين، وقد واجه تشكيل المجموعة مشكلة عدم توفر السلاح فى البداية، فاقتصر العمل على مطاردة العملاء فى منطقة المخيمات الوسطى ولم يكن بحوزتهم سوى مسدس قام الشهيد حامد بإحضار رضاصاته من مزبلة الجيش قرب المخيم، وبهذه الرصاصات تم قتل أول مستوطن على مفترق دير البلح بتاريخ (١/ ١/ ١٩٩٢م) وكان حامد يؤثر العمل بصمت وتخطيط دقيق وينزل دائمًا عند رأى إخوانه إذا علم فيه الصواب والسداد، وأكثر ما كان يضايقه تأجيل العمل أو وقفه ولو لفترة قصيرة، وقد كان يعمل بشكل متواصل ولا ينام غير ساعات معدودة فكنت تجده مستيقظا قبل الفجر بساعتين أو ثلاث يمارس نشاطات الانتفاضة ويرصد دوريات الاحتلال. فى إحدى الليالى أطلق الجنود النار على مجموعة من المجاهدين معهم حامد أثناء إغلاقهم لطرقات المخيم فى أحد أيام الإضراب.. وانبطح الإخوة أرضًا ليمر الرصاص من فوق رؤوسهم دون أن يصابوا بأذى، وكان حامد آخر من يتواجد فى ساحة المواجهة، وكان لشدة حرصه على الشباب المسلم قد خصص منزلا لأسرته كملتقى للشباب المسلم خشية أن ينجرفوا خلف التيارات العلمانية والشيوعية، وهكذا كان حامد شعلة من العطاء والبذل لا يعرف الراحة أو الهدوء، وبعد اعتقال عدد من أعضاء الكتائب على الحدود المصرية التحق شهيدنا بالمطاردين القساميين وفيهم عماد عقل وياسر الحسنات

والزايغ والنمروطى وقنديل وهم أوائل مطاردى القسام، ورغم قلة الإمكانات فقد استطاع تشكيل مجموعة جديدة فى المعسكرات الوسطى لاستئناف العمل الجهادى، واستمرت مطاردته قرابة العامين كانت المخابرات لا تعلم هل هو فى القطاع أم تسلل إلى مصر عبر الأسلاك، وبتاريخ (٢/ ١٠/ ١٩٩٣) استطاعت المخابرات الوصول إلى مخبئه فى منزل عبد الرحمن البحر فى مخيم البريج عن طريق عميل، فحاصرت قوات كبيرة المخيم وأحكمت الحصار على بلوك (٧) وتم إخلاء المنازل المجاورة ليبدأ القصف مع ساعات الفجر. . ويرتقى حامد شهيداً إلى جنان الخلد بصحبة أخيه موسى السيد الذى رفض تسليم نفسه رغم إلحاح حامد عليه لأنه لم يكن مطاردا، وقد تمكن الشهيدان من الالتحام بشجاعة مع قوات الاحتلال التى فاقتهم عددا وعدة وتمكنوا من إصابة بعضهم حسب شهود عيان.

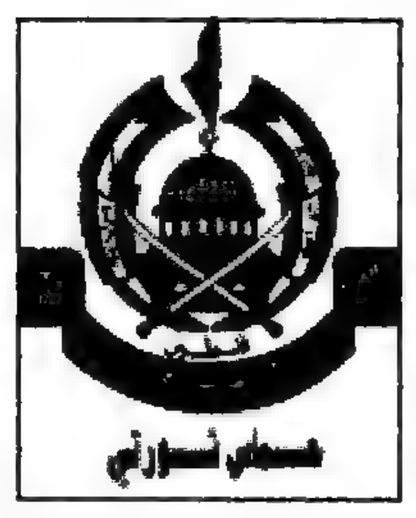
بقى أن نقول إن قلة الإمكانات وحداثة التجربة العسكرية لدى المطاردين قد مكنت بعض العملاء من الوصول لخبرة إخواننا. . وتصفيتهم، كما أن الحركة لم تكن هيأت الأجهزة القادرة على تقديم الدعم للمطاردين. . فكانوا لقمة سائغة للعملاء وأسيادهم الصهاينة رغم ما امتازوا به من جرأة وشجاعة واستبسال منقطع النظير.

رحم الله شهداءنا الأبرار. . وإلى جنان الخلد يا حامد والسلام على روحك الطاهرة.



الشهيـد/ خالد الزير

١٩٩٣/١١/٢٦



نعـرض ولأول مـرة على مـوقع قـسـام سلسلة من شهادات حية لأسرى فلسطينيين يمضى بعضهم أكثر من مؤبد عسكرى فى سجون الاحتـلال أغلبـهم فى سجن نفـحـة الصـحـراوى الذى يفـتـقـر إلى أدنى المقـومـات الإنسانية. وتتركز هذه الشهادات حول بطولات كتائب القسام والتى استحقت وسام الشهادة لأجلها، وقد أطلقنا عليها اسم شهادات(حية) لأنها حدثت فعلا وأخذت مصداقيتها من المشاركة الفعلية مع هؤلاء الأبطال أو بالحديث مباشرة مع أهالى هؤلاء الأشاوس، وها نحن نتحدث عن شهادة جديدة وهى الشهادة الثالثة حول بطل من أبطال القسام وهو الشهيد القسامى خالد الزير من منطقة بيت لحم.

المثل الرفيع

نعيش معكم وبكم فى هذه الحلقة الجديدة مع الشهيد القسامى خالد الزير، مع أولئك الذين بعثوا الحياة فى الحياة، وغادروا دنيانا ليبقوا فيها إلى الأبد أرواحًا ترفرف فى عليائنا ،وذكريات يتردد صداها وتنطبع صورتها فى كل شىء جميل فى هذا الوطن، إن على المسلم الصادق أن يؤدى شهادة لهذا الدين، شهادة تؤيد حق هذا الدين فى البقاء وتؤيد ما يحمله الدين من سعادة للبشرية، وهو لا يؤدى هذه الشهادة حتى يجعل من نفسه وسلوكه وحياته صورة حية لهذا الدين، صوره يراها الناس فيرون فيها مثلا رفيعًا يشهد للإسلام بالأحقية فى الوجود، والخيرية على سائر الأوضاع والأنظمة، فيجاهد لأجل هذا الحق يكون قد شهد أن هذا الحق خير من الحياة ذاتها، وعندها فقط يدعى شهيد.

هكذا كان شهيدنا صورة حية وضميراً نابضًا بالإسلام تتحرك كأنها أشعة الشمس تنشر الضوء بين السكان الطيبين فى قرية (حرملة) قضاء مدينة بيت لحم، ففى المسجد

كان المدرس والخطيب والواعظ والمربى لناشئة الدعوة والداعية الناجح المحبوب من الجميع، وكان حريصًا على تربية الأطفال والناشئة. فأقام فريقًا لكرة القدم فى مسجد القرية وأنشأ روضة للأطفال أشرف عليها بنفسه وعمل سائقًا لسيارة الروضة، حتى لحظة انضمامه لصفوف المطاردين من مجاهدى كتائب عز الدين القسام.

نشر الدعوة..

وقد حرص على إقامة الإفطار الجماعى لتكون فرصة للتعارف والتآلف وفتح آفاق جديدة لانتشار الدعوة فى جميع المجتمع، ولا نستغرب على خالد الزير كل هذا النشاط الدعوى، فهو خريج كلية الدعوة فى القدس التى رضع فيها حب الدين أولا وحب الأقصى ثانيًا. . . ، وكان لبراعته فى السياقة دور كبير فى اختياره للجهاد فى صفوف الكتائب عن طريق أخيه و رفيقه محمد عزيز رشدى من مخيم العروب فى محافظة الخليل، حيث شارك فى قتل الكولونيل الصهيونى قرب مستوطنة تقوع فى منطقة التعامرة جنوب بيت لحم بصحبة المجاهد (محمد طقاطقة) الرابض فى سجن هداريم والشهيد محمد عزيز رشدى، وشارك فى إطلاق النار على باص قرب بلدة حلحول أدى لإصابة عدد من الصهاينة وشارك فى عملية المجنونة قرب(دورا) بإطلاق النار على سيارة فورد ترانزيت، فقتل سائقها وجرح معه جندى آخر وشاركه فيها المجاهدان إبراهيم سلامة وعبد الرحمن حمدان رحمهما الله، وشارك فى الإعداد لخطف الجندى (يرون حين) وقتله، فى ذروة نشاطه الجهادى، نفذ بصحبة محمد عزيز عملية إطلاق نار باتجاه باص جيب عسكرى فى منطقة سعير، وعند الانسحاب فوجئ خالد وكان يقود السيارة بحاجز عسكرى، حيث كانت احتفالات لحركة فتح بمناسبة اتفاقية أوسلو بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٩٩٣م فانقلبت السيارة وانسحب المجاهدون مثخنون بالجراح تاركين وراءهم قائدهم الشهيد محمد عزيز رشدى الذى آثر التضحية بنفسه ليحمى انسحاب إخوانه ويكون دمه لعنة على مصافحى المجرم رابين صاحب سياسة تكسير العظام وهدم البيوت والإبعاد الجماعى لمجاهدينا إلى مرج الزهور، وبعد هذه العملية أصبح شهيدنا «أبو عبد الرحمن» مطاردا للمخابرات الإسرائيلية، وبعد أن انكشف دوره البطولى فى صفوف الكتائب.

عندما تقبل الدنيا ..

كان خالد واحداً ممن أقبلت عليهم الدنيا بكل زينتها وزخرفها، فآثر الآخرة، فقد كان بهى الطلعة باسم الثغر محبوبًا للجميع، رزقه الله الزوجة الصالحة والطفلة الجميلة التى تحاكى ببراءتها بزوغ الشمس، فترك ذلك كله وانطلق باذلا إمكاناته كلها بما فى ذلك جواهر زوجته لشراء السلاح ليثخن به أعداء الله، وقد كان لنشأته فى بيت يغمره الإيمان، الأثر العظيم فى نقاء سريرته وحسن سيرته.

وكان دخوله السجن عام ١٩٩٠م محطة انطلاق لجهاده المبارك، تحول بعدها إلى بؤرة جهاد وتجميع للشباب المجاهد، وكانت حافزا له للانتقال إلى العمل العسكرى والبحث عن مصادر لتوفير السلاح، وكان يردد دائما ذكرى صور باهر الحبيبة إلى قلبه، منذ أيام الدراسة، لتكون فيها شهادته ويلقى من هناك نظرة الوداع على تراب القدس الذى أحبه وعشقه وجاهد لتحريره ودحر الغاصبين عن ثراه الطاهر، وكان ذلك إثر حصار القوات الخاصة للمنزل الذى يأويه بتاريخ ٢٦/ ١١/ ١٩٩٣م صباح يوم الجمعة.

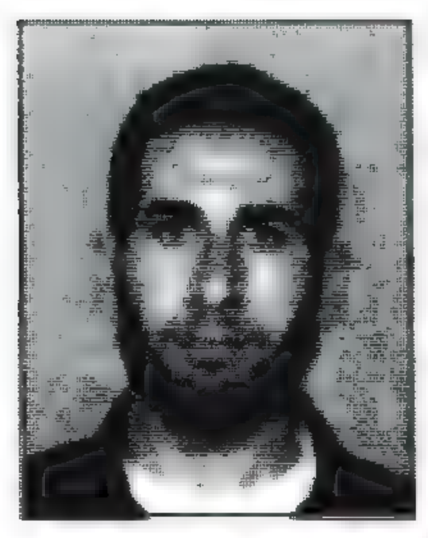
آخر أيامه:

وأما آخر أيامه قبل الشهادة، فكان صائمًا الخميس وقضى ليلة الجمعة قائمًا الى ما بعد الثالثة، وبعد صلاة الفجر أوى إلى فراشه استعدادا لمغادرة البيت الساعة الثامنة صباحًا لموعد كان قد حدده، وما درى أن موعده كان مع الشهادة وأن يوم الخميس كان إفطاره الأخير فى الدنيا، ولحظة خرق الرصاص جسده الطاهر وقع على ركبته وسقطت جبهته على الأرض كأنما أراد أن يصعد بروحه ساجدا لله. رحمك الله يا خالد. . . طبت حيًا بيننا وحيًا فى الجنان. . . حيًا تبعث فينا الحياة، وتذكرنا أن التجارة الرابحة هى مع الله. . . وأن الفوز فوز من زُحزح عن النار وأدخل الجنة، والسلام على روحك الطاهرة.

***

الشهيـد/ بسام محمد الكرد (أبو محمد)

١٩٩٣/١٢/٧



«الآلاف تلقى تحية الختام لرجل ملأ الدنيا جهاداً وعطاءً وتضحيةً، فاستحق سلام العظماء فى الوداع الأخير لعملاق فريد، زرع فى كل موقع سنبلة للقسام ضاعف الله غراسها فأنبتت ألف حبة، ها هو (أبو محمد) يسلم الروح بعد أن أدى الأمانة وأودعها فى جنبات القلوب المؤمنة نوراً وناراً. . . يرحل بعد أن حمل الراية ردحًا من الزمن. . . يسلم الروح والمجد القسامى يتسامى على الجراح وشجرة الجهاد لازالت نضرة الغصون بهذه الدماء الفياضة الطاهرة».

كان الركب القسامى الإيمانى يتقدم نحو البوابة الجنوبية للوطن المغيب بين الأسلاك الشائكة والغربة عن أبنائه الذين عاشوا فيه عبيداً لأولئك الذين سرقوا الأرض وشيدوا المدن والمستوطنات كى تبقى منغرسة فى قلب الوطن.

كانت هذه المستوطنات سرطانًا يسرى فى قلب الأرض المقدسة، يشعر به أولئك الرجال الذين امتشقوا السلاح كى يبتروا المرض المستشرى فى الأرض.. ويجعلوا من دمهم أداة هذا البتر.

الموكب النورانى يتقدم وكل لحظة ترى (بسام الكرد) أحد أبرز مقاتلى كتائب الشهيد عز الدين القسام يتراجع إلى الوراء، خطوات ويرفض التقدم مقسمًا الأيمان المغلظة على العودة السريعة إلى أرض الوطن، مصممًا على أن الخروج جريمة سوف يحاسبنا الله تبارك وتعالى عليها، وأن قرار الخروج خاطئٌ أيًا كان مصدر القرار، ويقفل (أبو محمد) راجعًا إلى (رفح الصمود)، يلح عليه إخوانه أنه سيكون فى خطر، خاصة أن لا أحد يعلم بعودته وأنه من الضرورى أن يواصل الطريق معهم.

يقف (أبو محمد) جامداً كالصخر ساكنًا كالليل، يذرف الدمع كأمواج البحر، هل كتب علينا أن نغادر الأرض؟ هل هذا هو قدر الله لنا؟ بل إننا نسير الآن للخروج بإرادتنا ولن يشفع لنا أحد أمام الله تبارك وتعالى.

يساعدون أبا محمد على التقدم، يرتجف الخطى، لم يكن (أبو محمد) ليهرب من الموت، بل كان يبحث عنه ليل نهار، يتقدم إلى مواقع الجهاد حيث يرى أن فيها الشهادة، ولو علم أنه على بُعد خطوات منه يقبع قدر الله الغلاب ينتظر حيث تقبع خفافيش الليل تنتظر الصيد الثمين، ستة نفر من خيرة مطاردى كتائب الشهيد عز الدين القسام تمسهم عين الغدر. . وها هو كمين الموت ينتظرهم فى الساعات الأولى لفجر الثامن من مايو من العام ألف وتسعمائة وثلاث وتسعين.

الركب النورانى يتقدم. . وملائكة السماء تستعد لتحتضن الأرواح الطيبة والسماء تتزين. . تفتح أبوابها كى يدخلوها بسلام آمنين لحظة الصباح الصامتة، حيث العصافير تغرد. . انطلقت صواريخ الحقد الأسود من كل مكان تستهدف الركب الطاهر. . تتمزق أشلاء المجاهدين، تتناثر. . لا تتمايز عن بعضها البعض، تحلق الأرواح فى السماء. . تتلقاها الملائكة. . تزرعها فى حواصل طير خضر، يمتطى (أبو محمد) صهوة المجد ويرتقى إلى الفردوس الأعلى. . هناك حيث النبيون والصديقون والشهداء لينال حلمه الأعظم وشهادته العليا، كم كان بسام فى شوق إلى لقاء الله تبارك وتعالى منذ اللحظة الأولى التى التحق فيها بركب كتائب الشهيد عز الدين القســـام، أخبر قيادته لا أبايع إلا على شىء واحد. . (الموت). . (قالوا نعم الرجل أنت من نبحث عنه).

لم يكن يعطل أبو محمد عن مشروعه الاستشهادى عياله الذين بلغ عددهم ستة، ولا عمره الزمنى وهو الآن على أبواب عقده الثالث، فقد ولد شهيدنا فى منطقة الجرن فى جباليا فى الثامن عشر من أبريل من عام ألف وتسعمائة وثلاثة وستين، كان والده الحاج (محمد الكرد) ككل الآباء الفلسطينيين يخرج من بزوغ فجر النهار ولا يعود حتى الليل من أجل أن يوفر لقمة الطعام لأبنائه الذين يقبعون فى بيتهم القرميدى الذى طُور عن الخيمة التى تسلموها من وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين بعد الرحيل الأكبر عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين، حيث هاجرت عائلة شهيدنا من قرية (بيت طيما) والتحقت بزحوف المهاجرين إلى (مخيم جباليا) الثورة، كان الأبناء يكبرون

ويكبر معهم الحلم الفلسطينى بعودة الأبناء إلى وطن الأجداد، وكان من الأبناء بسام وبسيم اللذين التحقا بركب المقاومة كى يشقا بأظافرهم طريق العودة، فكان أن اعتقل بسيم ونال حكمًا قاسيًا بالسجن، واستشهد بسام وهو يطارد أعداء الله.

كان أبو محمد يتمتع بذكاء حاد، رغم أنه لم يكمل دراسته، حيث أنهى المرحلة الإعدادية، والتحق بسوق العمل ليتقن مهنة (القصارة) كى يساعد فى إعالة آل بيته فى ظل الظروف الخانقة التى يحياها أهل المخيم قاطبة.

كان شهيدنا مميزًا بالشجاعة والجرأة، وكانت تلك الصفات أول ما برزت فى شخصية (بسام)، فعندما التحق بالمدرسة الابتدائية، وكان فى الصف الأول الابتدائى حيث ألقى الفدائيون قنبلة على مركز شرطة أحدثت إصابات كثيرة وتجمعت الشرطة بشكل كثيف، فما كان من الطفل الصغير إلا أن ألقاهم بالحجارة، فأمسكوه وتم استدعاء أهله حيث صدر بحق والدته قرار حضور يومى إلزامى إلى مركز الشرطة من الساعة الثامنة صباحًا، وحتى السادسة مساءً، وأن يحضروا معهم ولدهم الذى يرجم الحجارة، واستمر هذا الحال أربعين يومًا، وأحيانًا كثيرة كانوا يستجوبونه فى غرف التحقيق حول من الذى دفعه لإلقاء الحجارة. . . كانت هذه الشخصية بتلك المعالم الزاهية لم تكن تبقى فى غير ذات الدرب الذى نشأت فيه.

وكم كان هذا الطفل حبيبًا إلى قلب أمه بشكل خاص، والتى كانت ترعاه فى كل خطوة من خطواته، وكم شعرت برجولته المبكرة، وكان من أبرز معالم هذه الرجولة الالتحاق السريع ببيوت الله تبارك وتعالى يؤدى الصلوات جميعًا دون انقطاع حتى عن صلاة الفجر، كما يقوم برفع صوته مؤذنًا مناديًا الناس للصلاة، ولا ينقطع مطلقًا عن كتاب الله تبارك وتعالى تلاوة وحفظًا. وكان أجمـــل الأوقات لدى (بسام) يوم ينطلق إلى شاطئ البحر يغوص فى أعماق المياه ويجوب البحر.

استمر (بسام) فى دربه يمخر عباب بحر الحياة يرتشف رحيق الإسلام صافيًا نقيًا من بيوت الله تبارك وتعالى، وفى كنف ورعاية جماعة (الإخوان المسلمين)، الذين التحق (بسام) فى ركبهم فى عام ألف وتسعمائة وستة وثمانين، وتدرج فى ركبهم الدعوى حتى غدا (نقيبًا)، ونادرًا ما يصل إلى هذا الموقع من هو فى مستوى تعليمى منخفض، ولكن بسام كان قد تجاوز تلك العقبة بمواصفاته الخاصة وذكائه الحاد وهمته المتقدة، حتى أنه كان يقود النشاط الدعوى الإسلامى فى مسجده.

وما كادت الانتفاضة الفلسطينية الماجدة يبزغ فجرها فى التاسع من ديسمبر من عام ألف وتسعمائة وسبعة وثمانين حتى كان بسام الرائد الأول فى منطقة بيت لاهيا، (حيث انتقل وأهله للسكن هناك)، فلا تكاد تلحظ دقيقة هدوء أو سكون فى حياته ؛ ينطلق نحو المسجد منذ الفجر، ومن هناك ينطلق إلى عمله ثم يعود إلى المسجد، ومساءً تراه يرتدى زى الانتفاضة (اللثام) يخط على الجدران شعارات المقاومة ويضع الحواجز والمتاريس، وليلاً ينكب على الأوراق يكتب التقارير الأمنية اللازمة لتواصل المسيرة، ولم يكن ذلك يخفى عن الأعين التى ترصد حركات المقاومين، فكان الاعتقال الأول فى حياة (بسام) فى منتصف عام ١٩٨٨، حيث قضى ثمانية عشر يومًا فى التحقيق وخرج بعدها بتجربة جديدة، أضافت إلى رصيد (أبى محمد) رصيداً وخبرة.

وما كاد أبو محمد يخرج من المعتقل حتى كانت قوات الاحتلال تداهم منزله وتعتقله مرة ثانية، ولكن بعد تحقق معلومات حول انتمائه إلى جهاز الأمن والدعوة (مجد) التابع لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وكان ذلك فى عام ألف وتسعمائة وثمانية وثمانين، وهى الضربة الأولى التى تعرضت لها حركة (حماس)، ولم تكن على نطاق واسع.

ويتم الحكم على بسام بالسجن لمدة ثمانية عشر شهرًا، وعلى أرض النقب الثائر يواصل بسام دوره الجهادى والأمنى، حيث يعمل ضمن جهاز الأمن العام لحركة حماس، وكان من أوائل الذين أسسوا الجهاز الأمنى فى النقب ليواصل دوره المقدس يرصد العملاء، يحصل منهم على المعلومات اللازمة للمواجهة المستمرة مع قوات الاحتلال سواء على أرض (النقب) أو فى الخارج، هناك فى (قطاع غزة).

ولم يكن ينقطع أبو محمد عن حنينه للعودة السريعة إلى أرض المعركة، ولم يرَ فى العمل الأمنى على أرض النقب سوى مسكنات وأن ميدان العمل الحقيقى هناك على أرض (غزة هاشم)، حيث المجال مفتوح لخلق فجوات وتصدعات فى جند الاحتلال المتغطرس.

وما كادت أيام الاعتقال تنقضى والتى تزود فيها بسام بخير الزاد (التقوى)، فالتجأ إلى كتاب الله تبارك وتعالى يتلوه ويقوم الليل بصحبة إخوانه، وخرج من السجن ليعود سريعًا إلى حلبة الجهاد والمقاومة، فالتحق بكتائب الشهيد عز الدين القسام

(الجناح العسكرى لحركة المقاومة الإسلامية - حماس)، فقد كانت النواة الأولى للكتائب تنطلق بطيئًا فى جباليا الثورة، وكان كثير من الذين قاوموا الاحتلال فى مجموعات ولجان حركة حماس هم الذين بادروا بتأسيس الجهاز، ولم يكن (أبو محمد) ليغيب عن إخوانه الذين أحبهم أمثال (بشير حماد وعماد عقل) يخوضون مرحلة جديدة للجهاد والمقاومة

وتركز دور (بسام) فى هذه المرحلة فى السعى الدؤوب لتوفير السلاح، وقد كانت تلك المهمة الأصعب فى تلك المرحلة، فالسلاح شحيح جدًا، وقديم، والأموال لا تتكافأ بحال مع السلاح المراد الحصول عليه، لذلك ما أن حصلت المجموعة على كارل غوستاف قديم لا يطلق النار فى أحيان كثيرة حتى أعدت جموع المجاهدين احتفالاً حقيقيًا بهذا الفتح الجديد. عدا عن دور (بسام) الكبير والمتواصل فى كتابة التقارير حول العملاء وحركاتهم فى عملية رصد شامل طالت إثر ذلك مجموعة ممن باعوا ضمائرهم للشيطان وارتكبوا أعمالاً قاسية ضد الشعب الفلسطينى. وامتدت عمليات الرصد لتشمل دوريات قوات الاحتلال التى تجوب المنطقة الشمالية من قطاع غزة. استمر (أبو محمد) يخط معالم الجهاد فى شتى المناحى والدروب يفتح الآفاق لكل عمل جديد أو رؤية مستحدثة جادة.

حرص دومًا أن يكون قريبًا من الله تبارك وتعالى مبتهلاً إليه مقبلاً عليه حتى غرس الإيمان فى قلبه الهانئ بحب الله، فكان مقدامًا يحب الموت، كما يحب الناس الحياة، يقول لأهله دومًا.. وداعًا.. وداعًا إلى اللقاء فى ظل عدالة السماء، أوصيكم أن تلتزموا دومًا بالزى الإسلامى، وألا تتركوا كتاب الله من أيديكم، اقرءوه واحفظوه وتدبروا معانيه، وإياكم وترك الصلاة أو إهمال فريضة، وكان يمثل لهم القدوة الحسنة فى هذا المجال لا يترك صلاة الفجر بل كان يذهب لإخوانه إلى بيوتهم يوقظهم للصلاة على ما فى ذلك من مشقة، ولا يكاد ينسى صلاة الضحى، حتى عُرف بين إخوانه (بالقانت) دومًا.

كان يخشى على أهله أن ينغرسوا فى الدنيا، فتشغلهم عن الآخرة، ويدعوهم إلى الاحتراس من العملاء ومن الذين لا يتقون الله عز وجل، كان ذلك النهج القويم والصراط المستقيم ديدنًا متواصلاً لفتى شمر عن ساعد الجد، فما كلّ ولا ملّ.

استمر يؤدى بهذه الروح المتقدة والعزيمة الصلبة دوره بكل أمانة وسرية وإخلاص، ومنذ أن غرس البذرة القسامية حتى استوت على سوقها تعجب الزراع لتغيظ الكفار، وبسام يكلؤها برعايته ويحفظها فى سويداء قلبه عهداً وبيعة وقسماً.

وها هو اسم (القسام) يدوى فى أرجاء الدنيا يحمل الرعب لقلوب تحمل الجبن والخور، فكان النصر قبل النصر، وكانت الهزيمة قبل الهزيمة حتى وقف عز الدين القسام عملاقًا يغطى بين السماء والأرض، هبَّ من موته على يد هذه الثلة المؤمنة لتعيد التاريخ وتمتد أحراش يعبد تغطى كل ذرة تراب فى فلسطين، فالقسام وكتائبها فى كل مكان تملأ عقول اليهود وقلوبهم رعبًا وخوفًا. وها هى كتائب القسام تنفذ فى ٧/ ١٢/ ١٩٩٣عملية الشجاعية وتقتل ثلاثة جنود، ويغلى دماغ إسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلى حينها.

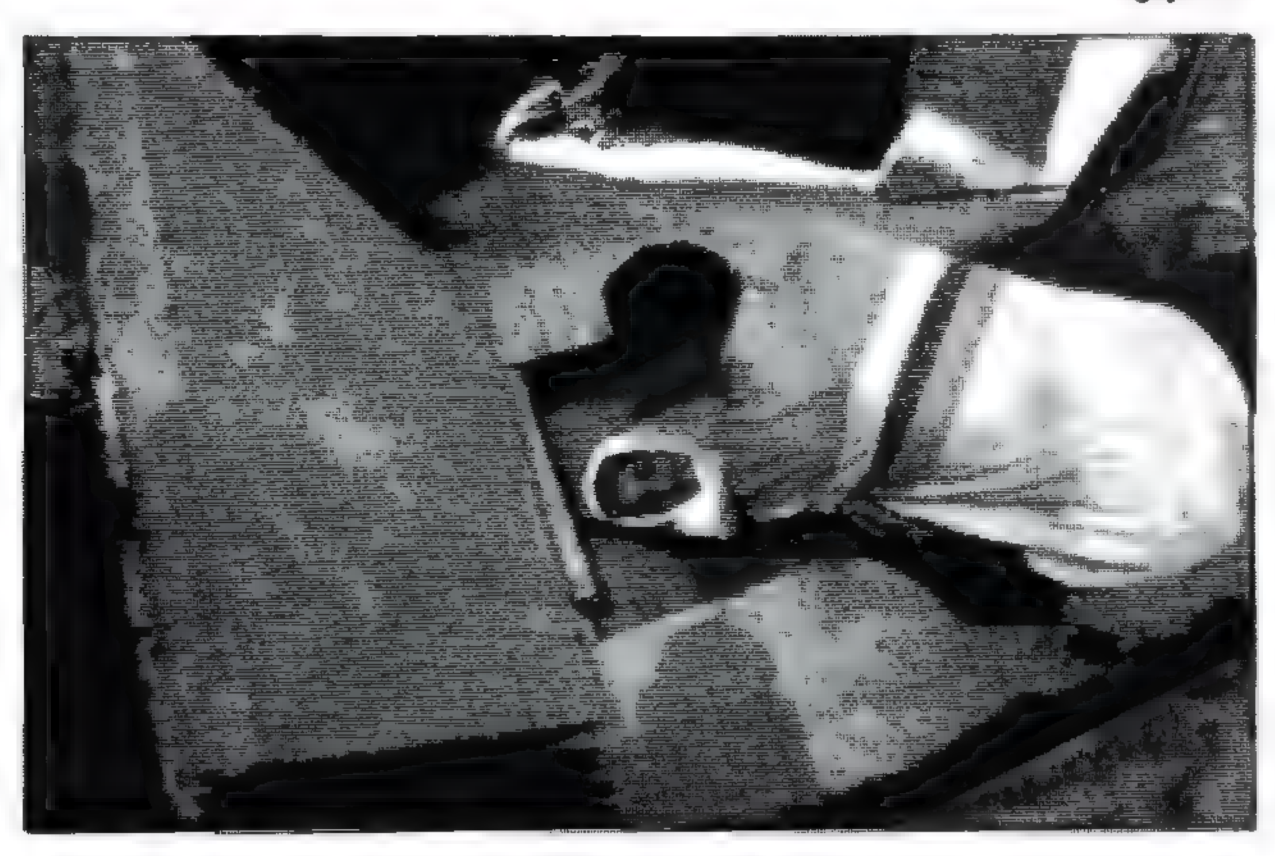
وفى ذات الليلة تقتحم قوات معززة من جنود الاحتلال منزل الحاج (محمد الكرد) تبحث عن (بسام) الذى اختفى عن العيون، واتخذ قراره الاستراتيجى أن يطارد قوات الاحتلال حتى يطردها أو ينال ما يريد، شهادة يُعز الله بها جنده ويذل بها عدوه، كما كان يدعو دومًا. ولم ينقطع (بسام) فى مرحلة المطاردة عن العطاء القسامى اللامحدود، فتواصل جهاده وامتد إلى كل المواقع، وغدا (بسام) علمًا فى صفوف المطاردين لما يتمتع به من مواصفات خاصة فى خفة الحركة والاتصالات وشراء الأسلحة والسرية المتناهية. . حتى كان القرار بالخروج من قطاع غزة، وقف حينها بسام بكل قوة يدفع باتجاه البقاء على أرض الجهاد حتى كانت الشهادة على الحد الجنوبى للوطن، تلك الشهادة التى نالها بعد أن بذل كل شىء من أجل الوصول إليها، ولمّا طار الخبر إلى بيت لاهيا حيث والد بسام ووالدته وزوجه وأولاده الستة، كانت النفوس قد استعدت، فقالوا جميعًا كلمات الحمد: «ولا حول ولا قوة إلا بالله»، «إنا لله وإنا وإليه راجعون». وردد والده «الحمد لله الذى شرفنى باستشهاد ولدى بسام، وإن شاء الله نلتقى فى الفردوس الأعلى».

ورددت زوجه: قد كان نعم الزوج، كان مثالاً وقدوة يحتذى به فى كل شىء.

جميع إخوان بسام وجيرانه كانوا يعتزون بهذا الشهيد الذى طلق الدنيا وزخرفها، وكانت تحت قدميه كى يلاقى الأحبة محمداً وصحبه، فاختار طريق الجهاد والشهادة لذلك، فرحل الدنيا وما ترك على ظهرها من يريد منه شيئًا أو يحمل فى قلبه عليه شيئًا.

ها هو الجمع يصطف، يدفن جثمان الشهيد المشطور بقذيفة صاروخية ليلاً، وبحضور عدد قليل من ذويه. . . الآلاف تلقى تحية الختام لرجل ملأ الدنيا جهاداً وعطاءً وفداءً وتضحية، فاستحق سلام العظماء. . . الجميع يحتشد فى الوداع الأخير لعملاق فريد بعد أن زرع فى كل موقع سنبلة للقسام ضاعف الله غراسها، فأنبتت ألف حبة، وها هو المجد القسامى يتسامى على الجراح وشجرة الجهاد نضرة الغصون بهذه الدماء الفياضة. . .

ها هو (أبو محمد) يسلم الروح بعد أن أدى الأمانة وأودعها فى جنبات القلوب المؤمنة نوراً وناراً. . ها هو يرحل بعد أن حمل الراية ردحًا من الزمن حتى بتر العدو يديه فحملها بعضديه، ولما تسامت روح الشهيد إلى الفردوس الأعلى قذف الراية إلى أرواح تواقة مازالت تمسك البندقية تضغط على الزناد وحادى الركب آيات الله من (الأنفال والتوبة والإسراء). ها هى الروح تستقر فى حواصل طير خضر وبعد مشهد الختام فى حفل تأبين القسامى المتواصل لن يكون هناك ختام، فالدرب الذى سلكه بسام لن يغلق باستشهاده بل إن القوافل تنتظر كى تمضى تغسل عار السنين ويبقى الجسد مسجى والروح تحلق فى الجنة حيث شاءت باسمة هانئة، فقد نالت الشهادة ونجحت فى الاختبار.



وقبل شهيدا على أرضها

الشهيـد/أسامة حمدى محمود حميد

١٩٩٣/١٢/١٦



«هكذا قضى أبو مصعب ليلته الأخيرة . . متقلبًا على جمر الانتظار للرحيل الأعظم واللقاء الأكبر متبتلاً . . داعيًا . . . ذاكرًا . . قلقًا . . متمنيًا، وما أن تفتحت أزهار هذا النهار حتى انطلق (أسامة) إلى عمله المنتظر ومهمته المقدسة (شبه المستحيلة) التى يسعى لتنفيذها فى يوم استنفار رهيب لقوات الاحتلال».

الليل يمضى متثاقلاً فى مساء إحدى ليالى كانون الباردة، خاصة فى (غزة) التى تخضع لنظام منع تجول ليلى مستمر، غير أن الليل أكثر تثاقلاً لدى (أبو مصعب) ذلك الشاب الذى يحمل هم الإسلام والوطن، وخاصة تلك الليلة التى يحمل فجرها واقعًا جديداً وسنة إضافية فى عمر حركة المقاومة الإسلامية (حماس) التى اقتنع بها (أبو مصعب) وعاش حياته من أجل عزها ومجدها.

كان (أبو مصعب) يحمل كل الهم، فذكرى انطلاقة الحركة فى الرابع عشر من ديسمبر من عام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين، يجب أن لا يمر هذا اليوم دون احتفال بهيج على طريقة حماس وكتائبها خاصة بعد أن تعودت الجماهير هذه الاحتفالات منذ استل (مروان الزايغ وأشرف البعلوجى) الخناجر وأراقوا الدماء اليهودية فى يافا الساحل.

كان الأرق قد بلغ مداه مع (أبو مصعب)، فقد أعد العدة جيداً للقاء الغد المنتظر . . . وليس كأى لقاء، إنه لقاء الدم والنار والبارود، تململ الرجل واستوى وأعد نفسه للصلاة وبدأ فى اتصال مع الله تبارك وتعالى وابتهال عجيب راجيًا المولى عز وجل أن يقبله فى المصطفين من عباده وأن يوفق خطوته الميمونة.

وكان أشد ما يؤرق (أبا مصعب) الاستعداد المكثف لقوات الاحتلال الإسرائيلى . . فمنذ حرب الأيام الستة . . أى على امتداد أيام وسنى (أبى مصعب) على هذه الأرض

لم تنتشر قوات الاحتلال بهذه الكثافة تحسبًا لعمليات (كتائب القسام) فى ذكرى انطلاقة حركة المقاومة الإسلامية (حماس). . خاصة وأن ذكرى الانتفاضة تأتى هذا العام بلون مختلف، فالعام ١٩٩٣م كان حافلاً بالهجمات العسكرية الدامية بين قوات الاحتلال وكتائب القسام، وغدا جند القسام شوكة مرهوبة الجانب تنخر فى عظام اليهود وتصيب منهم موضعًا حساسًا.

بقى (أبو مصعب) على حاله من القلق والترقب والانتظار. . حينًا يفزع إلى الصلاة، وحينًا آخر يلجأ إلى الذاكرة تعيد إليه نسمات الماضى المعبق بحلاوة الجهاد والمصابرة والمرابطة على ثرى الوطن الحزين، فما علم (أبو مصعب) فى حياته عدا الرجولة والفدائية. . فيوم انطلقت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) كان (أبو مصعب) بارزًا فى منطقة التفاح حيث التحق بجهاز الأمن والدعوة (مجد) ونفذ العديد من الهجمات التى استهدفت أوكار الفتنة والفساد، حتى اعتقل فى ضربة شهر (مايو) ١٩٨٩ الشهيرة، ومكث فى السجن خمسة وأربعين شهراً، كانت بمثابة سنوات جامعة ومعهداً للتعليم العالى تخرج منه شهيدنا بامتياز مع مرتبة الشرف، صبر وصلابة وصمود وعزم وإيمان وعلم وتضحية وإخوة، فكان (أسامة) لا يشق له غبار، خرج بعدها بعزم وإرادة من حديد أكسبته قسم الثأر بالمواصلة.

وفى اليوم الثانى لخروجه فى العام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين كان أبو مصعب يلحق بركب المجاهدين من (كتائب عز الدين القسام).

وتذكر رحلته المتواضعة مع العلم، فقد التحق بكلية العلوم فى الجامعة الإسلامية، وكان من الطلاب المتفوقين، ولكنه لم يكمل المسير لانشغاله بهموم الوطن وأبجديات المقاومة.

كان العزم ديدنًا معروفًا لدى (أبو مصعب)، فما تراجع عن موقف تقدم نحوه وما تردد فى قرار اتخذه، يمضى متوكلاً على الله تبارك وتعالى.

وها هو اليوم يمضى متوكلاً على الله فى خطوة جريئة، مواجهة ملحمية مع بنى اليهود وهم فى كامل استنفار وتحد وعنجهية. . إنه التحدى المقبول والجرىء. . لكنه التوكل عنوان (أسامة) ما جعله يتوانى، أو يتراجع، بل بسط كفيه إلى السماء داعيًا

مولاه راجيًا منه التوفيق والسداد، «اللهم سدد رميتى واكتب ذلك فى صحائف عملى».

كان رغم كل ذلك يشعر بالغربة.. يود لو تطويه الأيام كى يلقى الله تبارك وتعالى، فخاطب ربه تائبًا نادمًا راجيًا.. «من حلكة الليل المضيع فى الهوى.. والتائهين وحيرة الأوهام يا مولاى جئت.. حبًا لأنك خالقى وعلى بابك قد طرقت.. متوسلاً عطفًا لديك ومن لكسرى لو رددت.. ضاقت على مواجعى فى غفلتى والبعد موت.. ميراث أمسى بات يكوينى.. ولكن سلوتى أنى رجعت. واليوم يا مولاى عدت - اليوم عدت.. فلئن بسطت يدًا إلىّ فخافقى أنا ذا بسطت».

كان يحلم من كل هذا العمل بالمغفرة والرضوان.. ليس أكثر من ذلك، وكم تمنى أن ينال الدرجة العالية ويسقط شهيدًا على ثرى الوطن المقدس.. يا لها من أمنية غالية.. أتراها تتحقق غدًا.. كم يعشق الشهادة.. هذا المتيم بحب الأقصى وفلسطين.

ورحل (أبو مصعب) قليلاً إلى الأيام الخوالى التى انصرفت حيث اشتعلت فلسطين لرحيل الشهيد (عماد عقل).. وساورته نفسه.. هل حقًا يرحل إلى (عماد) والراحلين من قبله.. هل تراه ينضم إلى قافلة النور التى أذنت فى سماء العالمين بمولد الفجر الجديد.

رحل (أسامة) فى خياله إلى ما بعد استشهاده، وكيف سيلقى (عمادًا) والأحبة، وكيف سيدخل جنة ربه دون سؤال أو حساب بإذن الله. وهل حقًا سيدخل الجنة.. آه.. آه.. آه، ما أجمله من فوز وما أكرمه من نصر.. ليته يحدث.. ليت..

ثم يغيب (أسامة) فى عالم ذكرياته.. فى (النقب الثائر).. وفى (مسجد المحطة)، وكيف استطاع أن يساهم فى نشأة جيل إسلامى كامل، أبى الوهن والظلم فانتفض وثار وكسر قواعد اللعبة الدولية وحطم أسس المعالجة اليومية وأعاد التاريخ إلى (داود وجالوت) متجاوزًا كل التقدم العلمى الرهيب والأسلحة الفتاكة المدمرة.

وعاد بالذاكرة إلى طفولته وتذكر إخوانه وأخواته، والده ووالدته، وكيف سيكون حالهم لو رحل عنهم.. ولكنه توقف سريعًا عن التفكير فى هذا الاتجاه..

تذكر يوم حدثه والده عن قدومه إلى الأرض وقال له «يا بنى حلت النكبة عام (١٩٦٧م) وكان عام ميلادك».

ترى ما هذا التزامن بين ميلادى.. وعام النكبة.. وماذا قصد والدى بحديثه هذا.. فهل حقًا سأكون ممن يساهمون فى مسح آثار النكبة ومرارتها ؟ هل يحدث ذلك وأنا العبد الضعيف قليل العتاد.. ثم تمتم فى لحظة شموخ وتحد رائعة ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً... وتذكر يوم رحل إلى فلسطين المحتلة للعمّل فيها حيث كان يجيد الدهان.. كان يستمع من ركاب الباص أحاديثهم حول بلدانهم التى هجروها فى زمن التشريد الأول، يشعر (أسامة) أنه واحد منهم رغم أنه لم يهاجر من بلدته الأصلية غزة، إلا أن شعوره كان أسمى من الحدود، ففلسطين فى قلبه وفؤاده رقعة واحدة وأرض إسلامية.. حرام على الدخلاء، وعلى الغاصبين دفع الثمن. وسرح حين ذلك بتذكار أبيات من الشعر فى القدس وفلسطين والأقصى، فقد كان محبًا للشعر وقراءته وحفظه، يرى فيه متنفسًا للحرية المفقودة على بوابة (إيرز) وردًا للظلم المتمترس خلفه أدعياء الزمن الحاضر والحقبة الصهيونية الجديدة..

وعدا عن كتابة الشعر، فقد كان يدون المقالات والموضوعات التى يزين بها مسجد (المحطة) كى يتزود الناس بالعلم لمواصلة رحلة الجهاد والعطاء.. وقد أثرى هذه الموهبة لدى (أبو مصعب) امتلاكُ أهله لمكتبة، حيث يرتزقون من بيع الكتب مما فتح له مجالاً خصبًا كى يرتشف من معين العلم والإيمان ما شاء الله.

هكذا قضى (أبو مصعب) ليلته الأخيرة متقلبًا على جمر الانتظار للرحيل الأعظم واللقاء الأكبر.. متبتلاً.. داعيًا.. ذاكرًا.. قلقًا.. متمنيًا..

بدأت الساعة تقترب رويداً من انبلاج صباح يوم الثلاثاء الموافق الرابع عشر من ديسمبر من العام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين، و(أسامة) يتقلب فى انتظار ساعة الصفر من أجل الرحيل الأعظم والأكرم فى رحلة الخلود الأبدى.. كم كان ينتظر هذا اليوم.. ويرحل إليه كل يوم. وما أن تفتحت أزهار هذا النهار وغدا الناس ينطلقون إلى مواقع عملهم لكسب قوت يومهم.. حتى انطلق أسامة إلى عمله المنتظر ومهمته المقدسة (شبه المستحيلة) التى يسعى لتنفيذها فى يوم استنفار رهيب لقوات الاحتلال.

فأعد (أبو مصعب) سيارته المرتقبة وزودها بكل ما يلزم من متفجرات وصواعق وأنابيب غاز وانطلق بها إلى منطقة (القبة بالشجاعية) (الخط الشرقى) لمدينة غزة،

وهناك أوقف سيارته الملغومة واختفى خلف شجيرات على الطريق فى انتظار صيده الثمين . . كان كل شيء يبدو معداً بعناية واقتدار، (فأبو مصعب) صاحب تجربة عريقة فى العمل العسكرى، ولكن الانتشار الإسرائيلى والإعلام الحذر كان ينبئ بخطورة المجازفة فى هذا اليوم، فالطير فى السماء يرغب الجيش الإسرائيلى بإيقافه والتدقيق فى أوراقه والتحسب من انتمائه لخلايا القسام . . لكنه التحدى من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . . وما أن اقتربت دورية عسكرية من المكان حتى لفت انتباهها وجود سيارة على قارعة الطريق، وفى لحظات كان المكان محاصراً والجنود ينتشرون والطائرات تحلق فى الأجواء، فأفسح (أسامة) لإخوانه سبيل النجاة ومثل لهم خط الدفاع الأخير، وبدأ باطلاق صليات رشاشة من كلاشنكوف حمله (أسامة) لهذا الاحتمال، فأصاب ضابطًا إسرائيليًا لكن نيرانًا غزيرةً انطلقت خلف الجبل الشامخ بمعانى العزة والإيمان والرجولة أصابت (أبو مصعب) بعدة أصابات استشهد على أثرها فى نفس المكان.

ثم قدمت قوات معززة من الجيش وقام خبير المتفجرات بتفجير السيارة، وقد اعترف راديو اسرائيل بالعملية وأعلن إصابة ضابط، وأن (كتائب الشهيد عز الدين القسام) مسئولة عن العملية وأنها نفذتها فى الذكرى السادسة لانطلاقة حركة (حماس).

وقد زفت مكبرات المساجد فى غزة إلى الأمة الإسلامية نبأ استشهاد أحد قادة العمل العسكرى القسامى الذى كان يعمل فى الخفاء، فلم يكن مطارداً أو مطلوبًا، بل كان (أبو مصعب) جنديًا مجهولاً، وارتقى فى ميدان الشهادة والإباء والشموخ عملاقًا أبيًا عصيًا على الملاحقة والمطاردة. وقد وقف حى التفاح ومسجد (المحطة) بالتحديد على ساحة واحدة بعد سماع نبأ استشهاد درة المنطقة وشمسها التى لا تخبو، فأقاموا سرادق العزاء الذى أمه المواطنون من كافة أنحاء قطاع غزة مودعين الشهيد ويقدمون له التحية العسكرية التى يستحق، بينما وقف (آل حميد) شامخى الرؤوس مرفوعى الهامات بولدهم وقالوا كلمة الحمد للمولى تبارك وتعالى على ما أخذ وعلى ما أعطى وعلى ما أبقى ، وأجمعوا أنه شرف عظيم أن يمثل أحد أبنائهم حلقة فى سلسلة الخلود التى لا تنقضى، سائلين المولى عز وجل أن يجمعهم به فى الفردوس الأعلى.

وبعد يومين وفى تمام الساعة العاشرة والنصف من ليلة يوم الخميس الموافق السادس عشر من ديسمبر من العام ألف وتسعمائة وثلاثة وتسعين، وتحت الحراب الإسرائيلية المشرعة وبحضور تسعة عشر شخصاً من ذوى الشهيد (أسامة) امتلأت فى المكان رائحة

الشهيد الغالى الممزوجة بعبير المواجهة والتحدى، فغدا المكان روضة معبقة بأريج الشهادة وعطرها الفواح وكان وجه الشهيد كما فى حياته يطفح بالنور والإيمان.

وإكرامًا للشهيد ولدمه المراق على أعتاب الانطلاقة الماجدة أقامت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) حفل تأبين مهيب للشهيد المقدام، أمّه الآلاف من جماهير قطاع غزة فى لحظة وداع مؤثرة.

وإذا كان لك شرف الانطلاق نحو منطقة (السدرة)، واتجهت إلى (مسجد المحطة) ستلامس عن قرب عظيم الأثر الذى تركه أسامة فى جيل من الفتيان التصقوا بكتاب الله تبارك وتعالى وعاشوا لدينه فى زمن سادت فيه الفتن وتقلب الناس على جمر المعصية.

وإذا استعصى عليك الوصول اسأل عن (ملعب الشهيد أسامة حميد)، ذلك الملعب الذى أعده الشهيد بيديه ليكون مكانًا يتدرب فيه جيل مسلم قوى نشأ على قاعدة «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف».

وقد أطلق الأهالى اسم الشهيد الغالى (أسامة) على الملعب، فأصبح ملعب (الشهيد أسامة حميد).



هل يرهب الهدم والقتل... الأبطال؟!

الشهيد /محمد صالح كميل

١٩٩٤/١/٤



هى بلدة فى جنين تستحق بحق أن تسمى بلد القساميين، فمنه كانت الشرارة الأولى لأولى مجموعات الكتائب فى الشمال، ومن خيرة أبنائها صنعت وقود الكتائب فى الانتفاضتين، وفى بيوتها أمضى العياش فترة من مطاردته، إنها قباطية، سلسلة طويلة من العطاء فمن ستة قساميين قدمتهم شهداء قبل اندلاع انتفاضة الأقصى، إلى ثلاثة شهداء قساميين آخرين قدمتهم فى ظل انتفاضة الأقصى، يضاف إليهم عشرات المعتقلين القساميين من أبناء البلدة على طول الانتفاضتين، لذا كان حقًا علينا أن نعيد إلى الذاكرة سيرة ثلة من أبناء هذه القرية من شهداء القسام بدءاً بالقائد المؤسس الشهيد عبد القادر كميل، مرورا برائد زكارنة وأحمد أبو الرب محمد أبوالمعلا «الأناسى» وأمجد كميل، ومحمد صالح كميل، إلى شهدائها القساميين فى ظل انتفاضة الأقصى الشهيد صالح كميل وظافر كميل ومحمد كميل، والجبل على الجرار.

الشهيد القسامى محمد صالح كميل شبل الخليل، كثيرون هم الذين شاهدوا ذلك الشبل القسامى الذى كان يجوب شوارع الخليل ليلا، يقارع ويهاجم خفافيش الليل من المستوطنين الذين تعودوا الخروج فى جنح الظلام، يدمرون ويحرقون ويسرقون الراحة والأمن من عيون الأبرياء، فاستحقوا لقب «المفسدون فى الأرض» بلا منازع، محمد كان ذلك الشبل وذلك القسامى الصغير فى سنه الكبير فى فعله. ولد الشهيد القسامى محمد صالح شريف كميل فى الأردن بتاريخ ١/ ١/ ١٩٧٢ لعائلة فلسطينية متدينة تعود أصولها لقرية قباطية الواقعة على مشارف مدينة جنين القسام، وبعد مدة من الإقامة فى الأردن انتقلت العائلة للسكن فى مدينة الخليل حيث عمل والد الشهيد محمد محاضرا فى جامعة الخليل، تلقى الشهيد محمد دراسته الأساسية والإعدادية فى مدرسة الصديق فى الخليل، ثم أكمل المرحلة الثانوية فى مدرسة الحسين بن على، وفى هذه

المرحلة انخرط الشهيد محمد فى صفوف حركة المقاومة الإسلامية - حماس - حيث نشط فى صفوف العمل الطلابى فى الخليل، وعمل من خلال مجموعات السواعد الرامية فى حماس على مهاجمة قطعان المستوطنين ودوريات الاحتلال فى الخليل مما أدى فى ١٩٩٠م لاعتقال محمد من قبل قوات الاحتلال لمدة ١١ شهراً حيث وضع الشهيد محمد فى تحقيق سجن الظاهرية مدة ١٥ يومًا، تعرض فيها لعدد من أساليب التحقيق والتعذيب المختلفة، و رغم صغر سن محمد لم يستطع المحققون الحصول منه على أى معلومة.

خرج محمد من السجن بعد قضاء مدة محكوميته ليستقر فى مدينة الخليل بعد أن رفض الانتقال مع عائلته لمدينة نابلس وذلك بسبب ظروف عمل والده كمحاضر فى جامعة النجاح الوطنية، قام محمد خلال إقامته فى الخليل بالعمل على سيارة أجرة من نوع «بيجو» حيث قام باستخدامها فى نقل المطلوبين من أبناء كتائب القسام وذلك بعد أن جند فى صفوف الكتائب بعد خروجه من السجن بشهر.

حادثة الاستشهاد:

فى يوم ١٤/ ١/ ١٩٩٤م حضر الشهيد محمد كميل مع رفيقه القسامى فريد الجعبة واللذين كانا يعملان على نقل السلاح والطعام للمجاهدين أمجد أبو خلف وأمجد شبانة فى مخبأ لهما فى أحد البيوت المهجورة على أطراف مدينة الخليل حيث كان المجاهدان شبانة وأبو خلف مطلوبين لقوات الاحتلال، وبعد لحظات من دخول الشهيد محمد كميل والقسامى فريد الجعبة للبيت قامت قوات كبيرة من المستعربين وحرس الحدود الصهيونى بمحاصرة المنزل وطلبوا من المجاهدين الأربعة الخروج وتسليم أنفسهم، قام محمد بعد هذا النداء بالخروج من المنزل وهو يضع يديه على رقبته ويمسك بقنبلة يدوية لكى يفجرها عند الاقتراب من جنود الاحتلال، ولكن أحد الجنود لاحظ القنبلة فقام على الفور بإطلاق النار على صدر محمد مما أدى على الفور لاستشهاده، قامت بعدها قوات الاحتلال بالاشتباك مع أبناء القسام أمجد شبانة وأمجد أبو خلف وفريد الجعبة حتى استشهدوا جميعًا ووضعت جثث الأربعة بجانب بعضها ونقلت بعد ذلك لمعهد الطب الشرعى فى أبو كبير فى القدس.

رفضت قوات الاحتلال عرض الجثث على أهالى الشهداء الأربعة وبقيت الجثث فى معهد أبو كبير حتى تدخل رئيس بلدية الخليل، بعدها سمحت قوات الاحتلال بعرض

الجثث للتعرف عليها، استدعى والد الشهيد محمد كميل للمجيء للقدس وذلك للتعرف على جثة ولده محمد، دفن بعدها جثمان الشهيد محمد فى مقبرة الشهداء فى بلده الأصلى قباطية ليلا وتحت حراسة جنود الاحتلال وبحضور خمسة من أهل الشهيد فقط . . حتى والدة الشهيد لم يسمحوا لها برؤيته.

هذا هو الشهيد محمد كميل، شبل الخليل، وبطل من أبطال كتائب العز التى لا تقهر، لقى الله عز وجل مقبلا ومضحيًا فداءً لوطنه ودينه وشعبه وقاتل فى سبيل كل هذه المعانى لينال شرف الشهادة.

فهنيئًا لك الجنة يا محمد، وهنيئًا لك صحبة إبراهيم الخليل الذى أحببت.



فهرس الشهداء

م	اسم الشهيد	تاريخ الاستشهاد	الصفحة
٢٦	ياسين عادل الشخشير	١٩٨٨/١٢/١٦	٨٣
٢٧	إبراهيم محمد المباشر	١٩٨٨/١٢/١٨	٨٦
٢٨	عبد الحليم محمد رباح بخيت	١٩٨٨/١٢/٣٠	٩٠
٢٩	فواز محمد رباح بخيت	١٩٨٩/١/١٧	٩٢
٣٠	محمد الدواوسة	١٩٨٩/١/١٩	٩٥
٣١	سمير أحمد خالد الحمورى	١٩٨٩/١١/٢٩	٩٧
٣٢	نضال أحمد خالد الحمورى	١٩٨٩/١١/٢٩	٩٧
٣٣	محمد مراد جميل مطر	١٩٨٩/٢/٥	١٠٠
٣٤	محمد خالد الشريم	١٩٨٩/٣/١٢	١٠٢
٣٥	نعمان طه جرادات	١٩٨٩/٣/١٩	١٠٦
٣٦	نامق أحمد حسين ملحم	١٩٨٩/٣/٢٧	١٠٩
٣٧	محمد منصور عبد ربه	١٩٨٩/٣/٣٠	١١٢
٣٨	داود قراقع	١٩٨٩/٤/٦	١١٤
٣٩	صبحى محمد عطية شكارنة	١٩٨٩/٤/١٣	١١٨
٤٠	رياض محمد على غياضة	١٩٨٩/٤/١٣	١٢٠
٤١	فؤاد يوسف عوض نجاجرة	١٩٨٩/٤/١٣	١٢٠
٤٢	محمد حسن الشيخ شكارنة	١٩٨٩/٤/١٣	١٢١
٤٣	وليد محمد عبد الله نجاجرة	١٩٨٩/٤/١٣	١٢١
٤٤	رائد محمد مؤنس	١٩٨٩/٥/٦	١٢٣
٤٥	محمد زقوت	١٩٨٩/٥/٦	١٢٥
٤٦	على عبد الله محمد حسين	١٩٨٩/٥/١٠	١٢٨
٤٧	خالد جاد الله جاد الله	١٩٨٩/٥١١	١٣٢
٤٨	ناجى الفقيه	١٩٨٩/٥/١٨	١٣٥
٤٩	أحمد عبد الفتاح غانم	١٩٨٩/٦/١٥	١٣٧
٥٠	وائل أحمد إسماعيل الهود	١٩٨٩/٧/٥	١٤٢
٥١	حسام حماد	١٩٨٩/٧/٦	١٤٤
٥٢	رائق حسن سلمان	١٩٩٠/٢/١٢	١٤٦
٥٣	أيمن رمزى بدران	١٩٨٩/٧/٩	١٤٩

م	اسم الشهيد	تاريخ الاستشهاد	الصفحة
٥٤	ناصر موسى	١٩٨٩/٧/١٤	١٥٣
٥٥	سمير الأخرس	١٩٨٩/٧/١٨	١٥٦
٥٦	فايز المنذر	١٩٨٩/٨/٦	١٦٠
٥٧	نضال أبراهيم محمد مسك	١٩٨٩/٨/٩	١٦٢
٥٨	أمجد واثق الطويل	١٩٨٩/٨/١٥	١٦٥
٥٩	مصطفى حسين الدباغ	١٩٨٩/٩/٢	١٦٩
٦٠	بسام يوسف سعد أبو تمام	١٩٨٩/٩/١٦	١٧٣
٦١	بلال زهيرعتاب	١٩٨٩/٩/٢٨	١٧٧
٦٢	عبدالله ربايعة	١٩٨٩/٩/٣٠	١٨١
٦٣	محمد خليل سعيد أبوزياد	١٩٨٩/١٠/١	١٨٤
٦٤	عمار زكى القدومى	١٩٨٩/١٠/١٢	١٨٦
٦٥	مجاهد محمد حسن شحادة	١٩٨٩/١٠/١٢	١٨٨
٦٦	جميل صالح جواريش	١٩٨٩/١٠/١٣	١٩٣
٦٧	حسام سهيل فريد أبو زنط	١٩٨٩/١١/٢٥	١٩٦
٦٨	ناصر عبدالمجيد كجك	١٩٨٩/١٢/٥	٢٠٠
٦٩	أمجد عبد المجيد سعيد حسن	١٩٨٩/٤/٢٣	٢٠٣
٧٠	فيصل سعود أبو سرحان	١٩٩٠/١/٨	٢٠٧
٧١	حسام جهاد الزعيم	١٩٩٠/٢/١١	٢١٠
٧٢	عبد اللطيف مصطفى السقا	١٩٩٠/٥/٤	٢١٤
٧٣	محمد شاكر أبو هشيم المصرى	١٩٩٠/٥/٥	٢١٧
٧٤	إياد إسماعيل صقر	١٩٩٠/٥/٢٠	٢٢٣
٧٥	محمد سمير محمد حسن الحلحولى	١٩٩٠/٥/٢٤	٢٢٥
٧٦	رامى فريد قمحية	١٩٩٠/٦/٥	٢٣٠
٧٧	مجدى عبد حميدان طه	١٩٩٠/١٠/٧	٢٣٣
٧٨	مريم مصطفى زهران	١٩٩٠/١٠/٨	٢٣٥
٧٩	موسى عبدالهادى السويطى	١٩٩٠/١٠/٨	٢٣٨
٨٠	برهان الدين عبد الرحمن كاشو ر	١٩٩٠/١٠/٨	٢٣٩
٨١	جادو محمد راجح زاهدة	١٩٩٠/١٠/٨	٢٤٢

م	اسم الشهيد	تاريخ الاستشهاد	الصفحة
٨٢	فايز أبو سنينة	١٩٩٠/١٠/٨	٢٤٤
٨٣	عبد الكريم وراد زعاترة	١٩٩٠/١٠/٨	٢٤٧
٨٤	مجدى نظمى مصباح أبو صبيح	١٩٩٠/١٠/٨	٢٤٩
٨٥	محمد موسى عريف ياسين أبو سنينة	١٩٩٠/١٠/٨	٢٥١
٨٦	ربحى حسن شحادة العمورى	١٩٩٠/١٠/٨	٢٥٤
٨٧	إبرهيم محمد على أدكيدك	١٩٩٠/١٠/٨	٢٥٧
٨٨	إبراهيم عبدالغفار إبراهيم غراب	١٩٩٠/١٠/٨	٢٥٩
٨٩	فوزى سعيد إسماعيل الشيخ	١٩٩٠/١٠/٨	٢٦١
٩٠	نمر إبراهيم نمر الدويك	١٩٩٠/١٠/٨	٢٦٣
٩١	عز الدين جهاد محمود حميدة الياسينى	١٩٩٠/١٠/٨	٢٦٥
٩٢	أيمن محيى الدين على الشامى	١٩٩٠/١٠/٨	٢٦٨
٩٣	عدنان خلف شتيوى مواسى	١٩٩٠/١٠/٨	٢٧٢
٩٤	سليم أحمد الخالدى	١٩٩٠/١٠/٢٣	٢٧٥
٩٥	هيثم شفيق جملة	١٩٩٠/١١/٣	٢٧٧
٩٦	محمد أحمد حسن أبو نقيرة	١٩٩٠/١٢/١٣	٢٧٩
٩٧	رائد محمود البرغوثى	ـــــ	٢٨٣
٩٨	محمود محمد علاونة	ـــــ	٢٨٥
٩٩	بركات إبرهيم الفاخورى	ـــــ	٢٨٧
١٠٠	فايز ماهر يوسف	ـــــ	٢٨٩
١٠١	عصام موسى حسن أنيس	ـــــ	٢٩١
١٠٢	محمد محمود يوسف جبر زلط	ـــــ	٢٩٣
١٠٣	عماد عرقاوى	ـــــ	٢٩٦
١٠٤	عماد عبد العفو الزغير	ـــــ	٢٩٨
١٠٥	سامر مرعى	ـــــ	٣٠٠
١٠٦	غسان مصباح عبد الحميد أبو ندى	١٩٩١/٥/٣	٣٠٢
١٠٧	مروان فرج سلامة الزايغ	١٩٩١/١١/١٤	٣٠٦
١٠٨	طارق عبد الفتاح حسن دخان	١٩٩٢/٤/١٠	٣١٣
١٠٩	محمد حسن عبد القادر قنديل	١٩٩٢/٥/٢٤	٣٢٢

































